تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١٤

حققه وخرج أحاديثه

محمود محمد شاكر

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

الجزء الرابع عشر

فيـــه

تفسير سورة الأنفال

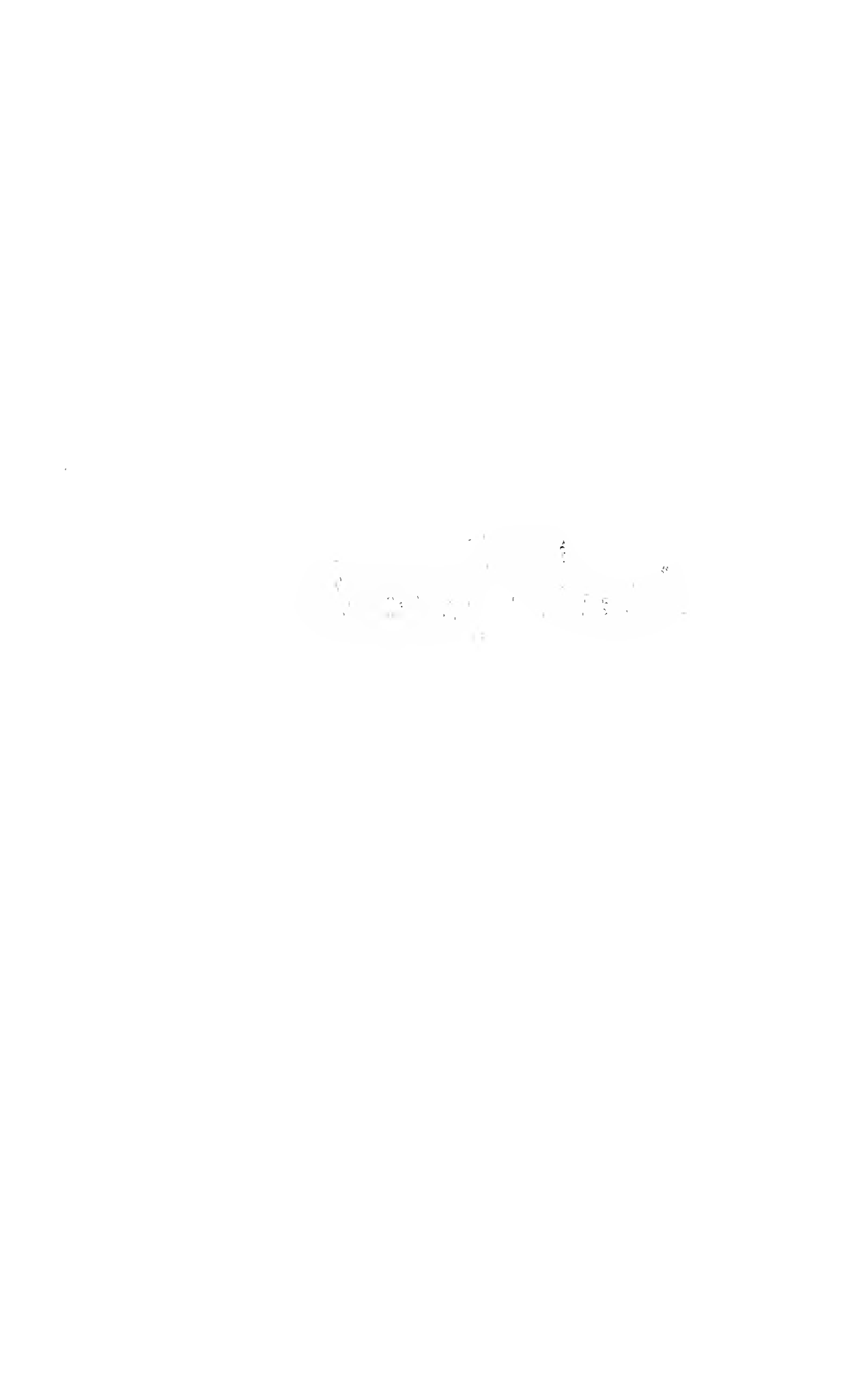
من ٤٨ — ٧٥

وتفسير سورة التوبة

من ١ — ١٢٩

والآثار من ١٦١٨٣ — ١٧٥١٧

تفسير الطبري



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حمدًا يستَبْقِي سابِغَ نِعْمتِه ، ويستديم الموصُولَ من مِنَّتِه ، ويقرِّبُنَا إخلاصُه إلى رِضْوانه ، ويُجِيرنَا صِدْقُه من سَخَطِه ، ويُحْيِي قلوبَنَا بذِكْرِه ، ويُؤَدِّي بنا إلى حِفْظ العهْدِ فى طاعته ، ورِعَاية حَقِّه فى عِبادته ، ويُنْجِينا مَذْخُورُه من كَرْب المَوْتِ عند لِقاءِ المنيَّةِ ، ويكُفُّ عنَّا باقِيه عذابَ الآخرة ، ثُمَّ يكونُ غَنَاءً لنا يَوْمَ لا تُغْنِي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئًا .

وصلَّى اللهُ على البَشِير الدَّاعِينَا بتَرْغيبه إلى جَنَّته ، والنَّذِير المُبْعِدِنا بترهِيبِهِ عن نارِه ، صلاةً تُبْلِغُنا رضاهُ سبحانَه ، وتحفُّنَا برَفْرَف رَحْمتِه يَومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّه ، وتُصفِّي كَدَرَ أعمالِنَا يومَ لا يَشْفَع شافعٌ إلاّ من بَعْدِ إذنِهِ ، وهو الغفور الرحيم ، يُقيل عَثْرةَ عِباده برأفتِه ، ويتغمَّدُ إساءتهم بإحسانه .

وبعدُ ، فقد أَبْليتُ شَبابِى وصَدْرًا منْ كُهُولتِي ، وأَخِي يومئذٍ رُكْنٌ من العلمِ باذخٌ ، آوِى إليه إذ حَزَبنِى أمرٌ ، أو ضَاقَ عليَّ مَسْلَكٌ . فأصبحتُ فإذا الركنُ قد سَاخَ ، وإذا أنا قد أُفْرِدْتُ إفرادَ السَّارى فى فَلَاة بغير دليلٍ . كان نُورًا يُضِيء الطريقَ ، فلمّا طَفِئَ ، أصبحتُ فى ظَلْماءَ يَنْهانى سوادُهَا أن أسيرَ .

وكنتُ أعمل فى هـذا التفسير وَحْدى بَعيدًا عنه ، هكذا كان . لم يكنْ يشاركنى فى قراءة نَصِّه ، ولا فى كشفِ مُبْهمِه ، ولا فى تقويم ما اعوَجَّ من نَهْجِه ، ولا فى تخريجِ ما توَلَّيتُه من رواية حديثه . وَقَضيتُ دهرًا وأنا أظنُّ أنّ الأمرَ كُلَّه ثمرةُ جُهْدِى وعلمى ! ! فلمَّا قبضَ الله إليه عبدَه الصالحَ رحمة الله عليه ، وبقيتُ أيضاً أعمل وَحْدى بعيدًا عنه أىَّ بُعْدٍ ! ! فعندئذٍ وجَدْتُ مَسَّ الحقِّ فى فَقْدِه ، وإذا هو كانَ يكون مَعِى وإن خِلْتُه بعيدًا ، وكانَ يكونُ مُعِينى وإن لم أسْتَعِنْه ، وكان يكون نورَ طَريقى ، وإن خلتُ الطريقَ مُضيئًا من ذات نَفْسِه !

فأىُّ هَدْيٍ طُمِس عنِّى بفقْدِك ! وأىُّ دليلٍ نأَى عنِّى برحيلِك ! وأَى نورٍ غارَ عنِّى بغيابِك ! وأَىُّ حُزْنٍ بَقِى لى بفَنائِك ! فيا ابنَ أَبى وأمِّى :

لَوْ كَانَ يُنجِى من الرَّدَى حَذَرٌ نَجَّاكَ مِمَّا أصابَكَ الحَذَرُ
يَرْحَمُكَ اللهُ مِنْ أَخِى ثِقةٍ لَمْ يكُ فى صَفْوِ وُدِّهِ كَدَرُ
فَهـكَذَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ ، ويَفْـــنَى العِلْمُ فِيهِ ، ويَدْرُسُ الأَثَرُ

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٤٨) ١٠/١٤

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » ، وحين زين لهم الشيطان أعمالهم ، وكان تزيينه ذلك لهم ،[١] كما :—

١٦١٨٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : جاء إبليس يوم بدر فى جُنْد من الشياطين ، معه رايته ، فى صورة رجل من بنى مُدلج ، والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم ،[٢] فقال الشيطان للمشركين : « لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم » . فلما اصطف الناس ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضةً من التراب فرمى بها فى وجوه المشركين ، فولَّوا مدبرين . وأقبل جبريل إلى إبليس ، فلما رآه ، وكانت يده فى يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده فولَّى مدبراً هو وشيعته ، فقال الرجل : يا سراقة ، تزعم أنك لنا جار ؟ قال : « إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب » ، وذلك حين رأى الملائكة .

---

(١) انظر تفسير « زين » فيما سلف ١٢ : ١٣٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة ، حذف قوله : « والشيطان » ، وساق الكلام سياقاً واحداً .

١٦١٨٤ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا ، أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أتى المشركين إبليس فى صورة سراقة ابن مالك بن جعشم الكنانىّ الشاعر ، ثم المدلجى ، فجاء على فرس ، فقال للمشركين : « لا غالب لكم اليوم من الناس » ! فقالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا جاركم سراقة ، وهؤلاء كنانة قد أتوكم !

١٦١٨٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق ، حدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسير ، ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر = يعنى من الحرب = فكاد ذلك أن يثنيهم،[1] فتبدّى لهم إبليس فى صورة سراقة [بن مالك] بن جعشم المدلجىّ ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال : « أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة [من خلفكم بشىء] تكرهونه » ! فخرجوا سراعاً .[2]

١٦١٨٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق فى قوله : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم » ، فذكر استدراج إبليس إياهم ، وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم لهم ،[3] حين ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم ،[4] يقول الله : « فلما تراءت الفئتان » ، ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيَّد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم = « نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون » ، وصدق عدوّ الله ، إنه رأى ما لا يرون = وقال : « إنى أخاف الله والله شديد العقاب » ، فأوردهم ثم أسلمهم .

---

(١) فى المطبوعة : « أن يثبطهم » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى السيرة .

(٢) الأثر : ١٦١٨٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ ، والزيادة بين الأقواس منها .

(٣) فى المطبوعة ، حذف « لهم » ، وهى ثابتة فى المخطوطة وسيرة ابن هشام .

(٤) فى المطبوعة : « من الحرب » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى سيرة ابن هشام . والناشر كما تعلم وترى ، كثير العبث بكلام أهل العلم .

قال : فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه . حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان، كان الذى رآه حين نكص : « الحارث بن هشام » أو : « عمير بن وهب الجمحى » ، فذُكر أحدهما ، فقال : « أينَ ، أىْ سُرَاقَ ! » ،[1] ومثَل عدوُّ الله فذهب .[2]

١٦١٨٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » ، إلى قوله : « شديد العقاب » ، قال : ذُكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة ، فزعم عدو الله أنه لا يَدَىْ له بالملائكة ، وقال : « إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله » ، وكذب والله عدو الله ، ما به مخافة الله، ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستقاد له،[3] حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مُسْلَم ،[4] وتبرأ منهم عند ذلك .

١٦١٨٨ — حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » الآية ، قال : لما كان يوم بدر ، سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين ، وألقى فى قلوب المشركين : أنّ أحداً لن يغلبكم ، وإنى جار لكم ! فلما التقوا ، ونظر الشيطان إلى أمداد الملائكة ، نكص على عقبيه = قال : رجع مدبراً = وقال : « إنى أرى ما لا ترون » ، الآية . ١٠/١٥

١٦١٨٩ — حدثنا أحمد بن الفرج قال ، حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز

---

(١) هذه الجملة والتى تليها غيرها الناشر كل التغيير ، فكتب : « فقال : أين سراقة ! أسلمنا عدو الله وذهب » . والذى فى المخطوطة مطابق لما فى سيرة ابن هشام » . وقوله : « مثل » ، أى : انتصب ونهض .

(٢) الأثر : ١٦١٨٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩ ، وأخر صدر الخبر فجعله فى آخره . وهذا الخبر لم يروه ابن هشام فى سياق تفسير هذه الآيات فى سيرته ٢ : ٣٢٩ ، تابعاً للأثر السالف رقم : ١٦١٧٣ ، بل ذكر الآية ثم قال : « وقد مضى تفسير هذه الآية » .

(٣) فى المطبوعة : « واستعاذ به » ، غير ما فى المخطوطة بسوء أمانته ورأيه . و « استقاد له » ، انقاد له وأطاعه .

(٤) « مسلم » (بضم فسكون ففتح) مصدر ميمى ، بمعنى « الإسلام » .

ابن الماجشون قال ، حدثنا مالك ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما رؤى إبليس يوماً هو فيه أصغرُ، ولا أحقرُ ، ولا أدحرُ، ولا أغيظُ من يوم عرفة ، وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب ، إلا ما رأى يوم بدر ! قالوا : يا رسول الله، وما رأى يوم بدر ؟ قال : أما إنه رأى جبريل يَزَعُ الملائكة .[1]

١٦١٩٠ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن الحسن في قوله : « إني أرى ما لا ترون » ، قال : رأى جبريل معتجراً ببُرْدٍ ،[2] يمشي بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي يده اللجام، ما رَكبَ .

١٦١٩١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا هاشم بن القاسم قال ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال قال : قال الحسن ، وتلا هذه الآية : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » الآية ، قال : سار إبليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده ، وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لا يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين

---

(١) الأثر : ١٦١٨٩ — رواه مالك في الموطأ : ٤٢٢ ، بنحو هذا اللفظ ، وانظر التقصى لابن عبد البر : ١٢ ، ١٣ .

« أحمد بن الفرج بن سليمان الحمصى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٦٨٩٩ ، ١٥٣٧٧ .

و « عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون التيمى » ، فقيه المدينة ومفتيها في زمانه ، وهو فقيه ابن فقيه ، وهو ضعيف الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣٥٨/٢/٢ .

و « إبراهيم بن أبي عبلة الرملى » ، مضى برقم : ١١٠١٤ .

و « طلحة بن عبيد الله بن كريز بن جابر الكعبى » ، كان قليل الحديث ، مضى برقم : ١٥٥٨٥ .

وهذا خبر مرسل .

وقوله : « يزع الملائكة » ، أى : يرتبهم ويسويهم ، ويصفهم للحرب ، فكأنه يكفهم عن التفرق والانتشار ، و « الوازع » ، هو المقدم على الجيش ، الموكل بالصفوف وتدبير أمرهم ، وترتيبهم في قتال العدو . من قولهم : « وزعه » ، أى : كفه وحبسه عن فعل أو غيره .

(٢) « الاعتجار » ، هو لف العمامة على استدارة الرأس ، من غير إدارة تحت الحنك . وإدارتها تحت الحنك هو « التلحى » (بتشديد الحاء) .

آبائكم ،[1] ولن تغلبوا كثرة ! فلما التقوا نكص على عقبيه = يقول : رجع مدبرًا= وقال : « إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون » ، يعنى الملائكة .

١٦١٩٢ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب قال : لما أجمعت قريش على السير قالوا : إنما نتخوف من بنى بكر ! فقال لهم إبليس ، فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم : أنا جار لكم من بنى بكر ، ولا غالب لكم اليوم من الناس .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : « وإن الله لسميع عليم » ، فى هذه الأحوال = وحين زين لهم الشيطان خروجهم إليكم ، أيها المؤمنون ، لحربكم وقتالكم وحسّن ذلك لهم وحثهم عليكم ، وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من بنى آدم ، فاطمئنوا وأبشروا = « وإنى جار لكم » ، من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فعيذكم ،[2] أجيركم وأمنعكم منهم ، فلا تخافوهم ، واجعلوا حدّكم وبأسكم على محمد وأصحابه [3] = « فلما تراءت الفئتان » ، يقول : فلما تزاحفت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين ، ونظر بعضهم إلى بعض = « نكص على عقبيه » ، يقول : رجع القهقرى على قفاه هاربًا .[4]

* * *

يقال منه : « نكص ينكُص وينكِص نُكوصًا » ، ومنه قول زهير :

هُمْ يَضْرِبُونَ حَبِيكَ البَيْضِ إِذْ لَحِقُوا لاَ يَنْكُصُونَ ، إِذَا مَا اسْتُلْحِمُوا وَحَمُوا[5]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « لن يغلبكم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « فيغيركم » ، ومثلها فى المخطوطة غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها بعد إصلاح فسادها .

(٣) فى المطبوعة : « جدكم » بالجيم ، وانظر ما سلف ج ١٣ ص : ٥٧٧ ، تعليق : ١ .

(٤) انظر تفسير « العقب » فيما سلف ٣ : ١٦٣/١١ : ٤٥٠ .

(٥) ديوانه : ١٥٩ ، من قصيدته فى هرم بن سنان ، وهى من جياد شعره .
و « حبيك البيض » ، طرائق حديده . و « البيض » جمع « بيضة » ، هى الخوذة من سلاح

وقال للمشركين : « إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون » ، يعنى أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مدداً للمؤمنين، والمشركون لا يرونهم[1] = إنى أخاف عقاب الله ، وكذب عدوُّ الله = « والله شديد العقاب » .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وإن الله لسميع عليم » ، فى هذه الأحوال = « وإذ يقول المنافقون » ، وكرّ بقوله : « إذ يقول المنافقون » ، على قوله : « إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً » = « والذين فى قلوبهم مرض» ، يعنى : شك فى الإسلام ، لم يصحَّ يقينهم ، ولم تُشرح بالإيمان صدورهم[3]= « غرَّ هؤلاء دينهم » ، يقول : غر هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم، دينُهم[4] = وذلك الإسلام .

* * *

وذُكر أن الذين قالوا هذا القول ، كانوا نفرًا ممن كان قد تكلم بالإسلام من مشركى قريش ، ولم يستحكم الإسلام فى قلوبهم .

المحارب ، على شكل بيضة النعام ، يلبسها الفارس على رأسه لتقيه ضرب السيوف والرماح . و « استلحم الرجل » (بالبناء للمجهول) : إذا نشب فى ملحمة القتال ، فلم يجد مخلصاً . وقوله : « وحموا » ، من قولهم : « حمى من الشىء حمية ومحمية » ، إذا فارت نفسه وغلت ، وأنف أن يقبل ما يراد به من ضيم ، ومنه : « أنف حمى » .

(١) انظر تفسير « برىء » فيما سلف من فهارس اللغة (برأ) .

(٢) انظر تفسير « شديد العقاب » فيما سلف من فهارس اللغة (عقب) .

(٣) انظر تفسير « مرض » فيما سلف ١ : ٢٧٨ – ٢٨١ / ١٠ : ٤٠٤ .

(٤) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ١٢ : ٤٧٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

• ذكر من قال ذلك :

١٦١٩٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن عامر فى هذه الآية : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم » ، قال : كان ناسٌ من أهل مكة تكلموا بالإسلام، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : « غرّ هؤلاء دينهم » . ١٦/١٠

١٦١٩٤ — حدثنى إسحق بن شاهين قال، حدثنا خالد، عن داود ، عن عامر ، مثله .[١]

١٦١٩٥ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يحيى ابن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قوله : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم » ، قال : فئة من قريش: أبو قيس بن الوليد بن المغيرة ،[٢] وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاصى بن منبّه بن الحجاج ، خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب ، فحبسهم ارتيابهم . فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : « غرّ هؤلاء دينهم » ، حتى قدموا على ما قدموا عليه ، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، فشرّد بهم من خلفهم .[٣]

١٦١٩٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) الأثر : ١٦١٩٤ — « إسحق بن شاهين الواسطى » ، شيخ الطبرى مضى برقم : ٧٢١١ ، ٩٧٨٨ . وكان فى المخطوطة « أبو إسحق بن شاهين » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المطبوعة . وكنيته « أبو بشر » .

(٢) مكان « ابو قيس بن » ، بياض فى المخطوطة ، وفوق البياض حرف (ط) دلالة على الخطأ ، وبعدها « الوليد بن المغيرة » ، فكتب ناشر المطبوعة : « قيس بن الوليد بن المغيرة » ، وأخطأ ، إنما هو « أبو قيس بن الوليد » ، وهو الذى شهد بدراً ، وقتله حمزة بن عبد المطلب . فأثبته . والظاهر أن البياض لا يراد به إلا هذا الذى أثبته ، لا زيادة عليه .

(٣) فى المطبوعة ، حذف « فشرد بهم من خلفهم » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

معمر ، عن الحسن : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم » ، قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر ، فسموا « منافقين » = قال معمر : وقال بعضهم : قوم كانوا أقرُّوا بالإسلام وهم بمكة ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : « غر هؤلاء دينهم » .

١٦١٩٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض » ، إلى قوله : « فإن الله عزيز حكيم » ، قال : رأوا عصابة من المؤمنين تشرّدت لأمر الله.[1] وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال : « والله لا يُعبد الله بعد اليوم ! » ، قسوة وعُتُوًّا .

١٦١٩٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج فى قوله : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض » ، قال : ناس كانوا من المنافقين بمكة ، قالوه يوم بدر ، وهم يومئذ ثلثمئة وبضعة عشر رجلاً .

١٦١٩٩ — . . . قال حدثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض » ، قال : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، فقلّل الله المسلمين فى أعين المشركين ، وقلّل المشركين فى أعين المسلمين ، فقال المشركون : « غرّ هؤلاء دينهم » ، وإنما قالوا ذلك من قلتهم فى أعينهم ، وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون فى ذلك ، فقال الله : « ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم » .

* * *

وأما قوله : « ومن يتوكل على الله » ، فإن معناه : ومن يسلم أمره إلى الله ،

---

(١) فى المطبوعة : « تشددت » ، وفى المخطوطة : « تسردت » ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت ، « تشرد فى الأرض » ، هرب ونفر ، وكأنه يعنى هجرتهم إلى الله ورسوله . هكذا اجتهدت ، والله أعلم .

ويثق به ، ويرض بقضائه، فإن الله حافظه وناصره[1] = لأنه « عزيز » ، لا يغلبه شيء ، ولا يقهره أحد ، فجارُه منيع ، ومن يتوكل عليه مكفيٌّ.[2]

وهذا أمرٌ من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم ، أن يفوِّضوا أمرهم إليه ، ويسلموا لقضائه ، كيما يكفيهم أعداءهم ، ولا يستذلهم من ناوأهم ، لأنه « عزيز » غير مغلوب ، فجاره غير مقهور = « حكيم » ، يقول : هو فيما يدبر من أمر خلقه حكيم ، لا يدخل تدبيره خلل.[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولو تعاين، يا محمد ، حين يتوفى الملائكةُ أرواحَ الكفار ، فتنزعها من أجسادهم ، تضرب الوجوه منهم والأستاه ، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب النار التى تحرقكم يوم ورودكم جهنم.[4]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ١٣ : ٣٨٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « ... عليه يكفه » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو محض الصواب .

(٣) انظر تفسير « عزيز » ، و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .

(٤) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ١٣ : ٣٥ ، تعليق ٥ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « الأدبار » فيما سلف ١٣ : ٤٣٥ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « الذوق » فيما سلف ١٣ : ٥٢٨ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « الحريق » فيما سلف ٧ : ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

١٦٢٠٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله : « إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم » ، قال : يوم بدر .

١٦٢٠١ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحى بن سليم ، عن إسمعيل بن كثير ، عن مجاهد: « يضربون وجوههم وأدبارهم » ، قال : وأستاههم ، ولكن الله كريم يَكْنِي .[1]

١٧/١٠

١٦٢٠٢ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان ، عن أبي هاشم، عن مجاهد في قوله : « يضربون وجوههم وأدبارهم » ، قال : وأستاههم، ولكنه كريم يكني .[2]

١٦٢٠٣ - حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، أخبرنا شعبة ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير في قوله : « يضربون وجوههم وأدبارهم »، قال : إن الله كَنَى ، ولو شاء لقال: « أستاههم » ، وإنما عنى بـ« أدبارهم » ، أستاههم .

١٦٢٠٤ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: أستاههم، يوم بدر= قال ابن جريج، قال ابن عباس : إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين، ضربوا وجوههم بالسيوف. وإذا ولّوا ، أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم .

١٦٢٠٥ - حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا عباد بن راشد ، عن الحسن قال : قال رجل : يا رسول الله ، إني رأيت بظهر

---

(١) الأثر : ١٦٢٠١ - « يحيى بن سليم الطائفي » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٨٩٤ ، ٩٧٨٨ ، وكان في المطبوعة « يحيى بن أسلم » ، وهو خطأ محض ، والمخطوطة مضطربة الكتابة . و « إسماعيل بن كثير الحجازي» ، ثقة ، مضى برقم : ٨٩٢٩ .

(٢) في المطبوعة : « ولكن الله » ، وأثبت ما في المخطوطة .

أبى جهل مثل الشراك ؟ [١] قال : ما ذاك ؟ قال : ضربُ الملائكة .

١٦٢٠٦ — حدثنا محمد قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد : أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنى حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه ، [٢] فنَدَرَ رأسُه ؟ [٣] فقال : سبقك إليه الملك .

١٦٢٠٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى حرملة : أنه سمع عمر مولى غفرة يقول : إذا سمعت الله يقول : « يضربون وجوههم وأدبارهم » ، فإنما يريد : أستاههم . [٤]

* * *

قال أبو جعفر : وفى الكلام محذوف ، استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره ، وهو قوله : « ويقولون » ، « ذوقوا عذاب الحريق » ، حذفت « يقولون » ، كما حذفت من قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ [سورة السجدة : ٢١] ، بمعنى : يقولون : ربنا أبصرنا . [٥]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر ، أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم : « ذوقوا عذاب

---

(١) « الشراك » ، سير النعل الذى يكون على ظهرها .

(٢) انظر ما أسلفت فى تفسير « ذهب يفعل » ، فيما سلف ١١ : ١٢٨ ، تعليق : ١ ، ثم ١١ : ٢٥٠ ، ٢٥١ ، وص ٢٥٠ تعليق : ١ .

(٣) « ندر الشىء » سقط . يقال : « ضرب يده بالسيف فأندرها » ، أى قطعها فسقطت .

(٤) الأثر ١٦٢٠٧ — « حرملة بن عمران التجيبى » ، ثقة ، مضى برقم : ٦٨٩٠ ، ١٣٢٤٠ .

و « عمر ، مولى غفرة » ، هو « عمر بن عبد الله المدنى » ، أبو حفص ، ليس به بأس ، كان صاحب مرسلات ورقائق . مترجم فى التهذيب وابن أبى حاتم ٣/١/١١٩ .

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤١٣ .

الله الذى يحرقكم » ، هذا العذاب لكم = « بما قدمت أيديكم » ، أى : بما كسبت أيديكم من الآثام والأوزار ، واجترحتم من معاصى الله أيام حياتكم ،[١] فذوقوا اليوم العذابَ ، وفى معادكم عذابَ الحريق ، وذلك لكم بأن الله « ليس بظلام للعبيد » ،لا يعاقب أحداً من خلقه إلا بجرم اجترمه، ولا يعذبه إلاّ بمعصيته إياه، لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه .

* * *

وفى فتح « أن » من قوله : « وأن الله » ، وجهان من الإعراب :

أحدهما : النصبُ ، وهو للعطف على « ما » التى فى قوله : « بما قدمت » ، بمعنى : « ذلك بما قدمت أيديكم » ، وبأن الله ليس بظلام للعبيد ، فى قول بعضهم، والخفض ، فى قول بعضٍ .

والآخر : الرفع ، على « ذلك بما قدمت » ، وذلك أن الله .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فِعْلُ هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر ، كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم وفعل من كذّب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم ،[٣] ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك .

* * *

(١) انظر تفسير « قدمت أيديكم » فيما سلف ٢ : ٧/٣٦٨ : ٨/٤٤٧ : ٥١٤/ ١٠ : ٤٩٧ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤١٣ .

(٣) انظر تفسير « آل » فيما سلف ٢ : ٦/٣٧ : ٣٢٦ .

وقد بينا فيما مضى أن « الدأب » ، هو الشأن والعادة، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[١]

* * *

١٦٢٠٨ — حدثنى الحارث قال، حدثنى عبد العزيز قال ، حدثنا شيبان ، عن جابر ، عن عامر ومجاهد وعطاء : « كدأب آل فرعون » ، كفعل آل فرعون، كسُنَن آل فرعون .

* * *

وقوله : « فأخذهم الله بذنوبهم »، يقول : فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله ، ومعصيتهم ربهم ، كما عاقب أشكالهم والأمم الذين قبلهم = « إن الله قوى » ، لايغلبه غالب ، ولا يرد قضاءه رادٌّ ، يُنْفِذ أمره ، ويُمضى قضاءه فى خلقه = شديد عقابه لمن كفر بالله وجحد حُججه . ١٠/١٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٥٣﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركى قريش ببدر بذنوبهم،[٢] وفعلنا ذلك بهم، بأنهم غيَّروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسولَه منهم وبين أظهرهم ، بإخراجهم إياه من بينهم، وتكذيبهم له ، وحربهم إياه ، فغيرنا نعمتنا عليهم بإهلاكنا إياهم ، كفعلنا ذلك فى الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرَنا .

* * *

(١) انظر تفسير « الدأب » فيما سلف ٦ : ٢٢٣ — ٢٢٥ .
(٢) انظر تفسير « الأخذ » فيما سلف من فهارس اللغة (أخذ) .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٠٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، يقول : « نعمة الله »، محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم به على قريش ، وكفروا ، فنقله إلى الأنصار .

* * *

وقوله : « وأن الله سميع عليم » ، يقول : لايخفى عليه شىء من كلام خلقه ، يسمع كلام كلِّ ناطق منهم بخير نطق أو بشرٍّ = «عليم» ، بما تضمره صدورهم ، وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون ، إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : غير هؤلاء المشركون بالله ، المقتولون ببدر ، نعمةَ ربهم التى أنعم بها عليهم ، بابتعاثه محمداً منهم وبين أظهرهم ، داعياً لهم إلى الهدى ، بتكذيبهم إياه ، وحربهم له = «كدأب آل فرعون» ، كسنة آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبىِّ الله ،(٢) فى تكذيبهم إياه وقصدهم لحربه ،(٣) وعادة

---

(١) انظر تفسير «سميع» و «عليم» فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

(٢) انظر تفسير «الدأب» فيما سلف ص : ١٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير «آل» فيما سلف ص : ١٨ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : «وتصديهم لحربه» ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

من قبلهم من الأمم المكذبةِ رسلَها وصنيعهم = «فأهلكناهم بذنوبهم» ، بعضاً بالرجفة ، وبعضاً بالخسف ، وبعضاً بالريح = « وأغرقنا آل فرعون » ، في اليم = « وكل كانوا ظالمين » ، يقول : كل هؤلاء الأمم التي أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله ، من تكذيبهم رسلَ الله ، والجحود لآياته . فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر ، إذ غيروا نعمة الله عندهم ، بالقتل بالسيف ، وأذللنا بعضهم بالإسار والسِّبَاء .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن شر ما دبَّ على الأرض عند الله،[١] الذين كفروا بربهم ، فجحدوا وحدانيته ، وعبدوا غيره = « فهم لا يؤمنون » ، يقول : فهم لا يصدِّقون رسلَ الله ، ولا يقرُّون بوحيه وتنزيله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا » ، «الذين عاهدت منهم» ، يا محمد، يقول : أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك،[٢] ولا يظاهروا عليك محارباً لك ، كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد

(١) انظر تفسير « الدابة » فيما سلف ٣ : ٢٧٤ ، ١١/٢٧٥ : ١٣/٣٤٤ : ٤٥٩ .
(٢) انظر تفسير « العهد » فيما سلف ١٣ : ٧٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وعقد = « ثم ينقضون » ، عهودهم ومواثيقهم كلما عاهدوك وواثقوك ،[1] حاربوك وظاهروا عليك،[2] وهم لا يتقون الله، ولا يخافون فى فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم ، كالذى : —

١٦٢١٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد قوله: « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم » ، قال: قريظة ، ما لأوا على محمد يوم الخندق أعداءه .

١٦٢١١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

القول تأويل قوله ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإما تلقيَنَّ فى الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة، فتأسرهم[3] = «فشرد بهم من خلفهم» ، يقول : فافعل بهم فعلاً يكون مشرِّداً مَن خلفهم من نظرائهم ، ممن بينك وبينه عهد وعقد .

١٩/١٠

* * *

و « التشريد » ، التطريد والتبديد والتفريق .

* * *

وإنما أُمِرَ بذلك نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بالناقض العهد بينه

(١) فى المطبوعة : « كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك » ، وفى المخطوطة : « كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك » ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « النقض » فيما سلف ٩ : ٣٦٣/١٠ : ١٢٥ .

(٣) انظر تفسير « ثقف » فيما سلف ٣ : ٥٦٤/٧ : ١١٠ .

وبينهم إذا قدر عليهم ، فعلاً يكون إخافةً لمن وراءهم، ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد ، حتى لا يجترئوا على مثل الذى اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية من نقض العهد .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢١٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على، عن ابن عباس قوله : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، يعنى : نكّل بهم من بعدهم .

١٦٢١٣ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فشرد بهم من خلفهم »، يقول: نكل بهم من وراءهم .

١٦٢١٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، يقول : عظْ بهم من سواهم من الناس .

١٦٢١٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، يقول: نكل بهم من خلفهم، مَنْ بعدهم من العدوّ، لعلهم يحذرون أن ينكُثوا فتصنع بهم مثل ذلك .

١٦٢١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير : « فشرد بهم من خلفهم » ، قال : أنذر بهم من خلفهم .

١٦٢١٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ،

عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قال : نكِّل بهم من خلفهم ، مَنْ بعدهم = قال ابن جريج ، قال عبد الله بن كثير : نكل بهم مَنْ وراءهم .

١٦٢١٨ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » ، أى : نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون .[1]

١٦٢١٩ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله : « فشرد بهم من خلفهم » ، يقول : نكل بهم من بعدهم .

١٦٢٢٠ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قول الله : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، قال : أخفهم بما تصنع بهؤلاء . وقرأ : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٦٠].[2]

* * *

وأما قوله : « لعلهم يذكرون » ، فإن معناه : كى يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم ،[3] فيحذروا نقضَ العهد الذى بينك وبينهم خوفَ أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء إذا هم نقضوه .

* * *

(١) الأثر : ١٦٢١٨ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٧٣ ، ثم هو فى الحقيقة تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٨٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٢) الأثر : ١٦٢٢٠ – انظر الأثر التالى رقم : ١٦٢٤٢ ، والتعليق عليه .

(٣) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف من فهارس اللغة (ذكر) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وإما تخافن » ، يا محمد ، من عدو بينك وبينه عهد وعقد ، أن ينكث عهده ، وينقض عقده ، ويغدر بك = وذلك هو « الخيانة » والغدر[١] = « فانبذ إليهم على سواء » ، يقول : فناجزهم بالحرب ، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم ، بما كان منهم من ظهور أمار الغدر والخيانة منهم ،[٢] حتى تصير أنتَ وهم على سواء فى العلم بأنك لهم محارب ، فيأخذوا للحرب آلتها ، وتبرأ من الغدر = « إن الله لا يحب الخائنين » ، الغادرين بمن كان منه فى أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه ، قبل إعلامه إياه أنه له حرب ، وأنه قد فاسخه العقد .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يجوز نقضُ العهد بخوف الخيانة ، و« الخوف » ظنٌّ = لا يقين ؟[٣]

قيل : إن الأمر بخلاف ما إليه ذهبت ، وإنما معناه : إذا ظهرت أمارُ الخيانة من عدوك ،[٤] وخفت وقوعهم بك ، فألق إليهم مقاليد السَّلْم وآذنهم بالحرب .[٥] وذلك كالذى كان من بنى قريظة إذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من ٢٠/١٠

(١) انظر تفسير « الخيانة » فيما سلف ١٣ : ٤٨٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « النبذ » فيما سلف ٢ : ٤٠١ ، ٧/٤٠٢ : ٤٥٩ .
وفى المطبوعة : « آثار الغدر » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، و « الأمار » و « الأمارة » ، العلامة ، ويقال : « أمار » جمع « أمارة » .

(٣) انظر تفسير « الخوف » فيما سلف ١١ : ٣٧٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٤) فى المطبوعة : « آثار الخيانة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وانظر التعليق السالف رقم : ٢ .

(٥) فى المخطوطة : « وآد » ، وبعدها بياض ، صوابه ما فى المطبوعة .

المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربتهم معهم ،[١] بعد العهد الذى كانوا عاهدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة ، ولن يقاتلوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . [٢] فكانت إجابتهم إياه إلى ذلك ، موجباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه منهم . فكذلك حكم كل قوم أهل موادعةٍ للمؤمنين ، ظهر لإمام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذى ظهرَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها ، فحقٌّ على إمام المسلمين أن ينبذ إليهم على سواء ، ويؤذنهم بالحرب .

* * *

ومعنى قوله : « على سواء » ، أى : حتى يستوى علمك وعلمهم بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه لاسِلْم .[٣]

* * *

وقيل : نزلت الآية فى قريظة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٢١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فانبذ إليهم على سواء » ، قال : قريظة .

* * *

وقد كان بعضهم يقول : « السواء » ، فى هذا الموضع ، المَهَل . [٤]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٢٢ — حدثنى على بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال : إنه مما تبين لنا أن قوله : « فانبذ إليهم على سواء » ، أنه : على مهل = كما حدثنا بكير ، عن مقاتل بن حيان فى قول الله : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم

---

(١) فى المطبوعة : « ومحاربتهم معه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٢) فى المخطوطة : « ولم يقاتلوا » ، وما فى المطبوعة شبيه بالصواب .
(٣) انظر تفسير « السواء » فيما سلف ١٠ : ٤٨٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٤) فى المطبوعة : « وقد قال بعضهم » ، غير الجملة كلها بلا شىء .

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾، [سورة التوبة : ١ ، ٢]

* * *

وأما أهل العلم بكلام العرب ، فإنهم فى معناه مختلفون .

فكان بعضهم يقول : معناه : فانبذ إليهم على عدل = يعنى : حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة ، واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز :[1]

وَٱضْرِبْ وُجُوهَ ٱلْغُدُرِ ٱلْأَعْدَاءِ حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى ٱلسَّوَاءِ[2]

يعنى : إلى العدل

* * *

وكان آخرون يقولون : معناه : الوسَط ، من قول حسان :

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ ٱلرَّسُولِ ورَهْطِهِ بَعْدَ ٱلْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ ٱلْمُلْحَدِ[3]

بمعنى : فى وسط اللَّحْد .

* * *

وكذلك هذه المعانى متقاربة ، لأن « العدل » ، وسط لا يعلو فوق الحق ولا يقصّر عنه . وكذلك « الوسط » ، عدل ، واستواء علم الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة ، [4] عدل من الفعل ووسط . وأما الذى قاله الوليد بن مسلم من أن معناه : « المهل » ، فما لا أعلم له وجهاً فى كلام العرب .

* * *

(١) لم أعرف قائله .

(٢) كان فى المطبوعة : « الغدر للأعداء » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة . و « الغدر » (بضمتين) ، جمع « غدور » ، مثل « صبور » ، وهو : الغادر المستمرئ للغدر .

(٣) سلف البيت وتخريجه وشرحه فيما مضى ٢ : ٤٩٦ ، تعليق : ٢ .

(٤) فى المطبوعة : « واستواء الفريقين . . . » ، وفى المخطوطة : « واستواء على الفريقين » ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وهو حق المعنى .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ ﴾ ، بكسر الألف من « إنهم » ، وبالتاء فى « تحسبن » = بمعنى : ولا تحسبن ، يا محمد ، الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم . ثم ابتدئ الخبر عن قدرة الله عليهم فقيل : إن هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم ، إذا طلبهم وأراد تعذيبهم وإهلاكهم ، بأنفسهم فيفوتوه بها .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة المدينة والكوفة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، بالياء فى « يحسبن » وكسر الألف من ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ .

* * *

وهى قراءة غير حميدة ، لمعنيين ،[1] أحدهما خروجها من قراءة القرأة وشذوذها عنها = والآخر : بعدها من فصيح كلام العرب . وذلك أن « يحسب » يطلب فى كلام العرب منصوباً وخبره ، كقوله : « عبد الله يحسب أخاك قائماً » و « يقوم » و « قام » . فقارئ هذه القراءة أصحب « يحسب » خبرًا لغير مخبر عنه مذكور . وإنما كان مراده ، ظنّى :[2] ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزوننا = فلم يفكر فى صواب مخرج الكلام وسُقمه ، واستعمل فى قراءته ذلك كذلك ، ما ظهر له من مفهوم الكلام . وأحسب أن الذى دعاه إلى ذلك ، الاعتبارُ بقراءة عبد الله . وذلك أنه فيما ذكر فى مصحف عبد الله : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) هذه القراءة التى ردها أبو جعفر ، هى قراءتنا اليوم .

(٢) فى المطبوعة : « وإنما كان مراد بطى ولا يحسبن » ، فأتى بعجب لا معنى له . وقوله الطبرى : « ظنى » ، يقول كما نقول اليوم . « فيما أظن »

أَنَّهُمْ سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ﴾، وهذا فصيح صحيح ، إذا أدخلت « أنهم » فى الكلام، لأن « يحسبن » عاملة فى « أنهم » ، وإذا لم يكن فى الكلام « أنهم » كانت خالية من اسم تعمل فيه .

وللذى قرأ ذلك من القرأة وجهان فى كلام العرب ، وإن كانا بعيدين من فصيح كلامهم :

أحدهما : أن يكون أريد به : ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا ، أو : أنهم سبقوا= ثم حذف « أن » و « أنهم » ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، [سورة الروم : ٢٤] ، بمعنى : أن يريكم ، وقد ينشد فى نحو ذلك بيت لذى الرمة :

أَظَنَّ ابْنُ طُرْثُوثٍ عُتَيْبَةُ ذَاهِبًا ... بِعَادِيَّتِي تَكْذَابُهُ وَجَعَائِلُهْ(١)

(١) ديوانه ٤٧٣ ، من قصيدة ذكر فيها « المهاجر بن عبد الله الكلابى » والى اليمامة ، وكان للمهاجر عريف من السعاة بالبادية يقال له : « رومى » ، فاختلف ذو الرمة ، وعتيبة ابن طرثوث فى بئر عادية ، فخاصم ذو الرمة إلى رومى ، فقضى رومى لابن طرثوث قبل فصل الخصومة ، وكتب له بذلك سجلا ، فقال ذو الرمة من قصيدته تلك ، برواية ديوانه :

أَقُولُ لِنَفْسِي ، لاَ أُعَاتِبُ غَيْرَهَا ... وَذُو اللُّبِّ مَهْمَا كَانَ ، لِلنَّفْسِ قَائِلُهْ
لَعَلَّ ابْنَ طُرْثُوثٍ عُتَيْبَةَ ذَاهِبٌ ... بِعَادِيَّتِي تَكْذَابُهُ وَجَعَائِلُهْ
بِقَاعٍ ، مَنَعْنَاهُ ثَمَانِينَ حِجَّةً ... وَبِضْعًا ، لَنَا أَحْرَاجُهُ وَمَسَايِلُهْ

ثم ذكر المهاجر بالذكر الجميل ، ثم قال :

يَعِزُّ ، ابْنَ عَبْدِ اللهِ ، مَنْ أَنْتَ نَاصِرٌ ... وَلاَ يَنْصُرُ الرَّحْمَنُ مَنْ أَنْتَ خَاذِلُهْ
إِذَا خَافَ قَلْبِي جَوْرَ سَاعٍ وَظُلْمَهُ ... ذَكَرْتُكَ أُخْرَى فَاطْمَأَنَّتْ بَلاَبِلُهْ
تَرَى اللهَ لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ سَرِيرَةٌ ... لِعَبْدٍ ، وَلاَ أَسْبَابُ أَمْرٍ يُحَاوِلُهْ
لَقَدْ خَطَّ رُومِيٌّ ، وَلاَ زَعَمَاتِهِ ، ... لِعُتْبَةَ خَطًّا لَمْ تُطَبَّقْ مَفَاصِلُهْ
بِغَيْرِ كِتَابٍ وَاضِحٍ مِنْ مُهَاجِرٍ ... وَلاَ مُقْعَدٍ مِنِّى بِخَصْمٍ أُجَادِلُهْ

بمعنى : أظن ابن طرثوث أن يذهب بعاديتى تكذابه وجعائله ؟ وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالياء ، يوجه « سبقوا » إلى « سابقين » ، على هذا المعنى .(١)

والوجه الثانى على أنه أراد إضمار منصوب بـ «يحسب» ، كأنه قال : ولا يحسب الذين كفروا أنهم سبقوا = ثم حذف « أنهم » وأضمر .(٢)

وقد وجَّه بعضهم معنى قوله : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٧٥] : إنما ذلكم الشيطان يخوف المؤمن من أوليائه ، وأن ذكر « المؤمن » مضمر فى قوله : « يخوف » ، إذ كان الشيطان عنده لا يخوِّف أولياءه .(٣)

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل الشأم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالتاء من «تحسبن» = ﴿ سَبَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ ، بفتح الألف من « أنهم » ، بمعنى : ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يعجزون .

* * *

قال أبو جعفر : ولا وجه لهذه القراءة يُعقل ، إلا أن يكون أراد القارئ بـ «لا» التى فى « يعجزون » ، « لا » التى تدخل فى الكلام حشواً وصلة ،(٤) فيكون معنى الكلام حينئذ : ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون = ولا وجه لتوجيه حرف فى كتاب الله إلى التطويل ،(٥) بغير حجة يجب التسليم لها ، وله فى الصحة مخرج .

* * *

قال أبو جعفر :. والصواب من القراءة فى ذلك عندى ، قراءة من قرأ :

وهذه قصة حية . وكان فى المطبوعة : « عيينة » ، والصواب من الديوان ، ومما يدل عليه الشعر السالف إذ سماه « عتبة » ، ثم صغره . و « العادية » ، البئر القديمة ، كأنها من زمن « عاد » . و « التكذاب » ، مصدر مثل « الكذب » . و « الجعائل » ، الرشى ، تجعل للعامل المرتشى .

(١) انظر هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ٤١٤ — ٤١٦ .

(٢) كان فى المطبوعة : « ثم حذف الهمز وأضمر » ، وهو كلام لا تفلته الحسامة . وصواب قراءة المخطوطة : « أنهم » كما أثبتها ، وهو واضح جداً .

(٣) انظر ما سلف ٧ : ٤١٧ ، تفسير هذه الآية .

(٤) « الصلة » ، الزيادة ، كما سلف مراراً ، انظر فهارس المصطلحات فيما سلف .

(٥) « التطويل » ، الزيادة أيضاً . انظر ما سلف ١ : ١١٨ ، ٢٢٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، وهو هناك « التطول » .

﴿ وَلاَ تَحْسَبَنّ ﴾، بالتاء ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ ﴾، بكسر الألف من «إنهم»، ﴿ لاَ يُعْجِزُونَ ﴾، بمعنى : ولا تحسبن أنت ، يا محمد ، الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها، سبقونا بأنفسهم ففاتونا، إنهم لا يعجزوننا = أى : يفوتوننا بأنفسهم، ولا يقدرون على الهرب منا ،[1] كما :ـ

١٦٢٢٣ ـ حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولايحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لايعجزون » ، يقول : لا يفوتون.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وأعدوا » ، لهؤلاء الذين كفروا بربهم ، الذين بينكم وبينهم عهد ، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم ، أيها المؤمنون بالله ورسوله = « ما استطعتم من قوة » ، يقول : ما أطقتم أن تعدّوه لهم من الآلات التى تكون قوة لكم عليهم ،[2] من السلاح والخيل = « ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، يقول : تخيفون بإعدادكم ذلك عدوّ الله وعدوكم من المشركين .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٢٤ ـ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أسامة ابن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل من جهينة ، يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ألا إنّ الرمى هو القوة ، ألا إنّ الرمى هو القوة .[3]

---

(١) انظر تفسير « أعجز » فيما سلف ١٢ : ١٢٨ .

(٢) انظر تفسير « الاستطاعة » ، فيما سلف ٤ : ٩/٣١٥ : ٢٨٤ .

(٣) الأثر : ١٦٢٢٤ ـ « ابن إدريس » ، هو « عبد الله بن إدريس الأودى » الإمام ، مضى مراراً . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « أبو إدريس » ، وهو خطأ صرف .

١٦٢٢٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا سعيد بن شرحبيل قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، وعبد الكريم بن الحارث ، عن أبي على الهمدانى : أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول : قال الله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ، ألا وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : قال الله: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »، ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ، ثلاثاً .[1]

و « أسامة بن زيد الليثى » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٨٦٧ ، ٣٣٥٤ .

و « صالح بن كيسان المدنى » ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٠٢٠ ، ٥٣٢١ .

وسيأتى هذا الخبر من طرق أخرى رقم : ١٦٢٢٦ — ١٦٢٢٨ ، وسأذكرها عند كل واحد منها ، وانظر تخريج الخبر التالى .

(١) الأثر : ١٦٢٢٥ — « سعيد بن شرحبيل الكندى » ، روى عنه البخاوى، وروى له النسائى وابن ماجة بالواسطة . ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٤٢ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٣ .

و « ابن لهيعة » ، مضى مراراً ،ومضى الكلام فى أمر توثيقه .

و « يزيد بن أبى حبيب الأزدى المصرى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً آخرها : ١١٨٧١ .

و « عبد الكريم بن الحارث بن يزيد الحضرمى المصرى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٦٠ .

و « أبو على الهمدانى » ، هو « ثمامة بن شفى الهمدانى » المصرى ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١٧٧ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٦٦ .

وهذا إسناد فيه ضعف لمن ضعف ابن لهيعة، والطبرى نفسه سيقول فى ص: ٣٧، تعليق: ٢، أنه سند فيه وهاء » .

بيد أن هذا الخبر روى من طرق صحيحة جداً :

رواه مسلم فى صحيحه ١٣ : ٦٤ ، من طريق هارون بن معروف ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبى على ثمامة بن شفى ، بمثله .

ورواه أبو داود فى سننه ٣ : ٢٠ ، رقم : ٢٥١٤ ، من طريق سعيد بن منصور ، عن ابن وهب ، بمثله .

ورواه ابن ماجة فى سننه : ٩٤٠ رقم : ٢٨١٣ ، من طريق يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب بمثله .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٢٨ ، من طريق سعيد بن أبى أيوب ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، عن عقبة ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . ولم يخرجه البخارى ، لأن صالح بن كيسان أوقفه » ووافقه الذهبى .

١٦٢٢٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا محبوب ، وجعفر بن عون ، ووكيع ، وأبو أسامة ، وأبو نعيم = ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، ١٠ / ٢٢ عن رجل ، عن عقبة بن عامر الجهني قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ، فقال : ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة ، الرمي، ثلاث مرات .(١)

١٦٢٢٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل ، عن عقبة بن عامر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ، فذكر نحوه .(٢)

١٦٢٢٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، نحوه .(٣)

١٦٢٢٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه ، محمد بن عبيدة، عن أخيه عبد الله بن عبيدة ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ألا إن القوة الرمي .(٤)

---

(١) الأثر : ١٦٢٢٦ — « محبوب » ، هو « محبوب بن محرز القواريري » ، وثقه ابن حبان ، وضعفه الدارقطني . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤/١/٣٨٨ .

و « جعفر بن عون المخزومي » ، ثقة ، أخرج له الجماعة ، مضى برقم : ٩٥٠٦ .

وهذا الخبر رواه الترمذي من طريق وكيع عن أسامة بن زيد ، ثم قال : « وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن عقبة بن عامر ، وحديث وكيع أصح ، وصالح بن كيسان لم يدرك عقبة بن عامر ، وأدرك ابن عمر » . وانظر الخبر رقم : ١٦٢٢٨ .

(٢) الأثر : ١٦٢٢٧ — هو مكرر الأثر السالف ، وانظر تخريجه ، رواه من هذه الطريق ، الترمذي في سننه ، كما سلف .

(٣) الأثر : ١٦٢٢٨ — هذا هو الحديث الذي أشار إليه الترمذي ، وقال فيه : « صالح ابن كيسان ، لم يدرك عقبة بن عامر» . انظر ما سلف : ١٦٢٢٦ .

(٤) الأثر : ١٦٢٢٩ — « موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي » ، ضعيف بمرة ، لا تحل الرواية عنه . سلف مراراً ، آخرها رقم : ١١٨١١ ، ١٤٠٤٥ ، روى عن أخويه « عبد الله » و « محمد » وأخوه « محمد بن عبيدة بن نشيط الربذي» ، لم أجد له ترجمة ، وهو مذكور في ترجمة

١٦٢٣٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن شعبة ابن دينار ، عن عكرمة في قوله : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»، قال : الحصون = « ومن رباط الخيل » ، قال : الإناث .[1]

١٦٢٣١ — حدثنا علي بن سهل قال، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن رجاء ابن أبي سلمة قال : لقي رجل مجاهداً بمكة، ومع مجاهد جُوَالَق ،[2] قال : فقال مجاهد : هذا من القوة ! = ومجاهد يتجهز للغزو .

١٦٢٣٢ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، من سلاح .

* * *

وأما قوله : « ترهبون به عدو الله وعدوكم » =

= فقال ابن وكيع :

١٦٢٣٣ — حدثنا أبي، عن إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة الثقفي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، قال : تخزون به عدو الله وعدوكم .

١٦٢٣٤ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن عثمان ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

١٦٢٣٥ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « ترهبون به عدو الله

أخيه « موسى » ، وترجمة أخيه « عبد الله » ، وأنه روى عنه . وكان أكبر من أخيه موسى بثمانين سنة . وأخوه « عبد الله بن عبيدة بن نشيط الربذي » ، روى عن جماعة من الصحابة ، وثقه بعضهم ، وضعفه آخرون ، وقال أحمد : « موسى بن عبيدة وأخوه ، لا يشتغل بهما » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٠١ .

(١) الأثر : ١٦٢٣٠ — « شعبة بن دينار الكوفي » ، روى عن عكرمة ، وأبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٤٥ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣٦٨ .

(٢) « الجوالق » (بضم الجيم ، وفتح اللام أو كسرها) ، وعاء من الأوعية ، هو الذي نسميه اليوم في مصر محرفاً « الشوال » .

وعدوكم» ، قال : تخزون به علو الله وعدوكم. وكذا كان يقرؤها : ﴿ تُخْزُونَ ﴾.(١)

١٦٢٣٧ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال : حدثنا إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة ، وخصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « ترهبون به » ، تخزون به . (٢)

١٦٢٣٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

* * *

يقال منه : «أرهبت العدو ، ورهَّبته ، فأنا أرهبه وأرهِّبه ، إرهاباً وترهيباً ، وهو الرَّهَب والرُّهْب » ، ومنه قول طفيل الغنوى :

وَيْلُ أُمِّ حَيٍّ دَفَعْتُمْ فِي نُحُورِهِمُ   بَنِي كِلاَبٍ غَدَاةَ الرُّعْبِ وَالرَّهَبِ(٣)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى هؤلاء «الآخرين» ، من هم ، وما هم ؟

فقال بعضهم : هم بنو قريظة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : «وكذا كان يقرؤها : ترهبون» ، والصواب الذى لاشك فيه هنا ، هو «تخزون» ، كما أثبتها ، وقد ذكر قراءة ابن عباس هذه ، ابن خالويه فى القراءات الشاذة : ٥٠ (وفى المطبوعة خطأ ، كتب : يجرون به عدو الله ، والصواب ما أثبت) ، وقال أبو حيان فى تفسيره ٤ : ٥١٢ : «وقرأ ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد : "تخزون به" ، مكان : ترهبون به = وذكرها الطبرى على جهة التفسير لا على جهة القراءة ، وهو الذى ينبغى ، لأنه مخالف لسواد المصحف» .

قلت : وقد رأيت بعد أن الطبرى ذكرها أيضاً على جهة القراءة ، ولا يستقيم نصه إلا بما أثبت .

(٢) سقط من الترقيم : ١٦٢٣٦ ، سهواً .

(٣) ديوانه : ٥٦ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٤٩ يمدح بها بنى جعفر بن كلاب ، من أبيات ثلاثة ، مفردة .

١٦٢٣٩ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرين من دونهم » ، يعنى : من بنى قريظة .

١٦٢٤٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرين من دونهم » ، قال : قريظة .

* * *

وقال آخرون : من فارس .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٤١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ، هؤلاء أهل فارس .

* * *

وقال آخرون : هم كل عدو للمسلمين ، غير الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرِّد بهم من خلفهم . قالوا : وهم المنافقون .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٤٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قول الله : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، قال : أخفهم بهم ، لما تصنع بهؤلاء . وقرأ : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .[1]

١٦٢٤٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ، قال : هؤلاء المنافقون ، لا تعلمونهم لأنهم معكم ، يقولون : لا إله إلا الله ، ويغزون معكم .

* * *

(١) الأثر : ١٦٢٤٢ — هذا مكرر الأثر السالف رقم ١٦٢٢٠ ، ولا أدرى فيم جاء به هنا مفرداً ، وأما الأثر الذى عناه ، فهو الذى يليه ، والظاهر أنه خطأ من الطبرى نفسه فى النقل ولفظ هذا الخبر ، يخالف لفظ الخبر السالف قليلا .

وقال آخرون : هم قوم من الجنّ .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين ، من السلاح والرمى وغير ذلك ، ورباط الخيل = ولا وجه لأن يقال : عنى بـ « القوة » ، معنى دون معنى من معانى « القوة » ، وقد عمّ الله الأمر بها .

فإن قال قائل : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بيَّن أن ذلك مرادٌ به الخصوص بقوله : « ألا إن القوة الرمى » ؟ (١)

قيل له : إن الخبر ، وإن كان قد جاء بذلك ، فليس فى الخبر ما يدلّ على أنه مرادٌ بها الرمى خاصة ، دون سائر معانى القوة عليهم ، فإن الرمى أحد معانى القوة ، لأنه إنما قيل فى الخبر : « ألا إن القوة الرمى » ، ولم يقل : « دون غيرها » ، ومن « القوة » أيضاً السيف والرمح والحربة ، وكل ما كان معونة على قتال المشركين ، كمعونة الرمى أو أبلغ من الرمى فيهم وفى النكاية منهم . هذا مع وهاء سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢)

* * *

وأما قوله : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم » ، فإن قول من قال : عنى به الجن ، أقربُ وأشبهُ بالصواب ، لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله : « ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، الأمرَ بارتباط الخيل لإرهاب كل عدوٍّ لله وللمؤمنين يعلمونهم . ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم ، لعلمهم بأنهم مشركون ، وأنهم لهم حرب . ولا معنى لأن يقال ، وهم يعلمونهم لهم

---

(١) انظر الآثار السالفة رقم : ١٦٢٢٤ — ١٦٢٢٩ .

(٢) هذه مرة أخرى تختلف فيها كتابة المخطوطة ، فهنا : « وهاء » ، كما أثبتها ، وكان فى المطبوعة : « وهى » ، وانظر ما كتبته ما سلف ٩ : ٥٣١ ، تعليق : ٢ .

ثم انظر ما قلته فى تخريج الخبر السالف رقم : ١٦٢٢٥ ، وما ذكرته من الطريق الصحيحة فى رواية هذا الخبر .

أعداءٌ: «وآخرين من دونهم لا تعلمونهم »، ولكن معنى ذلك إن شاء الله: ترهبون بارتباطكم ، أيها المؤمنون ، الخيلَ عدوَّ الله وأعداءكم من بنى آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم ، لكفرهم بالله ورسوله ، وترهبون بذلك جنساً آخر من غير بنى آدم ، لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم ، الله يعلمهم دونكم ، لأن بنى آدم لا يرونهم . وقيل : إن صهيل الخيل يرهب الجن ، وأن الجن لا تقرب داراً فيها فرس .[1]

* * *

فإن قال قائل : فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون ، فما تنكر أن يكون عُنِى بذلك المنافقون ؟

قيل : فإن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم ، وإنما كان يَرُوعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التى كانوا يستسرُّون من الكفر ، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدو ، فأما من لم يرهبه ذلك، فغير داخل فى معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون . وقيل : « لا تعلمونهم »، فاكتفى لـ « العلم »، بمنصوب واحد فى هذا الموضع ، لأنه أريد : لا تعرفونهم ، كما قال الشاعر :[2]

---

(١) ذكر ابن كثير فى تفسيره خبرين ، أحدهما رواه ابن أبى حاتم ، عن يزيد بن عبد الله ابن عريب، عن أبيه عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هم الجن ، فى هذه الآية . ثم قال رواه الطبرانى ، وزاد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يخبل بيت فيه عتيق الخيل » ، (انظر الإصابة ترجمة : عريب) ، ثم قال ابن كثير : « هذا الحديث منكر ، لا يصح إسناده ولا متنه » . وانظر القرطبى ٨ : ٣٨ .

وهذا الذى قاله الطبرى ، رده العلماء من قوله ، وحق لهم . وقد رجح ابن كثير وأبو حيان (٤ : ٥١٣) ، أن المعنى بذلك هم المنافقون ، وهو القول الذى رده أبو جعفر فيما يلى ، ورد أبى جعفر رد محكم .

فإن كان لنا أن نختار ، فإنى أختار أن يكون عنى بذلك ، من خفى على المؤمنين أمره من أهل الشرك ، كنصارى الشأم وغيرهم ، ممن لم ينظر المؤمنون عداوتهم بعد ، وهى آتية سوف يرونها عياناً بعد قليل . وفى الكلام فضل بحث ليس هذا مكانه، والآية عامة لا أدرى كيف يخصصها أبو جعفر ، بخبر لا حجة فيه .

(٢) هو النمر بن تولب العكلى .

فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُنِي وَوَهْبًا وأَنَّا سَوْفَ يَلْقَاهُ كِلاَنا[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٦٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: وما أنفقتم، أيها المؤمنون، من نفقة فى شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كُرَاع أو غير ذلك من النفقات ،[٢] فى جهاد أعداء الله المشركين يخلفه الله عليكم فى الدنيا ، ويدَّخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفِّيكموها يوم القيامة[٣] =« وأنتم لا تظلمون » ، يقول : يفعل ذلك بكم ربكم ، فلا يضيع أجوركم عليه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الاقتضاب : ٣٠٣ ، المفصل للزمخشرى : ٨٨ . وكان النمر بن تولب ، نازع رجلا يقال له « وهب » ، من قومه ، فى بئر تدعى « الدحول » (بالحاء المهملة) ، فى أرض عكل ، غميرة الماء ، يقول فيها من هذه الأبيات :

وَلَكِنَّ الدَّحُولَ إِذَا أَتَاهَا عِجَافُ المَالِ تَتْرُكُهُ سِمَانَا

وكان النمر سقاه منها ، فلم يشكر له ، وخان الأمانة ونازعه فيها فقال :

يُرِيدُ خِيَانَتِي وَهْبٌ ، وأَرْجُو مِنَ اللهِ البَرَاءَةَ وَالأَمَانَا

فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُنِي وَوَهْبًا وَيَعْلَمُ أَنْ سَيَلْقَاهُ كِلاَنَا

وَإِنَّ بَنِي رَبِيعَةَ بَعْدَ وَهْبٍ كَرَاعِي البَيْتِ يَحْفَظُهُ فَخَانَا

وكان البيت فى المطبوعة والمخطوطة :

فإن الله يعلمنى وأنا سوف يلقاهُ كلانا

(٢) انظر تفسير « النفقة » فيما سلف من فهارس اللغة (نفق) .

(٣) انظر تفسير « وفى » فيما سلف ١٢ : ٢٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٦٢٤٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » ، أى : لا يضيع لكم عند الله أجرُه فى الآخرة ، وعاجل خَلَفه فى الدنيا .[1]

* * *

٢٤/١٠

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإما تخافنّ من قوم خيانة وغدراً، فانبذ إليهم على سواء، وآذنهم بالحرب = « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحربَ ، إما بالدخول فى الإسلام ، وإما بإعطاء الجزية ، وإما بموادعة ، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح[2]= «فاجنح لها»، يقول: فمل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه .

* * *

يقال منه: « جنح الرجل إلى كذا يجنح إليه جنوحاً » ، وهى لتميم وقيس، فيما ذكر عنها، تقول: « يجنُح » ، بضم النون، وآخرون يقولون: «يَجْنِح» بكسر النون ، وذلك إذا مال ، ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ[3]

« جوانح » ، موائل

* * *

(١) الأثر : ١٦٢٤٤ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢١٨ .

(٢) انظر تفسير « السلم » فيما سلف ٤ : ٢٥١ – ٢٥٥ .

(٣) ديوانه : ٤٣ ، من شعره المشهور فى عمرو بن الحارث الأعرج ، حين هرب إلى الشأم ، من النعمان بن المنذر فى خبر المتجردة ، وقبله ، ذكر فيها غارة جيشه ، والنسور التى تتبع الجيش :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٤٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وإن جنحوا للسلم » ، قال : للصلح ، ونسخها قوله : ﴿ اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٥] .

١٦٢٤٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإن جنحوا للسلم » ، إلى الصلح = « فاجنح لها » ، قال : وكانت هذه قبل « براءة » ، وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم إلى أجل ، فإما أن يسلموا ، وإما أن يقاتلهم ، ثم نسخ ذلك بعد فى « براءة » فقال : ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ، وقال : ﴿ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ ، [سورة التوبة : ٣٦]، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأمره بقتالهم حتى يقولوا « لا إله إلا الله » ، ويسلموا ، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك . وكل عهد كان فى هذه السورة وفى غيرها ، وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به ، فإن «براءة» جاءت بنسخ ذلك ، فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا : « لا إله إلا الله » .

١٦٢٤٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، نسختها الآية التى فى « براءة» قوله : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٢٩] .

إِذَا مَا غَزَوْا بِالجَيْشِ ، حَلَّقَ فَوْقَهُمْ ... عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصَائِبِ

يُصَاحِبْنَهُمْ حَتَّى يُغِرْنَ مُغَارَهُم ... مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ

تَرَاهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ خُزْرًا عُيُونُهَا ... جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِى ثِيَابِ المَرَانِبِ

جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَّ . . . . . .

وهذا من جيد الشعر وخالصه .

١٦٢٤٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، يقول : وإن أرادوا الصلح فأرده .

١٦٢٤٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، أى : إن دعوك إلى السلم = إلى الإسلام = فصالحهم عليه.[1]

١٦٢٥٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، قال : فصالحهم. قال : وهذا قد نسخه الجهاد.

* * *

قال أبو جعفر : فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله، من أن هذه الآية منسوخة ، فقولٌ لا دلالة عليه من كتابٍ ولا سنة ولا فطرة عقل .

وقد دللنا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه . فأما ما كان بخلاف ذلك ، فغير كائنٍ ناسخاً.[2]

وقول الله فى براءة : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾، غير نافٍ حكمُه حكمَ قوله : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها »، لأن قوله : «وإن جنحوا للسلم »، إنما عنى به بنو قريظة ، وكانوا يهوداً أهلَ كتاب، وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحربَ على أخذ الجزية منهم .

وأما قوله ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ فإنما عُنى به مشركو العرب من عبدة الأوثان ، الذين لا يجوز قبول الجزية منهم . فليس فى إحدى

---

(١) الأثر : ١٦٢٤٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٠ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٤٤ ، وفى السيرة : « إلى السلم على الإسلام » .

(٢) انظر مقالته فى « النسخ » فيما سلف ١١ : ٢٠٩ ، وما بعده وما قبله فى فهارس الكتاب ، وفى فهارس العربية والنحو وغيرها .

الآيتين نفى حكم الأخرى ، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه .

١٦٢٥١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن جنحوا للسلم » ، قال : قريظة .

* * *

وأما قوله : « وتوكل على الله » ، يقول : فوِّض إلى الله، يا محمد ، أمرك، واستكفِه ، واثقاً به أنه يكفيك،[1] كالذى :—

١٦٢٥٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وتوكل على الله » ، إن الله كافيك .[2] ٢٥/١٠

* * *

وقوله : « إنه هو السميع العليم » ، يعنى بذلك : إن الله الذى تتوكل عليه ، « سميع » ، لما تقول أنت ومن تسالمه وتتاركه الحربَ من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه ، وما يشترط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط[3]= « العليم » ، بما يضمره كل فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه ، ومن المضمر ذلك منكم فى قلبه ، والمنطوى على خلافه لصاحبه .[4]

* * *

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص : ١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٢٥٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٠ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٤٩ .

(٣) فى المطبوعة : « ويشرط كل فريق . . . » ، وفى المخطوطة : « ويشترط . . . » ، والصواب بينهما ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن يرد ، يا محمد ، هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ إليهم على سواء إن خفت منهم خيانة ، وبمسالمتهم إن جنحوا للسلم ، خداعَك والمكرَ بك[1] = « فإن حسبك الله » ، يقول : فإن الله كافيكهم وكافيك خداعَهم إياك ،[2] لأنه متكفل بإظهار دينك على الأديان، ومتضمِّنٌ أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى = « هو الذى أيدك بنصره » ، يقول : الله الذى قواك بنصره إياك على أعدائه[3] = « وبالمؤمنين » ، يعنى : بالأنصار .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٥٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، « وإن يريدوا أن يخدعوك » ، قال : قريظة .

١٦٢٥٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » ، هو من وراء ذلك .[4]

١٦٢٥٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « هو الذى أيدك بنصره » ، قال : بالأنصار .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الخداع » فيما سلف ١ : ٢٧٣ — ٢٧٧ ، ٣٠٢ / ٩ : ٣٢٩ .

(٢) انظر تفسير « حسبك » فيما سلف ١١ : ١٣٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « أيد » فيما سلف ١٣ : ٤٧٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) الأثر : ١٦٢٥٤ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٥٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يريد جل ثناؤه بقوله : « وألف بين قلوبهم » ، وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج ، بعد التفرق والتشتت ، على دينه الحق ، فصيَّرهم به جميعاً بعد أن كانوا أشتاتاً ، وإخواناً بعد أن كانوا أعداء .

وقوله : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لو أنفقت ، يا محمد ، ما فى الأرض جميعاً من ذهب ووَرِقٍ وعرَض ، ما جمعت أنت بين قلوبهم بحِيْلك ،[1] ولكن الله جمعها على الهدى فأتلفت واجتمعت ، تقوية من الله لك وتأييداً منه ومعونة على عدوك . يقول جل ثناؤه : والذى فعل ذلك وسبَّبه لك حتّى صاروا لك أعواناً وأنصاراً ويداً واحدة على من بغاك سوءاً ، هو الذى إن رام عدوٌّ منك مراماً يكفيك كيده وينصرك عليه . فثق به ، وامض لأمره ، وتوكل عليه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٥٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وألف بين قلوبهم » ، قال : هؤلاء الأنصار ، ألف بين قلوبهم من بعد حرب ، فيما كان بينهم .[2]

(١) « الحيل » (بفتح فسكون) ، القوة ، مثل « الحول » ، يقال : « إنه لشديد الحيل » ، وفى الحديث : « اللهم ذا الحيل الشديد » . وهو لا يزال يستعمل كذلك فى عامية مصر .

(٢) ما بين « من بعد حرب » و « فيما كان بينهم » ، بياض فى المخطوطة ، فيه معقوفة بالحمرة ، لا أدرى أهو بياض تركه لسقط ، أم هو سهو من الناسخ ملأه بالحمرة .

١٦٢٥٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن بشير بن ثابت ، رجل من الأنصار : أنه قال فى هذه الآية : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ، يعنى : الأنصار [١].

١٦٢٥٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وألف بين قلوبهم » ، على الهدى الذى بعثك به إليهم = « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » ، بدينه الذى جمعهم عليه = يعنى الأوس والخزرج . [٢]

١٦٢٥٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن إبراهيم الخوزىّ، عن الوليد بن أبى مغيث، عن مجاهد قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا غُفِر لهما . قال قلت لمجاهد : بمصافحةٍ يغفر لهما؟ [٣] فقال مجاهد: أما سمعته يقول : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم » ؟ فقال الوليد لمجاهد : أنت أعلم منى . [٤]

٢٦/١٠

١٦٢٦٠ — حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال، حدثنى الوليد ، عن أبى عمرو قال ، حدثنى عبدة بن أبى لبابة ، عن مجاهد ، ولقيته وأخذ بيدى فقال : إذا تراءى المتحابَّان فى الله، [٥] فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه، تحاتّت

(١) الأثر : ١٦٢٥٧ — « بشير بن ثابت الأنصارى » ، مولى النعمان « بن بشير » ، ذكره ابن حبان فى الثقات . روى عنه شعبة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٩٧/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٣٧٢/١/١ .

(٢) الأثر : ١٦٢٥٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٥٤ .

(٣) فى المخطوطة : « يغفر له » ، والذى فى المطبوعة أجود .

(٤) الأثر : ١٦٢٥٩ — « إبراهيم الخوزى » ، هو : « إبراهيم بن يزيد الخوزى الأموى » ، مولى عمر بن عبد العزيز ، ضعيف ، مضى برقم : ٧٤٨٤ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « إبراهيم الجزرى » ، وهو خطأ محض .

و « الوليد بن أبى مغيث » ، نسب إلى جده ، ولم أجده منسوباً إليه فى غير هذا المكان ، وإنما هو : « الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث » ، مولى بنى عبد الدار ، ثقة . روى عن يوسف بن ماهك ، ومحمد بن الحنفية . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٤٦/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٩/٢/٤ .

(٥) « تراءى الرجلان » ، رأى أحدهما الآخر .

خطاياهما كما يتحاتُّ ورق الشجر .[1] قال عبدة : فقلت له: إنّ هذا ليسير! قال : لا تقل ذلك ، فإن الله يقول : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ! قال عبدة : فعرفت أنه أفقه منى .[2]

١٦٢٦١ — حدثنى محمد بن خلف قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، حدثنا فضيل بن غزوان قال: أتيت أبا إسحق فسلمت عليه فقلت[3] : أتعرفنى؟ فقال فضيل : نعم ! لولا الحياء منك لقبّلتك = حدثنى أبو الأحوص ، عن عبدالله قال : نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم» .[4]

١٦٢٦٢ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن عون ،

---

(١) « تحات ورق الشجر » ، تساقط من غصنه إذا ذبل ، ثم انتثر .

(٢) الأثر : ١٦٢٦٠ — « عبد الكريم بن أبى عمير » ، شيخ الطبرى ، سلف برقم : ٧٥٧٨ ، ١١٣٦٨ ، ١٢٨٦٧ .

و « الوليد » ، هو « الوليد بن مسلم » ، سلف مراراً .

و « أبو عمرو » ، هو الأوزاعى الإمام .

و « عبدة بن أبى لبابة الأسدى » ، مضى برقم : ٥٨٥٩ .

وانظر الخبر الآتى رقم : ١٦٢٦٣ .

(٣) فى المستدرك : « لقيت أبا إسحق بعد ما ذهب بصره » .

(٤) الأثر : ١٦٢٦١ — « أبو إسحق » هو : السبيعى .

و « أبو الأحوص » ، هو « عوف بن مالك بن نضلة » ، تابعى ثقة ، مضى مراراً .

و « عبد الله » ، هو « عبد الله بن مسعود » .

وهذا الخبر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٢٩ ، من طريق يعلى بن عبيد ، عن فضيل ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٧ ، ٢٨ ، من طريق أخرى ، وقال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ، غير جنادة بن سلم ، وهو ثقة » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٩٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المبارك ، وابن أبى شيبة ، وابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان ، والنسائى ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

وسيأتى من طريق أخرى رقم : ١٦٢٦٤ .

عن عمير بن إسحق قال : كنا نُحدَّث أن أوّل ما يرفع من الناس = أو قال : عن الناس = الألفة .[١]

١٦٢٦٣ — حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أيوب بن سويد ، عن الأوزاعي قال ، حدثني عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد = ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم ، عن الوليد .[٢]

١٦٢٦٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، وابن نمير ، وحفص ابن غياث =، عن فضيل بن غزوان، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص قال : سمعت عبد الله يقول : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ، الآية ، قال : هم المتحابون في الله .[٣]

* * *

وقوله : « إنه عزيز حكيم » ، يقول : إن الله الذى ألف بين قلوب الأوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما ، وجعلهم لك أنصاراً = «عزيز» ، لا يقهره شيء ، ولا يردّ قضاءه رادٌّ ، ولكنه ينفذ في خلقه حكمه . يقول : فعليه فتوكل ، وبه فثق = « حكيم » ، في تدبير خلقه .[٤]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « يا أيها النبي حسبك الله » ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ، الله. يقول لهم جل ثناؤه : ناهضوا

---

(١) الأثر ١٦٢٦٢ - « عمير بن إسحق » ، مضى قريباً برقم ١٦١٤٨

(٢) الأثر ١٦٢٦٣ — انظر ما سلف رقم ١٦٢٦٠ ، والتعليق عليه

(٣) الأثر ١٦٢٦٤ - طريق أخرى للأثر السالف رقم ١٦٢٦١

(٤) انظر تفسير « عزيز » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم)

عدوكم ، فإن الله كافيكم أمرهم ، ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم ، فإن الله مؤيدكم بنصره .[١]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٦٥ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل بن إسمعيل قال ، حدثنا سفيان ، عن شوذب أبى معاذ ، عن الشعبى فى قوله : « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، قال : حسبك الله ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ، الله.[٢]

١٦٢٦٦ — حدثنى أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى قال ، حدثنا عبيد الله ابن موسى قال ، أخبرنا سفيان ، عن شوذب ، عن الشعبى فى قوله : « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، قال : حسبك الله ، وحسب من معك.

١٦٢٦٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن شوذب ، عن عامر ، بنحوه = إلا أنه قال : حسبك الله ، وحسب من شهد معك .

١٦٢٦٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد فى قوله : « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، قال : يا أيها النبى حسبك الله ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ؛ إنّ حسبك أنت وهم ، الله .

* * *

فـ « منْ » من قوله : « ومن اتبعك من المؤمنين » ، على هذا التأويل الذى

---

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص : ٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٢٦٥ — « شوذب ، أبو معاذ » ، ويقال : « أبو عثمان » ، مولى البراء ابن عازب . قال سفيان ، عن شوذب : « كنت تياساً ، فنهانى البراء بن عازب عن عسب الفحل » . روى عنه سفيان الثورى ، وشعبة . مترجم فى الكبير ٢/٢/٢٦١ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٧٧ ، وكان فى المطبوعة : « شوذب بن معاذ » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة .
وسيأتى فى الإسنادين التاليين .

ذكرناه عن الشعبي ، نصب ، عطفاً على معنى « الكاف » في قوله : « حسبك الله » ، لا على لفظه ، لأنها في محل خفض في الظاهر ، وفي محل نصب في المعنى . لأن معنى الكلام : يكفيك الله ، ويكفي من اتبعك من المؤمنين .

* * *

وقد قال بعض أهل العربية في « من » ، أنها في موضع رفع على العطف على اسم « الله » ، كأنه قال : حسبك الله ومتبعوك إلى جهاد العدو من المؤمنين ، دون القاعدين عنك منهم . واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله : « حرض المؤمنين على القتال » .[١] ١٠/٢٧

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ (٦٦) ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال » ، حُثَّ متبعيك ومصدِّقيك على ما جئتهم به من الحق ، على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين[٢] = « إن يكن منكم عشرون » رجلاً = « صابرون » ، عند لقاء العدو ، ويحتسبون أنفسهم ويثبتون

---

(١) هو الفراء في معاني القرآن ١ : ٤١٧ .

(٢) انظر تفسير « التحريض » فيما سلف ٨ : ٥٧٩ .

لعدوهم = « يغلبوا مئتين » ، من عدوهم ويقهروهم = « وإن يكن منكم مئة » ، عند ذلك « يغلبوا » ، منهم « ألفاً » = « بأنهم قوم لا يفقهون » ، يقول : من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ، ولا لطلب أجر ولا احتساب ، لأنهم لم يفقهوا أن الله مُوجبٌ لمن قاتل احتساباً ، وطلب موعود الله فى الميعاد ، ما وعد المجاهدين فى سبيله ، فهم لا يثبتون إذا صدقوا فى اللقاء ، خشية أن يُقتلوا فتذهب دنياهم.[1] ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين ، إذ علم ضعفهم فقال لهم : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، يعنى : أن فى الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفاً = « فإن يكن منكم مئة صابرة » ، عند لقائهم للثبات لهم = « يغلبوا مئتين » منهم = « وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » منهم = « بإذن الله » ، يعنى : بتخلية الله إياهم لغلبتهم ، ومعونته إياهم[2] = « والله مع الصابرين » ، لعدوهم وعدو الله ، احتساباً فى صبره ، وطلباً لجزيل الثواب من ربه ، بالعون منه له ، والنصر عليه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٦٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن محبب قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن عطاء فى قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، قال : كان الواحد لعشرة ، ثم جعل الواحد باثنين ، لا ينبغى له أن يفرَّ منهما .[3]

١٦٢٧٠ — حدثنا سعيد بن يحيى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا ابن جريج ،

---

(١) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ١٣ : ٢٧٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ١١ : ٢١٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٦٢٦٩ — « محمد بن محبب بن إسحق القرشى » ، ثقة ، مضى برقم : ٦٣٢٠ .

عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : جعل على المسلمين على الرجل عشر من الكفار ، فقال : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، فخفف ذلك عنهم ، فجعل على الرجل رجلان . قال ابن عباس : فما أحبّ أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم .

١٦٢٧١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال : قال محمد بن إسحق ، حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية ، ثقلت على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين ، ومئة ألفاً ، فخفف الله عنهم . فنسخها بالآية الأخرى فقال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » ، قال : وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم . وإن كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم أن يقاتلوا، وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم .[1]

١٦٢٧٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، قال : كان لكل رجل من المسلمين عشرة ، لا ينبغي له أن يفرّ منهم . فكانوا كذلك حتى أنزل الله : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين » ، فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين ، فنسخ الأمر الأول = وقال مرة أخرى في قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار ، فشق ذلك على المؤمنين ، ورحمهم الله ، فقال : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » ،

---

(١) الأثر : ١٦٢٧١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر التالي رقم : ١٦٢٨٥ ، قدم الطبري وأخر في هذا الموضع ، فاختلف ترتيب نقله من تفسير ابن إسحق في سيرته .

فأمر الله الرجلَ من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار.

١٦٢٧٣ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال » ، إلى قوله : « بأنهم قوم لا يفقهون »، وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من العدو يؤشِّبهم = يعنى : يغريهم[1]= بذلك، ليوطنوا أنفسهم على الغزو ، وأن الله ناصرهم على العدو ، ولم يكن أمراً عزمه الله عليهم ولا أوجبه ، ولكن كان تحريضاً ووصية أمر الله بها نبيه ، ثم خفف عنهم فقال: « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، فجعل على كل رجلٍ رجلين بعد ذلك ، تخفيفاً ، ليعلم المؤمنون أن الله بهم رحيم ، فتوكلوا على الله وصبروا وصدقوا . ولو كان عليهم واجباً ، كفَروا إذنْ كلَّ رجل من المسلمين [نكل] عمن لقى من الكفار إذا كانوا أكثر منهم فلم يقاتلوهم .[2] فلا يغرَّنك قولُ رجالٍ ! فإنى قد سمعت رجالاً يقولون : إنه لا يصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان ، وحتى يكون على كل رجلين أربعة ، ثم بحساب ذلك . وزعموا أنهم يعصون الله إن قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك ، وأنه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدّةَ أن يكون على كل رجل رجلان ، وعلى كل رجلين أربعة، وقد قال الله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٠٧] ، وقال الله: ﴿ فَقَاتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النساء : ٨٤] ، فهو التحريض الذى أنزل الله

(١) « التأشيب » التحريش بين القوم بالشر ، ومثله « التأشيب » بمعنى الإغراء بالعدو ، انظر ما سلف فى التعليق على رقم : ١٦٠٥٩ ، ج ١٣ : ٥٣١ ، تعليق رقم : ٢ ، وكتب اللغة مقصرة فى بيان معنى هذا الحرف من العربية .

(٢) فى المطبوعة : « ولو كان عليهم واجباً الغزو إذا بعد كل رجل من المسلمين عمن لقى من الكفار » ، جاء بكلام لا معنى له . وكان فى المخطوطة : « ولو كان عليهم واجباً كفروا إذا كل رجل من المسلمين عمن لقى من الكفار » ، وصواب الجملة ما أثبت ، ولكن الناسخ أسقط ، والله أعلم ، [نكل] التى وضعها بين القوسين . و « نكل عن عدوه » ، نكص .

عليهم فى « الأنفال » ، فلا تعجزنَّ ، قاتلْ ، قد سقطت بين ظَهْرَىْ أناس كما شاء الله أن يكونوا .(١)

١٦٢٧٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحصين ، عن زيد ، عن عكرمة والحسن قالا : قال فى « سورة الأنفال » = « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » ، ثم نسخ فقال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، إلى قوله : « والله مع الصابرين » .

١٦٢٧٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عكرمة فى قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون » ، قال : واحد من المسلمين وعشرة من المشركين . ثم خفف عنهم ، فجعل عليهم أن لا يفرّ رجل من رجلين .

١٦٢٧٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون » ، إلى قوله : « وإن يكن منكم مئة » ، قال : هذا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، جعل على الرجل منهم قتال عشرة من الكفار ،(٢) فضجوا من ذلك ، فجعل على الرجل قتال رجلين ، تخفيفاً من الله .

١٦٢٧٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، وأبى معبد ، عن ابن عباس قال : إنما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعشرة ، والعشرة لمئة ، إذ المسلمون قليل ، فلما كثر

---

(١) فى المطبوعة : « فلا يعجزك قاتل قد سقطت » ، وهو بلا معنى ، صوابه ما فى المخطوطة كما أثبته ، وهو فيها غير منقوط ، وهذا صواب قراءة . وقوله : « فلا تعجزن » ، يعنى لا تقعد عن القتال عجزاً ، ولكن قاتل ، فإنك قد وقعت بين عدد من العدو ، كما شاء الله أن يكون عددهم ، قلوا أو كثروا .

(٢) فى المطبوعة فى الموضعين حذف « قتال » ، لأنها فى المخطوطة : « فقال » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

المسلمون ، خفف الله عنهم . فأمر الرجل أن يصبر لرجلين ، والعشرة للعشرين ، والمئة للمئتين .

١٦٢٧٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، قال : كان فرض عليهم إذا لقي عشرون مئتين أن لا يفروا ، فإنهم إن لم يفروا غَلَبوا ، ثم خفف الله عنهم وقال : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » ، فيقول : لا ينبغي أن يفر ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم .

٢٩/١٠

١٦٢٧٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » ، جعل الله على كل رجل رجلين ، بعد ما كان على كل رجل عشرة = وهذا الحديث عن ابن عباس .

١٦٢٨٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن جرير بن حازم ، عن الزبير بن الخرِّيت ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : كان فُرِض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ، قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً » ، فشق ذلك عليهم ، فأنزل الله التخفيف ، فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين ، قوله : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين » ، فخفف الله عنهم ، ونُقِصوا من النصر بقدر ذلك .[1]

١٦٢٨١ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، يقول : يقاتلوا مئتين ، فكانوا أضعف من ذلك ، فنسخها الله عنهم ، فخفف

---

(١) في المطبوعة : « ونقصوا من الصبر » ، زاد « واواً » ، وغير « النصر » ، فأفسد الكلام . غفر الله له .

فقال : «فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين» ، فجعل أول مرة الرجل لعشرة ، ثم جعل الرجل لاثنين .

١٦٢٨٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، قال : كان فرض عليهم إذا لقى عشرون مئتين أن لا يفروا ، فإنهم إن لم يفرُّوا غَلَبوا . ثم خفف الله عنهم فقال : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله » ، فيقول : لا ينبغى أن يفرّ ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم .

١٦٢٨٣ — حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : كان هذا واجباً : أن لا يفر واحد من عشرة .

١٦٢٨٤ — وبه قال : أخبرنا الثورى ، عن لليث ، عن عطاء ، مثل ذلك .

* * *

وأما قوله : « بإنهم قوم لا يفقهون» ، فقد بيَّنا تأويله .[1]

* * *

وكان ابن إسحق يقول فى ذلك ما : —

١٦٢٨٥ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « بأنهم قوم لا يفقهون »، أى : لا يقاتلون على نِيَّةٍ ولا حقٍّ فيه، ولا معرفة بخير ولا شر .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الآية = أعنى قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » = وإن كان مخرجها مخرج الخبر ، فإن معناها الأمر . يدلّ على

---

(١) انظر ما سلف ص : ٥١ .

(٢) الأثر : ١٦٢٨٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٥٧ ، وقد أخره أبو جعفر عن موضعه إلى هذا الموضع ، وقدم عليه الخبر رقم : ١٦٢٧١ ، وهو تال له فى تفسير السورة فى سيرة ابن هشام .

وكان فى المطبوعة . «ولا معرفة لخير » ، وأثبت ما فى المخطوطة والسيرة .

ذلك قوله : « الآن خفف الله عنكم » ، فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل . ولوكان ثبوت العشرة منهم للمئة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف ، وكان ندباً ، لم يكن للتخفيف وجه ، لأن التخفيف إنما هو ترخيص فى ترك الواحد من المسلمين الثبوتَ للعشرة من العدو . وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدِّماً ، لم يكن للترخيص وجه ، إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن حكم قوله : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، ناسخ لحكم قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا » . وقد بينا فى كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام﴾ ،[1] أن كل خبرٍ من الله وعد فيه عباده على عملٍ ثواباً وجزاء ، وعلى تركه عقاباً وعذاباً ، وإن لم يكن خارجاً ظاهرُه مخرج الأمر ، ففى معنى الأمر = بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وعلم أن فيكم ضعفاً » .

فقرأه بعض المدنيين وبعض البصريين : ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفاً ﴾ ، بضم « الضاد » فى جميع القرآن ، وتنوين « الضعف » ، على المصدر من : « ضَعُفَ الرجل ضُعْفاً » .

* * *

وقرأه ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً ﴾ ، بفتح « الضاد » ، على المصدر أيضاً من « ضَعُفَ » .

* * *

وقرأه بعض المدنيين : ﴿ ضُعَفَاء ﴾ ، على تقدير « فعلاء » جمع « ضعيف » على « ضعفاء » ، كما يجمع « الشريك » ، « شركاء » ، و« الرحيم » ، « رُحماء » . ٣٠/١٠

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءات فى ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه : ﴿ وَعَلِمَ

(١) فى المطبوعة : « كتاب لطيف البيان » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، والكتاب هو هو .

أنَّ ﴿فِيكُمْ ضَعْفاً﴾، و﴿ضُعْفاً﴾، بفتح الضاد أو ضمها، لأنهما القراءتان المعروفتان، وهما لغتان مشهورتان فى كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد ، فبأيّتهما قرأ القارئُ فهو مصيبٌ الصوابَ .

* * *

فأما قراءة من قرأ ذلك : « ضعفاء » ، فإنها عن قراءة القرأة شاذة ، وإن كان لها فى الصحة مخرج ، فلا أحبُّ لقارئٍ القراءةَ بها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما كان لنبي أن يحتبس كافراً قدر عليه وصار فى يده من عبدة الأوثان للفداء أو للمنّ .

* * *

و« الأسر » فى كلام العرب : الحبس ، يقال منه : « مأسورٌ »، يراد به : محبوس . ومسموع منهم : « أبَاله الله أسْراً » .(١)

* * *

وإنما قال الله جل ثناؤه [ذلك] لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يعرِّفه أن قتل المشركين الذين أسرهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم ، كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم .

* * *

(١) انظر تفسير « الأسير » فيما سلف ٢ : ٣١١ ، ٣١٢ .
وأما قوله : « أباله الله أسرا » ، فإن « الأسر » « بضم الألف وسكون السين » ، وهو احتباس البول ، يقال : « أخذه الأسر » . وهذه الجملة كانت فى المخطوطة : « أبى الله أسراً » ، وفى لسان العرب ، كما فى المطبوعة « أذاله بالنون » ، وفى أساس البلاغة : « وفى أدعيتهم : أبى لك الله أسرا » . والذى فى المخطوطة وأساس البلاغة يرجح صواب ما قرأته بالباء .

وقوله : « حتّى يثخن فى الأرض » ، يقول : حتى يبالغ فى قتل المشركين فيها ، ويقهرهم غلبة وقسراً .

* * *

يقال منه : « أثخن فلان فى هذا الأمر » ، إذا بالغ فيه . وحكى : « أثخنته معرفةً » ، بمعنى : قتلته معرفةً .

* * *

= « تريدون » ، يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تريدون » ، أيها المؤمنون ، « عرض الدنيا » ، بأسركم المشركين = وهو ما عَرَض للمرء منها من مال ومتاع.[1] يقول : تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطُعْمها = « والله يريد الآخرة » ، يقول : والله يريد لكم زينة الآخرة وما أعدّ للمؤمنين وأهل ولايته فى جناته ، بقتلكم إياهم ، وإثخانكم فى الأرض . يقول لهم : فاطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا ،[2] لا ما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم من الرغبة فى الدنيا وأسبابها = « والله عزيز » ، يقول : إن أنتم أردتم الآخرة ، لم يغلبكم عدوّ لكم ، لأن الله عزيز لا يقهر ولا يغلب = وأنه « حكيم »[3] فى تدبيره أمرَ خلقه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٨٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض » ، وذلك يوم بدر ، والمسلمون يومئذ قليل ، فلما كثروا واشتد سلطانهم ، أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا فى الأسارى : ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ ، [سورة محمد : ٤] ، فجعل الله النبيَّ والمؤمنين فى أمر الأسارى بالخيار ، إن

---

(١) انظر تفسير « العرض » فيما سلف ٩ : ٧١/١٣ : ٢١١

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « واطلبوا » ، والسياق للفاء لا للواو .

(٣) انظر تفسير « عزيز » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .

شاؤوا قتلوهم، وإن شاؤوا استعبدوهم ، وإن شاؤوا فادَوْهم .

١٦٢٨٧ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتّى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا » ، الآية ، قال : أراد أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداءَ، ففادوهم بأربعة آلاف أربعة آلاف.(١) ولعمرى ما كان أثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ! وكان أول قتال قاتله المشركين .

١٦٢٨٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل، عن حبيب بن أبى عمرة ، عن مجاهد قال : « الإثخان » ، القتل .(٢)

١٦٢٨٩ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شريك ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتّى يثخن فى الأرض » ، قال : إذا أسرتموهم فلا تفادوهم حتّى تثخنوا فيهم القتلَ .

١٦٢٩٠ — . . . . قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى » ، الآية ، نزلت الرخصة بعدُ ، إن شئت فمنّ ، وإن شئت ففاد.

١٦٢٩١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتّى يثخن فى الأرض » ، يعنى الذين أسروا ببدر . ٣١/١٠

١٦٢٩٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى » ، من عدوه = «حتّى يثخن فى الأرض » ، أىّ:

---

(١) فى المطبوعة حذف « أربعة آلاف » ، الثانية ، كأنها لم تعجبه ، غفر الله له ! !

(٢) الأثر : ١٦٢٨٨ — « حبيب بن أبى عمرة » ، القصاب ، أو : اللحام ، « أبو عبد الله الحمانى » ، ثقة قليل الحديث سلف برقم : ١٠٢٢٤ .

يثخن عدوه حتى ينفيهم من الأرض = « تريدون عرض الدنيا » ، أى : المتاع والفداء بأخذ الرجال = « والله يريد الآخرة » ، بقتلهم ، لظهور الدين الذى يريدون إطفاءه ، الذى به تدرك الآخرة .[1]

١٦٢٩٣ — حدثنى أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية قال ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر وجىء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأنهم ،[2] لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله ، كذبوك وأخرجوك ، قدّمهم فاضرب أعناقهم ! وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فقال له العباس : قُطِعتْ رَحِمُك ! قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ، ثم دخل . فقال ناس : يأخذ بقول أبى بكر . وقال ناس : يأخذ بقول عُمر . وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة . ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشدد قلوبَ رجال حتى تكون أشد من الحجارة ! وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال : ﴿ مَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٦] ، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ ، الآية [سورة المائدة : ١١٨] .

(١) الأثر : ١٦٢٩٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٧١ . وفى لفظ سيرة ابن هشام بعض الاختلاف ، وأشك فى قوله هناك : « أى : قتلهم لظهور الدين الذى يريد إظهاره ، والذى تدرك به الآخرة » .

(٢) كان فى المطبوعة : « واستأن بهم » ، وهو نص الخبر فى مسند أحمد وغيره ، من « الأناة » . يقال : « استأنى بالشىء » ، ترفق به ، وأخره وانتظر به ، وتربص به . ونقل صاحب أساس البلاغة : « واستأنيت فلاناً » : لم أعجله ، وأنشد لابن مقبل :

وَقَوْمٌ بِأَيْدِيهِمْ رِمَاحُ رُدَيْنَةٍ شَوَارِعَ تَسْتَأْنِى دَماً أو تَسَلَّفُ

قال : « تنظره أو تتعجله » .

ورواية « واستأنهم » هذه هى الثابتة فى تاريخ أبى جعفر ، فى رواية هذا الخبر .

ومثلك ياعمر مثل نوح ، قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ ، [سورة نوح : ٢٦] ، ومثلك كمثل موسى قال :(١) ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [سورة يونس : ٨٨]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عالة ،(٢) فلا ينفلتَنَّ أحدٌ منهم إلا بفداء أو ضرب عنق. قال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل بن بيضاء ، فإنى سمعته يذكر الإسلام ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيتُنى فى يوم أخوفَ أن تقع علىَّ الحجارة من السماء ، منى فى ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلاَّ سهيل بن بيضاء . قال : فأنزل الله : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض » ، إلى آخر الثلاث الآيات .(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « ومثلك يا ابن رواحة كمثل موسى » ، زاد من عنده ما ليس فى المخطوطة ، وهو اجتراء قبيح بلا علم ، فإن الحديث ليس فيه هذه الزيادة ، والقول فيه موجه إلى عمر ، ولم يذكر فيه عن ابن رواحة مثل ، كما فى جميع المراجع ، بل فى بعضها : « وإن مثلك يا عمر كمثل موسى » . فهذه زيادة لا تحل لأحد .

وإنما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب مثل لعبد الله بن رواحة ، والله أعلم ، لما فى مشورته من النكال الشديد ، فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار سبحانه وتعالى ، وأعاذنا من عذاب جهنم بفضله ورحمته ومنه على كل عاص من عباده .

(٢) « العالة » ، الفقراء ذوى الفاقة ، جمع « عائل » . و « عال الرجل » ، احتاج وافتقر .

(٣) الأثر : ١٦٢٩٣ — إسناده منقطع ، لأن « أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود » ، لم يسمع من أبيه .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده من هذه الطريق نفسها رقم : ٣٦٣٢ — ٣٦٣٤ ، ورواه الحاكم فى المستدرك ٣ : ٢١ ، ٢٢ ، من طريق جرير بن عبد الحميد ، عن الأعمش ، وقال « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، وقال الذهبى : « صحيح ، سمعه جرير ابن عبد الحميد » .

ورواه الطبرى فى تاريخه ٢ : ٢٩٥ ، بلفظه وإسناده .

ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦ : ٨٦ ، ٨٧ ، وفصل الكلام فيه ، وقال : « رواه أحمد . . . ورواه الطبرانى ، وفيه أبو عبيدة ، ولم يسمع من أبيه . ولكن رجاله ثقات » .

ورواه الواحدى فى أسباب النزول : ١٧٨

وأما قوله « إلا سهيل بن بيضاء » ، فهو خطأ من بعض الرواة ، وإنما هو « سهل بن بيضاء » أخو « سهيل » لأبيه وأمه ، قال ابن سعد : « أسلم بمكة وكتم إسلامه ، فأخرجته قريش معها فى نفير بدر ، فشهد بدراً مع المشركين ، فأسر يومئذ . فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه يصلى بمكة ،

١٦٢٩٤ — حدثنا ابن بشار قال ، [حدثنا عمر بن يونس اليمامى] قال ، حدثنا عكرمة بن عمار قال ، حدثنا أبو زميل قال ، حدثنى عبد الله بن عباس قال : لما أسروا الأسارى ، يعنى يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين أبو بكر وعمر وعلى ؟ قال : ما ترون فى الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هم بنو العم والعشيرة ، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم للإسلام ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ فقال : لا والذى لا إله إلا هو ، ما أرى الذى رأى أبو بكر ، يا نبى الله ، ولكن أرى أن تمكننا منهم ، فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ، وتمكننى من فلان ، نسيبٍ لعمر ، فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهوَ ما قلت .[1] قال عمر : فلما كان من الغد ، جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرنى من أىّ شىء تبكى أنتَ وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكى للذى عرَض لأصحابى من أخذهم الفداء ، ولقد عُرِض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة ! لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : « ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض » ، إلى قوله : « حلالاً طيباً » ، وأحل الله الغنيمة لهم .[2] ٢٢/١٠

* * *

فخلى عنه . والذى روى القصة فى سهيل بن بيضاء قد أخطأ ، سهيل بن بيضاء أسلم قبل عبد الله ابن مسعود ، ولم يستخف بإسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً ، لاشك فيه . فخلط من روى ذلك الحديث ما بينه وبين أخيه ، لأن سهيلا أشهر من أخيه سهل ، والقصة فى سهل » ، ابن سعد ٤/١/١٥٦ .

(١) هذا الخبر عن ابن عباس ، عن عمر رضى الله عنه ، كما سترى فى التخريج .

(٢) الأثر : ١٦٢٩٤ — « أبو زميل » ، هو « سماك بن الوليد الحنفى » ، سلف أخيراً

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لأهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الأسرى الفداء: « لولا كتاب من الله سبق » ، يقول : لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر فى اللوح المحفوظ ، بأن الله مُحِلٌّ لكم الغنيمة ، وأن الله قضى فيما قضى أنه لا يُضِلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ،[١] وأنه لا يعذب أحداً شهد المشهد الذى شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصراً دينَ الله = لنالكم من الله ، بأخذكم الغنيمة والفداء ، عذاب عظيم .[٢]

* * *

برقم : ١٥٧٣٤ ، ١٦٠٠ ، وسائر رجال الإسناد قد مضوا جميعاً .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة: «حدثنا ابن بشار قال حدثنا عكرمة بن عمار » ، وهو إسناد مختل ، والظاهر أن الناسخ كتب « ابن بشار » فى آخر الصفحة ، كما هو فى مخطوطتنا ، ثم لما انتقل إلى أول الصفحة التالية كتب : « حدثنا عكرمة بن عمار » ، فأسقط من الإسناد ما أثبته بين القوسين ، واستظهرته من رواية صدر هذا الخبر نفسه فى الترمذى ، فى كتاب التفسير ، حيث رواه مختصراً ، قال : « حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عمر بن يونس اليمامى ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا أبو زميل ، حدثنى عبد الله بن عباس ، حدثنى عمر بن الخطاب » .

وقد مضى مختصراً كما فى الترمذى ، برقم : ١٥٧٣٤ ، وقد بينت تخريج الخبر هناك .

وهذا الخبر مطولا رواه أحمد فى مسنده رقم : ٢٠٨ ، ٢٢١ ، من طريق أبى نوح قراد ، عن عكرمة بن عمار .

ورواه مسلم فى صحيحه مطولا ١٢ : ٨٤ — ٨٧ ، من طريق هناد بن السرى ، عن ابن المبارك ، عن عكرمة ، ثم من طريق زهير بن حرب ، عن عمر بن يونس الحنفى (اليمامى) ، عن عكرمة .

ورواه أبو جعفر فى التاريخ ٢ : ٢٩٤ ، مطولا ، من طريق أحمد بن منصور ، عن عاصم ابن على ، عن عكرمة .

ورواه الواحدى فى أسباب النزول : ١٧٩ .

وهو حديث صحيح ، لا يعرف إلا من طريق عكرمة بن عمار ، كما سلف .

وخرجه ابن كثير فى تفسير ٤ : ١٨ ، ١٩ .

(١) انظر تفسير « كتاب » فيما سلف من فهارس اللغة (كتب) .

(٢) انظر تفسير « المس » فيما سلف ١٣ : ٣٣٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٩٥ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا ابن أبى عدى قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن فى قوله : « لولا كتاب من الله سبق » الآية ، قال : إن الله كان مُطْعِم هذه الأمة الغنيمةَ ، وإنهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به . قال : فعاب الله ذلك عليهم ، ثم أحله الله .

١٦٢٩٦ — حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ، حدثنا بشر بن المفضل عن عوف ، عن الحسن فى قول الله : « لولا كتاب من الله سبق » الآية ، وذلك يوم بدر ، وأخذ أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم المغانمَ والأسارى قبل أن يؤمروا به ، وكان الله تبارك وتعالى قد كتب فى أم الكتاب : « المغانم والأسارى حلال لمحمد وأمته » ، ولم يكن أحله لأمة قبلهم ، وأخذوا المغانم وأسروا الأسارى قبل أن ينزّل إليهم فى ذلك ، قال الله : « لولا كتاب من الله سبق » ، يعنى فى الكتاب الأول . أن المغانم والأسارى حلال لكم = « لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

١٦٢٩٧ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لولا كتاب من الله سبق » الآية ، وكانت الغنائم قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى الأمم ، إذا أصابوا مغنماً جعلوه للقربان ، وحرم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلاً أو كثيراً . حُرِّم ذلك على كل نبى وعلى أمته ، فكانوا لا يأكلون منه ، ولا يغلُّون منه ، ولا يأخذون منه قليلاً ولا كثيراً إلا عذبهم الله عليه . وكان الله حرمه عليهم تحريماً شديداً ، فلم يحله لنبىّ إلاّ لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكان قد سبق من الله فى قضائه أن المغنم له ولأمته حلال ، فذلك قوله يوم بدر ، فى أخذ الفداء من الأسارى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

١٦٢٩٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن عروة ، عن

الحسن : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : إن الله كان مُعطِيَ هذه الأمة الغنيمةَ ، وفعلوا الذى فعلوا قبل أن تُحَلّ الغنيمة .

١٦٢٩٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ،حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال الأعمش فى قوله: «لولا كتاب من الله سبق » ، قال : سبق من الله أن أحل لهم الغنيمة .

١٦٣٠٠ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن بشير بن ميمون قال : سمعت سعيداً يحدث ، عن أبى هريرة ، قال : قرأ هذه الآية : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، قال : يعنى : لولا أنه سبق فى علمى أنى سأحلُّ الغنائم ، لمسكم فيما أخذتم من الأسارى عذاب عظيم .(١)

١٦٣٠١ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح ، وأبو معاوية بنحوه ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحلت الغنائم لأحدٍ سُودِ الرؤوس من قبلكم ، كانت تنزل نارٌ من السماء وتأكلها ، حتى كان يوم بدر ، فوقع الناس فى الغنائم ، فأنزل الله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم »، حتى بلغ ، « حلالاً طيباً » .

١٦٣٠٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه = قال : فلما كان يوم بدر أسرَع الناس فى الغنائم .(٢)

---

(١) الأثر : ١٦٣٠٠ — « بشير بن ميمون الخراسانى الواسطى »، أبو صيفى ، ضعيف، منكر الحديث ، متهم بالوضع . وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث ، وعامة روايته مناكير » . وأجمعوا على طرح حديثه ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١٠٥ ، وابن أبى حاتم ١/١/٣٧٩ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٥٣ ، ١٥٤ .

و « سعيد » هو « سعيد بن أبى سعيد المقبرى » .

(٢) الأثران : ١٦٣٠١ ، ١٦٣٠٢ — حديث صحيح الإسناد ، إلا ما كان من أمر « جابر بن نوح الحمانى » ، ليس حديثه بشىء ، ضعيف ، قال يحيى بن معين : « جابر بن نوح ،

١٦٣٠٣ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتقوَّوْا به على عدوكم ، وإن قبلتموه قتل منكم سبعون = أو تقتلوهم! فقالوا : بل نأخذ الفدية منهم ، وقُتل منهم سبعون ، قال عبيدة ، وطلبوا الخيرتين كلتيهما .[1] ١٠/٢٣

١٦٣٠٤ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن عبيدة قال : كان فداء أسارى بدر مئة أوقية ، و « الأوقية » أربعون درهماً ، ومن الدنانير ستة دنانير .[2]

١٦٣٠٥ - حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : أنه قال في أسارى بدر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم فاديتموهم واستشْهِد منكم بعِدّتهم ! فقالوا : بلى،[3] نأخذ الفداء فنستمتع به، ويستشهد منا بعِدّتهم .

إمام مسجد بني حمان ، ولم يكن بثقة ، كان ضعيفاً » . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/١٠/٢١٠ ، وابن أبي حاتم ١/١/٥٠٠ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٧٦ ، وأبو كريب رواه عن جابر ، وعن أبي معاوية ، فحديث أبي معاوية هو الصحيح .

وهذا الخبر رواه الترمذي في كتاب التفسير من طريق عبد بن حميد ، عن معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن الأعمش ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

ورواه البيهقي في السنن ٦ : ٢٩٠ من طريق محاضر ، عن الأعمش ، ومن طريق أبي معاوية، عن الأعمش .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٠٣ ، وزاد نسبته إلى النسائي ، وابن أبي شيبة في المصنف ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(١) « الخيرة » (بكسر الخاء وسكون الياء ، أو فتح الياء) ، هو ما يختار ويصطفى من الخير .

(٢) انظر تقدير « الأوقية » فيما سلف في الأثر رقم : ١٦٠٥٨ .

(٣) انظر مجيء « بلى » في غير جحد ، فيما سلف في الأثر رقم : ٧٨١ ج ١ : ٥٥٤ / ثم ٢ : ٢٨٠ ، ١٠/٥١٠ : ٩٨ ، تعليق : ٤ / ثم ١٠ : ٢٥٣ ، تعليق : ٣/ثم ١٢ : ١٧٤ ، تعليق : ٣ .

١٦٣٠٦ — حدثني أحمد بن محمد الطوسى قال، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثنا همام بن يحيي قال ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن أبى وائل ، عن عبد الله بن مسعود قال : أمر عمر رحمه الله بقتل الأسارى ، فأنزل الله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .[١]

١٦٣٠٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : كان المغنم محرَّماً على كل نبي وأمته ، وكانوا إذا غنموا يجعلون المغنم لله قرباناً تأكله النار . وكان سبق فى قضاء الله وعلمه أن يحلّ المغنم لهذه الأمة ، يأكلونه فى بطونهم .

١٦٣٠٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء فى قول الله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم »، قال : كان فى علم الله أن تحلّ لهم الغنائم ، فقال: « لولا كتاب من الله سبق »، بأنه أحل لكم الغنائم = « لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر ، أن لا يعذبهم ، لمسهم عذاب عظيم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : لأهل بدر ، من السعادة .

١٦٣١٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن

(١) الأثر : ١٦٣٠٦ — « همام بن يحيى بن دينار الأزدى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٠١٩٠ ، ١١٧٢٥ .
وهذا خبر صحيح إسناده .

أبي نجيح ، عن مجاهد : « لولا كتاب من الله سبق »، لأهل بدر ، مَشْهدَهم .

١٦٣١١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : سبق من الله خيرٌ لأهل بدر .

١٦٣١٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، كان سبق لهم من الله خير ، وأحلّ لهم الغنائم .

١٦٣١٣ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا عبد الوارث ابن سعيد، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن : « لولا كتاب من الله سبق »، قال : « سبق » ، أن لا يعذب أحداً من أهل بدر .

١٦٣١٤ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لولا كتاب من الله سبق » ، لأهل بدر ، ومشهدَهم إياه .

١٦٣١٥ — حدثني يونس قال، أخبرني ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل أن أحلها لكم . فقال : سبق من الله العفو عنهم والرحمة لهم ، سبق أنه لا يعذب المؤمنين ، لأنه لا يعذب رَسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « لولا كتاب من الله سبق » ، أن لا يؤاخذ أحداً بفعل أتاه على جهالة = « لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣١٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ،عن

ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « لولا كتاب من الله سبق » ، لأهل بدر ، ومشهدَهم إياه ، قال : كتاب سبق لقوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١١٥] ، سبق ذلك ، وسبق أن لا يؤاخذ قوماً فعلوا شيئاً بجهالة = « لمسكم فيما أخذتم » ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « فيما أخذتم » ، مما أسرتم . ثم قال بعد : « فكلوا مما غنمتم » . ١٠/٣٤

١٦٣١٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : عاتبه في الأسارى وأخذ الغنائم ، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنماً من عدوٍّ له .[1]

١٦٣١٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد قال ، حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرت بالرعب ، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت جوامع الكلم ، وأحلّت لي المغانم ، ولم تحلّ لنبيٍّ كان قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، خمسٌ لم يُؤْتَهُنّ نبيٌّ كان قبلي = قال محمد[2] : فقال : « ما كان لنبيّ » ، أي : قبلك = « أن يكون له أسرى » إلى قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم » ، أي : من الأسارى والمغانم = « عذاب عظيم » ، أي : لولا أنه سبق مني أن لا أعذب إلا بعد النهي ، ولم أكن نهيتكم ، لعذبتكم فيما صنعتم . ثم أحلها له ولهم رحمةً ونعمةً وعائدةً من الرحمن الرحيم.[3]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، ما قد بيناه قبلُ . وذلك أن قوله : « لولا كتاب من الله سبق » ، خبر عامٌّ غير محصور على معنى دون

---

(١) الأثر : ١٦٣١٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو سابق الأثر السالف رقم : ١٦٢٩٢ في ترتيب السيرة .

(٢) قوله : « محمد » ، يعني محمد بن إسحق ، لا « محمد بن علي » .

(٣) الأثر : ١٦٣١٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، وصدره تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣١٧ ، وسابق للأثر رقم : ١٦٢٩٢ ، ثم روى صدراً من الأثر رقم : ١٦٢٩٢ ، وأتبعه بما يليه في السيرة .

معنى ، وكل هذه المعانى التى ذكرتها عمن ذكرت ، مما قد سبق فى كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشىء منها هذه الأمة ، وذلك : ما عملوا من عمل بجهالة ، وإحلال الغنيمة ، والمغفرة لأهل بدر ، وكل ذلك مما كتب لهم . وإذ كان ذلك كذلك ، فلا وجه لأن يخصّ من ذلك معنى دون معنى ، وقد عم الله الخبر بكل ذلك ، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه .

١٦٣١٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : لم يكن من المؤمنين أحد ممن نُصِر إلا أحبَّ الغنائم ، إلا عمر بن الخطاب ، جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه ، وقال : يا رسول الله ، ما لنا وللغنائم ، نحن قوم نجاهد فى دين الله حتى يُعبد الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو عذبنا فى هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك ! قال الله : لا تعودوا تستحلون قبل أن أحلّ لكم .

١٦٣٢٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : لما نزلت : « لولا كتاب من الله سبق » ، الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو نزل عذابٌ من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ ، لقوله : يا نبى الله ، كان الإثخان فى القتل أحبّ إلى من استبقاء الرجال .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر : « فكلوا » ، أيها المؤمنون = « مما غنمتم » ، من أموال المشركين = « حلالاً » ، بإحلاله لكم = « طيباً واتقوا الله » ، يقول : وخافوا الله أن تعودوا ، أن تفعلوا فى دينكم شيئاً بعد هذه

(١) الأثر : ١٦٣٢٠ — لم أجد هذا الخبر فى سيرة ابن هشام ، فيما أقدر .

من قبل أن يُعْهَد فيه إليكم ، كما فعلتم فى أخذ الفداء وأكل الغنيمة ، وأخذتموهما من قبل أن يحلاَّ لكم = « إن الله غفور رحيم » .[١]

* * *

وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم ، وتأويل الكلام : «فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً » ، « إن الله غفور رحيم » ، « واتقوا الله » .

* * *

ويعنى بقوله : « إن الله غفور » ، لذنوب أهل الإيمان من عباده = « رحيم » ، بهم ، أن يعاقبهم بعد توبتهم منها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبي ، قل لمن فى يديك وفى يدى أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ : « إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً » ، يقول : إن يعلم الله فى قلوبكم إسلاماً = « يؤتكم خيراً مما أخذ منكم » ، من الفداء = « ويغفر لكم » ، يقول : ويصفح لكم عن عقوبة جُرْمكم الذى اجترمتموه بقتالكم نبي الله وأصحابه وكفركم بالله = « والله غفور » ، لذنوب عباده إذا تابوا = « رحيم » ، بهم ، أن يعاقبهم عليها بعد التوبة .[٢]

١٠/٣٥

* * *

(١) انظر تفسير ألفاظ الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

وذكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول : فيّ نزلت هذه الآية .

* ذكر من قال ذلك .

١٦٣٢١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس، عن ابن إسحق، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، عن ابن عباس قال : قال العباس : فيّ نزلت: « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » ، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامي . وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني ، فأبى ، فأبدلني الله بها عشرين عبداً ، كلهم تاجر ، مالي في يديه .(١)

* * *

وقـــد : —

١٦٣٢٢ — حدثنا بهذا الحديث ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال محمد، حدثني الكلبي ، عن أبي صالح، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله ابن رئاب قال : كان العباس بن عبد المطلب يقول : فيّ والله نزلت ، حين ذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامي = ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع . (٢)

١٦٣٢٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « قل لمن في أيديكم من الأسرى » الآية ، قال : ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مالُ البحرين ثمانون ألفاً ، وقد توضأ لصلاة الظهر ،

---

(١) الأثر : ١٦٣٢١ — في المطبوعة : « أبي إسحق » ، والصواب من المخطوطة ، وانظر التعليق التالي .

(٢) الأثر : ١٦٣٢٢ — هذا الخبر والذي قبله ، ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٨ ، مطولا ، وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ، ورجال الأوسط رجال الصحيح ، غير ابن إسحق ، وقد صرح بالسماع » .

وظاهر أنه يعني إسناداً غير هذين الإسنادين ، فإن الأول لم يصرح فيه بالسماع ، والثاني فيه « الكلبي » .

وذكره الواحدي في أسباب النزول ، عن الكلبي ، مطولا : ١٨٠ ، ١٨١ .

وكان في المطبوعة والمخطوطة : « جابر بن عبد الله بن رباب » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

فما أعطى يومئذ شاكياً ولا حرم سائلاً ، وما صلى يومئذ حتى فرّقه ، وأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثى ، فأخذ . قال : وكان العباس يقول : هذا خير مما أخذ منا ، وأرجو المغفرة .

١٦٣٢٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى » الآية ، وكان العباس أسر يوم بدر ، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب ، فقال العباس حين نزلت هذه الآية : لقد أعطانى الله خصلتين ، ما أحبّ أن لى بهما الدنيا : أنى أسرت يوم بدر ففديت نفسى بأربعين أوقية ، فآتانى أربعين عبداً ، وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله .

١٦٣٢٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى » ، إلى قوله : « والله غفور رحيم » ، يعنى بذلك : من أسر يوم بدر . يقول : إن عملتم بطاعتى ونصحتم لرسولى ، آتيتكم خيراً مما أخذ منكم ، وغفرت لكم .

١٦٣٢٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس : « يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى » ، عباس وأصحابه ، قال : قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : آمنا بما جئت به ، ونشهد إنك لرسول الله ، لننصحن لك على قومنا . فنزل : « إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم » ، إيماناً وتصديقاً ، يخلف لكم خيراً مما أصيب منكم = « ويغفر لكم » ، الشرك الذى كنتم عليه . قال : فكان العباس يقول : ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا ، وأن لى الدنيا ، لقد قال : « يؤتكم خيراً مما أخذ منكم » ، فقد أعطانى خيراً مما أخذ منى مئة ضعف ، وقال : « يغفر لكم » ، وأرجو أن يكون قد غُفِر لى .

١٦٣٢٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى » الآية ، يعنى العباسَ وأصحابه ، أسروا يوم بدر . يقول الله : إن عملتم بطاعتى ونصحتم لى ولرسولى ، أعطيتكم خيراً مما أخذ منكم وغفرت لكم . وكان العباس بن عبد المطلب يقول : لقد أعطانا الله خصلتين ، ما شيء هو أفضل منهما : عشرين عبداً . وأما الثانية ، فنحن فى موعود الصادق ننتظر المغفرة من الله سبحانه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين فى أيديكم = « خيانتك » ، أى الغدر بك والمكرَ والخداع ، بإظهارهم لك بالقول خلافَ ما فى نفوسهم[1] = « فقد خانوا الله من قبل »، يقول : فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر ، وأمكن منهم ببدر المؤمنين[2] = « والله عليم » ، بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه فى نفوسهم= « حكيم »، فى تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم .[3] ١٠/٣٦

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك:

١٦٣٢٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن

---

(١) انظر تفسير « الخيانة » فيما سلف ص : ٢٥ ، تعليق: ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « أمكن » فيما سلف ١١ : ٢٦٣ / ١٢ : ٣١٥
(٣) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .

ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس : « وإن يريدوا خيانتك » ، يعنى العباس وأصحابه فى قولهم : « آمنا بما جئت به ، ونشهد إنك رسول الله، لننصحن لك على قومنا » ، يقول : إن كان قولهم خيانة = « فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم » ، يقول : قد كفروا وقاتلوك ، فأمكنك الله منهم .

١٦٣٢٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: « وإن يريدوا خيانتك » الآية ، قال : ذكر لنا أن رجلاً كتب لنبى الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عمد فنافق ، فلحق بالمشركين بمكة ، ثم قال : « ما كان محمد يكتب إلا ما شئت! » ، فلما سمع ذلك رجل من الأنصار، نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف . فلما كان يوم الفتح ، أمَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلاّ عبد الله بن سعد بن أبى سرح، ومِقْيَس بن صُبابة ، [1] وابن خطل ، وامرأة كانت تدعو على النبىّ صلى الله عليه وسلم كل صباح. فجاء عثمان بابن أبى سرح ، وكان رضيعه = أو: أخاه من الرضاعة = فقال: يا رسول الله، هذا فلان أقبل تائباً نادماً ! فأعرض نبى الله صلى الله عليه وسلم . فلما سمع به الأنصارىّ أقبل متقلداً سيفه ، فأطاف به، [2] وجعل ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يومئ إليه . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم يده فبايعه ، فقال : أما والله لقد تلوَّمتك فيه لتوفى نذرك ! [3] فقال: يا نبىّ الله، إنى هِبْتك ، فلولا أوْمضت إلىّ ! [4] فقال : إنه لا ينبغى لنبىٍّ أن يومض . [5]

١٦٣٣٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) فى المطبوعة : « بن ضبابة » ، وهو خطأ محض .

(٢) يقال : « طاف بالقوم ، وأطاف بهم » ، إذا استدار ، وجاء من نواحيهم وهو يحوم حولهم .

(٣) « تلوم فى الأمر » و « تلوم به » ، انتظر وتلبث وتأنى ، وتعدية مثل هذا الفعل من صريح العربية .

(٤) « أومض إليه » ، أشار إشارة خفية ، من « إيماض البرق » ، إذا لمع لمعاً خفياً ، ثم يخفى .

(٥) الأثر : ١٦٣٢٩ — انظر مسند أحمد ٣ : ١٥١ ، حديث أنس ، بغير هذا اللفظ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم » ، يقول : قد كفروا بالله ونقضوا عهده ، فأمكن منهم ببدر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله = « وهاجروا » ، يعنى هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم ، يعنى تركوهم وخرجوا عنهم ، وهجرهم قومهم وعشيرتهم[1] = « وجاهدوا فى سبيل الله » ، يقول : بالغوا فى إتعاب نفوسهم وإنصابها فى حرب أعداء الله من الكفار[2] = « فى سبيل الله » ، يقول : فى دين الله الذى جعله طريقاً إلى رحمته والنجاة من عذابه[3] = « والذين آووا ونصروا » ، يقول : والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه ، يعنى : أنهم جعلوا لهم مأوًى يأوون إليه ، وهو المثوى والمسكن ، يقول : أسكنوهم ، وجعلوا لهم من منازلهم مساكنَ إذ أخرجهم قومهم من منازلهم[4] = « ونصروا » ، يقول : ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين = « أولئك بعضهم أولياء بعض » ، يقول : هاتان الفرقتان، يعنى المهاجرين والأنصار ، بعضهم أنصار بعض ، وأعوان على من سواهم من

---

(١) انظر تفسير « المهاجرة » فيما سلف ٤ : ٣١٧ ، ٧/٣١٨ : ٩/٤٩٠ : ١٠٠ ، ١٢٢ .

(٢) انظر تفسير « المجاهدة » فيما سلف ٤ : ١٠/٣١٨ : ٢٩٢ ، ٤٢٣ .

(٣) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٤) انظر تفسير « آوى » ، و « المأوى » فيما سلف ١٣ : ٤٧٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

المشركين ، وأيديهم واحدة على من كفر بالله ، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم الكفار .(١)

* * *

وقد قيل : إنما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض ، وأن الله ورَّث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة ، دون القرابة والأرحام ، وأن الله نسخ ذلك بعدُ بقوله : ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ ﴾ ، [سورة الأنفال : ٧٥ / وسورة الأحزاب : ٦] .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٣١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ،حدثنى معاوية ، عن على، عن ابن عباس قوله : «إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض »، يعنى : فى الميراث ، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوى الأرحام ،قال الله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَىْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ ، يقول : ما لكم من ميراثهم من شىء. وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ ﴾ [سورة الأنفال ٧٥/ سورة الأحزاب : ٦] ، فى الميراث ، فنسخت التى قبلها ، وصار الميراث لذوى الأرحام .

١٠/٣٧

١٦٣٣٢ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وهاجدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله » ،يقول : لا هجرة بعد الفتح ، إنما هو الشهادة بعد ذلك = « والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » ، إلى قوله : « حتى يهاجروا » . وذلك أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه سلم على ثلاث منازل : منهم المؤمن المهاجر المباين لقومه فى الهجرة ، خرج إلى

(١) انظر تفسير « الولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى)

قوم مؤمنين فى ديارهم وعقارهم وأموالهم= « وآووا ونصروا »،[1] وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة ، وشهروا السيوف على من كذّب وجحد ، فهذان مؤمنان ، جعل الله بعضهم أولياء بعض، فكانوا يتوارثون بينهم ، إذا توفى المؤمن المهاجر ورثه الأنصارى بالولاية فى الدين . وكان الذى آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل أنه لم يهاجر ولم ينصر ، فبرّأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم ، وهى الولاية التى قال الله : « ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا » . وكان حقًّا على المؤمنين الذين آووا ونصروا إذا استنصروهم فى الدين أن ينصروهم إن قاتلوا ، إلا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ميثاق ، فلا نصر لهم عليهم ، إلاّ على العدوّ الذين لا ميثاق لهم . ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحقْ كل ذى رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا . فجعل لكل إنسان من المؤمنين نصيباً مفروضاً بقوله:﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيمٌ﴾[سورة الأنفال: ٧٥]، وبقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [سورة التوبة: ٧١] .

١٦٣٣٣ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : الثلاث الآيات خواتيم الأنفال ، فيهن ذكر ما كان من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى المسلمين وبين الأنصار فى الميراث، ثم نسخ ذلك آخرها : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

١٦٣٣٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا » ، إلى قوله : « بما تعملون بصير » ، قال : بلغنا أنها كانت فى الميراث ، لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا، والمؤمنون الذين لم يهاجروا . قال : ثم نزل بعد : ﴿ وَأُولُوا

(١) فى المطبوعة : « وفى قوله : آووا ونصروا » ، زاد ما ليس فى المطبوعة .

الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، فتوارثوا ولم يهاجروا = قال ابن جريج ، قال مجاهد : خواتيم « الأنفال » الثلاث الآيات ، فيهن ذكر ما كان والَىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الأنصار فى الميراث ، ثم نسخ ذلك آخرها : ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾.

١٦٣٣٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا » إلى قوله : « ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » ، قال : لبث المسلمون زماناً يتوارثون بالهجرة ، والأعرابى المسلم لا يرث من المهاجر شيئاً ، فنسخ ذلك بعد ذلك ، فألحق الله[1] : ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً ﴾،[سورة الأحزاب : ٦] ، أى : من أهل الشرك ، فأجيزت الوصية ،[2] ولا ميراث لهم ، وصارت المواريث بالملل ، والمسلمون يرث بعضهم بعضاً من المهاجرين والمؤمنين ، ولا يرث أهل ملتين . ١٠/٣٨

١٦٣٣٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن قالا : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله » إلى قوله : « ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » ، كان الأعرابى لا يرث المهاجر ، ولا يرثه المهاجر ، فنسخها فقال : ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

١٦٣٣٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) فى المطبوعة : « قول الله » ، مكان « فألحق الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

(٢) فى المخطوطة : « حيرت الوصية » ، هكذا غير منقوط ، وكأن الصواب ما فى المطبوعة . ولو قرئت : « خيرت الوصية » (بالبناء للمجهول) ، لكان وجهاً .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » ، فى الميراث = « والذين آمنوا ولم يهاجروا » ، وهؤلاء الأعراب = « ما لكم من ولايتهم من شىء » ، فى الميراث = « وإن استنصروكم فى الدين » يقول : بأنهم مسلمون = « فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، فى الميراث = « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم » ، ثم نسختها الفرائض والمواريث ، = « وأولوا الأرحام » ، الذين توارثو على الهجرة = « بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ، فتوارث الأعرابُ والمهاجرون .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « والذين آمنوا » ، الذين صدقوا بالله ورسوله = « ولم يهاجروا » ، قومهم الكفار ، ولم يفارقوا دارَ الكفر إلى دار الإسلام = « ما لكم » ، أيها المؤمنون بالله ورسوله، المهاجرون قومَهم المشركين وأرضَ الحرب[2] = « من ولايتهم » ، يعنى : من نصرتهم وميراثهم .

* * *

(١) كانت هذه الجملة فى المطبوعة : « ... فأولئك منكم ، الذين توارثوا على الهجرة فى كتاب الله ، ثم نسختها الفرائض والمواريث ، فتوارث الأعراب والمهاجرون » ، قدم وأخر فيما كان فى المخطوطة ، وهو : « ... فأولئك منكم ، ثم نسختها الفرائض والمواريث ، الذى توارثوا على الهجرة فى كتاب الله ، فتوارث الأعراب والمهاجرون »، واستظهرت الصواب كما كتبته .

(٢) انظر تفسير « الهجرة » فيما سلف ص : ٧٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وقد ذكرت قول بعض من قال : « معنى الولاية ، ههنا الميراث » ، وسأذكر إن شاء الله من حضرنى ذكره بعدُ .

* * *

= « من شىء حتى يهاجروا » ، قومَهم ودورَهم ، من دار الحرب إلى دار الإسلام = « وإن استنصروكم فى الدين » ، يقول : إن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا = « فى الدين » ، يعنى : بأنهم من أهل دينكم على أعدائكم وأعدائهم من المشركين = « فعليكم » ، أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار ، « النصر » = « إلاّ » أن يستنصروكم = « على قوم بينكم وبينهم ميثاق »، يعنى : عهد قد وثّق به بعضكم على بعض أن لا يحاربه [1] = « والله بما تعملون بصير » ، يقول: والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضاً، أيها المهاجرون والأنصار ، وترك ولاية من آمن ولم يهاجر ونصرتكم إياهم عند استنصاركم فى الدين ، وغير ذلك من فرائض الله التى فرضها عليكم = « بصير » ، يراه ويبصره، فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره شىء . [2]

١٦٣٣٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا » ، قال : كان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، وآخى النبى صلى الله عليه وسلم بينهم، فكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة . وكان الرجل يسلم ولا يهاجر ، لا يرث أخاه . فنسخ ذلك قوله : ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُهَاجِرِينَ ﴾ [سورة الأحزاب : ٦] .

١٦٣٣٩ — حدثنا محمد قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى : أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل فى الإسلام فقال :

---

(١) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف ١٣ : ٢١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « بصير » فيما سلف من فهارس اللغة (بصر) .

تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، وأنك لا ترى نار مشرك إلا وأنت حرب .[١]

١٦٣٤٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وإن استنصروكم فى الدين » ، يعنى : إن استنصركم الأعراب المسلمون، أيها المهاجرون والأنصار ، على عدوهم، فعليكم أن تنصروهم ، إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق .

١٦٣٤١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس: ترك النبي صلى الله عليه وسلم الناسَ يوم تُوفى على أربع منازل : مؤمن مهاجر ، والأنصار ، وأعرابى مؤمن لم يهاجر ، إن استنصره النبي صلى الله عليه وسلم نصره ، وإن تركه فهو إذْنُه ، [٢] وإن استنصر النبي صلى الله عليه وسلم فى الدين كان حقًّا عليه أن ينصره ، فذلك قوله : « وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر » = والرابعة: التابعون بإحسان . ٣٩/١٠

١٦٣٤٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا » ، إلى آخر السورة ، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وترك الناس على أربع منازل[٣] : مؤمن مهاجر ، ومسلم أعرابى ، والذين آووا ونصروا ، والتابعون بإحسان .

* * *

(١) يعنى بذلك : أن يبعد منزله عن منزل المشرك ، حتى لا يرى ناره ، نهى منه صلى الله عليه وسلم عن جوار المشرك .

(٢) فى المطبوعة : « فهو إذن له » ، ثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « قال رسول الله » ، وذلك أن كاتب المخطوطة وصل لام « قال » بألف « إن » ، ووصل ألف « إن » بنونها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « والذين كفروا » ، بالله ورسوله = «بعضهم أولياء بعض » ، يقول : بعضهم أعوان بعض وأنصاره ، وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله .[١]

* * *

وقد ذكرنا قول من قال : « عنى بذلك أن بعضهم أحق بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين » ،[٢] وسنذكر بقية من حضرنا ذكره .

١٦٣٤٣ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك قال : قال رجل : نورّث أرحامنا من المشركين ! فنزلت : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، الآية .

١٦٣٤٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ، نزلت فى مواريث مشركى أهل العهد .

١٦٣٤٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا » ، إلى قوله : « وفساد كبير » ، قال : كان المؤمن المهاجر والمؤمن الذى ليس بمهاجر ، لا يتوارثان وإن كانا أخوين مؤمنين . قال : وذلك لأن هذا الدين كان بهذا البلد

---

(١) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) فى المطبوعة : « عنى ببيان أن بعضهم » ، وهو سياق فاسد . وفى المخطوطة : « عنى بىان بعضهم » ، غير منقوط ، مضطرب أيضاً فاسد . والصواب ما أثبت .

قليلاً ، حتى كان يوم الفتح ، فلما كان يوم الفتح ، وانقطعت الهجرة ، توارثوا حيثما كانوا بالأرحام . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد هذا الفتح » ، وقرأ : ﴿ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أن الكفار بعضهم أنصار بعض = وأنه لا يكون مؤمناً من كان مقيماً بدار الحرب لم يهاجر .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٤٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، قال : كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين ، فيقول : إن ظهر هؤلاء كنت معهم ، وإن ظهر هؤلاء كنت معهم ! فأبى الله عليهم ذلك ، وأنزل الله فى ذلك ، فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك ،[2] إلا صاحب جزية مُقِرّ بالخراج .

١٦٣٤٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : حض الله المؤمنين على التواصل ، فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية فى الدين دون سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض .[3]

* * *

وأما قوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : إلا تفعلوا ، أيها المؤمنون ، ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة ، والأنصار بالإيمان ، دون أقربائهم من أعراب المسلمين ودون الكفار = « تكن فتنة » ، يقول : يحدث بلاء فى الأرض

(١) فى المطبوعة : « ولم » بزيادة الواو .

(٢) قوله : « لا تراءى نار مسلم ومشرك » ، أسند الترائى إلى النار ، كناية عن الجوار ، وانظر التعليق السالف ص : ٨٣ ، رقم : ١

(٣) الأثر : ١٦٣٤٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣١٨ .

بسبب ذلك[١] = « وفساد كبير » ، يعني : ومعاصٍ لله.[٢]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٤٨ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ، إلا تفعلوا هذا ، تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون = « تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » . قال : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الإيمان إلا بالهجرة ، ولا يجعلونهم منهم إلا بالهجرة .[٣]

١٠/٤٠

١٦٣٤٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، يعني في الميراث = « إلا تفعلوه » ، يقول : إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به = « تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ،

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إلا تَناصروا ، أيها المؤمنون، في الدين ، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٥٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، قال : جعل المهاجرين والأنصار أهلَ ولاية في الدين دون من سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال : « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ، أي : إلا يوالِ المؤمن المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به = « تكن فتنة في الأرض » ، أي : شبهة في الحق والباطل ، وظهور الفساد في الأرض ، بتولّي

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ١٣ : ٥٣٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الفساد » فيما سلف ١٣ : ٣٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) في المخطوطة : « ولا يجعلونهم مقيم » ، والصواب ما في المطبوعة .

المؤمن الكافرَ دون المؤمن .[1] ثم رد المواريث إلى الأرحام .[2]

١٦٣٥١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ، قال : إلا تعاونوا وتناصروا في الدين = « تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، قول من قال : معناه : أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين ، وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقامَ في دار الحرب وترك الهجرة ، لأن المعروف في في كلام العرب من معنى « الوليّ » ، أنه النصير والمعين ، أو : ابن العم والنسيب.[3] فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه ، إلا بمعنى أنه يليه في القيام بإرثه من بعده . وذلك معنى بعيد ، وإن كان قد يحتمله الكلام . وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر ، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ أن أولى التأويلين بقوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ، تأويلُ من قال : إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين ، تكن فتنة في الأرض = إذْ كان مبتدأ الآية من قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » ، بالحث على الموالاة على الدين والتناصر جاء ، فكذلك الواجب أن تكون خاتمتها به .

* * *

(١) كان في المطبوعة بعد قوله « فساد كبير » ما نصه : « إن يتول المؤمن الكافر دون المؤمن ، ثم رد المواريث إلى الأرحام » ، ومثلها في المخطوطة إلا أنه كتب « إن يتولى » . وهو كلام مضطرب ، سببه أن « المؤمن » ذكر في الكلام مرات ، فأسقط ما بين « المؤمن » في قوله « إلا يوال المؤمن المؤمن » ، إلى قوله بعد : « يتولى المؤمن الكافر » ، فاضطراب الكلام . وسقته على الصواب من سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ١٦٣٥٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣٤٧ ، وفيه جزء منه .

(٣) انظر تفسير « الولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولي) .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « وكذلك » ، بالواو ، والفاء حق السياق .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا » ، آوَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم ، ونصروا دين الله ، أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقًّا ، لا من آمن ولم يهاجر دارَ الشرك ، وأقام بين أظهر أهل الشرك ، ولم يغزُ مع المسلمين عدوهم[١] = « لهم مغفرة » ، يقول : لهم ستر من الله على ذنوبهم ، بعفوه لهم عنها[٢] = « ورزق كريم » ، يقول : لهم فى الجنة مطعم ومشرب هنىٌّ كريم ،[٣] لا يتغير فى أجوافهم فيصير نجْواً ،[٤] ولكنه يصير رشحاً كرشح المسك[٥].

* * *

وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا : أن معنى قول الله : « بعضهم أولياء بعض » فى هذه الآية ، وقوله : « ما لكم من ولايتهم من شىء » ، إنما هو النصرة والمعونة ، دون الميراث . لأنه جل ثناؤه عقّب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار والخبر عما لهم عنده ، دون من لم يهاجر بقوله : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

(١) انظر تفسير « هاجر » و « جاهد » ، و « آوى » فيما سلف قريباً ص ٧٧ ، تعليق : ١ — ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

(٣) انظر تفسير « رزق كريم » فيما سلف

وكان فى المطبوعة هنا « طعم ومشرب » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) « النجو » ، ما يخرج من البطن .

(٥) روى مسلم وأبو داود من حديث جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنّ أهْلَ الجنَّةِ يأكلونَ فِيها ويَشْرَبُون، ولا يَتْفُلون ولا يَبُولون ولا يَتغوَّطون ولا يمْتَخِطون . قِيل : فما بالُ الطّعام ؟ قال : جُشاء ورَشْحٌ كرَشْحِ المِسْك ، يُلهمون التسبيح والتحميد كما تُلهمُونَ النفَس ﴾ (صحيح مسلم ١٧ : ١٧٣) .

فى سبيل الله والذين آووا ونصروا » ، الآية ، ولو كان مراداً بالآيات قبل ذلك ، الدلالةُ على حكم ميراثهم ،لم يكن عَقِيبَ ذلك إلا الحثّ على إمضاء الميراث على ما أمر . [1] وفى صحة ذلك كذلك ، الدليلُ الواضح على أن لا ناسخ فى هذه الآيات لشيء ، ولا منسوخ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « والذين آمنوا » ، بالله ورسوله ، بعد تبيانى ما بيَّنت من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضاً ، وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجر = « وهاجروا » ، دارَ الكفر إلى دار الإسلام = « وجاهدوا معكم » ، أيها المؤمنون = « فأولئك منكم » ، فى الولاية ، يجب عليكم لهم من الحق والنصرة فى الدين والموارثة ، مثل الذى يجب لكم عليهم ، ولبعضكم على بعض ، [2] كما :- ١٠/٤١

١٦٣٥٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، قال : ثم ردّ المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم ، إلى الأرحام التى بينهم ، [3] فقال : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ، أى : بالميراث [4] = « إن الله بكل شيء عليم » . [5]

* * *

(١) فى المطبوعة : « إلا الحث على مضى » ، وفى المخطوطة : « على أمضى » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « هاجر » ، و « جاهد » فيما سلف ص : ٨٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ثم المواريث إلى الأرحام التى بينهم » ، أسقط من الكلام تمام الكلام الذى أثبته من سيرة ابن هشام ، وسبب ذلك كما فعل فى رقم : ١٦٣٥٠ ، هو ذكر « الأرحام » مرتين ، فاختلط عليه بصره فنقل ما نقل .

(٤) فى المطبوعة : « أى : فى الميراث » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة والسيرة .

(٥) الأثر : ١٦٣٥٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣٥٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والمتناسبون بالأرحام = « بعضهم أولى ببعض » ، فى الميراث ، إذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيباً وحظّاً ، من الحليف والولى = « فى كتاب الله » ، يقول : فى حكم الله الذى كتبه فى اللوح المحفوظ والسابق من القضاء[1] = « إن الله بكل شيء عليم » ، يقول : إن الله عالم بما يصلح عباده ، فى توريثه بعضهم من بعض فى القرابة والنسب ، دون الحلف بالعقد ، وبغير ذلك من الأمور كلها ، لا يخفى عليه شيء منها .[2]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٥٣ — حدثنا أحمد بن المقدام قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، حدثنا أبى ، قال ، حدثنا قتادة أنه قال : كان لا يرث الأعرابىُّ المهاجرَ ، حتى أنزل الله : « وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » .

١٦٣٥٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا معاذ بن معاذ قال ، حدثنا ابن عون ، عن عيسى بن الحارث : أن أخاه شريح بن الحارث كانت له سُرِّيَّة ، فولدت منه جارية ، فلما شبت الجارية زُوِّجت ، فولدت غلاماً ، ثم ماتت السرِّية ، واختصم شريح بن الحارث والغلام إلى شريح القاضى فى ميراثها ، فجعل شريح بن الحارث يقول : ليس له ميراث فى كتاب الله ! قال : فقضى شريح بالميراث للغلام . قال : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ، فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير ، فأخبره بقضاء شريح وقوله ، فكتب ابن

(١) انظر تفسير « كتاب » فيما سلف ص : ٦٤ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

الزبير إلى شريح : « إن ميسرة أخبرنى أنك قضيت بكذا وكذا » ، وقلت : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ، وإنه ليس كذلك ، إنما نزلت هذه الآية : أنّ الرجل كان يعاقد الرجل يقول : «ترثنى وأرثك » ، فنزلت : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » . فجاء بالكتاب إلى شريح ، فقال شريح : أعتقها حيتان بطنها !(١) وأبى أن يرجع عن قضائه .(٢)

١٦٣٥٥ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون قال ، حدثنى عيسى بن الحارث قال : كانت لشريح بن الحارث سُرِّيّة ، فذكر نحوه = إلا إنه قال فى حديثه : كان الرجل يعاقد الرجل يقول : « ترثنى وأرثك » ، فلما نزلت تُرِك ذلك .(٢)

آخر تفسير « سورة الأنفال »

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

---

(١) فى المطبوعة : « جنين » ، غير ما فى المخطوطة . وفى أخبار القضاة لوكيع « جنان بطنها » ، والذى هنا ، وفى أخبار القضاة ، مشكل ، فأثبته حتى أعرف صوابه ، أو يعرفه غيرى .

(٢) الأثر : ١٦٣٥٤ ، ١٦٣٥٥ — رواه وكيع فى أخبار القضاة ٢ : ٣٢٠ ، ٣٢١، من طريق عمرو بن بشر ، عن حسن بن عيسى ، عن عبد الله ، عن ابن عون ، بنحوه .



تفسير

سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها التوبة ﴾

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ۝٢

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « براءة من الله ورسوله » ، هذه براءة من الله ورسوله .

١٠/٤٢ ف« براءة »، مرفوعة بمحذوف، وهو « هذه » كما قوله : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا ﴾، [سورة النور : ١] ، مرفوعة بمحذوف هو « هذه » . ولو قال قائل : « براءة » مرفوعة بالعائد من ذكرها فى قوله : « إلى الذين عاهدتم » ، وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها، إذ كانت قد صارت بصلتها وهى قوله : « من الله ورسوله » ، كالمعرفة، وصار معنى الكلام : البراءة من الله ورسوله ، إلى الذين عاهدتم من المشركين[1]= كان مذهباً غير مدفوعة صحته ، وإن كان القول الأول أعجبَ إلىّ ، لأن من شأن العرب أن يضمروا لكلّ معاين، نكرةً كان أو معرفةً ذلك المعاين، « هذا » و « هذه » ، فيقولون عند معاينتهم الشىء الحسنَ :« حسن والله » ، والقبيحَ : « قبيح والله »، يريدون: هذا حسن والله، وهذا قبيح والله ، فلذلك اخترت القول الأول.

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « براءة » مكان « البراءة » ، والسياق يقتضى ما أثبت إن شاء الله .

وقال : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم » ، والمعنى إلى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، لأن العهود بين المسلمين والمشركين عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بأمره ، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه ، وأن عقودَ النبي صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم ، لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين ، ولعقوده عليهم مسلِّمين ، فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم ، فلذلك قال : « إلى الذين عاهدتم من المشركين » ، لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فيمن بَرِئَ الله ورسوله إليه من العهد الذى كان بينه وبين رسول الله من المشركين ، فأذن له فى السياحة فى الأرض أربعة أشهر .

فقال بعضهم : هم صنفان من المشركين : أحدهما كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقلَّ من أربعة أشهر ، وأُمْهِل بالسياحة أربعة أشهر = والآخر منهما : كانت مدة عهده بغير أجل محدود ، فقُصِر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه ، ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين ، يقتل حيثما أدرك ويؤسَرُ ، إلاّ أن يتوب .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٥٦ ــ حدثنا بن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميراً على الحاجّ من سنة تسع ، ليقيم للناس حجهم ، والناسُ من أهل الشرك على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ، ونزلت « سورة براءة » فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يُصَدَّ عن البيت أحد جاءه، وأن لا يُخَاف أحد فى الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عامًّا بينه وبين الناس من أهل الشرك . وكانت بين

ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائصَ إلى أجل مسمًّى ،[1] فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سُمِّى لنا، ومنهم من لم يُسَمَّ لنا، فقال: « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » ، أى : لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب = « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » ، إلى قوله: « إن الله برىء من المشركين ورسوله» ، أى : بعد هذه الحجة .[2]

* * *

وقال آخرون : بل كان إمهالُ الله عز وجل بسياحة أربعة أشهر ، مَنْ كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأما من لم يكن له من رسول الله عهد ، فإنما كان أجله خمسين ليلة ، وذلك عشرون من ذى الحجة والمحرم كله . قالوا : وإنما كان ذلك كذلك ، لأن أجَل الذين لا عهد لهم كان إلى انسلاخ الأشهر الحرم، كما قال الله: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ،الآية [سورة التوبة : ٥]. قالوا : والنداء ببراءة، كان يوم الحج الأكبر ، وذلك يوم النحر فى قول قوم ، وفى قول آخرين يوم عرفة ، وذلك خمسون يوماً . قالوا : وأما تأجيل الأشهر الأربعة ، فإنما كان لأهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم نزلت « براءة » . قالوا : ونزلت فى أول شوّال ، فكان انقضاء مدة أجلهم ، انسلاخ الأشهر الحرم . وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول : ابتداء التأجيل كان للفريقين واحداً = ١٠/٤٣ أعنى الذى له العهد ، والذى لا عهد له = غير أن أجل الذى كان له عهد كان أربعة أشهر ، والذى لا عهد له انسلاخ الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء المحرم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) « خصائص » يعنى لأنها لهم خاصة دون غيرهم .

(٢) الأثر : ١٦٣٥٦ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٨

١٦٣٥٧ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » ، قال : حدّ الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر ، يسيحون فيها حيثما شاؤوا، وحدّ أجل من ليس له عهد، انسلاخَ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم ، فذلك خمسون ليلة . فإذا انسلخ الأشهر الحرم ، أمره بأن يضع السيف فيمن عاهد .

١٦٣٥٨ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال: لما نزلت « براءة من الله » ، إلى : « وأن الله مخزى الكافرين » ، يقول : براءة من المشركين الذين كان لهم عهد يوم نزلت « براءة »، فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل « براءة »، أربعة أشهر ، وأمرهم أن يسيحوا فى الأرض أربعة أشهر . وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن تنزل « براءة » ، انسلاخ الأشهر الحرم، وانسلاخ الأشهر الحرم من يوم أذن ببراءة إلى انسلاخ المحرّم ، وهى خمسون ليلة : عشرون من ذى الحجة ، وثلاثون من المحرم = « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » إلى قوله : « واقعدوا لهم كل مرصد » ، يقول : لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت « براءة » وانسلخ الأشهر الحرم ، ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل « براءة » ، أربعة أشهر من يوم أذّن ببراءة ، إلى عشر من أول ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر .

١٦٣٥٩ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » ، قبل أن تنزل « براءة » ، عاهد ناساً من المشركين من أهل مكة وغيرهم ، فنزلت : براءةٌ من الله إلى كل أحد ممن كان عاهدك من المشركين ، فإنى أنقض العهد الذى بينك وبينهم ، فأؤجلهم أربعة أشهر يسيحون

حيث شاؤوا من الأرض آمنين . وأجَّل من لم يكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد، انسلاخَ الأشهر الحرم ، من يوم أذِّن ببراءة، وأذن بها يوم النحر، فكان عشرين من ذى الحجة والمحرم ثلاثين ، فذلك خمسون ليلة . فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبى الله صلى الله عليه وسلم عهد ، يقتلهم حتى يدخلوا فى الإسلام . وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعةٌ من يوم النحر ، أن يضع فيهم السيف أيضاً ، يقتلهم حتى يدخلوا فى الإسلام . فكانت مدة من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر ، ومدة من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، أربعة أشهر : من يوم النحر ، إلى عشر يخلُون من شهر ربيع الآخر .

١٦٣٦٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « براءة من الله ورسوله » ، إلى قوله : « وبشر الذين كفروا بعذاب أليم » ، قال : ذكر لنا أن عليًّا نادى بالأذان ، وأُمِّر على الحاجّ أبو بكر رحمة الله عليهما . وكان العامَ الذى حج فيه المسلمون والمشركون ، ولم يحج المشركون بعد ذلك العام = قوله : « الذين عاهدتم من المشركين » إلى قوله : « إلى مدتهم » ، قال : هم مشركو قريش ، الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمنَ الحديبية ، وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر ، وأمر الله نبيه أن يوفِّى بعهدهم إلى مدتهم ، ومن لا عهد له انسلاخَ المحرّم ، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ولا يقبل منهم إلا ذلك .

* * *

وقال آخرون : كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر وانقضاء ذلك لجميعهم ، وقتاً واحداً. قالوا : وكان ابتداؤه يوم الحج الأكبر ، وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر. ١٠/٤٤

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٦١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » ،

قال : لما نزلت هذه الآية . برئ من عهد كل مشركٍ ، ولم يعاهد بعدها إلا من كان عاهد، وأجرى لكلّ مدتهم = « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » ، لمن دخل عهده فيها، من عشر ذى الحجة، والمحرم، وصفر، وشهر ربيع الأول، وعشر من ربيع الآخر .

١٦٣٦٢ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر قال ، حدثنا محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع ، وبعث علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، بثلاثين أو أربعين آية من « براءة »، فقرأها على الناس، يؤجِّل المشركين أربعة أشهر يسيحون فى الأرض ، فقرأ عليهم « براءة » يوم عرفة ، أجَّل المشركين عشرين من ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشرًا من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم فى منازلهم ، وقال : لا يحجنّ بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عُريان .

١٦٣٦٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » ، عشرون من ذى الحجة، والمحرم، وصفر، وربيع الأول، وعشر من ربيع الآخر. كان ذلك عهدَهم الذى بينهم .

١٦٣٦٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « براءة من الله ورسوله » ، إلى أهل العهد : خزاعة، ومُدْلج ، ومن كان له عهد منهم أو غيرهم .[1] أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجَّ، ثم قال : إنه يحضر المشركون فيطوفون عُرَاةً ، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك . فأرسل أبا بكر وعليًّا رحمة الله عليهما فطافا بالناس بذى المجاز ، وبأمكنتهم التى كانوا يتبايعون بها ، وبالمواسم كلها، فآذنوا أصحابَ العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر ، فهى الأشهر المتواليات : عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون

(١) فى المخطوطة : « ومن كان له أو غيرهم » ، والذى فى المطبوعة : « ومن كان له عهد من غيرهم » ، وصححتها كما ترى .

من شهر ربيع الآخر ، ثم لا عهد لهم . وآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا .

١٦٣٦٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » ، قال : أهل العهد: مدلج ، والعرب الذين عاهدهم ، ومن كان له عهد . قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحج ، ثم قال : إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة ، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك . فأرسل أبا بكر وعلياً رحمة الله عليهما، فطافا بالناس بذى المجاز ، وبأمكنتهم التى كانوا يتبايعون بها ، وبالموسم كله ، وآذنوا أصحابَ العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر ، فهى الأشهر الحرم المنسلخات المتواليات : عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ، ثم لا عهد لهم . وآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا. فآمن الناس أجمعون حينئذ، ولم يَسِحْ أحد . وقال : حين رجع من الطائف، مضى من فوره ذلك فغزا تبوك، بعد إذ جاء إلى المدينة .

* * *

وقال آخرون ممن قال : « ابتداء الأجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحداً» : كان ابتداؤه يوم نزلت « براءة » ، وانقضاء الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء المحرم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٦٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » ، قال : نزلت فى شوال ، فهذه الأربعة الأشهر : شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم .   ١٠/٤٥

* * *

وقال آخرون : إنما كان تأجيلُ الله الأشهرَ الأربعة المشركين فى السياحة، لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقل من أربعة أشهر . أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر ، فإنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يُتمّ له عهده إلى مدته .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٦٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال : قال الكلبي : إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الأربعة الأشهر ، فأتم له الأربعة . ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر ، فهو الذى أمر أن يتم له عهده ، وقال: ﴿ أَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾، [سورة التوبة : ٤] .

* * *

قال أبو جعفر رحمه الله : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب، قولُ من قال : الأجلُ الذى جعله الله لأهل العهد من المشركين، وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر »، إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته. فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه ، فإن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإتمام العهد بينه وبينهم إلى مدته بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، [سورة التوبة : ٤] .

فإن ظن ظانٌّ أن قول الله تعالى ذكره: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾، [سورة التوبة : ٥] ، يدلُّ على خلاف ما قلنا فى ذلك ، إذ كان ذلك ينبىء على أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الأشهر الحرم،[1] قتلَ كل مشرك ، فإن الأمر فى ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الآية التى تتلو ذلك تبين عن صحة ما قلنا،[2] وفسادِ ما ظنه من ظنّ أن انسلاخ الأشهر

(١) فى المطبوعة : « ينبئ عن أن . . . » ، وقد سلف مراراً أن استعمل أبو جعفر « على » مع « ينبئ » ، فأثبتها كما فى المخطوطة ، وهى جائزة لتضمنها معنى « يدل » .
(٢) فى المطبوعة : « تنبئ عن صحة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

الحرم كان يبيح قتل كل مشرك ، كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لم يكن كان له منه عهد، وذلك قوله : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَامُوا لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ، [سورة التوبة : ٧] ، فهؤلاء مشركون ، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم فى عهدهم ، ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم، وترك مظاهرة عدوهم عليهم .

وبعدُ ، فنى الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه حين بعث عليًّا رحمة الله عليه ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم، أمره فيما أمره أن ينادى به فيهم : « ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدته » ، أوضحُ الدليل على صحة ما قلنا . وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه ، وأنه إنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل ، أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود . فأما من كان أجل عهده محدوداً ، ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلاً ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بإتمام عهده إلى غاية أجله مأموراً . وبذلك بعث مناديه ينادى به فى أهل الموسم من العرب .

١٦٣٦٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال ، حدثنى محرّر بن أبى هريرة ، عن أبى هريرة قال : كنت مع على رحمة الله عليه ، حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادى . فكان إذا صَحِل صوته ناديتُ .[1] قلت : بأى شيء كنتم تنادون ؟ قال : بأربع : لا يطُفْ بالكعبة عُريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد

(١) « صحل صوته » ، هو البحح . وله معنى آخر شبيه به فى حديث أم معبد ، فى صفة رسول الله ، بأبى هو وأمى ، صلى الله عليه وسلم قالت : « وفى صوته صحل » ، (بفتحتين) ، وهو مثل البحة فى الصوت . فلا يكون حاداً رفيعاً .

١٠/٤٦ فعهده إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك.[١]

١٦٣٦٩ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا عفان قال ، حدثنا قيس ابن الربيع قال ، حدثنا الشيبانى ، عن الشعبي قال : أخبرنا المحرّر بن أبى هريرة ، عن أبيه قال : كنت مع على رضى الله عنه ، فذكر نحوه = إلا أنه قال : ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فعهده إلى أجله .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : وقد حدث بهذا الحديث شعبة ، فخالف قيساً فى الأجل .

١٦٣٧٠ — فحدثني يعقوب بن إبراهيم ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا عثمان ابن عمر قال، حدثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي ، عن المحرّر بن أبى هريرة، عن أبيه قال : كنت مع على حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة إلى أهل مكة ، فكنت أنادى حتى صَحِل صوتى. فقلت : بأى شيء كنت تنادى ؟ قال : أمرنا أن ننادى : أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ومن كان بينه وبين رسول

(١) الأثر : ١٦٣٦٨ — رواه أبو جعفر بثلاثة أسانيد ، وسيأتى تخريجه فيما بعد .
« قيس » ، هو : « قيس بن الربيع الأسدى » ، لينه أحمد وغيره ، وقد سلف مراراً آخرها رقم : ١٢٨٠٢ .
و « مغيرة » هو : « مغيرة بن مقسم الضبى » ، ثقة، روى له الجماعة . سلف مراراً، آخرها رقم : ١١٣٤٠ .
و « محرر بن أبى هريرة » ، تابعى ثقة ، قليل الحديث ، سلف برقم : ٢٨٦٣ .
وهذا خبر ضعيف إسناده ، لضعف « قيس بن الربيع » .

(٢) الأثر : ١٦٣٦٩ — هذا الإسناد الثانى من حديث المحرر بن أبى هريرة .
« عفان » ، هو : « عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار » ، روى له الجماعة ، كان يروى عن قيس بن الربيع ، ويقع فيه . مضت ترجمته برقم : ٥٣٩٢ .
و « الشيبانى » هو « أبو إسحق الشيبانى » ، « سليمان بن أبى سليمان » ، الإمام ، مضى مراراً ، من آخرها رقم : ١٢٤٨٩ .
وعلة إسناده ضعف « قيس بن الربيع » .
ولكن رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٣١ من طريق شعبة ، عن سليمان الشيبانى ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . انظر التعليق التالى .

الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله إلى أربعة أشهر ، فإذا حلّ الأجل فإن الله برىء من المشركين ورسوله ، ولا يطُفْ البيت عريان ، ولا يحجّ بعد العام مشرك .[١]

* * *

قال أبو جعفر : وأخشى أن يكون هذا الخبر وهماً من ناقله فى الأجل ، لأن الأخبار متظاهرة فى الأجل بخلافه ، مع خلاف قيس شعبة فى نفس هذا الحديث على ما بينته .

* * *

١٦٣٧١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبى إسحق ، عن الحارث الأعور ، عن على رحمة الله عليه قال : أمرت بأربع : أمرت أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ، ولا يطف رجل بالبيت عرياناً ، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مسلمة ، وأن يتمّ إلى كل ذى عهد عهده .[٢]

---

(١) الأثر : ١٦٣٧٠ — هذا هو الإسناد الثالث :

« عثمان بن عمر بن فارس العبدى » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى مراراً . منها رقم : ٥٤٥٨ ، وغيره .

وهذا الخبر من طريق شعبة ، عن المغيرة ، رواه أحمد فى مسنده رقم : ٧٩٦٤ ، ورواه النسائى فى سننه ٥ : ٢٣٤ .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٣١ من طريق أخرى ، عن النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن سليمان الشيبانى وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . انظر التعليق السالف .

واستوفى الكلام فيه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١١١ ، وفى التاريخ ٥ : ٣٨ ، وقال فى التاريخ : « وهذا إسناد جيد ، ولكن فيه نكارة من جهة قول الرواى : إن من كان له عهد فأجله إلى أربعة أشهر . وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ، ولكن الصحيح : أن من كان له عهد فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ ، ولو زاد على أربعة أشهر . ومن ليس له أمد بالكلية ، فله تأجيل أربعة أشهر . بقى قسم ثالث ، وهو : من له أمد يتناهى إلى أقل من أربعة أشهر من يوم التأجيل ، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأول ، فيكون أجله إلى مدته وإن قل . ويحتمل أن يقال إنه يؤجل إلى أربعة أشهر ، لأنه أولى ممن ليس له عهد بالكلية » .

وانظر شرح الخبر فى مسند أحمد .

(٢) الأثر : ١٦٣٧١ — « الحارث الأعور » ، هو « الحارث بن عبد الله الهمدانى » ،

١٦٣٧٢ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن زيد بن يثيع قال : نزلت « براءة » ، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، ثم أرسل عليًّا فأخذها منه . فلما رجع أبو بكر قال : هل نزل فيّ شيء ؟ قال : لا ، ولكنى أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتى . فانطلق إلى مكة ،[١] فقام فيهم بأربع : أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطف بالكعبة عريان ، ولا يدخل الجنة إلاّ نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهدٌ فعهده إلى مدته .[٢]

١٦٣٧٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحق ، عن زيد بن يثيع ، عن على قال : بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزلت : « براءة » بأربع : أن لا يطف بالبيت عريان ، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلاّ نفس مسلمة .[٢]

١٦٣٧٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عبد الأعلى ، عن معمر ،

ضعيف جداً ، سلف مراراً ، انظر رقم : ١٧٤ .
فإسناده ضعيف . وسيأتى بإسناد آخر رقم : ١٦٣٧٤ .

(١) قوله : « فانطلق » ، يعنى علياً رحمه الله .

(٢) الأثران : ١٦٣٧٢ ، ١٦٣٧٣ — حديث زيد بن يثيع ، سيرويه من ثلاث طرق ، هذا ، والذى يليه ، ثم رقم : ١٦٣٧٩ .

و « زيد بن يثيع » ، أو « أثيع » بالتصغير فيهما، تابعى ثقة قليل الحديث ، مضى برقم : ١٥٧٣٧ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده رقم : ٥٩٤ ، من طريق سفيان ، عن أبي إسحق السبيعى ، وإسناده صحيح .

ورواه الترمذى فى كتاب الحج ، باب ما جاء فى كراهية الطواف عرياناً ، وقال : « وفى الباب عن أبي هريرة ، قال أبو عيسى : حديث على حسن » . ويعنى بحديث أبي هريرة ما سلف رقم : ١٦٣٦٨ — ١٦٣٧٠ .

ثم رواه أيضاً فى كتاب التفسير وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وروى أحمد فى مسند أبي بكر رقم: ٤ ، نحو هذا الحديث مطولا ، من حديث زيد بن يثيع ، عن أبي بكر .

عن أبي إسحق ، عن الحارث ، عن على رحمة الله عليه ، قال : بعثت إلى أهل مكة بأربع ، ثم ذكر الحديث .(١)

١٦٣٧٥ — حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى قال ، حدثنا حسين بن محمد قال ، حدثنا سليمان بن قرم ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة ، ثم أتبعه عليًّا فأخذها منه . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، حدث فىّ شىء ؟ قال : لا ، أنت صاحبى فى الغار وعلى الحوض ، ولا يؤدِّى عنى إلا أنا أو علىّ ! وكان الذى بعث به عليًّا أربعاً : لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مُدّته .(٢)

١٦٣٧٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن ابن أبى خالد ، عن عامر قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم عليًّا رحمة الله عليه ، فنادى : ألا لا يحجنّ بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله إلى مدته ، والله برىء من المشركين ورسوله . ١٠/٤٧

١٦٣٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبى جعفر محمد بن على بن حسين

---

(١) الأثر : ١٦٣٧٤ — انظر التعليق على الأثر رقم : ١٦٣٧١ .

(٢) الأثر : ١٦٣٧٥ — « حسين بن محمد المروزى » ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٥٣٣٨ .

و « سليمان بن قرم بن معاذ التيمى » ، ثقة ، غمزوه بالغلو فى التشيع . مضى برقم : ٩١٦٣ .

و « الحكم » هو « الحكم بن عتيبة » ، مضى مراراً .

وهذا الخبر رواه الترمذى فى كتاب التفسير ، من طريق أخرى ، من طريق عباد بن العوام ، عن سفيان بن الحسين ، عن الحكم بن عتيبة ، بنحوه ، وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، من حديث ابن عباس » .

ابن على قال: لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رحمة الله عليه ليقيم الحج للناس ، قيل له : يا رسول الله ، لو بعثتَ إلى أبى بكر ! فقال: لا يؤدِّى عنى إلاّ رجل من أهل بيتى! ثم دعا على ابن أبى طالب رحمة الله عليه ، فقال : اخرج بهذه القصّة من صدر « براءة » ، وأذِّن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بِمِنًى : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته . فخرج على بن أبى طالب رحمة الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء ، حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق . فلما رآه أبو بكر قال : أميرٌ أو مأمور ؟ قال: مأمور ، ثم مضيا رحمة الله عليهما ، فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحجّ التى كانوا عليها فى الجاهلية . حتى إذا كان يوم النحر ، قام على بن أبى طالب رحمة الله عليه ، فأذن فى الناس بالذى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أيها الناس ، لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له إلى مدته . فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان . ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان هذا من « براءة » ، فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العامّ ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى .(١)

١٦٣٧٨ ــ حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال: لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية، بعث بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر وأمَّره على الحج . فلما سار فبلغ

---

(١) الأثر : ١٦٣٧٧ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ .
« حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف الأنصارى » ، ثقة ، تكلموا فيه ، حتى قال ابن سعد : « كان قليل الحديث ، ولا يحتجون بحديثه » ، مضى برقم : ١١٧٤١ .

الشجرة من ذى الحليفة ، أتبعه بعليّ فأخذها منه . فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، أنزل فى شأنى شيء ؟ قال : لا ، ولكن لا يبلِّغ عنى غيرى ، أو رجل منى ، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار ، وأنك صاحبي على الحوض ؟ قال : بلى ، يا رسول الله ! فسار أبو بكر على الحاجّ ، وعليّ يؤذن ببراءة ، فقام يوم الأضحى فقال : لا يقربنّ المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فله عهده إلى مدته ، وإن هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يدخل الجنة إلاّ من كان مسلماً . فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلاّ من الطعن والضرب ! فرجع المشركون ، فلام بعضهم بعضاً وقالوا : ما تصنعون ، وقد أسلمت قريش ؟ فأسلموا .

١٦٣٧٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أبي إسحق، عن زيد بن يثيع ، عن على قال : أمرت بأربع : أن لا يقربَ البيتَ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وأن يتم إلى كل ذى عهد عهده = قال معمر : وقاله قتادة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فقد أنبأت هذه الأخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا ، وأن أجل الأشهر الأربعة إنما كان لمن وصفنا . فأما من كان عهده إلى مدة معلومة، فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنَقْضِه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلاً ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وفَى له بعهده إلى مدته، عن أمر الله ١٠/٤٨ إياه بذلك . وعلى ذلك دلّ ظاهرُ التنزيل ، وتظاهرت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما الأشهر الأربعة ، فإنها كانت أجلَ من ذكرنا . وكان ابتداؤها يوم

---

(١) الأثر : ١٦٣٧٩ – انظر التعليق على الأثرين رقم : ١٦٣٧٢ ، ١٦٣٧٣ .

الحج الأكبر ، وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر متتابعة ، جُعِل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم ، فيها ، السياحةُ فى الأرض ، يذهبون حيث شاؤوا ، لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحدٌ بحرب ولا قتل ولا سلب .

* * *

فإن قال قائل : فإذا كان الأمر فى ذلك كما وصفت ، فما وجه قوله : ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾،[سورة التوبة : ٥]. وقد علمت أنّ انسلاخها انسلاخ المحرّم ، وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر ، وإنما بين يوم الحجّ الأكبر وانسلاخ الأشهر الحرم خمسون يوماً أكثرُه ، فأين الخمسون يوماً من الأشهر الأربعة ؟

قيل : إن انسلاخَ الأشهر الحرم ، إنما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأشهر الأربعة لمن له عهد ، إما إلى أجل غير محدود ، وإما إلى أجل محدود قد نقضه ، فصار بنقضه إياه بمعنى من خيف خيانته ، فاستحقّ النبذ إليه على سواء ، غير أنه جُعل له الاستعداد لنفسه والارتياد لها من الأجل الأربعة الأشهر . ألا ترى الله يقول لأصحاب الأشهر الأربعة ، ويصفهم بأنهم أهل عهد : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله » ، ووصف المجعول لهم انسلاخ الأشهر الحرم أجلاً ، بأنهم أهل شرك لا أهل عهد فقال : « وأذانٌ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » الآية = « إلا الذين عاهدتم من المشركين » الآية ؟ ثم قال : «فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، فأمر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ، وبإتمام عهد الذين لهم عهد ، إذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين ، وإدخال النقص فيه عليهم .

* * *

فإن قال قائل : وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الأكبر ،

دون أن يكون كان من شوال ، على ما قاله قائلو ذلك ؟

قيل له : إن قائلى ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول « براءة » ، وذلك غير جائز أن يكون صحيحاً ، لأن المجعول له أجلُ السياحة إلى وقت محدود ، إذا لم يعلم ما جُعل له ، ولا سيما مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه ، فكمن لم يجعل له ذلك ، لأنه إذا لم يعلم ما له فى الأجل الذى جُعل له وما عليه بعد انقضائه ، فهو كهيئته قبل الذى جُعل له من الأجل . ومعلوم أن القوم لم يعلموا بما جُعل لهم من ذلك ، إلاّ حين نودى فيهم بالموسم . وإذا كان ذلك كذلك ، صحّ أن ابتداءه ما قلنا ، وانقضاءه كان ما وصفنا .

* *

وأما قوله : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » ، فإنه يعنى : فسيروا فيها مقبلين ومدبرين ، آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه .

* * *

يقال منه : « ساح فلان فى الأرض يسيح ، سياحة ، وسُيُوحاً ، وسَيَحاناً » .

* * *

وأما قوله : « واعلموا أنكم غير معجزى الله » ، فإنه يقول لأهل العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ قبل نزول هذه الآية : اعلموا ، أيها المشركون ، أنكم إن سحتم فى الأرض ، واخترتم ذلك مع كفركم بالله ، على الإقرار بتوحيد الله وتصديق رسوله = « غير معجزى الله » ، يقول : غير مُفيتيه بأنفسكم ، لأنكم حيث ذهبتم وأين كنتم من الأرض ، ففى قبضته وسلطانه ، لا يمنعكم منه وزيرٌ ، ولا يحول بينكم وبينه إذا أرادكم بعذاب معقلٌ ولا موئل ،[1] إلا الإيمان به وبرسوله ، والتوبة من معصيته . يقول : فبادروا عقوبته بتوبة ، ودعوا السياحة التى لا تنفعكم .

٤٩/١٠

* * *

(١) انظر تفسير « الإعجاز » فيما سلف ١٢ : ١٣/١٢٨ : ٣١

وأما قوله: « وأن الله مخزى الكافرين»، يقول: واعلموا أن الله مُذلُّ الكافرين، ومُورِثهم العارَ فى الدنيا، والنارَ فى الآخرة.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: وإعلامٌ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر.

* * *

وقد بينا معنى « الأذان » ، فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده.(٢)

* * *

وكان سليمان بن موسى يقول فى ذلك ما :—

١٦٣٨٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال: زعم سليمان بن موسى الشامىّ أن قوله: « وأذان من الله ورسوله »، قال: «الأذان»، القصص، فاتحة «براءة» حتى تختم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾، [سورة التوبة : ٢٨]، فذلك ثمان وعشرون آية.(٣)

١٦٣٨١ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « وأذان من الله ورسوله »، قال: إعلام من الله ورسوله.

* * *

ورفع قوله: « وأذان من الله »، عطفاً على قوله: « براءة من الله »، كأنه قال: هذه براءة من الله ورسوله، وأذانٌ من الله.

* * *

(١) انظر تفسير « الخزى » فيما سلف ١٠ : ٣١٨، تعليق : ٢، والمراجع هناك.

(٢) انظر تفسير « الأذان » فيما سلف ... تعليق : ... والمراجع هناك.

(٣) الأثر : ١٦٣٨٠ — « سليمان بن موسى الأموى الدمشق »، الأشدق، فقيه أهل الشأم فى زمانه. مضى برقم : ١٥٦٥٤، ١٥٦٥٥.

وأما قوله : « يوم الحج الأكبر » ، فإن فيه اختلافاً بين أهل العلم .

فقال بعضهم : هو يوم عرفة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٨٢ — حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد قال ، أخبرنا حيوة بن شريح قال ، أخبرنا أبو صخر : أنه سمع أبا معاوية البجلىّ من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصهباء البكرى وهو يقول : سألت على بن أبي طالب رضى الله عنه عن« يوم الحج الأكبر »فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة رضى الله عنه يقيم للناس الحج ، وبعثنى معه بأربعين آية من براءة ، حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة ، فلما قضى خطبته التفت إلىّ فقال : قم ، يا على، وأدِّ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من « براءة » ، ثم صدرنا ،[1] حتى أتينا مِنًى ، فرميت الجمرة ونحرتُ البدنة ، ثم حلقت رأسى ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة ، فطفقت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم .[2] فمن ثَمَّ إخال حسبتم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عرفة .[3]

---

(١) « صدر عن الماء والبلاد » ، رجع . و « الصدر » ، (بفتحتين) ليلة رجوع الناس من عرفة إلى منى . و « صدار البيت » (بضم الصاد وتشديد الدال) : الحجاج الراجعون من حجهم .

(٢) « الفساطيط » جمع « فسطاط » ، مثل السرادق ، وهو أصغر منه ، يتخذه المسافرون .

(٣) الأثر : ١٦٣٨٢ — سبق شرح هذا الإسناد برقم : ٥٣٨٦ . « أبو زرعة »، « وهب الله بن راشد المصرى » ، مضى مراراً ، آخرها برقم : ١١٥١٠ ، ومراجعه هناك . وكان فى المطبوعة هنا : « أبو زرعة وهبة الله بن راشد قالا » ، جعله رجلين ! ومثله فى المخطوطة مثله ، إلا أنه كتب « قال » بالإفراد ، وقدم الكنية على الاسم . والصواب ما أثبت .

و « حيوة بن شريح » ، مضى مراراً ، آخرها : ١١٥١٠ .

و « أبو صخر » ، هو « حميد بن زياد الخراط » ، قال أحمد : «ليس به بأس» ، أخرج له مسلم . مضى برقم ٤٣٢٥ ، وغيرها كثير .

و « أبو معاوية البجلى » ، هو « عمار بن معاوية الدهنى » ، كما صرح به الطبرى فى رقم : ٤٣٢٥ ، وهو ثقة . مضى فى مواضع .

١٦٣٨٣ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أبي إسحق قال : سألت أبا جُحَيفة عن « يوم الحج الأكبر» فقال : يوم عرفة. فقلت : أمن عندك، أو من أصحاب محمد ؟ قال : كلٌّ ذلك.[1]

١٦٣٨٤ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء قال : الحج الأكبر ، يوم عرفة .

١٦٣٨٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن عمر بن الوليد الشنّيّ ، عن شهاب بن عبّاد العَصَريّ ، عن أبيه قال : قال عمر رحمه الله : يوم الحج الأكبر ، يوم عرفة = فذكرته لسعيد بن المسيب فقال : أخبرك عن ابن عمر : أن عمر قال : الحج الأكبر يومُ عرفة .

١٦٣٨٦ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عمر بن الوليد الشني قال ، حدثنا شهاب بن عباد العصري، عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول : هذا يوم عرفة ، يوم الحج الأكبر ، فلا يصومَنَّه أحد . قال : فحججت بعد أبي فأتيت المدينة، فسألت عن أفضل أهلها، فقالوا: سعيد بن المسيب ، فأتيته فقلت : إني سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا : سعيد بن المسيب ، فأخبرني عن صوم يوم عرفة ؟ فقال : أخبرك عمن هو أفضل مني مئة ضعف ،[2] عمر ، أو : ابن عمر ، كان ينهى عن صومه ويقول : هو يوم الحج الأكبر .[3]

و « أبو الصهباء البكري » ، سلف بيانه برقم : ٥٣٨٦ .
وهو إسناد صحيح .

(١) الأثر : ١٦٣٨٣ — « أبو جحيفة السوائي » ، هو « وهب بن عبد الله » ويقال له « وهب الخير » ، مات رسول الله قبل أن يبلغ الحلم . ثقة ، روى له الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/١٦٢ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٢٢ .

(٢) في المخطوطة : « أفضل مني أضعافاً » ، وفي المخطوطة : « أفضل مني ضعف » ، والصواب من تفسير ابن كثير ٤ : ١١٣ .

(٣) الأثران : ١٦٣٨٥ ، ١٦٣٨٦ — « عمر بن الوليد الشني » ، « أبو سلمة العبدي » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٣٥ ، ١١١٨٥ .

١٦٣٨٧ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبد الصمد ابن حبيب ، عن معقل بن داود قال : سمعت ابن الزبير يقول : يوم عرفة هذا ، يوم الحج الأكبر ، فلا يصمه أحد.[1]

١٦٣٨٨ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا غالب ابن عبيد الله قال : سألت عطاء عن يوم الحج الأكبر فقال : يوم عرفة ، فأفِضْ منها قبل طلوع الفجر.[2] ١٠/٥٠

١٦٣٨٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال ، أخبرني محمد بن قيس بن مخرمة قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ثم قال : « أما بعد » = وكان لا يخطب إلا قال : أما بعد = « فإن هذا يوم الحج الأكبر ».[3]

١٦٣٩٠ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد قال : يوم الحج الأكبر ، يوم عرفة .

« شهاب بن عباد العصري العبدي » ، روى عن أبيه ، وهو غير « شهاب بن عباد العبدي » ، شيخ البخاري ومسلم . ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٣٥ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣٦١ ، ولم يذكرا فيه جرحاً . وذكر في التهذيب في ترجمته : « قال الدارقطني : صدوق زائغ » ، وظني أنه أخطأ ، ذاك « شهاب بن عباد » آخر ، ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ١ : ٤٥١ .

وأبوه : « عباد العصري » ، روى عن عمر ، مترجم في ابن أبي حاتم ٣/١/٨٨ .

(١) الأثر : ١٦٣٨٧ — « عبد الصمد بن حبيب الأزدي العوذي » ، ضعفه البخاري وأحمد . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٥١ .

و « معقل بن داود » ، لم أجد له ترجمة ، وفي ترجمة « عبد الصمد بن حبيب » ، أنه روى عن « معقل القسملي » ، ولكني لم أجد لهذا « القسملي » ، « الأزدي » ، ذكراً في شيء من مراجعي .

(٢) الأثر : ١٦٣٨٨ — « غالب بن عبيد الله العقيلي الجزري » ، منكر الحديث ، مضى برقم : ١٢٢١٤ .

(٣) الأثر : ١٦٣٨٩ — « محمد بن بكر بن عثمان البرساني » ، ثقة ، مضى مراراً .

و « محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف » ، تابعي ثقة ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ، مضى برقم : ١٠٥٢٠ .

١٦٣٩١ ـ حدثني الحارث قال، حدثنا القاسم قال ، حدثنا إسحق بن سليمان، عن سلمة بن بُخْت ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : يوم الحج الأكبر ، يوم عرفة .[١]

١٦٣٩٢ ـ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني طاوس ، عن أبيه قال ، قلنا : ما الحج الأكبر ؟ قال : يوم عرفة .

١٦٣٩٣ ـ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال : أخبرنا ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مخرمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال : هذا يوم الحج الأكبر .

* * *

وقال آخرون : هو يوم النحر .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٩٤ ـ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان، عن أبي إسحق ، عن الحارث، عن علي قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٣٩٥ ـ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا مصعب بن سلام ، عن الأجلح ، عن أبي إسحق ، عن الحارث قال: سمعت علياً يقول : الحج الأكبر ، يوم النحر.

١٦٣٩٦ ـ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال، حدثنا عنبسة ، عن أبي إسحق ، عن الحارث قال: سألت علياً عن الحج الأكبر فقال : هو يوم النحر .

١٦٣٩٧ ـ حدثنا ابن أبي الشوارب قال، حدثنا عبد الواحد قال، حدثنا سليمان

---

(١) الأثر : ١٦٣٩١ - « إسحق بن سليمان الرازي » ، سلف مراراً .
و « سلمة بن بخت » مدني ، مولى قريش ، قال أحمد : « لا بأس به » ، ووثقه ابن معين . مترجم في الكبير ٢/٢/٨٣ ، وابن أبي حاتم ٢/١/١٥٦ . وكان في المطبوعة : « سلمة بن محب » ، وهو خطأ محض ، وهي في المخطوطة ، غير منقوطة .

الشيباني قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى عن الحج الأكبر ، قال : فقال : يوم النحر .(١)

١٦٣٩٨ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عيّاش العامري ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .(٢)

١٦٣٩٩ — . . . . قال ، حدثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٠ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك قال : دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبي أوفى ، قال : فسألته عن يوم الحج الأكبر ، فقال : يوم النحر ، يوم يُهَرَاقُ فيه الدم .

١٦٤٠١ — حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٢ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس ، عن الشيباني قال : سألت ابن أبي أوفى عن يوم الحج الأكبر قال : هو يوم النحر .

١٦٤٠٣ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الشيباني ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٤ — . . . . قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك بن عمير قال ، سمعت عبد الله بن أبي أوفى ، وسُئل عن قوله : « يوم الحج الأكبر » ، قال : هو اليوم الذي يُرَاق فيه الدم ، ويُحلق فيه الشعر .

---

(١) الأثر : ١٦٣٩٦ — « الحارث » ، في هذا الإسناد وما قبله ، هو « الحارث الأعور » ، وقد مضى بيان ضعفه مراراً .

(٢) الأثر : ١٦٣٩٨ — « عياش العامري » ، هو « عياش بن عمرو العامري » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٤٨ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٦ .

و « عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي » ، صحابي شهد بيعة الرضوان . مضى برقم : ٧٧٥٨ .

١٦٤٠٥ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم قال : سمعت يحيى بن الجزار يحدّث ، عن على : أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبّانة ، فجاء رجل فأخذ بلجام بغلته ، فسأله عن الحج الأكبر ، فقال : هو يومك هذا ، خلّ سبيلها .[1]

١٦٤٠٦ — حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، حدثنا إسحق ، عن مالك ابن مغول ،وشُتَير ، عن أبى إسحق ، عن الحارث ، عن على قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن أبى إسحق ، عن الحارث ، عن على قال: سئل عن يوم الحج الأكبر قال : هو يوم النحر.

١٦٤٠٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن على : أنه لقيه رجل يوم النحر فأخذ بلجامه ، فسأله عن يوم الحج الأكبر ، قال : هو هذا اليوم .[2]

١٠/٥١ ١٦٤٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن عبد الملك بن عمير ، وعياش العامرى ، عن عبد الله بن أبى أوفى قال : هو اليوم الذى تُهَراق فيه الدماء .[3]

١٦٤١٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أبى أوفى قال : الحج الأكبر ، يوم تُهَرَاق فيه الدماء،ويحلق فيه الشعر ، ويَحِلّ فيه الحرام .

١٦٤١١ — حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال، حدثنا يحيى بن

---

(١) الأثر : ١٦٤٠٥ — « يحيى بن الجزار » ، ثقة ، كان يغلو فى التشيع ، لم يسمع من على إلا ثلاثة أحاديث ، هذا أحدها ، والحديث الآخر ، مضى برقم : ٥٤٢٥ ، ١٦١٠٦ . وانظر الأثر التالى رقم: ١٦٤٠٨ .

(٢) الأثر : ١٦٤٠٨ — هومكرر الأثر . رقم : ١٦٤٠٥ ، مختصراً .

(٣) الأثر : ١٦٤٠٩ — انظر التعليق على رقم : ١٦٣٩٨ .

عيسى ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن سنان قال : خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير فقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

١٦٤١٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ،عن الأعمش ، عن عبد الله ابن سنان قال : خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير وقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر، وهذا يوم الحج الأكبر .

١٦٤١٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي، عن الأعمش ، عن عبد الله ابن سنان قال : خطبنا المغيرة بن شعبة ، فذكر نحوه .(١)

١٦٤١٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيي بن سعيد ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤١٥ — حدثنا ابن أبي الشوارب قال، حدثنا عبد الواحد قال، حدثنا سليمان الشيباني قال ، سمعت سعيد بن جبير يقول : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤١٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي جحيفة قال : الحج الأكبر ، يوم النحر. (٢)

١٦٤١٧ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر قال : اختصم على بن عبد الله بن عباس ورجل من آل شيبة في «يوم الحج الأكبر»، قال على : هو يوم النحر . وقال الذي من آل شيبة :

---

(١) الآثار ١٦٤١١ — ١٦٤١٣ — «عبد الله بن سنان الأسدي» ، «أبو سنان» ، روى عن على ، وابن مسعود، وضرار بن الأزور ، والمغيرة بن شعبة . روى عنه الأعمش ، وأبو حصين . وهو ثقة له أحاديث . توفي أيام الحجاج، قبل يوم الجماجم . مترجم في ابن سعد ٦ : ١٢٣، وابن أبي حاتم ٢/٢/٦٨ ، وتعجيل المنفعة ص : ٢٢٤ .

وكان في المطبوعة : «عبد الله بن يسار» ، في المواضع كلها ، خطأ محض ، وهو في المخطوطة : «سان» غير منقوط كله .

(٢) الأثر : ١٦٤١٦ — «أبو جحيفة» ، «وهب بن الله» ، سلف برقم : ١٦٣٨٣ .

هو يوم عرفة . فأرسل إلى سعيد بن جبير فسألوه ، فقال : هو يوم النحر ، ألا ترى أن من فاته يوم عرفة لم يفته الحج ، فإذا فاته يوم النحر فقد فاته الحج ؟

١٦٤١٨ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يونس ، عن سعيد بن جبير أنه قال : الحج الأكبر ، يوم النحر. قال فقلت له : إن عبد الله ابن شيبة ، ومحمد بن على بن عبد الله بن عباس اختلفا فى ذلك ، فقال محمد ابن على : هو يوم النحر . وقال عبد الله : هو يوم عرفة . قال سعيد بن جبير : أرأيت لو أن رجلاً فاته يوم عرفة ، أكان يفوته الحج ؟ وإذا فاته يوم النحر فاته الحج !

١٦٤١٩ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ،حدثنا ابن إدريس ، عن الشيبانى ، عن سعيد بن جبير قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٢٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال، حدثنى رجل، عن أبيه، عن قيس بن عبادة قال : ذو الحجة العاشر النحرُ ، وهو يوم الحج الأكبر .

١٦٤٢١ — حدثنا ابن بشار قال،حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن شداد قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر . والحج الأصغر ، العمرة .

١٦٤٢٢ — حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق، عن شريك ، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٢٣ — حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا المحاربى، عن مسلم الحجبى قال : سألت نافع بن جبير بن مطعم عن يوم الحج الأكبر ، قال : يوم النحر .

١٦٤٢٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن المغيرة ، عن إبراهيم قال : كان يقال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٢٥ — حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ،

عن عامر قال : يوم الحج الأكبر ، يوم يُهَراق فيه الدم ، ويحلّ فيه الحرام .

١٦٤٢٦ — حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر ، الذى يحلّ فيه كل حرام .

١٦٤٢٧ — . . . . قال حدثنا هشيم، عن إسمعيل بن أبى خالد، عن الشعبى ، عن على قال : يوم الحج الأكبر، يوم النحر .

١٦٤٢٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن ابن عون قال : سألت محمداً عن يوم الحجّ الأكبر فقال : كان يوماً وافق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج أهل الوَبَر . ١٠/٥٢

١٦٤٢٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير قال ، حدثنا عمر بن ذر قال : سألت مجاهداً عن يوم الحج الأكبر فقال : هو يوم النحر .

١٦٤٣٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن مجاهد: يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٣١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن ثور ، عن مجاهد : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٣٢ — حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال : يوم الحجّ الأكبر ، يوم النحر = وقال عكرمة : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر ، يوم تهراق فيه الدماء ، ويحلّ فيه الحرام = قال وقال مجاهد : يوم يجمع فيه الحج كله ، وهو يوم الحج الأكبر .

١٦٤٣٣ — . . . . قال حدثنا إسرائيل، عن عبد الأعلى، عن محمد بن على : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٣٤ — . . . . قال ، حدثنا إسرائيل، عن عبد الأعلى ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

١٦٤٣٥ — . . . . قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا حماد بن سلمة ،

عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

١٦٤٣٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحق قاله ، قال علي : الحج الأكبر ، يوم النحر = قال : وقال الزهري : يوم النحر ، يوم الحج الأكبر .

١٦٤٣٧ — حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال، حدثنا عمي عبد الله ابن وهب قال ، أخبرني يونس، وعمرو، عن الزهري، عن حميد بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة التي أمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع ، في رَهْط يؤذِّنون في الناس يوم النحر : ألا لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان= قال الزهري : فكان حميد يقول : يوم النحر ، يوم الحج الأكبر .(١)

١٦٤٣٨ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الشعبي ، عن أبي إسحق قال : سألت عبد الله بن شداد عن الحج الأكبر ، والحج الأصغر ، فقال : الحج الأكبر يوم النحر ، والحج الأصغر العمرة .

١٦٤٣٩ — .... قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أبي إسحق قال ، سألت عبد الله بن شداد ، فذكر نحوه

١٦٤٤٠ — .... قال أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول : يوم الحج الأكبر ، يوم يوضع فيه الشعر ، ويُهَراق فيه الدم ، ويحلّ فيه الحرام .(٢)

---

(١) الأثر : ١٦٤٣٧ — « يونس » ، هو « يونس بن يزيد الأيلي » ثقة ، سلف مراراً .
و « عمرو » ، هو « عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري » ، ثقة مضى مراراً .
و « حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري » ، الثقة ، مضى مراراً .
وهذا الخبر رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ٨/٣٨٧ : ٢٣٨ — ٢٤١) من طرق ، واستوفى الكلام عليه الحافظ ابن حجر هناك .
وبمثله في السنن لأبي داود ٢ : ٢٦٤ ، رقم : ١٩٤٦ .

(٢) الأثر : ١٦٤٤٠ — انظر ما سلف رقم : ١٦٣٩٩ .

١٦٤٤١ — . . . . قال ، حدثنا الثورى ، عن أبى إسحق ، عن على قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٤٢ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس ، عن عياش العامرى ، عن عبد الله بن أبى أوفى : أنه سئل عن يوم الحج الأكبر فقال : سبحان الله ، هو يوم تهراق فيه الدماء ، ويحل فيه الحرام ، ويوضع فيه الشعر ، هو يوم النحر .[1]

١٦٤٤٣ — . . . . قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن عبد الله بن سنان ، قال : خطبنا المغيرة بن شعبة على ناقة له فقال : هذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .[2]

١٦٤٤٤ — . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا حسن بن صالح ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال ، يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٤٥ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر ، يحلّ فيه الحرام .

١٦٤٤٦ — حدثنى أحمد بن المقدام قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبيه قال : لما كان ذلك اليوم ، قعد على بعير له ،[3] وأخذ إنسان بخطامه = أو : زمامه = فقال : أى يوم هذا ؟ قال : فسكتنا حتى ظننا أنه سيسمّيه غير اسمه فقال : أليس يوم الحج ؟[4]

---

(١) الأثر : ١٦٤٤٢ — انظر ما سلف رقم : ١٦٣٩٨ .

(٢) الأثر : ١٦٤٤٣ — انظر ما سلف رقم : ١٦٤١١ — ١٦٤١٣ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً : « عبد الله بن يسار » ، والصواب « ابن سنان » ، كما فى المخطوطة أيضاً .

(٣) زاد فى المطبوعة هنا فكتب : « قعد على بعير له النبى » .

(٤) الأثر : ١٦٤٤٦ — رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٣ : ٤٥٩) من طريق أبى عامر العقدى ، عن قرة بن خالد ، عن محمد بن سيرين ، مطولا وفيه : « أليس يوم النحر » .

١٦٤٤٧ — حدثنا سهل بن محمد السجستانى قال ، حدثنا أبو جابر الحرمى قال ، حدثنا هشام بن الغاز الجرشى ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال : هذا يوم الحج الأكبر .(١)

١٠/٥٣

---

(١) الأثر : ١٦٤٤٧ — « سهل بن محمد بن عثمان السجستانى » ، هو « أبو حاتم » ، النحوى ، المقرئ ، البصرى المشهور . ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٠٤ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة ، وتفسير ابن كثير « سهل بن محمد الحسانى » . وكان الصواب هو ما أثبته لما سترى بعد .

و « أبو جابر الحرمى » ، هو « محمد بن عبد الملك الأزدى البصرى » ، نزيل مكة ، مشهور بكنيته . روى عنه « أبو حاتم السجستانى » ، فمن أجل ذلك صححت الاسم السالف « سهل بن محمد السجستانى » . ونسبته « الحرمى » ، كانت فى المخطوطة « الحرفى » ، تشبه أن تكون « باءاً » أو « تاءاً » أو « ثاءاً » ، أو « ميما » ، فرجحت أنها « ميم » لأنه نزيل مكة ، نسبة إلى « الحرم » . وكانت فى المطبوعة : « الحرثى » ، وفى تفسير ابن كثير « الحربى » ، ولم يوجد شيء من ذلك فى ترجمته .

و « أبو جابر » ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال أبو حاتم : « أدركته ، مات قبلنا بيسير ، وليس بقوى » . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/١٦٥ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ٤/١/٥ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٩٥ .

و « هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشى » ، ثقة صالح الحديث . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/١٩٩ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٦٧ .

وهذا الخبر ، خرجه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١١٤ ، وقال : « هكذا رواه ابن أبى حاتم وابن مردويه ، من حديث أبى جابر — واسمه : محمد بن عبد الملك — به . ورواه ابن مردويه أيضاً من حديث الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز . ثم رواه من حديث سعيد بن عبد العزيز ، عن نافع ، به » .

وفاته أن البخارى أخرجه فى صحيحه تعليقاً (الفتح ٣ : ٤٥٩) ، مطولا ، وأخرجه أبو داود فى سننه ٢ : ٢٦٤ رقم : ١٩٤٥ ، من طريق مؤمل بن الفضل ، عن الوليد بن مسلم ، عن هشام ابن الغاز » ، بمثله مطولا .

وأخرجه ابن ماجة فى سننه : ١٠١٦ ، رقم : ٣٠٥٨ ، من طريق هشام بن عمار ، عن صدقة ابن خالد ، عن هشام بن الغاز ، بمثله ، مطولا .

وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٣٩ .

وقال الحافظ ابن حجر (الفتح ٣ : ٤٥٩ ، ٤٦٠) : « وأخرجه الطبرانى عن أحمد بن المعلى ، والإسماعيلى عن جعفر الفريابى ، كلاهما عن هشام بن عمار = وعن جعفر الفريابى ، عن دحيم ، عن الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز ، ومن هذا الوجه أخرجه أبو داود » .

١٦٤٤٨ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مرة الهمدانى ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة حمراء مخضرمة ،(١) فقال : أتدرون أيَّ يوم يومكم ؟ قالوا : يوم النحر ! قال : صدقتم ، يوم الحج الأكبر .(٢)

١٦٤٤٩ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا شعبة قال ، أخبرنى عمرو بن مرة قال ، حدثنا مرة قال ، حدثنا رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه.

١٦٤٥٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا إسمعيل ابن أبي خالد ، عن أبيه ، عن . . . . . . قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا بأربع كلمات حين حج أبو بكر بالناس ، فنادى ببراءة : إنه يوم الحج الأكبر ، ألا إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ألا ولا يطوف بالبيت عريان ، ألا ولا يحج بعد العام مشرك ، ألا ومن كان بينه وبين محمد عهدٌ فأجله إلى مدته ، والله برىء

أما الحاكم ، فقد أخرجه فى المستدرك ٢ : ٣٣١ من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى ، عن الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز ، ثم قال : « وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة . وأكثر هذا المتن مخرج فى الصحيحين إلا قوله : إن يوم الحج الأكبر ، يوم النحر سنة . فإن الأقاويل فيه عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، على خلاف بينهم فيه ، فنهم من قال : يوم عرفة ، ومنهم من قال : يوم النحر » ، ووافقه الذهبى على صحته .

(١) « المخضرمة » ، المقطوع طرف أذنها ، وكان أهل الجاهلية يخضرمون نعمهم ، فلما جاء الإسلام ، أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يخضرموا من غير الموضع الذى يخضرم منه أهل الجاهلية ، فكانت خضرمة أهل الإسلام بائنة من خضرمة أهل الجاهلية .

(٢) الأثر : ١٦٤٤٨ — « رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ربما كان : « عبد الله بن مسعود » ، فقد روى الخبر مطولا ابن ماجة فى السنن : ١٠١٦ ، رقم : ٣٠٥٧ ، من طريق إسماعيل بن توبة ، عن زافر بن سليمان ، عن أبى سنان ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله ابن مسعود » .

وسيأتى برقم : ١٦٤٥٤ ، من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن رجل من أصحاب رسول الله » ، كمثل ما فى رواية ابن ماجه ، ليس فيه « مرة الطيب » .

من المشركين ورسوله .[(١)]

١٦٤٥١ — حدثني يعقوب قال، حدثني هشيم ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٥٢ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يوم الحج الأكبر » ، قال : يوم النحر ، يوم يحلّ فيه المحرم ، وينحر فيه البُدْن . وكان ابن عمر يقول : هو يوم النحر . وكان أبي يقوله . وكان ابن عباس يقول : هو يوم عرفة . ولم أسمع أحداً يقول إنه يوم عرفة إلاّ ابن عباس . قال ابن زيد : والحج يفوت بفوت يوم النحر ، ولا يفوت بفوت يوم عرفة ، إن فاته اليوم لم يفته الليل ، يقف ما بينه وبين طلوع الفجر .

١٦٤٥٣ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : يوم الأضحى ، يوم الحج الأكبر .

١٦٤٥٤ — حدثنا سفيان قال، حدثنا أبي ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة، قال ، حدثني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرفتي هذه ، حسبته قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقة حمراء مُخَضْرَمة فقال : أتدرون أى يوم هذا ؟ هذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .[(٢)]

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « يوم الحج الأكبر » ، حين الحجّ الأكبر ووقته . قال : وذلك أيام الحج كلها، لا يوم بعينه .

---

(١) الأثر : ١٦٤٥٠ — « إسماعيل بن أبي خالد الأحمسى » ، مضى مراراً .
و « أبوه » : « أبو خالد الأحمسى البجلى » ، مترجم فى التهذيب ، روى عن أبي هريرة ، وجابر بن سمرة . ذكره ابن حبان فى الثقات .
وقد حذفت المطبوعة ما أثبت ، وهو « عن . . . » ، وبعدها بياض ، سقط من المخطوطة اسم الصحابى الذى روى عنه أبو خالد هذا الخبر .
ولم أجد الخبر فى مكان آخر .

(٢) الأثر : ١٦٤٥٤ — انظر التعليق على رقم : ١٦٤٤٨ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٥٥ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « يوم الحج الأكبر » ، حين الحجّ، أيامه كلها .

١٦٤٥٦ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : الحج الأكبر ، أيام منى كلها ، ومجامع المشركين حين كانوا بذى المجاز وعكاظ ومَجَنَّة، حين نودى فيهم : أن لا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ، وأن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فعهده إلى مدته .

١٦٤٥٧ — حدثني الحارث قال، حدثنا أبو عبيد قال ، كان سفيان يقول : « يوم الحج » ، و« يوم الجمل » ، و« يوم صفين » ، أى : أيامه كلها .

١٦٤٥٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد فى قوله : « يوم الحج الأكبر »، قال : حين الحجّ ، أى : أيامه كلها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصحة ، قولُ من قال : « يوم الحج الأكبر ، يوم النحر » ، لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليًّا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة إلى المشركين ، وتلا عليهم « براءة » ، يوم النحر . هذا ، مع الأخبار التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم النحر : أتدرون أىّ يوم هذا ؟ هذا يوم الحج الأكبر .

وبعدُ ، فإن « اليوم » ، إنما يضاف إلى المعنى الذى يكون فيه ، كقول الناس : « يوم عرفة » ، وذلك يوم وقوف الناس بعرفة = و« يوم الأضحى » ، وذلك يومٌ ١٠/٥٤

يضحون فيه = « ويوم الفطر » ، وذلك يوم يفطرون فيه . وكذلك« يوم الحج »، يوم يحجون فيه ، وإنما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر ، لأن فى ليلة نهار يوم النحر ، الوقوفُ بعرفة غير فائت إلى طلوع الفجر ،[1] وفى صبيحتها يعمل أعمال الحج . فأما يوم عرفة ، فإنه وإن كان فيه الوقوف بعرفة، فغير فائت الوقوف به إلى طلوع الفجر من ليلة النحر ، والحج كله يوم النحر .

* * *

وأما ما قال مجاهد : من أن « يوم الحج » ، إنما هو أيامه كلها ، فإن ذلك وإن كان جائزاً فى كلام العرب ، فليس بالأشهر الأعرف فى كلام العرب من معانيه ، بل أغلبُ على معنى « اليوم » عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد . وإنما محمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتابُ بلسانه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل لهذا اليوم : « يوم الحج الأكبر » .

فقال بعضهم : سمى بذلك ، لأن ذلك كان فى سنة اجتمع فيها حجّ المسلمين والمشركين .

* ذكر من قال ذلك

١٦٤٥٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن قال : إنما سمى « الحج الأكبر » ، من أجل أنه حج أبو بكر الحجة التى حجها ، واجتمع فيها المسلمون والمشركون، فلذلك سمى« الحج الأكبر»، ووافق أيضاً عيدَ اليهود والنصارى.

١٦٤٦٠ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « الوقوف بعرفة كان إلى طلوع الفجر » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب المحض .

حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : يوم الحج الأكبر ، كانت حجة الوداع ، اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود ، ولم يجتمع قبله ولا بعده .

١٦٤٦١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن قال : قوله : « يوم الحج الأكبر » ، قال : إنما سمى « الحج الأكبر » ، لأنه يوم حج فيه أبو بكر ، ونُبذت فيه العهود .

* * *

وقال آخرون : « الحج الأكبر » ، القِران ، و « الحج الأصغر » ، الإفراد .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٦٢ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا أبو بكر النهشلي ، عن حماد ، عن مجاهد قال : كان يقال : « الحج الأكبر » ، و « الحج الأصغر » ، فالحج الأكبر ، القِران = و « الحج الأصغر » ، إفراد الحج .

* * *

وقال آخرون : « الحج الأكبر » ، الحج = و « الحج الأصغر » ، العمرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٦٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : « الحج الأكبر » ، الحج ، و « الحجّ الأصغر » ، العمرة .

١٦٤٦٤ — . . . . قال ، حدثنا عبد الأعلى ، عن داود ، عن عامر قال : قلت له : هذا الحج الأكبر ، فما « الحج الأصغر » ، قال : العمرة .

١٦٤٦٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي قال : كان يقال : « الحج الأصغر » ، العمرة في رمضان .

١٦٤٦٦ — . . . . قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : كان يقال : « الحج الأصغر » ، العمرة .

١٦٤٦٧ — . . . . قال، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان ، عن أبي أسماء ، عن عبد الله بن شداد قال: « يوم الحج الأكبر »، يوم النحر ، و« الحج الأصغر »، العمرة .

١٦٤٦٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري : أن أهل الجاهلية كانوا يسمون « الحج الأصغر » ، العمرة.

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي ، قول من قال : « الحج الأكبر ، الحج »، لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها ، فقيل له : « الأكبر » ، لذلك . وأما « الأصغر » ، فالعمرة ، لأن عملها أقل من عمل الحج ، فلذلك قيل لها : « الأصغر » ، لنقصان عملها عن عمله .

* * *

وأما قوله : « أن الله بريء من المشركين ورسوله » ، فإن معناه : أن الله بريء من عهد المشركين ورسوله ، بعد هذه الحجة .

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : وإعلام من الله ورسوله إلى الناس في يوم الحج الأكبر : أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان ، كما : —

١٦٤٦٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « أن الله بريء من المشركين ورسوله » ، أي : بعد هذه الحجة .[1]

* * *

(١) الأثر : ١٦٤٦٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣٥٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) ١٠/٥٥

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « فإن تبتم » ، من كفركم ، أيها المشركون ، ورجعتم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له = دون الآلهة والأنداد[١] = فالرجوع إلى ذلك « خير لكم » ، من الإقامة على الشرك فى الدنيا والآخرة = « وإن توليتم » ، يقول : وإن أدبرتم عن الإيمان بالله ، وأبيتم إلا الإقامة على شرككم = «فاعلموا أنكم غير معجزى الله »، يقول : فأيقنوا أنكم لا تُفيتون الله بأنفسكم من أن يحلّ بكم عذابه الأليم وعقابه الشديد ، على إقامتكم على الكفر ،[٢] كما فعل بمن قبلكم من أهل الشرك من إنزال نقمه به،[٣] وإحلاله العذاب عاجلاً بساحته = « وبشر الذين كفروا » ، يقول : وأعلم ، يا محمد ، الذين جحدوا نبوتك وخالفوا أمر ربهم[٤] = « بعذاب »، موجع يحلُّ بهم .[٥]

١٦٤٧٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : « فإن تبتم » ، قال : آمنتم .

* * *

(١) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) .

(٢) انظر تفسير « الإعجاز» فيما سلف ص : ١١١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : «كما فعل بذويكم من أهل الشرك» ، وفى المخطوطة : « كما فعل برونكم » ، ولا أدرى ما هو ، فآثرت أن أجعلها « بمن قبلكم » لتستقيم الضمائر بعد ذلك .

(٤) انظر تفسير « بشر » فيما سلف ١٣ : ٤١٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » ، إلا من عَهْد الذين عاهدتم من المشركين ، أيها المؤمنون[١] = « ثم لم ينقصوكم شيئاً » ، من عهدكم الذى عاهدتموهم = « ولم يظاهروا عليكم أحداً » ، من عدوكم ، فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم ، ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال[٢] = « فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم » ، يقول : فَفُوا لهم بعهدهم الذى عاهدتموهم عليه ،[٣] ولا تنصبوا لهم حرباً إلى انقضاء أجل عهدهم الذى بينكم وبينهم = « إن الله يحب المتقين » ، يقول : إن الله يحب من اتقاه بطاعته ، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .[٤]

١٦٤٧١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم » ، يقول : إلى أجلهم .

١٦٤٧٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إلا الذين عاهدتم من المشركين » ، أى : العهد الخاص إلى الأجل المسمى = « ثم لم ينقصوكم شيئاً » ، الآية .[٥]

---

(١) انظر تفسير « المعاهدة » فيما سلف ص : ٢١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « المظاهرة » فيما سلف ٢ : ٣٠٤ .
(٣) انظر تفسير « الإتمام » فيما سلف ١٣ : ٨٧ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وقى) .
(٥) الأثر : ١٦٤٧٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٤٦٩ .

١٦٤٧٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً » ، الآية ، قال : هم مشركو قريش ، الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر . فأمر الله نبيه أن يوفّي لهم بعهدهم إلى مدتهم ، ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحرم ، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، وأن لا يقبل منهم إلاّ ذلك .

١٦٤٧٤ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : مدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل « براءة » أربعة أشهر ، من يوم أذن ببراءة إلى عشر من شهر ربيع الآخر ، وذلك أربعة أشهر . فإن نقضَ المشركون عهدهم ، وظاهروا عدوًّا، فلا عهد لهم . وإن وفَوْا بعهدهم الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يظاهروا عليه عدواً ، فقد أمر أن يؤدّى إليهم عهدهم ويفي به .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، فإذا انقضى ومضى وخرج .

* * *

يقال منه: «سلخنا شهر كذا نسلَخه سَلْخاً ، وسُلُوخاً» ، بمعنى : خرجنا منه .
ومنه قولهم : « شاة مسلوخة » ، بمعنى : المنزوعة من جلدها، المخرجة منه .[1]

* * *

١٠/٥٦ ويعنى بـ« الأشهر الحرم » ، ذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرم .[2]

* * *

وإنما أريد فى هذا الموضع انسلاخ المحرم وحده ، لأن الأذان كان ببراءة يوم الحج الأكبر . فمعلوم أنهم لم يكونوا أجِّلوا الأشهرَ الحرمَ كلَّها = وقد دللنا على صحة ذلك فيما مضى = ولكنه لما كان متصلاً بالشهرين الآخرين قبله الحرامين ، وكان هو لهما ثالثاً ، وهى كلها متصل بعضها ببعض ، قيل : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، ومعنى الكلام : فإذا انقضت الأشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم ، أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الأعداءَ على رسول الله وعلى أصحابه ، أو كان عهدهم إلى أجل غير معلوم .

* * *

= « فاقتلوا المشركين » ، يقول : فاقتلوهم = « حيث وجدتموهم » ، يقول : حيث لقيتموهم من الأرض ، فى الحرم ، وغير الحرم ، فى الأشهر الحرم وغير الأشهر الحرم = « وخذوهم » يقول : وأسروهم = « واحصروهم » ، يقول : وامنعوهم التصرف فى بلاد الإسلام ودخول مكة = « واقعدوا لهم كل مرصد » ، يقول : واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم = « كل مرصد » ، يعنى : كل طريق ومرقَب .

* * *

وهو « مفعل » ، من قول القائل : « رصدت فلاناً أرصُده رَصْداً » ، بمعنى : رقبته .

* * *

« فإن تابوا » ، يقول : فإن رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد

---

(١) انظر تفسير « الانسلاخ » فيما سلف ١٣ : ٢٦٠ .
(٢) انظر تفسير « الأشهر الحرم » فيما سلف ٣ : ٥٧٥ – ٥٧٩ / ٩ : ٤٦٥ ، ٤٦٦ / ١١ : ٩١ ، ٩٤ .

صلى الله عليه وسلم ،[١] إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد ، والإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم = « وأقاموا الصلاة » ، يقول : وأدّوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها = وأعطوا الزكاة التى أوجبها الله عليهم فى أموالهم أهلها[٢] =« فخلوا سبيلهم » ، يقول : فدعوهم يتصرفون فى أمصاركم ، ويدخلون البيت الحرام = « إن الله غفور رحيم » ، لمن تاب من عباده = فأناب إلى طاعته ، بعد الذى كان عليه من معصيته ، ساتر على ذنبه ، رحيم به ، أن يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته ، بعد التوبة .[٣]

* * *

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى الذين أجِّلوا إلى انسلاخ الأشهر الحرم .

* * *

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٧٥ — حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدى قال ، حدثنا عبيد الله ابن موسى قال ، أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع ، عن أنس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده ، وعبادته لا يشرك به شيئاً ، فارقها والله عنه راضٍ = قال : وقال أنس : هو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم ، قبل هَرْج الأحاديث ،[٤] واختلاف الأهواء . وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما أنزل الله ، قال الله : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » ، قال : توبتهم ، خلع الأوثان ، وعبادة ربهم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ثم قال فى آية أخرى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

---

(١) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة (تاب) .

(٢) انظر تفسير « إقامة الصلاة » ، و « إيتاء الزكاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) ، (أتى) .

(٣) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .

(٤) « هرج الأحاديث » ، الإكثار فيها ، واختلاف المختلفين ، واختلاط أصواتهم .

وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ [سورة التوبة : ١١] .(١)

١٦٤٧٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، حتى ختم آخر الآية . وكان قتادة يقول : خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله، فإنما الناس ثلاثة : رَهْط مسلم عليه الزكاة ، ومشرك عليه الجزية ، وصاحب حرب يأمن بتجارته فى المسلمين إذا أعطى عُشُور ماله .

١٦٤٧٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، وهى الأربعة التى عددت لك = يعنى : عشرين من ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيعاً الأول ، وعشرًا من شهر ربيع الآخر .

* * *

وقال قائلو هذه المقالة: قيل لهذه: « الأشهر الحرم » ، لأن الله عز وجل حرّم على المؤمنين فيها دماءَ المشركين، والعَرْضَ لهم إلاّ بسبيلِ خيرٍ .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ١٦٤٧٥ — « عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى بن هلال الأسدى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ١١١٢٥ .

و « عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى » ، روى له الجماعة، سلف مراراً ، آخرها: ١٣١٧٧ .

وسائر رجال السند ، ثقات ، مضوا جميعاً ، إلا أبا جعفر الرازى ، فقد تكلموا فيه ، وهو ثقة إن شاء الله .

وهذا الخبر رواه ابن ماجة فى سننه : ٢٧ ، رقم : ٧٠ ، من طريقين : من طريق نصر بن على الجهضمى ، عن أبى أحمد ، عن أبى جعفر الرازى ، ثم من طريق أبى حاتم ، عن عبيد الله بن موسى العبسى ، عن أبى جعفر ، بمثله .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٣١ ، ٣٣٢ عن طريق إسحق بن سليمان الرازى ، عن أبى جعفر الرازى ، ولم يقل فيه : « قال أنس : وهو دين الله . . . ، بل ساقه مدرجاً فى الحديث ، ثم قال : « وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وافقه الذهبى ، إلا أنه استدرك عليه فقال : « صدر الخبر مرفوع ، وسائره مدرج فيما أرى » ، وصدق الذهبى .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « والعرض لهم » ، وهو بمعنى « التعرض » .

١٦٤٧٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن إبراهيم بن أبي بكر : أنه أخبره عن مجاهد وعمرو بن شعيب في قوله : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، أنها الأربعة التي قال الله : « فسيحوا في الأرض » ، قال : هي « الحُرُم » ، من أجل أنهم أومنوا فيها حتى يسيحوها.[1] ١٠/٥٧

١٦٤٧٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر» ، قال : ضُرِب لهم أجلُ أربعة أشهر ، وتبرأ من كل مشرك . ثم أمر إذا انسلخت تلك الأشهر الحرم = « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » ، لا تتركوهم يضربون في البلاد ، ولا يخرجوا لتجارة ،[2] ضيِّقوا عليهم بعدها . ثم أمر بالعفو[3]: « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم » .

١٦٤٨٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، يعني : الأربعة التي ضربَ لهم أجلاً = لأهل العهد العامّ من المشركين = « فاقتلوهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » ، الآية .[4]

• • •

---

(١) الأثر : ١٦٤٧٨ — « إبراهيم بن أبي بكر الأخنسي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٠٧٥٨ .

(٢) في المطبوعة : « ولا يخرجون للتجارة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المخطوطة : « بعد ما أمر بالعفو » ، وفي المطبوعة : « بعدها أمر بالعفو » ، وصواب السياق يقتضي ما أثبت ، وزيادة « ثم » .

(٤) الأثر : ١٦٤٨٠ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٤٧٢ ، وقوله : « لأهل العهد العام من المشركين » ، من كلام أبي جعفر ، استظهاراً مما سلف قبله في السيرة ، وفي رقم : ١٦٣٥٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ⦗٦⦘

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن استأمنك ، يا محمد ، من المشركين ، الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ، أحدٌ ليسمع كلام الله منك = وهو القرآن الذى أنزله الله عليه = « فأجره » ، يقول : فأمّنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه = « ثم أبلغه مأمنه » ، يقول : ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبَى أن يسلم ، ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن = « إلى مأمنه » ، يقول : إلى حيث يأمن منك وممن فى طاعتك ، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين[1] = « ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » ، يقول : تفعل ذلك بهم ، من إعطائك إياهم الأمان ليسمعوا القرآن ، وردِّك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم ، من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا ، وما عليهم من الوِزْر والإثم بتركهم الإيمان بالله .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٨١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وإن أحد من المشركين استجارك » ، أى : من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم = « فأجره » .[2]

---

(١) انظر تفسير « الأمن » فيما سلف ١٣ : ٤٢٠ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٤٨١ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٤٨٠ .

١٦٤٨٢ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فأجره حتى يسمع كلام الله » ، أما « كلام الله »، فالقرآن .

١٦٤٨٣ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره » ، قال : إنسان يأتيك فيسمع ما تقول ، ويسمع ما أنزل عليك ، فهو آمنٌ حتى يأتيك فيسمع كلام الله ، وحتى يبلغ مأمنه ، حيث جاءه .[1]

١٦٤٨٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٤٨٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً ، فلقي العدوَّ ، وأخرج المسلمون رجلاً من المشركين وأشرعوا فيه الأسنّة ، فقال الرجل : ارفعوا عني سلاحكم ، وأسمعوني كلام الله ! فقالوا : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع الأنداد، وتتبرأ من اللات والعزى ! فقال : فإنيّ أشهدكم أني قد فعلت !

١٦٤٨٦ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ثم أبلغه مأمنه » ، قال : إن لم يوافقه ما تتلو عليه وتحدثه،[2] فأبلغه . قال : وليس هذا بمنسوخ .

* * *

واختلف في حكم هذه الآية ، هل هو منسوخ أو هو غير منسوخ ؟

فقال بعضهم : هو غير منسوخ ، وقد ذكرنا قول من قال ذلك .

* * *

وقال آخرون : هو منسوخ .

---

(١) في المطبوعة : « حيث جاء » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « ما تقول عليه وتحدثه » ، وفي المخطوطة فوق « تقول » حرف (ط) دلالة على الخطأ ، والصواب ما أثبت .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٨٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، نسختها : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ [سورة محمد: ٤] . ١٠/٥٨

١٦٤٨٨ — . . . . قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، مثله .

* * *

وقال آخرون : بل نسخ قوله : « فاقتلوا المشركين » ، قوله : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ ﴾ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٨٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن ابن أبى عروبة، عن قتادة : ﴿ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾ ، [سورة محمد: ٤]، نسخها قوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى، قولُ من قال : « ليس ذلك بمنسوخ » . وقد دللنا على أن معنى « النسخ » ، هو نفى حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره . [1] ولم تصحّ حجةٌ بوجوب حكم الله فى المشركين بالقتل بكل حال، ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء، ولا على وجه المنّ عليهم . فإذ كان ذلك كذلك ، وكان الفداء والمنّ والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم ، [2] وذلك من يوم بدر = كان معلوماً أن معنى الآية : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم للقتل أو المنّ أو الفداء ، واحصروهم . وإذا كان ذلك معناه ، صحّ ما قلنا فى ذلك دون غيره .

* * *

(١) انظر ما قاله أبو جعفر فى « النسخ » مراراً فى فهارس الكتاب .

(٢) فى المطبوعة : « فكان الفداء » ، وهو خطأ ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أنّى يكون، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، وبأىّ معنى ، يكون للمشركين بربهم عهدٌ وذمة عند الله وعند رسوله ، يوفّى لهم به ، ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون فى البلاد ؟[1] وإنما معناه : لا عهد لهم ، وأنّ الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم ، إلا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم ، فإن الله جل ثناؤه أمرَ المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم ، والاستقامة لهم عليه، ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » .

فقال بعضهم : هم قوم من جذيمة بن الدُّئِل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، هم بنو جذيمة بن الدُّئِل .[2]

---

(١) انظر تفسير « العهد » و « المعاهدة » فيما سلف ص : ١٣٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) هكذا جاء هنا « بنو جذيمة بن الدئل » ، وفى رقم : ١٦٤٩١ : « جذيمة بكر كنانة » . ولا أعلم فى « الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة » ، « جذيمة » فإن « جذيمة كنانة » إنما هم : « بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة » ، أبناء عمومة « الدئل » ، و « بكر بن عبد مناة » .

١٦٤٩١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن عباد بن جعفر قوله : « إلا الذين عاهدتم من المشركين » ، قال : هم جذيمة بكر كنانة .[١]

١٦٤٩٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « كيف يكون للمشركين » ، الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام ،[٢] بأن لا تخيفوهم ولا يخيفوكم فى الحرمة ولا فى الشهر الحرام[٣] = « عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، وهى قبائل بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نَقَضَها إلاّ هذا الحىُّ من قريش ، وبنو الدُّئِل من بكر . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بنى بكر إلى مدته = « فما استقاموا لكم » ، الآية .[٤]

* * *

وقال آخرون : هم قريش

وبنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة ، هم أهل الغميصاء ، الذين أوقع بهم خالد بن الوليد بعد الفتح ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه ليتلافى خطأ خالد بن الوليد ، فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال ، حتى إنه إنه ليدى لهم ميلغة الكلب .

(انظر سيرة ابن هشام ٤ : ٧٠ — ٧٣) .

(١) الأثر : ١٦٤٩١ — راجع التعليق السالف . وكان فى المطبوعة : « بكر ، من كنانة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « كانوا وأنتم » ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام .

(٣) فى المطبوعة : « بأن لا تمنعوهم ولا يمنعوكم من الحرم » ، غير ما فى المخطوطة ، لأنه لم يحسن قراءتها . والصواب ما فى المخطوطة ، مطابقاً لما فى السيرة .

وقوله : « فى الحرمة » ، يعنى فى مكة البلد الحرام ، وسائر مناسك الحج ، وهى بضم الحاء وسكون الراء . وهى من « الحرمة » ، وهو ما لا يحل انتهاكه . وقد قصرت كتب اللغة فى إثبات لفظ « الحرمة » بهذا المعنى الذى فسرته ، وهو كثير فى أخبارهم بالمعنى الذى ذكرت ، فأثبته هناك . ومن أجل هذا ظن الناشر أنه حين كتب « من الحرم » ، أن « الحرمة » لا تأتى بمعنى « الحرم » .

(٤) الأثر : ١٦٤٩٢ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٤٨١ .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس قوله : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، هم قريش .

١٦٤٩٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، يعني : أهل مكة .

١٦٤٩٥ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، يقول : هم قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مدة ، ولا ينبغي لمشرك أن يدخل المسجد الحرام ، ولا يعطى المسلمَ الجزيةَ = « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، يعني أهل العهد من المشركين . ٥٩/١٠

١٦٤٩٦ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، قال : هؤلاء قريش . وقد نسخ هذا الأشهر التي ضربت لهم ، وغدروا بهم فلم يستقيموا ، كما قال الله . فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر ، يختارون من أمرهم : إما أن يسلموا ، وإما أن يلحقوا بأيٍّ بلاد شاؤوا . قال : فأسلموا قبل الأربعة الأشهر ، وقبل قَتْلٍ .[1]

١٦٤٩٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، قال : هو يوم الحديبية ،[2] قال : فلم يستقيموا ، نقضوا عهدهم ،

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وقبل وقبل » ، ولا معنى له ، ولكنه في المخطوطة غير منقوط ، والصواب إن شاء الله ما أثبت .

(٢) كان في المطبوعة : « هم قوم جذيمة » ، وهذا كلام فاسد كل الفساد . وفي المخطوطة :

أى : أعانوا بنى بكرٍ حِلْفَ قريش ، على خزاعة حِلْفِ النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

* * *

وقال آخرون : هم قوم من خزاعة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ابن عيينة، عن ابن جريج ، عن مجاهد: « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام»، قال : أهل العهد من خزاعة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى ، قولُ من قال : هم بعضُ بنى بكر من كنانة ، ممن كان أقام على عهده ، ولم يكن دخل فى نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش، حين نقضوه بمعونتهم حلفاءَهم من بنى الدُّئِل، على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة .

* * *

وإنما قلتُ : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله أمر نبيه والمؤمنين بإتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام، ما استقاموا على عهدهم . وقد بينَّا أن هذه الآيات إنما نادى بها علىٌّ فى سنة تسع من الهجرة، وذلك بعد فتح مكة بسنة ، فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافرٌ يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ ، فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده، لأنّ من كان منهم من ساكنى مكة ، كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات .

* * *

« هم يوم الحدثة » ، وصواب قراءته ما أثبت . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب الهدنة بينه وبين قريش عام الحديبية ، تواثبت بنو بكر بن عبد مناة فقالت : « نحن فى عقد قريش وعهدهم » ، وتواثبت خزاعة فقالت : « نحن فى عقد محمد وعهده » (سيرة ابن هشام ٣ : ٣٣٢) . ثم كان بعد ذلك بمدة أن تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ، وهم حلف رسول الله ، فكان ذلك أحد الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وفتحها . وهذا ما دل عليه سائر الخبر .

(١) هو « حلفه » ، أى : حليفه ، وهو الذى بينه وبينه عهد .

وأما قوله : « إن الله يحب المتقين » ، فإن معناه : إن الله يحب من اتقى الله وراقبه فى أداء فرائضه، والوفاء بعهده لمن عاهده ، واجتناب معاصيه ، وترك الغدر بعهوده لمن عاهده .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أو لمن لا عهد له منهم منكم ، أيها المؤمنون ، عهد وذمة ، وهم= « إن يظهروا عليكم » ، يغلبوكم = « لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمة » .

* * *

واكتفى بـ« كيف » ، دليلاً على معنى الكلام ، لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها . وكذلك تفعل العرب ، إذا أعادت الحرف بعد مضىّ معناه ، استجازوا حذف الفعل ، كما قال الشاعر :[1]

وَخَبَّرْتُمَانِى أَنَّمَا ٱلْمَوْتُ فِى ٱلْقُرَى فَكَيْفَ وَهَذِى هَضْبَةٌ وَكَثِيبُ[2]

فحذف الفعل بعد « كيف » ، لتقدم ما يراد بعدها قبلها. ومعنى الكلام : فكيف يكون الموت فى القرى ، وهذى هضبة وكثيب ، لا ينجو فيهما منه أحد ؟

* * *

(١) هو كعب بن سعد الغنوى .

(٢) الأصمعيات : ٩٩ ، طبقات فحول الشعراء : ١٧٦ ، أمالى القالى ٢ : ١٥١ ، جمهرة أشعار العرب : ١٣٥ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٤ وغيرها كثير . وهى من أشهر المراثى وأنبلها . وكان لكعب بن سعد أخ يقال له « أبو المغوار » ، فأخذ المدينة وباء ، فنصحوه بأن يفر بأخيه من الأرض الوبيئة ، لينجو من طوارق الموت ، فلما خرج به إلى البادية هلك أخوه ، فتفجع عليه تفجع العربى النبيل .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة » .

فقال بعضهم ، معناه : لايرقبوا الله فيكم ولا عهداً .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إلاًّ﴾، [سورة التوبة: ١٠] ، قال: الله .

١٦٥٠٠ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان ، عن أبى مجلز فى قوله: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ ، قال: مثل قوله: « جبرائيل» ، « ميكائيل » ، « إسرافيل » ، كأنه يقول : يضيف « جَبْر » ، و « ميكا » ، و« إسراف» ، إلى « إيل» ،[1] يقول: عبد الله = « لا يرقبون فى مؤمن إلاًّ » ، كأنه يقول : لا يرقبون الله . ١٠/٦٠

١٦٥٠١ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنى محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلاّ ولا ذمة » ، لا يرقبون الله ولا غيره .

* * *

وقال آخرون : « الإلّ » ، القرابة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ،عن ابن عباس قوله: ﴿لايَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾، يقول : قرابةً ولا عهداً . وقوله : « وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة »، قال : « الإل » ، يعنى القرابة ، و«الذمة » ، العهد .

١٦٥٠٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى

---

(١) فى المخطوطة : « كأنه يقول : يضاف جبر » ، وفى المخطوطة : « كأنه يقول جبر يضف جبر . . . » . وفى المخطوطة أيضاً « سراف » بغير ألف .

قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة » ، « الإلّ » ، القرابة ، و« الذمة » ، العهد ، يعنى أهل العهد من المشركين ، يقول : ذمتهم .

١٦٥٠٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية وعبدة ، عن جويبر ، عن الضحاك ، « الإلّ » ، القرابة .[1]

١٦٥٠٥ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا محمد بن عبد الله ، عن سلمة بن كهيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ ، قال : « الإلّ » ، القرابة ، و« الذمة » ، العهد .

١٦٥٠٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت ، الضحاك يقول فى قوله : ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ ، « الإل » ، القرابة ، و« الذمة » ، الميثاق .

١٦٥٠٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كيف وإن يظهروا عليكم » ، المشركون = « لا يرقبوا فيكم » ، عهداً ولا قرابة ولا ميثاقاً .

* * *

وقال آخرون : معناه الحلف .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٠٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يرقبوا فيكم إلّا ولا ذمة » ، قال « الإلّ » ، الحلف ، و« الذمة » ، العهد .

* * *

وقال آخرون : « الإلّ » ، هو العهد ، ولكنه كرِّر لما اختلف اللفظان ، وإن كان معناهما واحداً .

---

(١) الأثر : ١٦٥٠٤ — فى المطبوعة : « عن حوشب ، عن الضحاك » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب . وهذا إسناد مضى مثله مراراً .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٥٠٩ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلا »، قال : عهداً .

١٦٥١٠ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة » ، قال : لا يرقبوا فيكم عهداً ولا ذمة . قال : إحداهما من صاحبتها كهيئة « غفور »،«رحيم » ، قال: فالكلمة واحدة ، وهى تفترق . قال: والعهد هو « الذمة » .

١٦٥١١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى،عن أبيه ، عن خصيف ، عن مجاهد « ولا ذمة » ، قال : العهد .

١٦٥١٢ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن خصيف ، عن مجاهد : « ولا ذمة » ، قال : « الذمة » ، العهد .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيَّه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، وحصرهم والقعود لهم على كل مرصد : أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم« إلا» .

و « الإلّ »، اسم يشتمل على معان ثلاثة : وهى العهد ، والعقد ، والحلف ، والقرابة ، وهو أيضاً بمعنى « الله » . فإذْ كانت الكلمة تشمل هذه المعانى الثلاثة ، ولم يكن الله خصّ من ذلك معنى دون معنى ، فالصواب أن يُعَمّ ذلك كما عمّ بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة ، فيقال : لا يرقبون فى مؤمنٍ اللهَ ولا قرابةً ولا عهداً ولا ميثاقاً .

ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى « القرابة » ، قول ابن مقبل :

أفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَعُوا الإلّ وَأعْرَاقَ الرَّحِمْ[1]

---

(١) من أبيات مفرقة ، لم أجدها مجموعة فى مكان ، وهذا بيت لم أجده أيضاً فى مكان آخر . و « خلوف » جمع « خلف » (بفتح فسكون) ، وهم بقية السوء والأشرار تخلف من سبقها . وفى المخطوطة : « أخلفوا » بالألف ، والصواب ما فى المطبوعة . و « الأعراق » جمع « عرق » ، وعرق

بمعنى : قطعوا القرابة ، وقول حسان بن ثابت :

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعامِ[1]

وأما معناه إذا كان بمعنى « العهد » ، فقول القائل :[2]

وَجَــدْناهُمُ كَاذِباً إِلُّهُمْ وَذُو الإلِّ وَالْعَهْدِ لاَ يَكْذِبُ

٦١/١٠٠

* * *

وقد زعم بعض من ينسب إلى معرفة كلام العرب من البصريين : أن « الإلّ » ، و « العهد » ، و « الميثاق » ، و « اليمين » ، واحد = وأن « الذمة » في هذا الموضع ، التذمم ممن لا عهد له ، والجمع « ذِمَم » .[3]

* * *

وكان ابن إسحق يقول : عنى بهذه الآية أهل العهد العام .

١٦٥١٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « كيف وإن يظهروا عليكم » ، أي : المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل العهد

كل شيء : أصله الذي منه ثبت . ويقال منه : « تدراكه أعراق خير ، وأعراق شر » .

(١) ديوانه : ٤٠٧ ، واللسان (ألل) ، من أبيات هجا بها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخوه من الرضاعة ، وكان ممن يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أبو سفيان ممن يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويهجوه ، ويؤذى المسلمين ، فانبرى له حسان فأخذ منه كل مأخذ . ثم أسلم في فتح مكة ، وشهد حنيناً ، وثبت فيمن ثبت مع نبي الله ، وظل آخذاً بلجام بغلة رسول الله يكفها ورسول الله يركضها إلى الكفار . ثم ظل أبو سفيان بعد ذلك لا يرفع رأسه إلى رسول الله حياء منه .

ولكن كان من هجاء حسان له ، بعد البيت :

فَإِنَّكَ إِن تَمُتُّ إلى قُرَيْشٍ كَذَاتِ البَوِّ جائِلَةَ المَرَامِ
وَأَنْتَ مُنَوَّطٌ بِهِمُ هَجِينٌ كما نِيطَ السَّرَائِحُ بالخِدَامِ
فَلاَ تَفْخَرْ بِقَوْمٍ لَسْتَ مِنْهُمْ ولاَ تَكُ كالِّلئَامِ بَنِي هِشَامِ

و « السقب » ، ولد الناقة ساعة يولد . و « الرأل » ، ولد النعام . يقول : ما قرابتك في قريش ، إلا كقرابة الفصيل ، من ولد النعام !

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) هو أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٢٥٣ .

العام = « لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة » .[١]

* * *

فأما قوله : « يرضونكم بأفواههم » ، فإنه يقول : يعطونكم بألسنتهم من القول، خلاف ما يضمرونه لكم فى نفوسهم من العداوة والبغضاء [٢] = « وتأبى قلوبهم »، أى : تأبَى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم، بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم . يحذّر جل ثناؤه أمرَهم المؤمنين ، ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله، وأن لا يقصِّروا فى مكروههم بكل ما قدروا عليه = « وأكثرهم فاسقون »، يقول : وأكثرهم مخالفون عهدَكم ، ناقضون له، كافرون بربهم ، خارجون عن طاعته .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : ابتاع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله، أيها المؤمنون ، بقتلهم حيث وجدتموهم ، بتركهم اتباعَ ما احتج الله به عليهم من حججه، يسيراً من العوض قليلاً من عَرَض الدنيا .[٤]

* * *

وذلك أنهم ، فيما ذُكر عنهم ، كانوا نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول

---

(١) الأثر : ١٦٥١٣ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٤٩٢ .

(٢) انظر تفسير « بدت البغضاء من أفواههم » ٧ : ١٤٥ – ١٤٧ / و« يقولون بأفواههم» ٧ : ٣٧٨ / و «قالوا آمنا بأفواههم» ١٠ : ٣٠١ – ٣٠٨ .

(٣) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

(٤) انظر تفسير « اشترى » فيما سلف ١٠ : ٣٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الآيات » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .
= وتفسير « الثمن القليل » فيما سلف ١٠ : ٣٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

الله صلى الله عليه وسلم بأكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب .

١٦٥١٤ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً » ، قال : أبو سفيان بن حرب ، أطعم حلفاءه ، وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم .

١٦٥١٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وأما قوله : « فصدوا عن سبيله » ، فإن معناه : فمنعوا الناس من الدخول في الإسلام ، وحاولوا ردَّ المسلمين عن دينهم[1] = « إنهم ساء ما كانوا يعملون » ، يقول جل ثناؤه : إن هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم ، ساء عملهم الذي كانوا يعملون ، من اشترائهم الكفرَ بالإيمان ، والضلالة بالهدى ، وصدهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله ، أو من أراد أن يؤمن .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لا يتقي هؤلاء المشركون الذين أمرتكم ، أيها المؤمنون ، بقتلهم حيث وجدتموهم ، في قتل مؤمن لو قدروا عليه = « إلا ولا ذمة » ، يقول : فلا تبقوا عليهم ، أيها المؤمنون ، كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم[3] = « وأولئك هم المعتدون » ، يقول : المتجاوزون فيكم إلى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء .[4]

* * *

(١) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ١٣ : ٥٨١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٢) انظر تفسير « ساء » فيما سلف ١٣ : ٢٧٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الإل » و « الذمة » فيما سلف قريباً ص : ١٤٥ — ١٤٩ .

(٤) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف ١٣ : ١٨٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : فإن رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم ، أيها المؤمنون ، بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله ، إلى الإيمان به وبرسوله ، وأنابوا إلى طاعته = « وأقاموا الصلاة » ، المكتوبة ، فأدّوها بحدودها = « وآتوا الزكاة » ، المفروضة أهلَها[1] = « فإخوانكم فى الدين » ، يقول : فهم إخوانكم فى الدين الذى أمركم الله به ، وهو الإسلام = « ونفصل الآيات » ، يقول : ونبين حجج الله وأدلته على خلقه[2] = « لقوم يعلمون » ، ما بُيِّن لهم ، فنشرحها لهم مفصلة ، دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥١٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين » ، يقول : إن تركوا اللات والعزّى ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله = « فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون » . ٦٢/١٠

١٦٥١٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ليث ،

---

(١) انظر تفسير « التوبة » و « إقامة الصلاة » و « إيتاء الزكاة » فى فهارس اللغة (توب) ، (قوم) ، (أتى) .

(٢) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ١٣ : ٢٥٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الآيات » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

عن رجل ، عن ابن عباس : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، قال : حرَّمت هذه الآية دماءَ أهل القِبْلة .

١٦٥١٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : افترضت الصلاة والزكاة جميعاً لم يفرِّق بينهما . وقرأ : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين » ، وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة . وقال : رحم الله أبا بكر ، ما كان أفقهه !

١٦٥١٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ومن لم يزك فلا صلاة له .

* * *

وقيل : « فإخوانكم » ، فرفع بضمير : « فهم إخوانكم » ، إذ كان قد جرى ذكرهم قبل ، كما قال : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٥] ، بمعنى : فهم إخوانكم فى الدين .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش ، عهودَهم من بعد ما عاقدوكم أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحداً من أعدائكم(٢) = « وطعنوا فى دينكم » ، يقول : وقدَحوا فى دينكم الإسلام ،

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٥ .

(٢) انظر تفسير « نكث » فيما سلف ١٣ : ٧٣ .

فثلبوه وعابوه[١] = « فقاتلوا أئمة الكفر » ، يقول : فقاتلوا رؤساء الكفر بالله[٢] = « إنهم لا أيمان لهم » ، يقول : إن رؤساء الكفر لا عهد لهم[٣] = « لعلهم ينتهون »، لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم والمظاهرة عليكم .[٤]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف بينهم فى المعنيِّين بأئمة الكفر .

فقال بعضهم : هم أبو جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، ونظراؤهم . وكان حذيفة يقول : لم يأت أهلها بعدُ .

* ذكر من قال : هم من سمَّيتُ .

١٦٥٢٠ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم »، إلى : « لعلهم ينتهون »، يعنى أهل العهد من المشركين ، سماهم « أئمة الكفر » ، وهم كذلك . يقول الله لنبيه : وإن نكثوا العهد الذى بينك وبينهم ، فقاتلهم ، أئمةُ الكفر لا أيمان لهم[٥] = « لعلهم ينتهون » .

١٦٥٢١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم » إلى : « ينتهون » ، فكان من أئمة الكفر : أبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان ، وسهيل ابن عمرو ، وهم الذين همُّوا بإخراجه .

١٦٥٢٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،

(١) فى المطبوعة : « فثلموه » ، والصواب من المخطوطة .
(٢) انظر تفسير « الإمام » فيما سلف ٣ : ١٨ .
(٣) انظر تفسير « اليمين » فيما سلف ٨ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨١ .
(٤) انظر تفسير « الانتهاء » فيما سلف ١٣ : ٥٤٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٥) أثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض ، وصححها فى المطبوعة هكذا ، كما ظن : « فقاتل أئمة الكفر لأنهم لا أيمان لهم » ، فزاد وغير ! !

عن قتادة : « أئمة الكفر » ، أبو سفيان ، وأبو جهل ، وأمية بن خلف ، وسهيل ابن عمرو ، وعتبة بن ربيعة .

١٦٥٢٣ — حدثنا ابن وكيع وابن بشار = قال، ابن وكيع ، حدثنا غندر = وقال ابن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر = ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد : « فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم » ، قال : أبو سفيان منهم .

١٦٥٢٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن نكثوا أيمانهم » ، إلى : « ينتهون » ، هؤلاء قريش. يقول : إن نكثوا عهدهم الذى عاهدوا على الإسلام ، وطعنوا فيه ، فقاتلهم .[١]

١٦٥٢٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، يعنى رؤوسَ المشركين ، أهلَ مكة .

١٦٥٢٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، أبو سفيان بن حرب ، وأمية ابن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين نكثوا عهد الله ، وهمُّوا بإخراج الرسول . وليس والله كما تأوَّله أهل الشبهات والبدع والفِرَى على الله وعلى كتابه .[٢]

١٠/٦٣

* * *

* ذكر الرواية عن حذيفة بالذى ذكرنا عنه :

١٦٥٢٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن حذيفة : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، قال : ما قوتل أهلُ هذه الآية بعدُ .[٣]

---

(١) فى المطبوعة : « فقاتلوهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) « الفرى » (بكسر ففتح) جمع « فرية » ، وهى الكذب . ويعنى بذلك الخوارج ، فهم يستدلون بهذه الآية على قتال من خالفهم من أهل القبلة ، ويستحلون بها دماءهم وأموالهم .

(٣) الأثر : ١٦٥٢٧ — « زيد بن وهب الهمدانى الجهنى » ، تابعى مخضرم ، سمع عمر ،

١٦٥٢٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا حبيب بن حسان ، عن زيد بن وهب قال : كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، فقال : ما قوتل أهل هذه الآية بعدُ .[1]

١٦٥٢٩ — حدثني أبو السائب قال، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب قال : قرأ حذيفة : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعدُ.[2]

١٦٥٣٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، وإسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن صلة بن زفر : « إنهم لا أيمان لهم » ، لا عهد لهم .[3]

١٦٥٣١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وإن نكثوا أيمانهم » ، قال : عهدهم .

١٦٥٣٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن نكثوا أيمانهم » ، عهدهم الذى عاهدوا على الإسلام .

١٦٥٣٣ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن أبي إسحق، عن صلة، عن عمار بن ياسر فى قوله: « لا أيمان لهم»، قال: لاعهد لهم .[4]

وعبد الله ، وحذيفة ، وأبا الدرداء . روى له الجماعة . مضى برقم : ٤٢٢٢ .

وهذا الخبر رواه البخارى مطولا (الفتح ٨ : ٢٤٣) ، بغير هذا اللفظ ، من طريق محمد ابن المثنى، عن يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زيد بن وهب قال ،كنا عند حذيفة . . »

وانظر الأثر التالى ، والذى بعده .

(١) الأثر : ١٦٥٢٨ — مكرر الأثر السالف ، وانظر تخريجه هناك .

و « حبيب بن حسان » ، هو « حبيب بن أبي الأشرس » ، وهو « حبيب بن أبي هلال » ، منكر الحديث ، متروك قال ابن حبان : « منكر الحديث جداً ، وكان قد عشق نصرانية ، فقيل إنه تنصر وتزوج بها . فأما اختلافه إلى البيعة من أجلها فصحيح » . وقال يحيى بن معين : « كانت له جاريتان نصرانيتان ، فكان يذهب معهما إلى البيعة » .

مترجم فى الكبير ٣١١/٢/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٢٠٩ ، ٢١١ ، ولسان الميزان ٢ : ١٦٧ ، ١٧٠ .

(٢) الأثر : ١٦٥٢٨ — مكرر الأثرين السالفين .

(٣) الأثر : ١٦٥٣٠ — « صلة بن زفر العبسى » تابعى ثقة . روى له الجماعة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٢٢/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٤٤٦/١/٢ .

وانظر رقم : ١٦٥٣٣ ، مرفوعاً إلى عمار بن ياسر . ورقم : ١٦٥٣٤ ، مرفوعاً إلى حذيفة .

(٤) الأثر : ١٦٥٣٣ — مكرر الأثر رقم ١٦٥٣٠ ، مرفوعاً إلى عمار بن ياسر .

١٦٥٣٤ — حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة في قوله : « فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم »، قال : لا عهد لهم .[1]

* * *

وأما « النكث » فإن أصله النقض، يقال منه : « نكث فلان قُوَى حبله »، إذا نقضها .[2]

* * *

و« الأيمان » جمع « اليمين » .[3]

* * *

واختلفت القرأة في قراءة قوله : « إنهم لا أيمان لهم » .

فقرأه قرأة الحجاز والعراق وغيرهم: ﴿إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ ،بفتح الألف من « أيمان » بمعنى : لا عهود لهم ، على ما قد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه .

* * *

وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك : ﴿إِنَّهُمْ لاَ إِيمَانَ لَهُمْ﴾، بكسر الألف ، بمعنى : لا إسلام لهم .

* * *

وقد يتوجَّه لقراءته كذلك وجهٌ غير هذا . وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك : أنهم لا أمان لهم = أي : لا تؤمنوهم ، ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم = كأنه أراد المصدر من قول القائل : « آمنته فأنا أومنه إيماناً » .[4]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ، الذي لا أستجيز القراءة بغيره، قراءة من قرأ بفتح « الألف » ، دون كسرها ، لإجماع الحجة من القرأة على

و « صلة » ، هو « صلة بن زفر العبسي » كما سلف .

(١) الأثر : ١٦٥٣٤ — مكرر الأثرين السالفين، مرفوعاً إلى حذيفة .

(٢) انظر تفسير « النكث » فيما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « اليمين » فيما سلف ص : ١٥٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٥ .

القراءة به ، ورفض خلافه ، ولإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله : لا عهد لهم = و « الأيمان » التي هي بمعنى العهد، لا تكون إلا بفتح « الألف »، لأنها جمع « يمين » كانت على عقدٍ كان بين المتوادعين .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله ، حاضًّا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين : « ألا تقاتلون » ، أيها المؤمنون، هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم ، وطعنوا في دينكم ، وظاهروا عليكم أعداءكم،[1] = « وهموا بإخراج الرسول » ، من بين أظهرهم فأخرجوه[2] = « وهم بدأوكم أول مرة » ، بالقتال ، يعني فعلهم ذلك يوم بدر ، وقيل : قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة = « أتخشونهم » ، يقول : أتخافونهم على أنفسكم فتتركوا قتالهم خوفاً على أنفسكم منهم[3] = « فالله أحق أن تخشوه » ، يقول : فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم، وتحذروا سخطه عليكم، من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرًّا ولا نفعاً إلاّ بإذن الله = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مقرِّين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم .

* * *

(١) انظر تفسير « النكث » ، ص : ١٥٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الهم » فيما سلف ٩ : ١٩٩/١٠ : ١٠٠ .

(٣) انظر تفسير « الخشية » فيما سلف ١٠ ، ٣٤٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٣٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم » ، من بعد عهدهم = « وهموا بإخراج الرسول » ، يقول : هموا بإخراجه فأخرجوه = « وهم بدأوكم أول مرة » ، بالقتال . ١٠/٦٤

١٦٥٣٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وهم بدأوكم أول مرة » ، قال : قتال قريش حلفاءَ محمد صلى الله عليه وسلم .

١٦٥٣٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٥٣٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٥٣٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد الخاص ،[1] ومن كان من أهل العهد العامّ ، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلاً ، إلا أن يعدُوَ فيها عادٍ منهم ، فيقتل بعدائه ،[2] فقال : « ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول » إلى قوله : « والله خبير بما تعملون » .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة أسقط « الخاص » ، وأثبتها من ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة : « إلا أن يعودوا فيها على دينهم فيقبل بعد ثم قال » ، وهو كلام لا معنى له البتة . وفى المخطوطة : « إلا أن يعودوا فيها على دينهم فيقتل بعدائه ، فقال » ، وقد دخلها تحريف شديد ، فقوله : « يعودوا » ، هو تحريف : « يعدو » و « على دينهم » ، صوابها « عاد منهم » ، فأساء كتابتها ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٦٥٣٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩١ ، وهو تابع الأثر السالف قديماً رقم : ١٦٣٧٧ .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قاتلوا، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ، ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم ، وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم = « يعذبهم الله بأيديكم » ، يقول : يقتلهم الله بأيديكم = « ويخزهم » ، يقول : ويذلهم بالأسر والقهر[1] = « وينصركم عليهم » ، فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة = « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، يقول : ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله ، بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم ، وإذلالكم وقهركم إياهم . وذلك الداء ، هو ما كان فى قلوبهم عليهم من المَوْجِدة بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه .

* * *

وقيل : إن الله عنى بقوله : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، صدورَ خزاعة حلفاءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أن قريشاً نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونتهم بكرًا عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٤٠ — حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد فى هذه الآية : « ويشف صدور قوم مؤمنين» ، قال : خزاعة .

١٦٥٤١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد العنقزى ، عن أسباط ، عن السدى : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، قال : خزاعة ، يشف صدورهم من بنى بكر .

---

(١) انظر تفسير « الإخزاء » فيما سلف ص : ١١٢ ، تعليق : ١، والمراجع هناك .

١٦٥٤٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، مثله .

١٦٥٤٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، خزاعة ، حلفاء محمد صلى الله عليه .

١٦٥٤٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، قال : حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة .

١٦٥٤٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يقول الله تعالى ذكره : ويذهب وَجْدَ قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة ،[1] على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين ، وغمَّها وكربَها بما فيها من الوجد عليهم ، بمعونتهم بكراً عليهم ،[2] كما : —

١٦٥٤٦ — حدثنى ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد العنقزى ، عن أسباط ، عن السدى : « ويذهب غيظ قلوبهم » ، حين قتلهم بنو بكر ، وأعانتهم قريش .

(١) انظر تفسير « الإذهاب » فيما سلف ١٢ : ١٢٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الغيظ » فيما سلف ٧ : ٢١٥ .

١٦٥٤٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى ، مثله = إلا أنه قال : وأعانهم عليهم قريش . (١)

* * *

وأما قوله : « ويتوب الله على من يشاء » ، فإنه خبر مبتدأ ، ولذلك رفع ، وجُزِم الأحرفُ الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة ، كأنه قال : قاتلوهم ، فإنكم إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم = ثم ابتدأ فقال : « ويتوب الله على من يشاء » ، لأن القتال غير موجب لهم التوبةَ من الله ، وهو موجبٌ لهم العذابَ من الله ، والخزىَ ، وشفاءَ صدور المؤمنين ، وذهابَ غيظ قلوبهم ، فجزم ذلك شرطاً وجزاءً على القتال ، ولم يكن موجباً القتالُ التوبةَ ، فابتُدِئ الخبرُ به ورُفِع . (٢)

١٠/٦٥

* * *

ومعنى الكلام : ويمنّ الله على من يشاء من عباده الكافرين ، فيقبل به إلى التوبة بتوفيقه إياه = « والله عليم » ، بسرائر عباده ، ومَنْ هو للتوبة أهلٌ ، فيتوب عليه ، ومَنْ منهم غير أهل لها فيخذله = « حكيم » ، فى تصريف عباده من حال كفر إلى حال إيمان بتوفيقه من وفّقه لذلك (٣) = ومن حال إيمان إلى كفر ، بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده ، (٤) وغير ذلك من أمرهم . (٥)

* * *

(١) فى المطبوعة : « وأعانهم » ، وفى المخطوطة : « وأعلمهم » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « فابتدأ الحكم به » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « بتوفيق » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) السياق : « فى تصريف عباده من حال كفر ... ومن حال إيمان » .

(٥) انظر تفسير « تاب » ، و « عليم » ، و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) ، (علم) ، (حكم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين، الذين نقضوا عهدهم الذى بينهم وبينه بقوله : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم »، الآية، حاضًّا على جهادهم : « أم حسبتم » ، أيها المؤمنون[١] = أن يتركم الله بغير محنة يمتحنكم بها ، وبغير اختبار يختبركم به ، فيعرف الصادقَ منكم فى دينه من الكاذب فيه = « ولما يعلم الله الذين جاهدوا » ، يقول : أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم فى سبيله ، من المضيِّعين أمرَ الله فى ذلك المفرِّطين[٢] = « ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله » ، يقول : « ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » ، والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله ولا من دون المؤمنين= « وليجة » .

* * *

= هو الشىء يدخل فى آخر غيره ، يقالُ منه : « ولج فلان فى كذا يلجه ، فهو وليجة » .[٣]

* * *

وإنما عنى بها فى هذا الموضع : البطانة من المشركين . نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء ، يفشون إليهم أسرارهم = « والله خبير بما تعملون » ، يقول : والله ذو خبرة بما تعملون ،[٤] من اتخاذكم من دون الله

---

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ١٢ : ٣٨٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص: ٧٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) فى المخطوطة : « ولج فى فلان كذا » ، والذى فى المطبوعة أجود .
(٤) انظر تفسير « خبير » فيما سلف من فهارس اللغة (خبر) .

ودون رسوله والمؤمنين به أولياءَ وبطانةً، بعد ما قد نهاكم عنه ، لا يخفى ذلك عليه ، ولا غيره من أعمالكم ، والله مجازيكم على ذلك ، إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا .

* * *

وبنحو الذى قلت فى معنى « الوليجة » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٤٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا المؤمنين وليجة » ، يتولَّجها ، من الولاية للمشركين .

١٦٥٤٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، « وليجة » ، قال : دَخَلاً .

١٦٥٥٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أم حسبتم أن تتركوا» ، إلى قوله : « وليجة »، قال : أبى أن يدعهم دون التمحيص . وقرأ : « أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » ، وقرأ : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٤٢] ، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾الآيات كلها،[1] [سورة البقرة ٢١٤] ،أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحِّصهم ويختبرهم. وقرأ: ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، لا يختبرون ، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ، [سورة العنكبوت : ١ - ٣] ، أبى الله إلا أن يمحِّص.

١٦٥٥١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « وليجة » ، قال : هو الكفر والنفاق = أو قال أحدَهما .

* * *

(١) صدر هذه الآية ، لم يكن فى المخطوطة ولا المطبوعة ، كان بدؤها « ولما يأتكم . . . » .

وقيل : « أم حسبتم » ، ولم يقل : « أحسبتم » ، لأنه من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ، فأدخلت فيه « أم » ، ليفرّق بينه وبين الاستفهام المبتدأ . وقد بينت نظائر ذلك في غير موضع من الكتاب .(١)

٦٦/١٠

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر . يقول : إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها ، لا للكفر به . فمن كان بالله كافراً، فليس من شأنه أن يعمُرَ مساجد الله .

* * *

وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، فإنها كما : —

١٦٥٥٢ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر » ، يقول: ما ينبغي لهم أن يعمروها . وأما « شاهدين على أنفسهم بالكفر » ، فإن النصراني يسأل: ما أنت؟ فيقول : نصراني = واليهودي ، فيقول : يهودي= والصابئ ، فيقول: صابئ= والمشرك يقول إذا سألته : ما دينك ؟ فيقول : مشرك ! لم يكن ليقوله أحدٌ إلا العرب .

١٦٥٥٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو العنقزي ، عن أسباط ، عن

---

(١) انظر ما سلف في تفسير « أم » ٢ : ٤٩٢ — ٣/٤٩٤ : ٤/٩٧ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ثم انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٦ .

السدى : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله» ، قال يقول : ما كان ينبغى لهم أن يعمروها .

١٦٥٥٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى: «شاهدين على أنفسهم بالكفر » ، قال : النصرانى يقال له : ما أنت ؟ فيقول نصرانى = واليهودى يقال له : ما أنت ؟ فيقول : يهودى = والصابئ يقال له : ما أنت ؟ فيقول : صابئ .

* * *

وقوله : «أولئك حبطت أعمالهم » ، يقول : بطلت وذهبت أجورها ، لأنها لم تكن لله بل كانت للشيطان[١] = « وفى النار هم خالدون » ، يقول : ماكثون فيها أبداً ، لا أحياءً ولا أمواتاً .[٢]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ ، على الجماع .[٣]

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين : ﴿ مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ ، على التوحيد ، بمعنى المسجد الحرام .

* * *

قال أبو جعفر : وهم جميعاً مجمعون على قراءة قوله :[٤] ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ على الجماع ، لأنه إذا قرئ كذلك ، احتمل معنى الواحد والجماع ، لأن العرب

---

(١) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ١١٣ : ١١٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٣) فى المطبوعة : « على الجمع » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فى هذا الموضع وما يليه جميعاً .

(٤) يعنى أبو جعفر أن جميع القرأة مجمعون على قراءة الآية التالية : « إنما يعمر مساجد الله » ، على الجماع ، بلا خلاف بينهم فى ذلك ، ولذلك زدت تمام الآية ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « مساجد الله » ، دون : « إنما يعمر » .

قد تذهب بالواحد إلى الجماع ، وبالجماع إلى الواحد ، كقولهم : « عليه ثوب أخلاق » .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إنما يعمر مساجد الله » ، المصدِّق بوحدانية الله ، المخلص له العبادة = « واليوم الآخر » ، يقول : الذى يصدق ببعث الله الموتى أحياءً من قبورهم يوم القيامة[٢] = « وأقام الصلاة » ، المكتوبة ، بحدودها = وأدَّى الزكاة الواجبة عليه فى ماله إلى من أوجبها الله له[٣] = « ولم يخش إلا الله » ، يقول : ولم يرهب عقوبة شىء على معصيته إياه ، سوى الله[٤] = « فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ، يقول : فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم ، أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وإصابة الصواب .[٥]

١٦٥٥٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » ، يقول : من وحَّد الله ، وآمن باليوم الآخر . يقول : أقرَّ بما أنزل

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٢) انظر تفسير « اليوم الآخر » فيما سلف من فهارس اللغة (أخر) .

(٣) انظر تفسير « إقامة الصلاة » و « إيتاء الزكاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) ، (أتى) .

(٤) انظر تفسير « الخشية » فيما سلف ص : ١٥٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « عسى » فيما سلف ١٣ : ٤٥ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « الاهتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

الله = « وأقام الصلاة » ، يعني الصلوات الخمس = « ولم يخش إلا الله » ، يقول : ثم لم يعبد إلاّ الله = قال : « فعسى أولئك » ، يقول : إن أولئك هم المفلحون ، كقوله لنبيه : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ ، [سورة الإسراء : ٧٩] : يقول : إن ربك سيبعثك مقاماً محموداً ، وهي الشفاعة ، وكل « عسى » ، في القرآن فهي واجبة .

١٦٥٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم ذكر قول قريش : إنّا أهلُ الحرم ، وسُقاة الحاج ، وعُمّار هذا البيت ، ولا أحد أفضل منا ! فقال : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » ، أي : إن عمارتكم ليست على ذلك ، « إنما يعمر مساجد الله » ، أي : من عمرها بحقها = « من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » = فأولئك عمارها = « فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ، و « عسى » من الله حق .(١)

١٠/٦٧

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت ، فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله ، لا في الذي افتخروا به من السِّدانة والسقاية .(٢)

* * *

(١) الأثر : ١٦٥٥٦ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٥٣٩ .

(٢) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

وبذلك جاءت الآثار وتأويل أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٥٧ — حدثنا أبو الوليد الدمشقي أحمد بن عبد الرحمن قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثني معاوية بن سلام ، عن جده أبي سلام الأسود ، عن النعمان بن بشير الأنصاري قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فقال رجل منهم : ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلاّ أن أسقي الحاج ! وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ! وقال آخر : بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم ! فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم = وذلك يوم الجمعة = ولكن إذا صليتُ الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه . قال: ففعل، فأنزل الله تبارك وتعالى : «أجعلتم سقاية الحاج» إلى قوله: « والله لا يهدى القوم الظالمين » .[1]

١٦٥٥٨ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

---

(١) الأثر : ١٦٥٥٧ — «أحمد بن عبد الرحمن بن بكار القرشي ، الدمشقي» ، «أبو الوليد» ، شيخ الطبري ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٤١٦ .

و «الوليد بن مسلم القرشي الدمشقي» ، سلف مراراً ، آخرها رقم : ٩٠٧١ روى له الجماعة .

و «معاوية بن سلام بن أبي سلام ممطور الحبشي» ، «أبو سلام الدمشقي» ، روى له الجماعة ، روى عن جده أبي سلام . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٣٣٥ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٣٨٣ .

و «أبو سلام الأسود» واسمه «ممطور» ، تابعي ثقة ، مضى برقم : ١٥٦٥٤ ، ١٥٦٥٥ .

وهذا الخبر رواه مسلم في صحيحه (١٣ : ٢٥ ، ٢٦) ، من طريق أبي توبة ، عن معاوية ابن سلام، عن زيد بن سلام ، أنه سمع أبا سلام قال : حدثني النعمان بن بشير ، ثم رواه من طريق يحيى بن حسان ، عن معاوية ، عن زيد ، بمثله .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ : ١٣١ ، ونسبه لأبي داود ، ولم أستطع أن أقف عليه في السنن .

وزاد السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢١٨ نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، والطبراني ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

وسيأتي بإسناد آخر رقم : ١٦٥٦٠ ، من طريق أخرى مرسلة .

معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر » ، قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر : لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد ، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ، ونفك العانى ![1] قال الله : « أجعلتم سقاية الحاج » ، إلى قوله : « الظالمين » ، يعنى أن ذلك كان فى الشرك ، ولا أقبل ما كان فى الشرك .

١٦٥٥٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أجعلتم سقاية الحاج » ، إلى قوله : « الظالمين » ، وذلك أن المشركين قالوا : عمارة بيت الله ، وقيام على السقاية ، خير ممن آمن وجاهد ، وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون ،[2] من أجل أنهم أهله وعُمَّاره .[2] فذكر الله استكبارهم وإعراضهم ، فقال لأهل الحرم من المشركين : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِى تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ۝ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٦٦ ، ٦٧] ، يعنى أنهم يستكبرون بالحرم . وقال : « به سامراً » ، لأنهم كانوا يسمرون ، ويهجرون القرآن والنبىَّ صلى الله عليه وسلم . فخيَّر الإيمان بالله والجهاد مع نبى الله صلى الله عليه وسلم ، على عمران المشركين البيتَ وقيامهم على السقاية . ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به ، أن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه . قال الله : « لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين » ، يعنى : الذين زعموا أنهم أهل العمارة ، فسماهم الله « ظالمين » ، بشركهم ، فلم تغن عنهم العمارة شيئاً .

١٦٥٦٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر عن يحيى بن أبى كثير ، عن النعمان بن بشير ، أن رجلاً قال : ما أبالى أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أسقى الحاج ! وقال آخر : ما أبالى أن لا

---

(١) « العانى » ، الأسير .

(٢) فى المطبوعة : « يستكبرون به » ، بزيادة « به » ، وليست فى المخطوطة ، وفيها « يسكثرون » وهو خطأ .

أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أعمر المسجد الحرام ! وقال آخر : الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم ! فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم = وذلك يوم الجمعة = ولكن إذا صلى الجمعة دخلنا عليه ! فنزلت : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » إلى قوله : « لا يستوون عند الله » . ١٠/٦٨

١٦٥٦١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عمرو ، عن الحسن قال : نزلت فى على ، وعباس ، وعثمان ، وشيبة ، تكلموا فى ذلك ، فقال العباس : ما أرانى إلا تارك سقايتنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقيموا على سقايتكم ، فإن لكم فيها خيراً .

١٦٥٦٢ — . . . . قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن إسمعيل ، عن الشعبى قال : نزلت فى على ، والعباس ، تكلما فى ذلك .

١٦٥٦٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرت عن أبى صخر قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : افتخر طلحة بن شيبة من بنى عبد الدار ، وعباس بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب ، فقال طلحة ، أنا صاحب البيت ، معى مفتاحه ، لو أشاء بِتُّ فيه ! وقال عباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، ولو أشاء بتُّ فى المسجد ! وقال على : ما أدرى ما تقولان ، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ! فأنزل الله : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » ، الآية كلها .

١٦٥٦٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن قال : لما نزلت : « أجعلتم سقاية الحاج » ، قال العباس :

---

(١) الأثر : ١٦٥٦٠ — « يحيى بن أبى كثير الطائى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، روى عن زيد بن سلام بن أبى سلام ، وأرسل عن أبى سلام الحبشى وغيره . وهذا من مرسله عن النعمان بن بشير ، أو عن أبى سلام . وقد مضى برقم : ٩١٨٩ ، ١١٥٠٥ — ١١٥٠٧ .

ما أرانى إلا تارك سقايتنا ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أقيموا على سقايتكم، فإن لكم فيها خيراً .

١٦٥٦٥ ــ حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله » ، قال : افتخر على ، وعباس ، وشيبة بن عثمان ، فقال العباس: أنا أفضلكم ، أنا أسقى حُجَّاج بيت الله ! وقال شيبة : أنا أعمُر مسجد الله ! وقال على : أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجاهد معه فى سبيل الله ! فأنزل الله : « الذين آمنوا وهاجَرُوا وجاهدوا فى سبيل الله » إلى « نعيم مقيم » .

١٦٥٦٦ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « أجعلتم سقاية الحاج » ، الآية، أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسرُوا يوم بدر يعيِّرونهم بالشرك، فقال العباس: أما والله لقد كنَّا نَعمُر المسجدَ الحرام ، ونفُكُّ العانى ، ونحجب البيتَ ، ونسقى الحاج ! فأنزل الله: « أجعلتم سقاية الحاج » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : أجعلتم ، أيها القوم، سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كإيمانِ من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله = « لا يستوون » هؤلاء ، وأولئك ، ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما ، لأن الله تعالى لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملاً = « والله لا يهدى القوم الظالمين » ، يقول : والله لا يوفّق لصالح الأعمال من كان به كافراً ، ولتوحيده جاحداً .

* * *

ووضع الاسم موضع المصدر فى قوله : « كمن آمن بالله » ، إذ كان معلوماً

معناه ، كما قال الشاعر :[١]

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبُتَ اللِّحَى وَلَـكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُـلُّ فَتًى نَدِى[٢]

فجعل خبر « الفتيان » ، « أن » ، وهو كما يقال : « إنما السخاء حاتم ، والشعر زهير » .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : وهذا قضاءٌ من الله بيْن فِرَق المفتخرين الذين افتخرَ أحدهم بالسقاية ، والآخرُ بالسِّدانة . والآخر بالإيمان بالله والجهاد فى سبيله . يقول تعالى ذكره : « الذين آمنوا » بالله ، وصدقوا بتوحيده من المشركين = « وهاجروا » دورَ قومهم[٤] = « وجاهدوا » المشركين فى دين الله[٥] = « بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله » ، وأرفع منزلة عنده ،[٦] من سُقَاة الحاج وعُمَّار المسجد الحرام ، وهم بالله مشركون = « وأولئك » ، يقول : وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا = « هم الفائزون » ، بالجنة ، الناجون من النار .[٧]

٦٩/١٠

* * *

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٧ ، شرح شواهد المغنى : ٣٢٥ . و « الندى » ، السخى .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٧ .

(٤) انظر تفسير « هاجر » فيما سلف ص : ٨١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « جاهد » فيما سلف ص : ١٦٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٦) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف : ١٣ : ٣٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٧) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ١١ : ٢٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله[١] = « ربُّهم برحمة منه » ، لهم ، أنه قد رحمهم من أن يعذّبهم = وبرضوان منه لهم ، بأنه قد رضى عنهم بطاعتهم إياه ، وأدائهم ما كلَّفهم[٢] = « وجنات » ، يقول : وبساتين[٣] = « لهم فيها نعيم مقيم » ، لا يزول ولا يبيد ، ثابت دائمٌ أبداً لهم .[٤]

١٦٥٦٧ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله سبحانه: أُعطيكم أفضل من هذا ! فيقولون : ربَّنا، أىُّ شىء أفضل من هذا ؟ قال : رِضْوانى .[٥]

* * *

(١) انظر تفسير « التبشير » فيما سلف ص:١٣١ تعليق : ٤، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الرضوان » فيما سلف ١١ : ٢٤٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الجنات » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٤) انظر تفسير « النعيم » فيما سلف ١٠ : ٤٦١ ، ٤٦٢ .

= وتفسير « مقيم » فيما سلف ١٠ : ٢٩٣ .

(٥) الأثر : ١٦٥٦٧ — مضى هذا الخبر بإسناده ولفظه ، وسلف تصحيحه برقم : ٦٥١ (ج ٦ : ٢٦٢). وكان فى المطبوعة: « أبو أحمد الموسوى » ، خطأ محض ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره = « خالدين فيها » ، ماكثين فيها ، يعنى فى الجنات[1] = « أبداً » ، لا نهاية لذلك ولا حدّ[2] = « إن الله عنده أجر عظيم »، يقول : إن الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتَهم جل ثناؤه النعتَ الذى ذكره فى هذه الآية = « أجر » ، ثواب على طاعتهم لربّهم ، وأدائهم ما كلفهم من الأعمال[3] = « عظيم » ، وذلك النعيم الذى وعدَهم أن يعطيهم فى الآخرة .[4]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسرارَكم ، وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله ، وتؤثرون المُكْثَ بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام[5] = « إن استحبُّوا الكفر على الإيمان » ، يقول : إن اختاروا الكفر بالله ، على التصديق به والإقرار

---

(١) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٢) انظر تفسير « أبداً » فيما سلف ١١ : ٢٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف من فهارس اللغة (أجر) .

(٤) انظر تفسير « عظيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عظم) .

(٥) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

بتوحيده = « ومن يتولهم منكم » ، يقول : ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ، ويؤثر المقَام معهم على الهجرة إلى رسول الله ودار الإسلام[1] = « فأولئك هم الظالمون » ، يقول : فالذين يفعلون ذلك منكم ، هم الذين خالفوا أمرَ الله ، فوضعوا الولاية فى غير موضعها ، وعصوا الله فى أمره .[2]

* * *

وقيل : إن ذلك نزل نهياً من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٦٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » ، قال : أمروا بالهجرة ، فقال العباس بن عبد المطلب : أنا أسقى الحاج ! وقال طلحة أخو بنى عبد الدار : أنا صاحبُ الكعبة ، فلا نهاجر ! فأنزلت : « لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء » إلى قوله : « يأتى الله بأمره » ، بالفتح ، فى أمره إياهم بالهجرة . هذا كله قبل فتح مكة .

* * *

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » يا محمد ، للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام ، المقيمين بدار الشرك : إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم = وكانت « أموال اقترفتموها » ، يقول : اكتسبتموها [١] = « وتجارة تخشون كسادها » ، بفراقكم بلدكم =« ومساكن ترضونها » ، فسكنتموها = « أحب إليكم » ، من الهجرة إلى الله ورسوله ، من دار الشرك = ومن جهاد فى سبيله ، يعنى : فى نصرة دين الله الذى ارتضاه[٢] = « فتربصوا » ، يقول : فتنظّروا[٣] = « حتى يأتى الله بأمره » ، ٧٠/١٠ حتى يأتى الله بفتح مكة = « والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، يقول : والله لا يوفّق للخير الخارجين عن طاعته وفى معصيته .[٤]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الاقتراف » فيما سلف ١٢ : ٧٦ : ١٧٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف من : ١٧٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) انظر تفسير « التربص » فيما سلف ٩ : ٣٢٣ : تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

= وتفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

١٦٥٦٩ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « حتى يأتى الله بأمره » ، بالفتح .

١٦٥٧٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » ، فتح مكة .

١٦٥٧١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها » ، يقول : تخشون أن تكسد فتبيعوها = « ومساكن ترضونها » ، قال : هى القصور والمنازل .

١٦٥٧٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأموال اقترفتموها » ، يقول : أصبتموها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « لقد نصركم الله » ، أيها المؤمنون = فى أماكن حرب توطّنون فيها أنفسكم على لقاء عدوّكم ، ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة = « ويوم حنين » ، يقول : وفى يوم حنين أيضاً قد نصركم .

* * *

و«حنين» وادٍ ، فيما ذكر ، بين مكة والطائف . وأجرِىَ ، لأنه مذكر اسم لمذكر . وقد يترك إجراؤه ، ويراد به أن يجعل اسمًا للبلدة التى هو بها ،[1] ومنه قول الشاعر :[2]

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَزْرَهُ بِحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكُلِ الأَبْطَالِ[3]

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٩ .

(٢) هو حسان بن ثابت .

(٣) ديوانه : ٣٣٤ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٩ ، واللسان (حنن) ، وسيأتى فى التفسير ١٦ : ١١١ (بولاق) ، وهو بيت مفرد .

١٦٥٧٣ — حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثني أبي قال ، حدثنا أبان العطار قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة قال : « حُنَيْن » ، واد إلى جنب ذي المجاز .[1]

* * *

= « إذا أعجبتكم كثرتكم » ، وكانوا ذلك اليوم ، فيما ذكر لنا ، اثني عشر ألفًا.

* * *

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم : لن نغلب من قِلَّة .

* * *

وقيل : قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وهو قول الله : « إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً » ، يقول : فلم تغن عنكم كثرتكم شيئاً[2]، = « وضاقت عليكم الأرض بما رحبت » ، يقول : وضاقت الأرض بسعتها عليكم .

* * *

و « الباء » ههنا في معنى « في » ؛ ومعناه : وضاقت عليكم الأرض في رحبها ، وبرحبها .[3]

* * *

يقال منه : « مكان رحيب »، أي واسع . وإنما سميت الرِّحاب « رحاباً » لسَعَتها .

* * *

= « ثم وليتم مدبرين » ، عن عدوكم منهزمين = « مدبرين » ، يقول : وليتموهم ، الأدبار ، وذلك الهزيمة . يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده ، وأنه ليس

وقوله : « تواكل الأبطال » ، من قولهم : « تواكل القوم » ، إذا اتكل بعضهم على بعض ، ولم يعفه في مأزق الحرب . وفي الحديث أنه نهى عن المواكلة ، وهو : أن يكل كل امرىء صاحبه إلى نفسه ، فلا يعينه فيما ينوبه ، وهو مفض إلى الضعف والتقاطع وفساد الأمور ، أعاذنا الله من كل ذلك .

(١) الأثر : ١٦٥٧٢ — هو جزء من كتاب عروة ، إلى عبد الملك بن مروان ، الذي خرجته فيما سلف رقم : ١٦٠٨٣ ، ورواه الطبري في تاريخه ، في أثناء خبر طويل ٢ : ١٢٥ .

(٢) انظر تفسير « أغنى » فيما سلف : ١٣ : ٤٤٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٣٠ .

بكثْرة العدد وشدة البطش، وأنه ينصر القليلَ على الكثير إذا شاء ، ويخلِّى الكثيرَ والقليلَ، فيهْزِم الكثيرُ .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٧٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين » ، حتى بلغ : « وذلك جزاء الكافرين » ، قال : « حنين » ، ما بين مكة والطائف ، قاتل عليها نبيُّ الله هوازن وثقيفَ، وعلى هوازن : مالك بن عوف أخو بنى نصر ، وعلى ثقيف : عبد ياليل بن عمرو الثقفىّ . قال : وذُكر لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفاً : عشرة آلافٍ من المهاجرين والأنصار ، وألفان من الطُّلقَاء . وذكر لنا أنّ رجلاً قال يومئذٍ : « لن نغلب اليوم بكَثْرة »! قال : وذكر لنا أن الطُّلقَاء انجفَلوا يومئذ بالناس ،(٢) وجلَوْا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عن بغلته الشهباء . وذكر لنا أن نبىَّ الله قال : « أى رب ، آتنى ما وعدتنى » ! ٧١/١٠ قال : والعباسُ آخذٌ بلجام بغلةِ رسول الله ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : نادِ : « يا معشر الأنصار ، ويا معشر المهاجرين! » ، فجعل ينادى الأنصار فَخِذاً فخِذاً ، ثم قال : « نادِ بأصحاب سورة البقرة » .(٣) قال : فجاء الناس عُنُقاً واحداً .(٤) فالتفت نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا عصابة من الأنصار ، فقال : هل معكم غيركم ؟ فقالوا : يا نبى الله ، والله لو عمدت إلى بَرْك الغِمادِ من ذى يَمَنٍ

(١) فى المطبوعة : « ويخلى القليل فيهزم الكثير » ؛ حذف بسوء رأيه فأفسد الكلام . وإنما أراد أن الله يخلى بين الكثير والقليل فلا ينصر القليل ، فيهزم الكثير القليل ، على ما جرت به العادة من غلبة الكثير على القليل .

(٢) « انجفل القوم عن رئيسهم » ، ذعروا ، فانقلعوا من حوله ، ففروا مسرعين .

(٣) فى المطبوعة : « ثم نادى بأصحاب سورة البقرة » ، غير ما فى المخطوطة عبثاً .

(٤) قوله : « عنقاً واحداً » ، أى : جملة واحدة . ويقال : « جاء القوم عنقاً عنقاً » ، أى : طائفة طائفة . ويقال : « هم عليه عنق » ، أى : هم عليه إلب واحد .

لكنَّا مَعَكَ،[١] ثم أنزل الله نصره، وهزَمَ عدوّهم ، وتراجع المسلمون . قال : وأخذ رسول الله كفًّا من تراب = أو : قبضةً من حَصْباء = فرمى بها وجوه الكفار ، وقال : «شَاهَت الوجوه !» ، فانهزموا . فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم وأتى الجعرَّانة ، فقسم بها مغانم حنين ، وتألَّف أناساً من الناس ، فيهم أبو سفيان ابن حرب ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، فقالت الأنصار : « أمن الرجل وآثر قومه » ![٢] فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قُبَّة له من أَدَم ، فقال : يا معشر الأنصار ، ما هذا الذى بلغنى ؟ ألم تكونوا ضُلاَّلاً فهداكم الله ، وكنتم أذلَّةً فأعزكم الله ، وكنتم وكنتم ! قال : فقال سعد ابن عبادة رحمه الله : ائذن لى فأتكلم ! قال : تكلم . قال : أما قولك : «كنتم ضلالا فهداكم الله » ، فكنا كذلك = « وكنتم أذلة فأعزكم الله » ، فقد علمت العربُ ما كان حيٌّ من أحياء العرب أمنعَ لما وراء ظهورهم منَّا ! فقال عمر : يا سعد ، أتدرى من تُكَلِّم ! فقال : نعم ! أكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، لو سلكَتِ الأنصارُ وادياً والناس وادياً ، لسلكتُ وادى الأنصار ، ولولا الهجرةُ لكنت امرءاً من الأنصار . وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « الأنْصَار كَرِشى وعَيْبَتى ، فاقبلوا من مُحسِنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » .[٣] ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأنصار ، أما ترضون أن ينقلب الناس بالإبل والشاء ، وتنقلبون برسول الله إلى بيوتكم ! فقالت الأنصار : رضينا عن الله ورسوله ، والله ما قلنا ذلك إلاّ حرصاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير « برك الغماد » رقم : ١٥٧٢٠ .

(٢) فى المطبوعة : « حن الرجل إلى قومه » ، غير ما فى المخطوطة بلا ورع .

(٣) « الكرش » ، وعاء الطيب ، و « العيبة » وعاء من أدم يكون فيه المتاع والثياب . يقول : الأنصار خاصتى وموضع سرى ، أثق بهم ، وأعتمد عليهم ، وهم أنفس ما أحرز .

ورسوله يصدِّقانكم ويعذِرانكم .(١)

١٦٥٧٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن أمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته ، أو ظِئْره من بنى سعد بن بكر ، أتته فسألته سَبَايا يوم حنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لا أملكهم ، وإنما لى منهم نصيبى ، ولكن ائتينى غداً فسلِينى والناس عندى ، فإنى إذا أعطيتُك نصيبى أعطاك الناس . فجاءت الغد ، فبسط لها ثوباً فقعدت عليه ، ثم سألته ، فأعطاها نصيبه . فلما رأى ذلك الناس ، أعطوْها أنصباءهم .

١٦٥٧٦ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة » ، الآية ، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال : يا رسول الله ، لن نغلب اليوم من قِلّة ! وأعجبته كثرة الناس، وكانوا اثنى عشر ألفاً . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوُكِلوا إلى كلمة الرجل، فانهزموا عن رسول الله ، غير العباس ، وأبى سفيان بن الحارث ، وأيمن بن أم أيمن ، قتل يومئذ بين يديه . فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الأنصار ؟ أين الذين بايعوا تحت الشجرة ؟ فتراجع الناس ، فأنزل الله الملائكةَ بالنصر . فهزموا المشركين يومئذٍ ، وذلك قوله : « ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها » ، الآية .

١٦٥٧٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن كثير بن عباس بن عبد المطلب ، عن أبيه قال : لما كان يوم حنين ، التقى المسلمون والمشركون ، فولَّى المسلمون يومئذٍ . قال : فلقد رأيتُ النبى صلى الله عليه وسلم وما معه أحدٌ إلا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، آخذاً بغَرْزِ النبى صلى الله عليه وسلم ، لا يألو ما أسرع نحو

١٠/٧٢

(١) الأثر : ١٦٥٧٤ – رواه ابن سعد مختصراً فى الطبقات ٤/١/١١ ، ١٢ .

المشركين .[1] قال : فأتيت حتى أخذتُ بلجامه ، وهو على بغلة له شهباء ، فقال : يا عباس . ناد أصحابَ السمرة ! وكنت رجلاً صيِّتاً ،[2] فأذَّنت بصوتى الأعلى : أين أصحاب السمرة ! فالتفتوا كأنها الإبل إذا حُشِرت إلى أولادها ،[3] يقولون : « يا لبيك ، يا لبَّيك ، يا لبيك » ، وأقبل المشركون . فالتقوا هم والمسلمون ، وتنادت الأنصار : « يا معشر الأنصار » ، ثم قُصرت الدعوة فى بنى الحارث بن الخزرج ، فتنادوا : « يا بنى الحارث بن الخزرج »، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول ، إلى قتالهم فقال : « هذا حين حَمِيَ الوَطِيس» ![4] ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها ، ثم قال : « انهزموا ورب الكعبة ، انهزموا وربِّ الكعبة » ! قال : فوالله ما زال أمرُهم مدبراً ، وحدُّهم كليلاً ، حتى هزمهم الله ، قال : فلكأنِّى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركُضُ خلفهم على بَغْلَتِه .[5]

---

(١) « الغرز » ، ركاب الدابة . و « لا يألو » لا يقصر .

(٢) « الصيت » (على وزن : جيد) : البعيد الصوت العاليه .

(٣) فى المطبوعة : « إذا حنت إلى أولادها » ، غير ما فى المخطوطة ، و « الحشر » ، الجمع . وفى المراجع الأخرى : « لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها » . والذى فى طبقات ابن سعد ، موافق لما فى المطبوعة .

(٤) « الوطيس » : حفرة تحتفر ، فتوقد فيها النار ، فإذا حميت يختبز فيها ويشوى ، ويقال لها « الإرة » وهذا من بليغ الكلام ، ولم تسمع هذه الكلمة من أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) الأثر : ١٦٥٧٧ — « كثير بن العباس بن عبد المطلب » ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد على عهد رسول الله ، ولم يسمع منه ، تابعى ثقة قليل الحديث . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٠٧ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٥٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده رقم : ١٧٧٥ من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى . وفصل أخى السيد أحمد تخريجه هناك ، ثم رقم : ١٧٧٦ .

ورواه مسلم فى صحيحه ١٢ : ١١٣ ، من طريق يونس ، عن الزهرى . ثم رواه أيضاً (١٢ : ١١٧) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، ومن طريق سفيان بن عيينة عن الزهرى .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٣ : ٣٢٧ ، من طريق يونس ، عن الزهرى .

ورواه ابن سعد فى الطبقات ٢/١/١١٢ = ٤/١/١١ ، الثانى طريق محمد بن عبد الله ، عن عمه ، عن ابن شهاب الزهرى ، والأول من طريق محمد بن حميد العبدى ، عن معمر ، عن الزهرى .

ثم انظر تاريخ الطبرى ٣ : ١٢٨ ، حديث ابن إسحق ، فى سيرة ابن هشام ٤ : ٨٧ ، ٨٨

١٦٥٧٨ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : أنهم أصابوا يومئذٍ ستة آلاف سَبْيٍ ، ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك ، فقالوا : يا رسول الله : أنت خيرُ الناس وأبرُّ الناس ، وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالَنا ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن عندى من ترونَ ، وإن خير القولِ أصدقُه ، اختاروا : إما ذَراريكم ونساءكم ، وإمّا أموالكم . قالوا : ما كنا نعدِل بالأحساب شيئاً ! فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن هؤلاء جاءوني مسلمين ، وإنا خيَّرناهم بين الذَّراريّ والأموال ، فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً ، فمن كان بيده منهم شيء فطابت نفسُه أن يردَّه فليفعل ذلك ، ومن لا فليُعْطِنا ، وليكن قَرْضاً علينا حتى نصيب شيئاً ، فنعطيه مكانه . فقالوا : يا نبي الله ، رضينا وسلَّمنا ! فقال : إني لا أدري لعلَّ منكم من لا يرضَى ، فَمُروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا . فرفعتْ إليه العُرَفاء أن قد رَضُوا وسَلَّموا .[1]

١٦٥٧٩ - حدثنا على بن سهل قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا حماد بن سلمة قال ، حدثنا يعلى بن عطاء ، عن أبي همام ، عن أبي عبد الرحمن = يعني الفهريّ = قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين ، فلما رَكَدت الشمس ،[2] لبستُ لأْمتي ،[3] وركبت فرسي ، حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ظِلّ شجرة ، فقلت : يا رسول الله ، قد حان الرَّواح ! فقال : أجل ! فنادى : يا بِلالُ ! يا بلال ! فقام بلال من تحت سمرة ، فأقبل كأن ظله ظلُّ طير . فقال : لبيك وسعديك ، ونفسي فداؤك ، يا رسول الله ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أسرج فرسي ! فأخرج سَرْجاً دَفَّتاه حشْوهما ليفٌ ، ليس فيهما أَشَرٌ

(١) الأثر : ١٦٥٧٨ - رواه ابن سعد في الطبقات ١١٢/١/٢ . ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) « ركدت الشمس » ، ثبتت ، وذلك حين يقوم قائم الظهيرة .

(٣) « اللأمة » الدرع ، وسلاح الحرب كله .

ولا بَطَرٌ .[1] قال : فركب النبي صلى الله عليه وسلم ، فصافَفْناهم يومَنا وليلتنا ، فلما التقى الخيلان ، ولىَّ المسلمون مدبرين ، كما قال الله . فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباد الله، يا معشر المهاجرين ! ». قال : ومال النبي صلى الله عليه وسلم عن فرسه، فأخذ حَفْنَةً من تراب فرمى بها وجوههم ، فولوا مدبرين = قال يعلى بن عطاء : فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا : ما بقي مِنّا أحد إلاّ وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب .[2]

١٦٥٨٠ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق قال : سمعت البراء وسأله رجل من قيس : فَرَرْتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال البراء: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرَّ، وكانت هَوازن يومئذ رُماةً، وإنّا لما حملنا عليهم انكشَفُوا، فأكبَبْنا على الغنائم ، فاستقبلونا بالسِّهام ، ولقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذٌ بلجامها وهو يقول : ١٠/٧٣

---

(١) « الأشر » ، المرح والخيلاء . و « البطر » ، الطغيان في النعمة من قلة احتمالها .

(٢) الأثر : ١٦٥٧٩ — « يعلى بن عطاء العامري الطائفي » ، ثقة مضى برقم : ٢٨٥٨ ، ١١٥٢٧ ، ١١٥٢٩ .

و « أبو همام » هو « عبد الله بن يسار » ، روى عن عمرو بن حريث. وأبي عبد الرحمن الفهري . ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٢٠٢ .

و « أبو عبد الرحمن الفهري » ، صحابي مختلف في اسمه ، مترجم في الإصابة ، والتهذيب ، وأسد الغابة ٥ : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، والاستيعاب : ٦٧٦ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٥ : ٢٨٦ من طريق بهز عن حماد بن سلمة ، ومن طريق عفان ، عن حماد .

ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/١/١١٢ ، ١١٣ ، من طريق عفان ، عن حماد بن سلمة .

ورواه أبو داود في سننه ٤ : ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، برقم : ٥٢٣٣ من طريق موسى بن إسماعيل ، عن حماد مختصراً .

ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب ٦٧٦ ، بغير إسناد .

ورواه ابن الأثير في أسد الغابة من طريق موسى بن إسماعيل ، عن حماد .

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ١٨١ ، ١٨٢ ، وقال : « رواه البزار ، والطبراني ، ورجالهما ثقات » .

أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنا ابْنُ عبدِ المُطَّلِبْ[1]

١٦٥٨١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء قال : سأله رجل : يا أبا عُمارة ، وليتم يوم حنين ؟ فقال البراء وأنا أسمع : أشهد أن رسول الله لم يولِّ يومئذ دُبُرَه ، وأبو سفيان يقود بغلته . فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول :

أَنا النَّبِيُّ لا كَذِب أَنا ابْنُ عبدِ المطَّلِبْ

فما رُؤِي يومئذ أحدٌ من الناس كان أشدَّ منه .

١٦٥٨٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني جعفر بن سليمان ، عن عوف الأعرابي ، عن عبد الرحمن مولى أم برثن قال ، حدثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وأصحابَ محمد عليه السلام ، لم يقفوا لنا حَلَبَ شاةٍ أن كشفناهم ، فبينا نحن نسوقهم ، إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء ، فتلقانا رجالٌ بيضٌ حسانُ الوجوه ، فقالوا لنا : « شاهت الوجوه ، ارجعوا » ! فرجعنا ، وركبنا القوم ، فكانت إياها .[2]

---

(١) الأثران : ١٦٥٨٠ ، ١٦٥٨١ — خبر البراء بن عازب ، رواه مسلم من طرق كثيرة في صحيحه ١٢ : ١١٧ — ١٢١ ، ورواه من طريق شعبة ، عن أبي إسحق في ١٢ : ١٢١ . ورواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٤) من طرق .

(٢) الأثر : ١٦٥٨٢ — « عبد الرحمن ، مولى أم برثن » ، هو « عبد الرحمن بن آدم ، صاحب السقاية » . وكانت أم برثن تعالج الطيب ، فأصابت غلاماً لقطة ، فربته حتى أدرك ، وسمته عبد الرحمن ، فكان مما يقال له « عبد الرحمن بن أم برثن » ، وإنما قيل له : « عبد الرحمن بن آدم ، نسب إلى أبي البشر جميعاً ، « آدم » عليه السلام ، لم يكن يعرف له أب ، وهو ثقة ، مضى برقم : ٧١٤٥ .

وكان في المخطوطة : « مولى برثن » ، وهو خطأ ، وانظر الخبر التالي رقم : ١٩٥٨٧ من طريق أخرى .

وقوله : « لم يقفوا لنا حلب شاة » ، يعني : إلا قدر ما تحلب شاة ، كناية من قلة الزمن ، كما يقال : « فواق ناقة » ، و « الفواق » ما بين الحلبتين إذا قبض الحالب على الضرع ثم أرسله . قوله : « فكانت إياها » ، يعني ، فكانت الهزيمة التي تعلم . وفي حديث معاوية بن عطاء :

١٦٥٨٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد قال : أمدّ الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين . قال : ويومئذ سمّى الله الأنصار « مؤمنين » . قال : فأنزل الله سكينته على رسول الله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم يَروها .

١٦٥٨٤ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً » ، قال : كانوا اثنى عشر ألفاً .

١٦٥٨٥ — حدثنا محمد بن يزيد الأَدَمىّ قال، حدثنا معن بن عيسى، عن سعيد بن السائب الطائفى ، عن أبيه ، عن يزيد بن عامر ، قال : لما كانت انكشافةُ المسلمين حين انكشفوا يوم حنين ، ضَرَب النبي صلى الله عليه وسلم يدَه إلى الأرض فأخذ منها قبضة من تراب ، فأقبل بها على المشركين وهم يتْبعون المسلمين ، فحثَاها فى وجوههم وقال : « ارجعوا ، شاهت الوجوه! ». قال : فانصرفنا ، ما يلقى أحدٌ أحداً إلاّ وهو يمسَحُ القَذَى عن عينيه .(١)

«كان معاوية رضى الله عنه إذا رفع رأسه من السجدة الأخيرة كانت إياها». قالوا: اسم « كان » ضمير « السجدة » ، و « إياها » الخبر ، أى : كانت هى هى ، أى : كان يرفع منها وينهض قائماً إلى الركعة الأخرى من غير أن يقعد قعدة الاستراحة .

(١) الأثر : ١٦٥٨٥ — « محمد بن يزيد الأدمى الخراز » ، شيخ الطبرى ، ثقة زاهد ، مضى برقم : ٤٨٩٤ .

و « معن بن عيسى الأشجعى ، القزاز » ، أحد أئمة الحديث ، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٣٩٠ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٢٧٧ .

و « سعيد بن السائب الطائفى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٥٤٠٢ .

وأبوه « السائب بن أبى حفص الطائفى » ، ثقة ، مترجم فى الكبير ٢/٢/١٥٦ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٤٥ .

و « يزيد بن عامر السوائى » « أبو حاجز » صحابى ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣١٦ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٨١ .

وهذا الخبر ، رواه البخارى فى تاريخه ٤/٢/٣١٦ من طريق إبراهيم بن المنذر ، عن معن بن عيسى .

١٦٥٨٦ — وبه ، عن يزيد بن عامر السُّوائى قال : قيل له : يا أبا حاجز ، الرعب الذى ألقى الله فى قلوب المشركين ، ماذا وجدتم ؟ قال : وكان أبو حاجز مع المشركين يوم حنين ، فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطَّستِ فيطنُّ ، ثم يقول : كان فى أجوافِنَا مثل هذا ! (١)

١٦٥٨٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنى المعتمر ابن سليمان: عن عوف قال ، سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن = أو : أم برثم = قال ، حدثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين ، قال : لما التقينا نحن وأصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حَلَبَ شاة . قال : فلما كشفناهم جعلنا نسُوقهم فى أدبارهم ، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فتلقانا عندَه رجالٌ بيضٌ حسانُ الوجوه فقالوا لنا : « شاهت الوجوه ، ارجعوا ! » ، قال : فانهزمنا ، وركِبُوا أكتافنا ، فكانت إيَّاهَا . (٢)

* * *

ورواه ابن الأثير فى أسد الغابة ٥ : ١١٥ ، ١١٦ .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد(٦ : ١٨٢ ، ١٨٣) ، حديثان ، كما جاء هنا فى التفسير ، وقال فى الأول والثانى « رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات » .

(١) ١٦٥٨٦ — مكرر الأثر السالف ، وتخريجه هناك .

(٢) الأثر : ١٦٥٨٧ — « عبد الرحمن ، مولى أم برثن ، أو : أم برثم » ، بإبدال النون ميماً ، مضى فى الأثر رقم : ١٦٥٨٢ ، وكان فى المطبوعة هنا : « أو : أم مريم » ، وهو خطأ محض ، وتصرف فى رسم المخطوطة ، وهى غير منقوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، وتوليتكم الأعداءَ أدبارَكم ، كشف الله نازل البلاء عنكم ، بإنزاله السكينة = وهى الأمنة والطمأنينة = عليكم .

* * *

= وقد بينا أنها « فعيلة »، من « السكون »، فيما مضى من كتابنا هذا قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1] ٧٤/١٠

* * *

= « وأنزل جنوداً لم تروها »، وهى الملائكة التى ذكرتُ فى الأخبار التى قد مضى ذكرها = « وعذب الذين كفروا »، يقول : وعذب الله الذين جحدوا وحدانيّته ورسالةَ رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بالقتل وسَبْى الأهلين والذرارىّ، وسلب الأموال ، والذلة = « وذلك جزاء الكافرين »، يقول : هذا الذى فعلنا بهم من القتل والسبى = « جزاء الكافرين »، يقول : هو ثواب أهل جحود وحدانيته ورسالة رسوله .[2]

١٦٥٨٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وعذب الذين كفروا »، يقول : قتلهم بالسيف .

١٦٥٨٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو داود الحفرى، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد : « وعذب الذين كفروا »، قال : بالهزيمة والقتل .

١٦٥٩٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين »، قال : من بَقِىَ منهم .

(١) انظر تفسير « السكينة » فيما سلف ٣ : ٦٦ ، ٥/٧٠ : ٣٢٦ — ٣٣٠ .
(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه ، من بعد عذابه الذى به عذَّب من هلك منهم قتلاً بالسيف = « على من يشاء » ، أى : يتوب الله على من يشاء من الأحياء ، يُقْبِل به إلى طاعته = « والله غفور » ، لذنوب من أناب وتاب إليه منهم ومن غيرهم منها = « رحيم » ، بهم ، فلا يعذبهم بعد توبتهم ، ولا يؤاخذهم بها بعد إنابتهم.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، وأقرُّوا بوحدانيته : ما المشركون إلا نَجَس .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « النجس » ، وما السبب الذى من أجله سمّاهم بذلك .

فقال بعضهم : سماهم بذلك ، لأنهم يجنبون فلا يغتسلون ، فقال : هم نجس ،

(١) انظر تفسير « التوبة » ، و « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) ، (غفر) ، (رحم) .

ولا يقربوا المسجد الحرام = لأن الجنب لا ينبغى له أن يدخل المسجد .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٩١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، فى قوله : « إنما المشركون نجس » ، لا أعلم قتادة إلا قال : « النجس »، الجنابة .

١٦٥٩٢ — وبه ، عن معمر قال : وبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لقِى حذيفة ، وأخذ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بيده، فقال حذيفة : يا رسول الله ، إنىّ جُنُب! فقال : إنّ المؤمن لا ينجُس .

١٦٥٩٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس » ، أى : أجْنَابٌ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ما المشركون إلا رِجْسُ خنزير أو كلب .

وهذا قولٌ رُوِى عن ابن عباس من وجه غير حميد ، فكرهنا ذكرَه .

* * *

وقوله : « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، يقول للمؤمنين : فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرَم . وإنما عنى بذلك منعَهم من دخول الحرم، لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرم .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم فيه نحو الذى قلناه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٩٤ — حدثنا بشر، وابن المثنى قالا ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال، قال عطاء : الحرمُ كله قبلةٌ ومسجد . قال : « فلا يقربوا المسجد الحرام »، لم يعن المسجدَ وحده ، إنما عنى مكة والحرم . قال ذلك غير مرَّةٍ .

* * *

وذكر عن عمر بن عبد العزيز فى ذلك ما : —

١٦٥٩٥ — حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ، حدثنى الوليد بن مسلم قال ، حدثنا أبو عمرو : أن عمر بن عبد العزيز كتب : « أنِ امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين » ، وأَتْبَعَ فى نهيه قولَ الله : « إنّما المشركون نجس » .

١٦٥٩٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن : « إنما المشركون نجس » ، قال : لا تصافحوهم ، فمن صافحَهم فليتوضّأ . ١٠/٧٥

* * *

وأما قوله : « بعد عامهم هذا » ، فإنه يعنى : بعد العام الذى نادَى فيه على رحمة الله عليه ببراءة ، وذلك عام حجّ بالناس أبو بكر ، وهى سنة تسع من الهجرة ، كما : —

١٦٥٩٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، وهو العام الذى حجّ فيه أبو بكر ، ونادى علىّ رحمة الله عليهما بالأذان ، وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحجّ نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل حجّة الوداع ، لم يحجّ قبلها ولا بعدها .

* * *

وقوله : « وإن خفتم عيلة » ، يقول للمؤمنين : وإن خفتم فاقةً وفقراً ، بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام = « فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » .

* * *

يقال منه : « عال يَعِيلُ عَيْلةً وعُيُولاً » ، ومنه قول الشاعر :[1]

وَمَا يَدْرِى الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِى الغَنِىُّ مَتَى يَعِيلُ[2]

---

(١) هو أحيحة بن الجلاح .

(٢) سلف البيت وتخريجه وشرحه ، فيما سلف ٧ : ٤٥٩ ، وانظر مجاز القرآن ١ : ٢٥٥ .

وقد حكى عن بعضهم أنّ من العرب من يقولُ فى الفاقة : «عال يعول» بالواو.[١]

* * *

وذكر عن عمرو بن فائد أنه كان تأوّل قوله[٢] : « وإن خفتم عيلة » ، بمعنى : وإذ خفتم . ويقول : كان القوم قد خافُوا ، وذلك نحو قول القائل لأبيه : « إن كنت أبى فأكرمنى » ، بمعنى : إذ كنت أبى .

* * *

وإنما قيل ذلك لهم ، لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم ، انقطاع تجاراتهم ، ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك . وأمّنهم الله من العيلة ، وعوّضهم مما كانوا يكرهون انقطاعَه عنهم ، ما هو خير لهم منه ، وهو الجزية ، فقال لهم : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾ إلى : ﴿ صَاغِرُون ﴾ .

* * *

وقال قوم : بإدرار المطر عليهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٩٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : لما نَفَى الله المشركين عن المسجد الحرام ، ألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحَزَن ، قال : من أين تأكلون ، وقد نُفِيَ المشركون وانقطعت عنهم العيرُ ![٣] فقال الله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من

---

(١) انظر تفسير « عال » فيما سلف ٧ : ٥٤٨ ، ٥٤٩ .

(٢) « عمرو بن فائد » ، أبو على الأسوارى ، وردت عنه الرواية فى حروف من القرآن . مترجم فى طبقات القراء ١ : ٦٠٢ رقم : ٢٤٦٢ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٢٥٣ ، ولسان الميزان ٤ : ٣٧٢ ، وميزان الاعتدال ، ٢ : ٢٩٨ ، وهو فى الحديث ليس بشىء ، بل هو منكر الحديث ، متروك .

(٣) فى المطبوعة : « وانقطعت عنكم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

فضله إن شاء » ، فأمرهم بقتال أهل الكتاب ، وأغناهم من فضله .

١٦٥٩٩ — حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : كان المشركون يجيئون إلى البيت ، ويجيئون معهم بالطعام، وَيتَّجرون فيه. فلما نُهُوا أن يأتوا البيت، قال المسلمون: من أين لنا طعام ؟ فأنزل الله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء »، فأنزل عليهم المطر ، وكثر خيرهم ، حتى ذهب عنهم المشركون .

١٦٦٠٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن على ابن صالح ،عن سماك، عن عكرمة: « إنما المشركون نجس »،الآية = ثم ذكر نحو حديث هنّاد ، عن أبي الأحوص .

١٦٦٠١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن واقد ، عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : مَنْ يأتينا بطعامنا ، ومن يأتينا بالمتاع ؟ فنزلت : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » .

١٦٦٠٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن واقد مولى زيد بن خليدة ، عن سعيد بن جبير قال : كان المشركون يقدَمون عليهم بالتجارة ، فنزلت هذه الآية : « إنما المشركون نجس » إلى قوله : « عيلة » ، قال : الفقر = « فسوف يغنيكم الله من فضله » . ١٠/٧٦

١٦٦٠٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية العوفى قال : قال المسلمون : قد كنّا نصيب من تجارتهم وبياعاتهم ،

(١) الأثران : ١٦٦٠١ ، ١٦٦٠٢ — « واقد ، ولى زيد بن خليدة » ، ثقة ، سلف برقم : ١١٤٥٠ .

فنزلت : « إنما المشركون نجس » إلى قوله : « من فضله » .

١٦٦٠٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت أبى= أحسبه قال : أنبأنا أبو جعفر= عن عطية قال : لما قيل : « ولا يحج بعد العام مشرك » ، قالوا : قد كنا نصيب من بياعاتهم فى الموسم ! قال : فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرامَ بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله »، يعنى : بما فاتهم من بِيَاعاتهم .

١٦٦٠٥ — حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن يمان ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، قال : الجزية .

١٦٦٠٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن يمان وأبو معاوية ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك ، قال : أخرج المشركون من مكة ، فشقّ ذلك على المسلمين وقالوا : كنا نُصيب منهم التجارة والميرة ! فأنزل الله : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » .

١٦٦٠٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، كان ناس من المسلمين يتألَّفون العير ، فلما نزلت « براءة » بقتال المشركين حيثما ثقفوا ، وأن يقعدُوا لهم كل مرصد ، قذف الشيطان فى قلوب المؤمنين : فمن أين تعيشون وقد أمرتم بقتال أهل العير ؟ فعلم الله من ذلك ما علم ، فقال : أطيعونى ، وامضوا لأمرى ، وأطيعوا رسولى ، فإنى سوف أغنيكم من فضلى . فتوكَّلَ لهم الله بذلك .

١٦٦٠٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إنما المشركون نجس » إلى قوله : « فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » ، قال : قال المؤمنون : كنا نصيب

من متاجر المشركين ! فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله ، عوضاً لهم بأن لا يقربوهم المسجد الحرام . فهذه الآية مع أول «براءة » ، في القراءة ، ومع آخرها في التأويل :[1] « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » ، إلى قوله : « عن يد وهم صاغرون » ، حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك .

١٦٦٠٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٦٠٩م — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ، شقّ ذلك على المسلمين ، وكانوا يأتون بِبِيَعاتٍ ينتفع بذلك المسلمون .[2] فأنزل الله تعالى ذكره : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، فأغناهم بهذا الخراج ، الجزيةَ الجاريةَ عليهم ، يأخذونها شهراً شهراً ، عاماً عاماً ، فليس لأحد من المشركين أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم بحالٍ ، إلا صاحب الجزية ، أو عبد رجلٍ من المسلمين .

١٦٦١٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرنا أبو الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، إلا أن يكون عبداً ، أو أحداً من أهل الذمة .

١٦٦١١ — . . . . قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : إلا صاحب جزية ، أو عبد لرجلٍ من المسلمين .

١٦٦١٢ — حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ، حدثنا حجاج ، عن

---

(١) في المطبوعة : « من أول براءة . . . ومن آخرها » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) في المطبوعة : « ببياعات » ، وأثبت ما في المخطوطة .

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج . قال ، أخبرنى أبو الزبير : أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول فى هذه الآية : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام » ، إلا أن يكون عبداً ، أو أحداً من أهل الجزية .

١٦٦١٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، قال : أغناهم الله بالجزية الجارية ، شهراً فشهراً ، وعاماً فعاماً . ١٠/٧٧

١٦٦١٤ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن أبى الزبير ، عن جابر : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشركٌ ولا ذمىٌّ .

١٦٦١٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة » ، وذلك أن الناس قالوا : لتقطعنَّ عنا الأسواق ، ولتهلكن التجارة ، وليذهبنَّ ما كنا نصيب فيها من المرَافق!(١) فقال الله عزوجل : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، من وجه غير ذلك = « إن شاء » إلى قوله : « وهم صاغرون » ، ففى هذا عِوَض مما تخوَّفتم من قطع تلك الأسواق ، فعوَّضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية .(٢)

* * *

وأما قوله : « إن الله عليم حكيم » ، فإن معناه : « إن الله عليم » ، بما حدثتكم به أنفسكم ، أيها المؤمنون ، من خوف العيلة عليها ، بمنع المشركين من أن يقربوا

---

(١) فى المطبوعة : « فنزل : وإن خفتم » ، ولم تكن « فنزل » فى المخطوطة ، سها الكاتب وتجاوز ما كان ينقل منه ، وأثبته من نص ابن إسحق فى سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ١٦٦١٥ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٢ ، ١٩٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٥٥٦ .

المسجد الحرام ، وغير ذلك من مصالح عباده = « حكيم » ، فى تدبيره إياهم ، وتدبير جميع خلقه .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم : « قاتلوا » ، أيها المؤمنون ، القومَ = « الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » ، يقول : ولا يصدّقون بجنّة ولا نار[٢] = « ولا يحرّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق » ، يقول : ولا يطيعون الله طاعة الحقّ ، يعنى أنّهم لا يطيعون طاعةَ أهلِ الإسلام[٣] = « من الذين أوتوا الكتاب » ، وهم اليهود والنصارَى .

* * *

وكل مطيع ملكاً وذا سلطانٍ ، فهو دائنٌ له . يقال منه : « دان فلان لفلان فهو يدين له ، ديناً » ، قال زهير :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فِى بَنِى أَسَدٍ ... فِى دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ[٤]

* * *

(١) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .

(٢) انظر تفسير « اليوم الآخر » فيما سلف من فهارس اللغة (أخر) .

(٣) انظر تفسير « الدين » فيما سلف ١ : ١٥٥/٣ : ٥٧١/٩ : ٥٢٢ .

(٤) ديوانه : ١٨٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٨٦ ، من قصيدة من جيد الكلام ،

وقوله : « من الذين أوتوا الكتاب »، يعني الذين أعطوا كتاب الله ،[1] وهم أهل التوراة والإنجيل = « حتى يعطوا الجزية » .

* * *

و « الجزية »، الفِعْلة من : « جزى فلان فلاناً ما عليه »، إذا قضاه، « يجزيه »، و « الجِزْية » مثل « القِعْدة » و « الجِلْسة » .

* * *

ومعنى الكلام : حتى يعطوا الخراجَ عن رقابهم ، الذي يبذلونه للمسلمين دَفْعاً عنها .

* * *

وأما قوله : « عن يد » ، فإنه يعني : من يده إلى يد من يدفعه إليه .

* * *

وكذلك تقول العرب لكل معطٍ قاهرًا له، شيئاً طائعاً له أو كارهاً : « أعطاه عن يده ، وعن يد » . وذلك نظير قولهم : « كلمته فماً لفمٍ » ، و « لقيته كَفَّةً

أنذر بها الحارث بن ورقاء الصيداوى ، من بنى أسد ، وكان أغار على بنى عبد الله بن غطفان ، فغنم ، واستاق إبل زهير ، وراعيه يساراً :

يَا حَارِ ، لاَ أُرْمَيَنْ مِنكُمْ بِدَاهِيَةٍ لَمْ يَلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلِي ولا مَلِكُ
فَارْدُدْ يَسَاراً، وَلاَ تَعْنُفْ عَلَيَّ وَلاَ تَمْعَكْ بِعِرْضِكَ إن الغادِرَ المَعِكُ
وَلاَ تَكُونَنْ كَأَقْوَامٍ عَلِمْتُهُمُ يَلْوُونَ ما عِنْدَهُمْ حَتَّى إذَا نُهِكُوا
طَابَتْ نُفُوسُهُمُ عن حَقِّ خَصْمِهِمُ مَخَافَةَ الشَّرِّ ، فَارْتَدُّوا لِمَا تَرَكُوا
تَعَلَّمَنْ : هَا ، لَعَمْرُ اللهِ ذَا ، قَسَماً فَاقْصِدْ بِذَرْعِكَ، وَانْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ
لَئِنْ حَلَلْتَ . . . .
لَيَأْتِيَنَّكَ مِنِّي مَنْطِقٌ قَذَعٌ بَاقٍ ، كما دَنَّسَ القُبْطِيَّةَ الوَدَكُ

« جو » اسم لمواضع كثيرة فى الجزيرة ، وهذا « الجو » هنا فى ديار بنى أسد . و « عمرو » ، هو : « عمرو بن هند بن المنذر بن ماء السماء » ، و « فدك » قرية مشهورة بالحجاز ، لها ذكر فى السير كثير .

(١) انظر تفسير « الإيتاء » فيما سلف من فهارس اللغة (أتى) .

لِكَفَّةٍ » ، [١] وكذلك : « أعطيته عن يدٍ ليد » .

* * *

وأما قوله : « وهم صاغرون » ، فإن معناه : وهم أذلاء مقهورون .

* * *

يقال للذليل الحقير : « صاغر » . [٢]

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره بحرب الروم ، فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نُزولها غزوة تبوك .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦١٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، حين أمر محمدٌ وأصحابه بغزوة تبوك .

١٦٦١٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى « الصغار » ، الذي عناه الله في هذا الموضع .

فقال بعضهم : أن يعطيها وهو قائمٌ ، والآخذ جالسٌ .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨/١٠ ١٦٦١٨ — حدثني عبد الرحمن بن بشر النيسابوري قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي سعد ، عن عكرمة : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، قال :

(١) يقال : « لقيته كفة كفة » (بفتح الكاف ، ونصب التاء) ، إذ استقبلته مواجهته ، كأن كل واحد منهما قد كفّ صاحبه عن مجاوزته إلى غيره ومنعه . وانظر تفصيل ذلك في مادته في لسان العرب (كفف) .

(٢) انظر تفسير « الصغار » فيما سلف ١٣ : ٢٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

أى تأخذها وأنت جالس ، وهو قائم .[1]

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، عن أنفسهم ، بأيديهم يمشون بها ، وهم كارهون . وذلك قولٌ رُوى عن ابن عباس ، من وجهٍ فيه نظر .

* * *

وقال آخرون : إعطاؤهم إياها ، هو الصغار .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : واختلف أهل التأويل فى القائل : « عزير ابن الله » .

فقال بعضهم : كان ذلك رجلاً واحداً ، وهو فِنْحاص .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦١٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله : « وقالت اليهود عزير ابن الله » ، قال : قالها رجل واحد ، قالوا : إن اسمه فنحاص . وقالوا : هو الذى قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٨١] .

* * *

(١) الأثر : ١٦٦١٨ — « عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، من شيوخ البخارى ، مضى برقم : ١٣٨٠٥ .

وفى المطبوعة : « عن ابن سعد » ، وهو خطأ ، خالف ما فى المخطوطة وانظر « أبا سعد » فى فهرس الرجال .

وقال آخرون : بل كان ذلك قول جماعة منهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٢٠ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة، عن ابن عباس قال : أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَلاّمُ بن مشكم ،ونعمانُ بن أوفى ،[١] وشأسُ بن قيس ،ومالك بن الصَّيف ، فقالوا : كيف نتّبعك وقد تركت قِبْلتنا ، وأنت لا تزعم أنّ عزيراً ابن الله؟فأنزل الله في ذلك من قولهم: « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » ، إلى : « أنى يؤفكون » .[٢]

١٦٦٢١ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وقالت اليهود عزير ابن الله » وإنما قالوا : « هو ابن الله » ، من أجل أن عُزَيراً كان في أهل الكتاب ، وكانت التوراة عندهم ، فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ،[٣] ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق ، وكان التّابوت فيهم . فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء، رفع الله عنهم التابوت ، وأنساهُم التوراة ، ونسخها من صدورهم ، وأرسل الله عليهم مرضاً ، فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشي كبدُه ، حتى نسوا التوراة ، ونسخت من صدورهم ، وفيهم عزير . فمكثوا ما شاء الله أن يمكثُوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم ، وكان عزير قبلُ من علمائهم ،فدعا عزيرٌ الله ، وابتهل إليه أن يردّ إليه الذي نسخَ من صدره من التوراة . فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله ، نزل نورٌ من الله فدخل جَوْفه ،فعاد إليه الذي كان ذهبَ من جوفه من

(١) في سيرة ابن هشام : « ونعمان بن أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، وشأس . . . » .

(٢) الأثر : ١٦٦٢٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٩ .

(٣) في المطبوعة : « يعملون بها ما شاء الله » ، وأثبت ما في المخطوطة .

التوراة ، فأذّن فى قومه فقال : يا قوم ، قد آتانى الله التوراةَ وردَّها إلىَّ ! فعلقَ بهم يعلمهم ،[1] فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم . ثم إنّ التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم ، فلما رأوا التابوت عرَضوا ما كان فيه على الذى كان عزير يعلّمهم ، فوجدوه مثله ، فقالوا : والله ما أوتى عزير هذا إلا أنه ابن الله ! !

١٦٦٢٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدّى : « وقالت اليهود عزير ابن الله » ، إنما قالت ذلك ، لأنهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم ، وأخذوا التوراة ، وذهب علماؤهم الذين بقُوا ، وقد دفنوا كتب التوراة فى الجبال .[2] وكان عزير غلاماً يتعبَّد فى رؤوس الجبال ، لا ينزل إلا يوم عيد . فجعل الغلام يبكى ويقول : « ربِّ تركتَ بنى إسرائيل بغير عالم » ! فلم يزل يبكى حتى سقطت أشْفارُ عينيه ، فنزل مرة إلى العيد ، فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلتْ له عند قبر من تلك القبور تبكى وتقول : « يا مطعماه ، ويا كاسياه » ! فقال لها ، ويحك ، من كان يطعمك أو يكسوك أو يسقيك أو ينفعك قبل هذا الرجل ؟[3] قالت : الله ! قال : فإنّ الله حى لم يمت ! قالت : يا عزير ، فمن كان يعلِّم العلماء قبلَ بنى إسرائيل ؟ قال : الله ! قالت : فلِمَ تبكى عليهم ؟ فلما عرف أنه قد خُصِم ،[4] ولَّى مدبراً ، فدعته فقالت : يا عزير ، إذا أصبحت غداً فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه ، ثم اخرج فصلِّ ركعتين ،

٧٩/١٠

---

(١) فى المطبوعة : « فعلق يعلمهم » ، وفى المخطوطة « فعلق به يعلمهم » ، ورجحت صواب ما أثبت . يقال : « علقت أفعل كذا » بمعنى : طفقت . من قولهم : « علق بالشىء » ، إذا لزمه ، قال يزيد بن الطثرية :

عَلِقْنَ حَوْلِى يَسْأَلْنَ القِرَى أُصُلاً ... وليس يَرْضَيْنَ مِنِّى بالمَاذِيرِ

بمعنى : طفقن (انظر طبقات فحول الشعراء : ٥٨٧ ، تعليق : ٤) .

(٢) فى المطبوعة : « فدفنوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة ، جعلها جميعاً بالواو على العطف ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) « خصم » ، أى : غلب فى الخصام والحجاج .

فإنه يأتيك شيخٌ ، فما أعطاك فخُذْه . فلما أصبح انطلق عزيرٌ إلى ذلك النهر ، فاغتسل فيه ، ثم خرج فصلى ركعتين . فجاء الشيخُ فقال : افتح فمك ! ففتح فمه ، فألقى فيه شيئاً كهيئة الجمرة العظيمة ، مجتمع كهيئة القوارير ، ثلاث مرار .[١] فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة ، فقال : يا بنى إسرائيل ، إنى قد جئتكم بالتوراة ! فقالوا : يا عزيز ، ما كنت كذّاباً ! فعمد فربط على كل إصبع له قلماً ، وكتب بأصابعه كلها ، فكتب التوراة كلّها . فلما رجعَ العلماء ، أخبروا بشأن عزير ، فاستخرج أولئك العلماء كُتبهم التى كانوا دفنوها من التوراة فى الجبال ، وكانت فى خوابٍ مدفونة ،[٢] فعارضوها بتوراة عزير ، فوجدوها مثلها ، فقالوا : ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه !

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ ، لا ينونون « عزيرًا » .

* * *

وقرأه بعض المكيين والكوفيين : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ ، بتنوين « عزير » قال : هو اسم مجْرًى وإن كان أعجميًّا ، لخفته . وهو مع ذلك غير منسوب إلى الله ، فيكون بمنزلة قول القائل : « زيدٌ ابن عبد الله » ، وأوقع « الابن » موقع الخبر . ولو كان منسوباً إلى الله لكان الوجه فيه ، إذا كان الابن خبرًا ، الإجراء ، والتنوين ، فكيف وهو منسوب إلى غير أبيه ؟ وأما من ترك تنوين « عزير » فإنه لما كانت الباء من « ابن » ، ساكنة مع التنوين الساكن ، والتقى ساكنان ، فحذف الأول منهما استثقالاً لتحريكه ، قال الراجز :[٣]

---

(١) فى المطبوعة : « مجتمعاً » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، والدر المنثور . وهذا الموضع من الخبر ، يحتاج إلى نظر فى صحته ومعناه .

(٢) « خوابى » جمع « خابية » ، وهى الجرة الكبيرة .

(٣) لم أعرف قائله .

لَتَجِدَنِّى بِالأَمِيرِ بَرًّا وَبِالْقَنَاةِ مِدْعَساً مِكَرًّا
إِذَا غُطَيْفُ السُّلَمِىُّ فَرَّا(١)

فحذف النون للساكن الذى استقبلها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك، قراءةُ من قرأ : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ ، بتنوين « عزير » ، لأن العرب لا تنون الأسماء إذا كان « الابن » نعتاً للاسم ، [وتنونه إذا كان خبراً] ، كقولهم : « هذا زيدٌ ابن عبد الله » ، فأرادوا الخبر عن « زيد » بأنه « ابن عبد الله » ،(٢) ولم يريدوا أن يجعلوا « الابن » له نعتاً و « الابن » فى هذا الموضع خبر لـ « عزير » ، لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك ، إنما أخبروا عن « عزير » ، أنه كذلك ، وإن كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين .

* * *

= « وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، يعنى قول اليهود : « عزير ابن الله » . يقول : يُشْبه قول هؤلاء فى الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح إلى أنه لله ابنٌ ، كذبَ اليهود وفريتهم على الله فى نسبتهم عزيراً إلى أنه لله ابن ،(٣) ولا ينبغى أن يكون لله ولدٌ سبحانه ،

---

(١) نوادر أبى زيد : ٩١ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣١ . اللسان (صهب) ، (دعس) ، (دعص) ، وغيرها ، وقبله فى النوادر :

جاءوا يجرُّونَ الحديدَ جَرًّا صُهْبَ السِّبالِ يَبتغونَ الشرَّا

وفى النوادر : « يجرون السود » ، وهذه رواية غيره .

(٢) هذه الجملة كانت فى المخطوطة هكذا : « لأن النون العرب من الأسماء إذا كان الابن نعتاً للاسم ، كقولهم : هذا زيد بن عبد الله ، فأرادوا الخبر عن زيد بأنه ابن الله » . وهو كلام مضطرب غاية الاضطراب .

وصححها فى المطبوعة هكذا : « لأن العرب لا تنون الأسماء ، إذا كان الابن نعتاً للاسم ، كقولهم : هذا زيد بن عبد الله ، فأرادوا الخبر عن عزير بأنه ابن الله » ، وهو أيضاً مضطرب .

فأبقيت تصحيح الناشر الأول فى صدر الجملة ، ثم صححت سائر الكلام بما يوافق المخطوطة ، ثم زدت فيه ما بين القوسين ، حتى يستقيم الكلام على وجه مرضى بعض الرضى . ولا أشك أن الناسخ قد أسقط قدراً من كلام أبى جعفر .

(٣) فى المطبوعة : « نسبة قول هؤلاء . . . ككذب اليهود وفريتهم » ، أخطأ فى قراءة

بل له ما فى السموات والأرض كلٌّ له قانتون .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٢٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، يقول : يُشبِّهون .

١٦٦٢٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل »، ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم .

١٦٦٢٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدّى : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، النصارى يضاهئون قول اليهود فى « عزير » .

١٠/٨٠ ١٦٦٢٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج : «يضاهئون قول الذين كفروا من قبل» ، يقول : النصارى ، يضاهئون قول اليهود .

١٦٦٢٧ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، يقول : قالوا مثل ما قال أهل الأوثان .

* * *

وقد قيل : إن معنى ذلك : يحكون بقولهم قولَ أهل الأوثان،[1] الذين قالوا : « اللات، والعزّى ، ومناة الثالثة الأخرى » .[2]

* * *

« يشبه » ، فجعلها « نسبة » ، ثم زاد فى « كذب » كافاً أخرى فى أولها ، ليستقيم الكلام ، فلم يستقم . وقوله : « كذب » مفعول قوله : « يشبه » . وذلك معنى « المضاهأة » كما سيأتى .

(١) فى المطبوعة : « أهل الأديان » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٣ .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق :﴿ يُضَاهُونَ ﴾ ، بغير همز .

* * *

وقرأه عاصم : ﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾ ، بالهمز ، وهى لغة لثقيف .

* * *

وهما لغتان ،يقال : « ضاهيته على كذا أضَاهيه مضاهاة » ، و« ضاهأته عليه مُضَاْهاة » ، إذا مالأته عليه وأعنته .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك ترك الهمز ، لأنها القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار ، واللغة الفصحى .

* * *

وأما قوله : « قاتلهم الله » ، فإن معناه ، فيما ذكر عن ابن عباس ، ما : —

١٦٦٢٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « قاتلهم الله » ، يقول : لعنهم الله . وكل شىء فى القرآن « قتل » ، فهو لعن .

* * *

وقال ابن جريج فى ذلك ما : —

١٦٦٢٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « قاتلهم الله » ، يعنى النصارى ، كلمةٌ من كلام العرب .(١)

* * *

فأما أهل المعرفة بكلام العرب فإنهم يقولون : معناه : قتلهم الله . والعرب تقول : « قاتعك الله » ،و« قاتعها الله » ، بمعنى : قاتلك الله . قالوا :و« قاتعك الله » أهون من « قاتله الله » .

وقد ذكروا أنهم يقولون:«شاقاه الله ما تاقاه »، يريدون: أشقاه اللهما أبقاه .

---

(١) يعنى أنها كلمة تقولها العرب ، لا تريد بها معنى « القتل»، كقولهم : « تربت يداك » ، لا يراد بها وقوع الأمر .

قالوا : ومعنى قوله : « قاتلهم الله » ، كقوله : ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ ، [سورة الذاريات : ١٠] ، و ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ ، [سورة البروج : ٤] ، واحدٌ هو بمعنى التعجب .

* * *

فإن كان الذى قالوا كما قالوا ، فهو من نادر الكلام الذى جاء على غير القياس ، لأنّ « فاعلت » لا تكاد أن تجىء فعلاً إلا من اثنين ، كقولهم : « خاصمت فلاناً » ، و « قاتلته » ، وما أشبه ذلك . وقد زعموا أن قولهم : « عافاك الله » منه ، وأن معناه : أعفاك الله ، بمعنى الدعاء لمن دعا له بأن يُعْفيه من السوء .

* * *

وقوله : « أنى يؤفكون » ، يقول : أيَّ وجه يُذْهبُ بهم ، ويحيدون؟ وكيف يصدُّون عن الحق ؟ وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : اتخذ اليهود أحبارهم ، وهم العلماء .

* * *

وقد بينت تأويل ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا قبل . واحدهم « حَبْرٌ » ، و « حِبْرٌ » بكسر الحاء منه وفتحها .[2]

وكان يونس الجرمى،[3] فيما ذكر عنه، يزعم أنه لم يسمع ذلك إلا « حِبرَ »

---

(١) انظر تفسير « الإفك » فيما سلف ١٠ : ٤٨٦/١١ : ٥٥٤ .

(٢) انظر تفسير « الحبر » فيما سلف ٦ : ٥٤٣ ، ١٠/٥٤٤ : ٣٤١ ، ٤٤٨ .

(٣) « يونس الجرمى » ، انظر ما سلف ١٠ : ١٢٠ ، تعليق : ١١/١ : ٥٤٤ ، تعليق : ٣ / ١٣ : ١٢٩ ، تعليق : ٣ = ١٣٨ ، تعليق : ٤

بكسر الحاء . ويحتج بقول الناس : « هذا مِدَادُ حِبْرٍ » ، يراد به مدادُ عالم .

وذكر الفرَّاء أنه سمعه « حِبْرًا » ، و « حَبْرًا » بكسر الحاء وفتحها .

* * *

= والنصارى « رهبانهم » ،[1] وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم ،[2] كما : —

١٦٦٣٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة ، عن الضحاك ، « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم » ، قال : قُرَّاءهم وعلماءهم .

* * *

= « أربابًا من دون الله » ، يعني : سادةً لهم من دون الله ،[3] يطيعونهم في معاصي الله ، فيحلون ما أحلُّوه لهم مما قد حرَّمه الله عليهم ، ويحرِّمون ما يحرِّمونه عليهم مما قد أحلَّه الله لهم ، كما : —

١٦٦٣١ — حدثني الحسين بن يزيد الطحّان قال ، حدثنا عبد السلام بن حرب الملائى ، عن غطيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى بن حاتم قال : انتهيتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في « سورة براءة » : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله » ، فقال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكن كانوا يحلّون لهم فيُحلُّون .[4]

---

(١) قوله : « والنصارى ، ورهبانهم » هذا معطوف على قوله آنفاً : « اتخذ اليهود أحبارهم » .

(٢) انظر تفسير « الرهبان » فيما سلف ١٠ : ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

(٣) انظر تفسير « الرب » فيما سلف ١ : ١٤٢ / ١٢ : ٢٨٦ ، ٤٨٢

(٤) الأثر : ١٦٦٣١ — حديث « عدى بن حاتم الطائى » ، رواه أبو جعفر من ثلاث طرق متابعة ، كلها من طريق عبد السلام بن حرب ، عن غطيف بن أعين ، من ١٦٦٣١ — ١٦٦٣٣ .
« الحسين بن يزيد السبيعى الطحان » ، شيخ الطبرى ، وثقه ابن حبان ، ولين حديثه أبو حاتم ، مضى برقم : ٢٨٩٢ ، ٧٨٦٣ ، ٩١٥٣ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « الحسن بن يزيد » ، وهو خطأ .

١٦٦٣٢ – حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا مالك بن إسمعيل = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد = جميعاً ، عن عبد السلام ابن حرب قال ، حدثنا غطيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى ابن حاتم قال : أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وفى عُنُقى صليبٌ من ذهب ، فقال : يا عدىّ ، اطرح هذا الوثنَ من عنقك ! قال : فطرحته ، وانتهيت إليه وهو يقرأ فى « سورة براءة » ، فقرأ هذه الآية : « اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أرباباً من دون الله » ، قال قلت : يا رسول الله ، إنا لسنا نعبدُهم ! فقال : أليس يحرِّمون ما أحلّ الله فتحرِّمونه ، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه ؟ قال قلت : بلى ! قال : فتلك عبادتهم ! = واللفظ لحديث أبي كريب .[1]

٨١/١٠

١٦٦٣٣ – حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال : حدثنا بقية ، عن قيس

و « عبد السلام بن حرب الملائى النهدى » ، الحافظ الثقة ، مضى برقم : ١١٨٤ ، ٥٤٧١ ، ١٢٤٧٨ .

و « غطيف بن أعين الشيبانى الجزرى » أو : « غضيف » وثقه ابن حبان ، وقال الترمذى : « ليس بمعروف فى الحديث » ، وضعفه الدارقطنى ، مترجم التهذيب ، والكبير ٤/١/١٠٦ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وترجمه ابن أبى حاتم فى « غضيف » بالضاد ، ٣/٢/٥٥ ، ولم يذكر فيه جرحاً . وسيأتى « غضيف » فى رقم : ١٦٦٣٣ .

و « مصعب بن سعد بن أبى وقاص » ، روى عن أبيه ، وعلى ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعدى ابن حاتم ، وابن عمر . وغيرهم ، وروى عن غطيف بن أعين . وهو ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٩٨٤١ ، ١١٤٥٠ .

وهذا الخبر مختصر الذى يليه ، فراجع التخريج التالى .

ورواه الترمذى من هذه الطريق نفسها عن الحسين بن يزيد الكوفى الطحان فى كتاب التفسير ، وقال : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب . وغطيف بن أعين ، ليس بمعروف فى الحديث » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٣٠ ، وزاد نسبته إلى ابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه . ولم أجده فى المطبوع من طبقات ابن سعد ، وضل عنى مكانه فى سنن البيهقى .

(١) الأثر : ١٦٦٣٢ – رواه من طريق مالك بن إسماعيل ، عن عبد السلام بن حرب ، بلفظه ، البخارى فى الكبير ٤/١/١٠٦ . وانظر التخريج السالف .

ابن الربيع ، عن عبد السلام بن حرب النهدي ، عن غضيف ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى بن حاتم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ « سورة براءة » ، فلما قرأ : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قلت : يا رسول الله ، إما إنهم لم يكونوا يصلون لهم ! قال : صدقت ، ولكن كانوا يُحلّون ما حرّم الله فيستحلّونه ، ويحرّمون ما أحلّ الله لهم فيحرّمونه .

١٦٦٣٤ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البختري ، عن حذيفة : أنه سئل عن قوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، أكانوا يعبدونهم ؟ قال : لا ، كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه .

١٦٦٣٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن أبي البختري قال : قيل لأبي حذيفة ، فذكر نحوه = غير أنه قال : ولكن كانوا يحلّون لهم الحرام فيستحلّونه ، ويحرّمون عليهم الحلال فيحرّمونه .

١٦٦٣٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن العوام بن حوشب ، عن حبيب عن أبي البختري قال : قيل لحذيفة : أرأيت قول الله : « اتخذوا أحبارهم » ؟ قال : أمّا إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلّوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرّموه ، فتلك كانت رُبوبيّتهم .

١٦٦٣٧ — . . . . قال ، حدثنا جرير وابن فضيل ، عن عطاء ، عن أبي البختري : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قال : انطلقوا

---

(١) الأثر : ١٦٦٣٣ — « غضيف » ، هو « غضيف » بن أعين » ، و « غطيف » ، كما مر في تخريج الأثر : ١٦٦٣١ . وكان في المخطوطة : « حصف » وجعلها في المطبوعة : « غطيف » ، والصواب ما أثبت . كما أشرت إليه في التعليق المذكور .

إلى حلال الله فجعلوه حراماً ، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالاً ، فأطاعوهم فى ذلك . فجعل الله طاعتهم عبادتهم . ولو قالوا لهم : « اعبدونا » ، لم يفعلوا .

١٦٦٣٨ — حدثنى الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى البخترى قال : سأل رجل حذيفة فقال : يا أبا عبد الله ، أرأيت قوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، أكانوا يعبدونهم؟ قال : لا ، كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه ، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه .

١٦٦٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن أبى عدىّ ، عن أشعث ، عن الحسن : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً » ، قال : فى الطاعة .

١٦٦٤٠ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، يقول : زيَّنُوا لهم طاعتهم .

١٦٦٤١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قال عبد الله بن عباس : لم يأمروهم أن يسجُدوا لهم ، ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم ، فسمَّاهم الله بذلك أرباباً .

١٦٦٤٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً » ، قال : قلت لأبى العالية : كيف كانت الرُّبوبية التى كانت فى بنى إسرائيل ؟ قال : [لم يسبوا أحبارنا بشىء مضى] ، « ما أمرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم » ، وهم يجدون فى كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه ، فاستنصحوا ٨٢/١٠ الرجالَ ، ونبذُوا كتاب الله وراء ظهورهم .

(١) هذه الجملة التى وضعتها بين القوسين من المخطوطة ، ولا أدرى ما هى ، ولكنى أثبتها كما جاءت ، فلعل أحداً يجد الخبر فى مكان آخر فيصححه .

١٦٦٤٣ — حدثني بشر بن سويد قال، حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي البختري ، عن حذيفة : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قال : لم يعبدوهم ، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي .[1]

* * *

وأما قوله : « والمسيح ابن مريم » ، فإن معناه : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيحَ ابن مريم أرباباً من دون الله .

* * *

وأما قوله : « وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً » ، فإنه يعني به : وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبارَ والرهبان والمسيحَ أرباباً ، إلا أن يعبدوا معبوداً واحداً ، وأن يطيعوا إلا ربًّا واحداً ، دون أرباب شتَّى ، وهو الله الذي له عبادة كل شيء ، وطاعةُ كل خلق ، المستحقُّ على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية = « لا إله إلا هو » ، يقول تعالى ذكره : لا تنبغي الألوهية إلا للواحد الذي أمر الخلقُ بعبادته ، ولزمت جميع العباد طاعته = « سبحانه عما يشركون » ، يقول : تنزيهاً وتطهيرًا لله عما يُشرك في طاعته وربوبيته ، القائلون : « عزير ابن الله » ، والقائلون : « المسيح ابن الله » ، المتخذون أحبارهم أرباباً من دون الله .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يريد هؤلاء المتخذون أحبارَهم ورهبانهم والمسيحَ ابن مريم أرباباً = « أن يطفئوا نور الله بأفواههم » ، يعني : أنهم يحاولون

---

(١) الأثر : ١٦٦٤٣ — « بشر بن سويد » ، لم أجد من يسمى بهذا الاسم ، أخشى أن يكون : « بشر بن معاذ » شيخ الطبري ، عن « سويد بن نصر المروزي » .

(٢) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ١٣ : ١٠٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

بتكذيبهم بدين الله الذى ابتعثَ به رسوله، وصدِّهم الناسَ عنه بألسنتهم، أن يبطلوه، وهو النُّور الذى جعله الله لخلقه ضياءً[١] = « ويأبى الله إلا أن يتم نوره »، يعلو دينُه، وتظهر كلمته، ويتم الحقّ الذى بعث به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم = « ولو كره » إتمامَ الله إياه = «الكافرون»، يعنى : جاحديه المكذِّبين به.

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم »، يقول : يريدون أن يطفئوا الإسلام بكلامهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الله الذى يأبى إلا إتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه = « الذى أرسل رسوله » ، محمداً صلى الله عليه وسلم = « بالهدى » ، يعنى : ببيان فرائض الله على خلقه ، وجميع اللازم لهم[٢] = وبدين الحق ، وهو الإسلام = « ليظهره على الدين كله » ، يقول : ليعلى الإسلام على الملل كلها = « ولو كره المشركون » ، بالله ظهورَه عليها .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « ليظهره على الدين كله » .

---

(١) انظر تفسير « الإطفاء » فيما سلف ١٠ : ٤٥٨ .

(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

فقال بعضهم : ذلك عند خروج عيسى ، حين تصير المللُ كلُّها واحدةً .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٥ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال ، حدثنا شقيق قال ، حدثنى ثابت الحدّاد أبو المقدام ، عن شيخ ، عن أبى هريرة فى قوله : « ليظهره على الدين كله » ، قال : حين خروج عيسى بن مريم.[1]

١٦٦٤٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق قال ، حدثنى من سمع أبا جعفر : « ليظهره على الدين كله » ، قال : إذا خرج عيسى عليه السلام ، اتبعه أهل كل دين .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ليعلمه شرائعَ الدين كلها ، فيطلعه عليها .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله : « ليظهره على الدين كله » ، قال : ليظهر الله نبيّه على أمر الدين كله ، فيعطيه إيّاه كله ، ولا يخفى عليه منه شىء . وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك .

* * *

---

(١) الأثر : ١٦٦٤٥ — « ثابت الحداد » ، « أبو المقدام » هو : « ثابت بن هرمز الكوفى » مضى برقم : ٥٩٦٩ .

القول في تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ٨٣/١٠

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقروا بوحدانية ربهم ، إن كثيراً من العلماء والقُرَّاء من بنى إسرائيل من اليهود والنصارى[١] = « ليأكلون أموال الناس بالباطل » ، يقول : يأخذون الرشى في أحكامهم ، ويحرّفون كتاب الله ، ويكتبون بأيديهم كتباً ثم يقولون : « هذه من عند الله » ، ويأخذون بها ثمناً قليلاً من سِفْلتهم[٢]= « ويصدُّون عن سبيل الله » ، يقول : ويمنعون من أرادَ الدخول في الإسلام الدخولَ فيه ، بنهيهم إيّاهم عنه .[٣]

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٨ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل » ، أما « الأحبار » ، فمن اليهود . وأما « الرهبان » ، فمن النصارى . وأما « سبيل الله » ، فمحمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

(١) انظر تفسير « الأحبار » ، و « الرهبان » فيما سلف ص : ٢٠٩ ، تعليق : ٢ ، وص : ٢٠٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « أكل الأموال بالباطل » فيما سلف ٩ : ٣٩٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ص : ١٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « سبيل الله » في فهارس اللغة (سبل) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل » ، ويأكلها أيضاً معهم « الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » ، يقول : بشّر الكثيرَ من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، بعذابٍ أليم لهم يوم القيامة ، مُوجع من الله .(١)

* * *

واختلف أهل العلم فى معنى « الكنز » .

فقال بعضهم : هو كل مال وجبت فيه الزكاة ، فلم تؤدَّ زكاته . قالوا : وعنى بقوله : « ولا ينفقونها فى سبيل الله » ، ولا يؤدُّون زكاتها .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كل مال أدَّيت زكاته فليس بكنز ، وإن كان مدفوناً . وكل مالٍ لم تؤدَّ زكاته ، فهو الكنز الذى ذكره الله فى القرآن ، يكوى به صاحبه ، وإن لم يكن مدفوناً .(٢)

١٦٦٥٠ — حدثنا الحسن بن الجنيد قال ، حدثنا سعيد بن مسلمة قال ، حدثنا إسمعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه قال : كل مالٍ أدَّيت منه الزكاة فليس بكنز ، وإن كان مدفوناً . وكل مال لم تؤدَّ منه الزكاة ، وإن لم

---

(١) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

(٢) الأثر : ١٦٦٤٩ — حديث ابن عمر فى الكنز ، رواه أبو جعفر من طرق ، بألفاظ مختلفة ، موقوفاً على ابن عمر ، وهو الصواب . وإسناد هذا الخبر صحيح إلى ابن عمر .
رواه مالك بمعناه من طريق عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر فى الموطأ : ٢٥٦ .

يكن مدفوناً ، فهو كنز .[١]

١٦٦٥١ — حدثني أبو السائب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن يحيي بن سعيد، عن نافع ، عن ابن عمر قال : أيُّما مالٍ أدّيت زكاته فليس بكنز ، وإن كان مدفوناً في الأرض. وأيُّما مالٍ لم تؤدّ زكاته ، فهو كنز يكوى به صاحبه، وإن كان على وجه الأرض .[٢]

١٦٦٥٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي وجرير ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن ابن عمر قال : ما أدّيت زكاته فليس بكنز .[٣]

١٦٦٥٣ — . . . . قال ، حدثنا أبي، عن العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما أدّيت زكاته فليس بكنز ، وإن كان تحت سبع أرَضِين . وما لم تؤدّ زكاته فهو كنز ، وإن كان ظاهراً .[٤]

١٦٦٥٤ — . . . . قال، حدثنا جرير ، عن الشيباني ، عن عكرمة قال : ما أدّيت زكاته فليس بكنز .

---

(١) الأثر : ١٦٦٥٠ — « الحسن بن الجنيد البلخي » ، شيخ الطبري ، ويقال « الحسين » ، مضى برقم : ٨٤٥٨ . وكان في المخطوطة : « الحسين » وأثبت ما في المخطوطة .

و « سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان » ، ضعيف الحديث ، مضى برقم : ٨٤٥٨ .

و « إسماعيل بن أمية الأموي » ، مضى برقم : ٢٦١٥ ، ٨٤٥٨ .
وهذا إسناد ضعيف لضعف « سعيد بن مسلمة » .

(٢) الأثر : ١٦٦٥١ — رواه البيهقي في السنن ٤ : ٨٢ ، بنحو هذا اللفظ من طريق ابن نمير ، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر ، وقال : « هذا هو الصحيح ، موقوف . وكذلك رواه جماعة عن نافع ، وجماعة عن عبيد الله بن عمر . وقد رواه سويد بن عبد العزيز ، وليس بالقوي ، مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٣) الأثر : ١٦٦٥٢ — « عطية » ، هو « عطية بن سعد العوفي » ، ضعيف الحديث ، مضى تضعيفه في رقم : ٣٠٥ .

(٤) الأثر : ١٦٦٥٣ — « العمري » ، هو « عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب » ، سلف مراراً . وهذا الإسناد هو الذي أشار إليه البيهقي فيما سلف رقم : ١٦٥٥١ ، في التعليق .

١٦٦٥٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال: أما « الذين يكنزون الذهب والفضة »، فهؤلاء أهل القبلة، و« الكنز »، ما لم تؤدَّ زكاته وإن كان على ظهر الأرض، وإن قلّ. وإن كان كثيراً قد أدِّيت زكاته، فليس بكنز.

١٦٦٥٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن إسرائيل، عن جابر قال: قلت لعامر: مالٌ على رَفٍّ بين السماء والأرض لا تؤدَّى زكاته، أكنز هو؟ قال: يُكْوَى به يوم القيامة.

* * *

وقال آخرون: كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنزٌ، أدِّيت منه الزكاة أو لم تؤدَّ.

* ذكر من قال ذلك:

١٦٦٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبى حصين، عن أبى الضحى، عن جعدة بن هبيرة، عن على رحمة الله عليه قال: أربعة آلاف درهم فما دونها « نفقة »، فما كان أكثر من ذلك فهو « كنز ».[1]

١٦٦٥٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن أبى حصين، عن أبى الضحى، عن جعدة بن هبيرة، عن على مثله. ٨٤/١٠

١٦٦٥٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الشعبى قال، أخبرنى أبو حصين، عن أبى الضحى، عن جعدة بن هبيرة، عن على رحمة الله عليه فى قوله: « والذين يكنزون الذهب والفضة »، قال: أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة، وما فوقها كنز.

* * *

(١) الأثر : ١٦٦٥٧ — « جعدة بن هبيرة المخزومى »، تابعى ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم، وهو ابن أم هانىء بنت أبى طالب. خاله على رضى الله عنهم. مترجم فى التهذيب، والكبير ١/٢/٢٣٨، وابن أبى حاتم ١/١/٥٢٦.
وسيأتى بعد من طريقين.

وقال آخرون : « الكنز » كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٦٠ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبيد الله بن معاذ قال ، حدثنا أبى قال، حدثنا شعبة، عن ابن عبد الواحد: أنه سمع أبا مجيب قال : كان نعل سيف أبى هريرة من فضة ، فنهاه عنها أبو ذر وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من ترك صَفْرَاء أو بيضاء كُوِىَ بها .[(١)]

١٦٦٦١ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن الأعمش وعمرو بن مرة ، عن سالم بن أبى الجعد قال : لما نزلت: « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله » ، قال النبى صلى الله عليه وسلم: تبًّا للذهب ! تبًّا للفضة ! يقولها ثلاثاً ، قال: فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا : فأىَّ مال نتخذ ؟! فقال عمر : أنا أعلم لكم

---

(١) الأثر : ١٦٦٦٠ — « ابن عبد الواحد » ، يقال : « عبد الله بن عبد الواحد الثقفى » ، ويقال : « فلان بن عبد الواحد ، رجل من ثقيف»، ويقال : « يحيى بن عبد الواحد » ويقال : « عبد الواحد » . مجهول ، وكان فى المطبوعة : « عن أنس ، عن عبد الواحد » ، غير فيها وزاد ما لم يكن فى المخطوطة .

و « أبو مجيب » ، الشاشى . مجهول .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٥ : ١٦٨ من طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن رجل من ثقيف يقال له فلان بن عبد الواحد قال : سمعت أبا مجيب .

وذكره الحافظ فى تعجيل المنفعة : ٥١٨ ، فى ترجمة « أبو محمد » . وذكر نص حديث أحمد ثم قال : « وهذا الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الكنى ، فيما حكاه الحاكم أبو أحمد عنه ، من طريق ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن عبد الله بن عبد الواحد الثقفى ، عن أبى مجيب الشاشى ، فذكره . وحكى الحاكم أنه قيل فى اسم هذا الثقفى : يحيى ، وقيل : عبد الواحد . وقال : الاختلاف فيه على شعبة » .

وفى رواية أحمد : « لقى أبو ذر أبا هريرة ، وجعل = أراه قال = قبيعة سيفه فضة » .

و « قبيعة السيف » ، هى التى تكون على رأس قائم السيف . وقيل : هى ما تحت شاربى السيف ، مما يكون فوق الغمد ، فيجىء مع قائم السيف . والشاربان : أنفان طويلان أسفل القائم ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من هذا الجانب .

وأما « نعل السيف » ، فهو ما يكون فى أسفل جفنه من حديدة أو فضة .

ذلك ! فقال : يا رسول الله ، إن أصحابك قد شق عليهم ، وقالوا : فأىَّ المال نتخذ ؟ فقال : لساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وزوجةً تُعين أحدكم على دينه .(١)

١٦٦٦٢ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن ثوبان ، بمثله .(٢)

١٦٦٦٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبى الجعد قال : لما نزلت هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله » ، قال المهاجرون : وأىَّ المال نتّخذ ؟ فقال عمر : أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه ! قال : فأدركته على بعيرٍ فقلت : يا رسول الله ، إن المهاجرين قالوا : فأىَّ المال نتخذه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لساناً ذاكراً ، وقلباً

---

(١) الأثر : ١٦٦٦١ — خبر عمر هذا رواه أبو جعفر من طرق . أولها هذا ، ثم رقم : ١٦٦٦٢ ، ١٦٦٦٣ ، ١٦٦٦٦ .

و « سالم بن أبى الجعد الأشجعى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً . روى عن عمر ، ولم يدركه . ومن هذا ، هذا الخبر ، ورقم : ١٦٦٦٣ .

فهذا خبر ضعيف ، لانقطاعه . وانظر تخريج الخبر التالى ، وروايته فى المسند من طريق عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم ، عن ثوبان .

(٢) الأثر : ١٦٦٦٢ — « سالم بن أبى الجعد » ، عن « ثوبان » ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشتراه ثم أعتقه .

و « سالم بن أبى الجعد » لم يسمع من ثوبان ، قال أحمد : « لم يسمع سالم من ثوبان ، ولم يلقه . بينهما : معدان بن أبى طلحة . وليست هذه الأحاديث بصحاح » .

وهذا الخبر رواه أحمد فى المسند ٥ : ٢٧٨ من طريق إسرائيل ، عن منصور ، عن سالم . ثم رواه أيضاً ٥ : ٢٨٢ ، من طريق وكيع ، عن عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن عمرو ابن مرة ، عن سالم ، عن ثوبان .

ورواه الترمذى فى كتاب التفسير ، من طريق عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن منصور ، بنحوه ، وقال : « هذا حديث حسن . سألت محمد بن إسماعيل(البخارى) فقلت له : سالم بن أبى الجعد سمع ثوبان ؟ فقال ! لا ؛ قلت له ، ممن سمع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سمع من جابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وذكر غير واحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم » .

وسيأتى من طريق سالم عن ثوبان برقم : ١٦٦٦٦ .
وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ١٥٥ .

شاكراً ، وزوجةً مؤمنةً ، تعين أحدكم على دينه .(١)

١٦٦٦٤ — حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى أمامة قال: توفى رجل من أهل الصُّفَّة ، فوُجد فى مئزره دينارٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيَّةٌ ! ثم توفى آخر فوُجد فى مئزره ديناران ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : كيَّتان ! (٢)

١٦٦٦٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن شهر بن حوشب ، عن صدىّ بن عجلان أبى أمامة قال : مات رجل : من أهل الصُّفَّة ، فوجد فى مئزره دينارٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيَّةٌ ! ثم توفىّ آخر ، فوجد فى مئزره ديناران ، فقال نبى الله : كيَّتان ! (٢)

١٦٦٦٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن سالم، عن ثوبان قال : كنا فى سفر ، ونحن نسير مع رسول الله عليه وسلم ، قال المهاجرون: لوددنا أنَّا علمنا أىُّ المال خيرٌ فنتخذه ؟ إذ نزل فى الذهب والفضة ما نَزَلَ! فقال عمر : إن شئتم سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ! فقالوا : أجل !

---

(١) الأثر : ١٦٦٦٣ — انظر تخريج الآثار السالفة .

(٢) الأثران : ١٦٦٦٤ ، ١٦٦٦٥ — « شهر بن حوشب » ، مضى توثيقه مراراً .

فهذا خبر صحيح الإسناد ، رواه أحمد فى المسند ٥ : ٢٥٣ ، من طرق ، من طريق سعيد ابن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن شهر . ورواه من طريق روح ، عن معمر ، عن قتادة ، ومن طريق حسين ، عن شيبان ، عن قتادة .

ورواه أيضاً ٥ : ٢٥٢ عن حجاج قال : سمعت شعبة يحدث عن قتادة وهاشم = قال حدثنى شعبة أنبأنا قتادة قال : سمعت أبا الحسن يحدث = قال هاشم فى حديثه: أبو الجعد مولى لبنى ضبيعة ، عن أبى أمامة .

ثم رواه أيضاً ٥ : ٢٥٣ ، من حجاج ، عن شعبة ، عن عبد الرحمن ، من أهل حمص ، من بنى العداء ، من كندة ، مختصراً .

وروى أحمد نحوه فى حديث على بن أبى طالب ، بإسناد ضعيف رقم : ٧٨٨ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ .

وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ١٥٨ ، ١٥٩ .

فانطلق ، فتبعته أوضِع على بعيرى ،[١] فقال : يا رسول الله ، إن المهاجرين لما أنزل الله فى الذهب والفضة ما أنزل قالوا: وددنا أنّا علمنا أىُّ المال خير فنتخذه ؟ قال : نعم ! فيتخذ أحدكم لساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وزوجةً تعين أحدَكم على إيمانه .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، القولُ الذى ذكر عن ابن عمر : من أن كل مالٍ أدّيت زكاته فليس بكنزٍ يحرُم على صاحبه اكتنازُه وإن كثُر = وأنّ كل مالٍ لم تُؤَدَّ زكاته فصاحبه مُعاقب مستحقٌّ وعيدَ الله ، إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه وإن قلّ ، إذا كان مما يجبُ فيه الزكاة .

وذلك أن الله أوجب فى خمس أواقٍ من الوَرِق على لسان رسوله رُبع عُشْرها ،[٣] وفى عشرين مثقالاً من الذهب مثل ذلك ، رُبْع عشرها ، فإذ كان ذلك فرضَ الله فى الذهب والفضّة على لسان رسوله ، فمعلومٌ أن الكثير من المال وإن بلغ فى الكثرة ألوفَ ألوفٍ ، لو كان = وإن أدِّيت زكاته = من الكنوز التى أوعدَ الله أهلَها عليها العقاب ، لم يكن فيه الزكاة التى ذكرنا من رُبْع العُشْر . لأن ما كان فرضًا إخراجُ جميعِه من المال ، وحرامٌ اتخاذه ، فزكاته الخروجُ من جميعه إلى أهله ،لا رُبع عشُره . وذلك مثلُ المال المغصوب الذى هو حرامٌ على الغاصب إمساكُه ، وفرضٌ عليه إخراجه من يده إلى يده ، التطهُّر منه: ردُّه إلى صاحبه . فلو كان ما زادَ من المال على أربعة آلاف درهم ، أو ما فضل عن حاجة ربِّه التى لا بد منها ، مما يستحق صاحبُه باقتنائه = إذا أدَّى إلى أهل السُّهْمان حقوقهم منها من الصدقة = وعيدَ الله ، لم يكن اللازمُ ربَّه فيه رُبْع عشره ، بل كان اللازم له الخروج من جميعه إلى أهله ، وصرفه فيما يجب عليه صرفه ، كالذى ذكرنا

١٠/٨٥

(١) « أوضع الراكب » ، أسرع بدابته إسراعاً دون العدو الشديد .
(٢) الأثر : ١٦٦٦٦ – مكرر الخبر رقم : ١٦٦٦٢ ، وانظر تخريج الأخبار السالفة .
(٣) « الورق » (بكسر الراء) ، الفضة .

من أن الواجب على غاصبِ رجلٍ مالَه ، رَدُّه على ربِّه .

* * *

وبعدُ ، فإن فيما : —

١٦٦٦٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، قال معمر ، أخبرني سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من رجل لا يؤدِّي زكاةَ ماله ، إلا جُعل يوم القيامة صفائحَ من نار يُكْوىَ بها جبينه وجبهته وظهره،[1] في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضي بين الناس ، ثم يرى سبيله ، وإن كانت إبلاً إلاَّ بُطِحَ لها بقاع قرقرٍ،[2] تطؤه بأخفافها = حسبته قال: وتعضه بأفواهها = يردّ أولاها على أخراها ، حتى يقضي بين الناس ، ثم يرى سبيله . وإن كانت غنماً فمثل ذلك ، إلا أنها تنطحه بقُرُونها ، وتطؤه بأظلافها .[3]

* * *

=وفي نظائر ذلك من الأخبار التي كرهنا الإطالة بذكرها ، الدلالةُ الواضحة على أن الوعيد إنما هو من الله على الأموال التي لم تُؤَدَّ الوظائفُ المفروضةُ فيها لأهلها من الصدقة ، لا على اقتنائها واكتنازها . وفيما بيّنا من ذلك، البيانُ الواضح على أن الآية لخاصٍّ ، كما قال ابن عباس ، وذلك ما : —

١٦٦٦٨ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

---

(١) في المخطوطة : « جسه » غير منقوطة ، والذي في مسلم : « جنباه وجبينه » والاختلاف في هذه الأحرف ذكرها مسلم في صحيحه ، وأثبت ما في المخطوطة لموافقته لما في مسند أحمد رقم : ٧٧٠٦ .

(٢) « بطح » (بالبناء للمجهول) ، ألقي على وجهه . و « القاع » : الأرض المستوية الفسيحة . و « قرقر » ، هي الصحراء البارزة الملساء .

(٣) الأثر : ١٦٦٦٧ — حديث صحيح . رواه مسلم مطولا في صحيحه ٧ : ٦٧ ، من طريق محمد بن عبد الملك الأموي ، عن عبد العزيز بن المختار ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبي صالح . ورواه من طرق أخرى عن أبي صالح ، ومن طرق عن أبي هريرة .

ورواه أحمد في مسنده رقم : ٧٥٥٣ ، مطولا ، وقد استوفى أخي السيد أحمد تخريجه هناك . ثم رواه أيضاً رقم : ٧٧٠٦ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن سهيل بن أبي صالح ، مختصراً ، وفيه : « جبينه وجبهته وظهره » ، فمن أجل ذلك أثبت ما كان في المخطوطة (تعليق : ١) .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » ، يقول : هم أهل الكتاب . وقال : هي خاصَّة وعامةٌ .

* * *

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « هي خاصة وعامة » ، هي خاصة في المسلمين فيمن لم يؤدِّ زكاة ماله منهم ، وعامة في أهل الكتاب ، لأنهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم إن أنفقوا . يدلُّ على صحة ما قلنا في تأويل قول ابن عباس هذا، ما :—

١٦٦٦٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها » إلى قوله : « هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » ، قال : هم الذين لا يؤدُّون زكاة أموالهم . قال :وكل مالٍ لا تؤدَّى زكاته ، كان على ظهر الأرض أو في بطنها ، فهو كنز . وكل مالٍ تؤدَّى زكاته فليس بكنز ، كان على ظهر الأرض أو في بطنها .

١٦٦٧٠ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة »، قال : « الكنز » ، ما كنز عن طاعة الله وفريضته، وذلك« الكنز» . وقال : افترضت الزكاة والصلاة جميعاً لم يفرِّق بينهما .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قلنا:« ذلك على الخصوص » ، لأن « الكنز »،في كلام العرب :كل شيء مجموع بعضُه على بعضٍ ،في بطن الأرض كان أو على ظهرها ، يدلُّ على ذلك قول الشاعر : [1]

لاَ دَرَّ دَرِّيَ إنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ قِرْفَ الحَتِيِّ وعِنْدِي البُرُّ مَكْنُوزُ [2]

---

(١) هو المتنخل الهذلي .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٥ ، اللسان (كنز) ، وغيرهما كثير ، وهي أبيات جياد ، يصف فيها جوع الجائع وصفاً لا [illegible] ، يقول [illegible] ، وشردته البيد :

يعنى بذلك : وعندى البرُّ مجموع بعضه على بعض . وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع : « مكتنزٌ » ، لانضمام بعضه إلى بعض .

وإذا كان ذلك معنى « الكنز » عندهم ، وكان قوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة » ، معناه : والذين يجمعون الذهب والفضة بعضَها إلى بعض ولا ينفقونها فى سبيل الله، وهو عامٌّ فى التلاوة ، ولم يكن فى الآية بيانُ كم ذلك القدر من الذهب والفضّة الذى إذا جمع بعضُه إلى بعض ، [1] استحقَّ الوعيدَ = [2] كان معلوماً أن خصوص ذلك إنما أدرك ، لوقْف الرسول عليه ، وذلك كما بيّنا من أنه المال الذى لم يؤدَّ حق الله منه من الزكاة ، دون غيره ، لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته .

١٠ / ٨٦

* * *

لَوْ أَنَّهُ جَاءَنِى جَوْعَانُ مُهْتَلِكٌ ... مِنْ بُؤَّسِ النَّاسِ ، عَنْهُ الخيرُ مَحْجُوزُ

أَعْيَى وَقَصَّرَ لَمَّا فَاتَهُ نَعَمٌ ... يُبَادِرُ اللَّيْلَ بِالعَلْيَاءِ مَحْفُوزُ

حَتَّى يَجِئَ ، وَجِنُّ اللَّيْلِ يُوغِلُهُ ... والشَّوْكُ فِى وَضَحِ الرِّجْلَيْنِ مَرْكُوزُ

قَدْ حَالَ دُونَ دَرِيسَيْهِ مُؤَوِّبَةٌ ... نِسْعٌ ، لَهَا بِعِضَاهِ الأَرْضِ تَهْزِيزُ

كَأَنَّمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَلَبَّتِهِ ... مِنْ جُلْبَةِ الجُوعِ جَيَّارٌ وإِرْزِيزُ

لَبَاتَ أُسْوَةَ حَجَّاجٍ وَإِخْوَتِهِ ... فِى جَهْدِنا ، أَوْ لَهُ شَفٌّ وَتَمْزِيزُ

« القرف » ، ما يقرف عن الشيء ، وهى قشره . و « الحَىّ » الدوم . يقول : لا أطعمه الحسيس ، والبر عندى مخزون بعضه على بعض .

ثم يقول : ضاعت إبله ، فتقاذفته البيد ، فهو من قلقه يصعد على الروابى يتنور ناراً يقصدها .
ثم قال : يدفعه سواد الليل ومخاوفه ، وقد أضناه السير ، فوقع فى أرض ذات شوك ، فعلق به ، لا يكاد ينتعش من شدة ضعفه . ثم يقول : اشتدت ريح الشمال الباردة بالليل = وهى المؤوبة ، والشمال ، هى النسع = فطيرت عنه ثوبيه الباليين ، فأخذه الجوع والبرد ، فحمى جوفه من شدة الجوع ، وذلك هو « الجيار » ، واصطكت أسنانه ، وذلك هو « الإرزيز » . ثم يقول : لو جاءنى هذا الجائع المشرد ، لكان بين أهله ، فهو عندى بمنزلة حجاج وإخوته ، وهم أولاد المتنخل ، فى ساعة العسرة ، بل لكان له فضل عليهم = وهو « الشف » = ، ولكان له زيادة وتمييز = وهو « التمزيز » .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « لم يكن فى الآية » ، بغير واو ، والصواب إثباتها .

(٢) السياق : « وإذا كان ذلك معنى الكنز عندهم . . . كان معلوماً . . . » .

وقد كان بعض الصحابة يقول : هى عامة فى كل كنز ، غير أنها خاصّة فى أهل الكتاب ، وإياهم عَنَى الله بها .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٧١ — حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا حصين ، عن زيد بن وهب قال : مررت بالرَّبَذَة فلقيت أبا ذَرّ ، فقلت : يا أبا ذرّ ، ما أنزلك هذه البلاد ؟ قال : كنت بالشأم ، فقرأت هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة » الآية ، فقال معاوية : ليست هذه الآية فينا ، إنما هذه الآية فى أهل الكتاب ! قال : فقلت : إنها لفينا وفيهم ! قال : فارتفَع فى ذلك بينى وبينه القولُ ، فكتب إلى عثمان يشكُونى ، فكتب إلىّ عثمان أنْ أقبل إلىّ ! قال : فأقبلت ، فلما قدمتُ المدينة ركبنى الناسُ كأنهم لم يرونى قبل يومئذ ، فشكوت ذلك إلى عثمان ، فقال لى : تَنَحَّ قريباً . قلت : والله إنى لن أدعَ ما كنتُ أقول ! [1]

١٦٦٧٢ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع قالوا، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا حصين ، عن زيد بن وهب قال : مررنا بالربذة ، ثم ذكر عن أبى ذر نحوه . [2]

---

(١) الأثر : ١٦٦٧١ — « أبو حصين » ، « عبد الله بن أحمد بن يونس اليربوعى » ، شيخ الطبرى ، ثقة . مضى برقم : ١٢٣٣٦ .

و « حصين » ، هو « حصين بن عبد الرحمن الهذلى » ، ثقة سلف مراراً ، آخرها رقم : ١٢١٩٣ ، ١٢٣٠٤ .

و « زيد بن وهب الجهنى » تابعى كبير ، هاجر إلى رسول الله ، ولم يدركه . مضى برقم : ٤٢٢٢ ، ١٦٥٢٧ ، ١٦٥٢٨ .

وهذا الخبر رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٣ : ٢١٧/٨ : ٢٤٤) ، أولهما من طريق هشيم ، عن حصين ، والثانى من طريق جرير ، عن حصين .

ورواه ابن سعد فى الطبقات ١/٤/١٦٦ ، من طريق هشيم ، عن حصين .

وسيرويه أبو جعفر من طريق هشيم أيضاً برقم : ١٦٦٧٤ .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٢ — هذا مكرر الذى قبله .

١٦٦٧٣ — حدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أشعث وهشام ، عن أبي بشر قال ، قال ، قال أبو ذر : خرجت إلى الشأم ، فقرأت هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله » ، فقال معاوية : إنما هى فى أهل الكتاب ! قال فقلت : إنها لفينا وفيهم .[١]

١٦٦٧٤ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن زيد بن وهب قال : مررت بالرَّبَذة ، فإذا أنا بأبى ذر ، قال قلت له : ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشأم ، فاختلفت أنا ومعاوية فى هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله » ، قال : فقال: نزلت فى أهل الكتاب ! فقلت : نزلت فينا وفيهم = ثم ذكر نحو حديث هشيم ، عن حصين .[٢]

* * *

فإن قال قائل: فكيف قيل : « ولا ينفقونها فى سبيل الله » ، فأخرجت « الهاء » و « الألف » مخرج الكناية عن أحدِ النوعين .

قيل : يحتمل ذلك وجهين :

أحدهما : أن يكون « الذهب والفضة » مراداً بها الكنوز ، كأنه قيل : والذين يكنزون الكُنُوز ولا ينفقونها فى سبيل الله، لأن الذهب والفضة هى « الكنوز » ، فى هذا الموضع .

والآخر : أن يكون استغنى بالخبر عن إحداهما فى عائد ذكرهما ، من الخبر عن الأخرى ، لدلالة الكلام على أنّ الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها ، وذلك كثير موجود فى كلام العرب وأشعارها ، ومنه قول الشاعر :[٣]

(١) الأثر : ١٦٦٧٣ — « أبو بشر » ، هو : « جعفر بن أبى وحشية » ، مضى مراراً . وهو إسناد منقطع .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٤ — هو مكرر الأثر السالف رقم : ١٦٦٧١ ، انظر تخريجه هناك .

(٣) هو عمرو بن امرئ القيس ، من بنى الحارث بن الخزرج ، جد عبد الله بن رواحة ، جاهلى قديم .

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ [1]

فقال : « راض » ، ولم يقل : « راضون » ، وقال الآخر : [2]

إنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ والشَّعَرَ الأَسْـ ـوَدَ ما لَمْ يُعَاصَ كانَ جُنُونَا [3]

فقال : « يعاص » ، ولم يقل : « يعاصيا » في أشياء كثيرة . ومنه قول الله : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [سورة الجمعة : ١١] ، ولم يقل « إليهما » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا يخرجون حقوق الله منها ، يا محمد ، بعذاب أليم = « يوم يحمى عليها في نار جهنم » ، فـ « اليوم » من صلة « العذاب الأليم » ، كأنه قيل : يبشرهم بعذاب أليم ، يعذبهم الله به في يوم يحمى عليها .

---

(١) جمهرة أشعار العرب : ١٢٧ ، سيبويه ١ : ٣٧ ، ٣٨ (منسوباً لقيس بن الخطيم ، وهو خطأ) ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٤٣٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٥٨ ، الخزانة ٢ : ١٩٠ ، وغيرها ، ومضى بيت منها ٢ : ٢١ ، وسيأتي في التفسير ٢٢ : ٢٦/٦٨ : ٩٩ (بولاق) من قصيدة قالها لمالك بن العجلان النجاري ، في خبر طويل ، يقول له :

يا مَالِ ، والسَّيِّدُ المُعَمَّمُ قَدْ يَطْرَأُ في بَعْضِ رأيِهِ السَّرَفُ
خالَفْتَ فِي الرأيِ كلَّ ذِي فَخَرٍ والحقُّ ، يا مَالِ ، غيرُ ما تَصِفُ

(٢) هو حسان بن ثابت .

(٣) ديوانه : ٤١٣ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٥٨ ، والكامل ٢ : ٧٩ ، واللسان (شرخ) ، و « الشرخ » : الحد ، أي غاية ارتفاعه ، يعني بذلك : أقصى قوته ونضارته وعنفوانه .

١٠/٨٧ ويعنى بقوله : « يحمى عليها » ، تدخل النار فيوقد عليها ، أى : على الذهب والفضة التى كنزوها = « فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » .

* * *

وكل شىء أدخل النار ، فقد أحمى إحماءً ، يقال منه : « أحَميت الحديدة فى النار أحميها إحماءً » .

* * *

وقوله : « فتكوى بها جباههم » ، يعنى بالذهب والفضة المكنوزة ، يحمى عليها فى نار جهنم ، يكوى الله بها . يقول: يحرق الله جباهَ كانزيها وجنوبَهم وظهورهم = « هذا ما كنزتم » ، ومعناه : ويقال لهم : هذا ما كنزتم فى الدنيا ، أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم = « فذوقوا ما كنتم تكنزون » ، يقول : فيقال لهم : فاطعَمُوا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوقَ الله وتكنزونها مكاثرةً ومباهاةً .[١]

وحذف من قوله : « هذا ما كنزتم » « ويقال لهم » ، لدلالة الكلام عليه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٧٥ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن حميد بن هلال قال : كان أبو ذر يقول : بشّر الكنّازين بكيّ فى الجباه ، وكيٌّ فى الجنوب ، وكيٌّ فى الظهور ، حتى يلتقى الحرُّ فى أجوافهم .[٢]

---

(١) انظر تفسير « ذاق » فيما سلف ص: ١٥، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٥ — « حميد بن هلال العدوى » ، ثقة ، متكلم فيه ، لأنه دخل فى عمل السلطان . وقال البزار فى مسنده : لم يسمع من أبى ذر . ومات حميد فى ولاية خالد بن عبد الله القسرى على العراق . مضى برقم : ١٣٧٦٨ .

١٦٦٧٦ — . . . . قال ، حدثنا ابن علية، عن الجريرى ، عن أبى العلاء ابن الشخير ، عن الأحنف بن قيس قال : قدمت المدينة ، فبينا أنا فى حَلْقَة فيها ملأ من قريش ، إذ جاء رجل أخشن الثياب ، أخشن الجسد، أخشن الوجه ،(١) فقام عليهم فقال : بشِّر الكنازين برضْفٍ يحمى عليه فى نار جهنم ،(٢) فيوضع على حَلَمة ثدْى أحدهم حتى يخرج من نُغْضِ كتفه، ويوضع على نُغْضِ كتفه ،(٣) حتى يخرج من حَلَمة ثدييه، يتزلزل .(٤) قال : فوضع القوم رؤوسهم ، فما رأيت أحداً منهم رجع إليه شيئاً . قال : وأدبر ، فاتبعته ، حتى جلس إلى سارية ، فقلت : ما رأيت هؤلاء إلاّ كرهوا ما قُلْتَ ! فقال : إن هؤلاء لا يعقلون شيئاً .(٥)

١٦٦٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الحكم قال ، حدثنى عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة الجملى ، عن أبى نصر ، عن الأحنف بن قيس قال : رأيت فى مسجد المدينة رجلاً غليظ الثياب ، رثّ الهيئة ، يطوف فى الحِلَق وهو يقول : بشر أصحاب الكنوز بكىٍّ فى جنوبهم ، وكى فى جباههم ، وكىٍّ فى

---

(١) فى المطبوعة : « خشن » فى المواضع الثلاث ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لرواية مسلم . « الخشن » و « الأخشن » ، والأنثى « خشنة » و « خشناء » ، من الخشونة ، وهو الأحرش من كل شيء . ويقال : « رجل أخشن ، خشن » .

(٢) « الرضف » (بفتح فسكون) : الحجارة المحماة على النار ، والعرب يوغرون بها اللبن ، ويشوون عليها اللحم .

(٣) « نغض الكتف » (بضم فسكون ، أو فتح فسكون) و « ناغض الكتف » : هو عند أعلى الكتف ، عظم رقيق على طرفه ، ينغض إذا مشى الماشى ، أى يتحرك .

(٤) « يتزلزل » ، أى يتحرك ويضطرب ، كأنه يزل مرة بعد أخرى ، يقول : يضطرب الرضف المحمى نازلا من نغض الكتف حتى يخرج من حلمة الثدى .

(٥) الأثر : ١٦٦٧٦ — « الجريرى » ، هو « سعيد بن إياس الجريرى » ، الحافظ المشهور . روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٩٦ ، ١٢٢٧٤ .

و « أبو العلاء بن الشخير » ، هو « يزيد بن عبد الله بن الشخير » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٥٥١٤ ، ١٥٥١٥ .

وهذا الخبر رواه البخارى بنحوه مطولا فى صحيحه (الفتح ٣ : ٢١٨) ، ورواه مسلم فى صحيحه ٧ : ٧٧ ، بلفظه من هذه الطريق ، مطولا أيضاً .

ظهورهم ! ثم انطلق وهو يتذمَّر يقول[١] : ما عسى تصنعُ بى قريش !![٢]

١٦٦٧٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : قال أبو ذر : بشر أصحاب الكنوز بكيٍّ فى الجباه ، وكيٍّ فى الجنوب ، وكيّ فى الظهور .

١٦٦٧٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس: « يوم يحمى عليها فى نار جهنم »، قال : حية تنطوى على جبينه وجبهته تقول : أنا مالُكَ الذى بخلت به ![٣]

١٦٦٨٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن معدان بن أبى طلحة ، عن ثوبان : أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : من ترك بعدَه كنزاً مثّل له يوم القيامة شُجَاعاً أقرعَ له زبيبتان،[٤] يتبعه، يقول: ويلك ما أنت؟ فيقول: أنا كنزك الذى تركته بعدك ! فلا يزال يتبعه حتى يُلْقِمه يده فيقضمها، ثم يتبعه سائر جسده .[٥]

---

(١) « يتذمر » ، أى : يصخب من الغضب ، كأنه يعاتب نفسه .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٧ — « عمرو بن قيس الملائى » ، ثقة ، مضى مراراً .
و « عمرو بن مرة الجملى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .
و « أبو نصر » ، لم أعرف من هو ؟

(٣) الأثر : ١٦٦٧٩ — « قابوس بن أبى ظبيان الجنبى »، ضعيف ، لا يحتج به، مضى برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٣ .
وأبوه : « أبو ظبيان الجنبى » ، هو « حصين بن جندب » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى أيضاً برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٣ .
وانظر ما سلف فى حديث ابن مسعود رقم : ٨٢٨٥ — ٨٢٨٩ .

(٤) « الشجاع » ، ضرب من الحيات مارد خبيث . « والأقرع » ، هو الذى لا شعر له على رأسه ، قد تمعط عليه رأسه لكثرة سمه ، وطول عمره . و « الزبيبتان » : نكتتان سوداوان تكونان فوق عينيه ، وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه .

(٥) الأثر : ١٦٦٨٠ — « سالم بن أبى الجعد الأشجعى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٤٢٤٤ ، ١١٥٤٦ ، ١٦٦٦١ — ١٦٦٦٦ .
و « معدان بن أبى طلحة الكنانى » ، تابعى ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٨/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٤٠٤/١/٤ .

١٦٦٨١ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : بلغني أن الكنوز تتحوّل يوم القيامة شجاعاً يتبع صاحبه وهو يفرُّ منه ، ويقول : أنا كنزك ! لا يدرك منه شيئاً ، إلا أخذه .

١٦٦٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : والذى لا إله غيره ، لا يكوى عبد بكنزٍ فيمسُّ دينارٌ ديناراً ولا درهم درهماً ، ولكن يوسع جلده ، فيوضع كل دينار ودرهم على حِدَتِه .(١)

١٦٦٨٣ — . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : ما من رجل يكوَى بكنز فيوضع دينار على دينارٌ ولا درهم على درهم ، ولكن يوسَّع جلْده .(٢) ١٠/٨٨

* * *

وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١٥٧ ، وقال : « رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث يزيد بن سعيد، به . وأصل هذا الحديث فى الصحيحين ، من رواية أبى الزناد، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه = وفى صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة » ، وذكر الخبر .

(١) الأثر : ١٦٦٨٢ — هذا الخبر ، ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٩ ، ٣٠ ، وقال : « رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح » .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١٥٦ ، وقال : « وقد رواه ابن مردويه ، عن أبى هريرة مرفوعاً ، ولا يصح رفعه ، والله أعلم » .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٣٣ ، ونسبه إلى ابن أبى حاتم ، والطبرانى ، وأبى الشيخ ، ولم يذكر ابن جرير .

(٢) الأثر : ١٦٦٨٣ — هو مكرر الأثر السالف ، بإسناد آخر ، مختصراً .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن عدة شهور السنة عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله ، الذى كتبَ فيه كل ما هو كائن فى قضائه الذى قضى = « يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » ، يقول : هذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن ، وتحرِّمهن ، وتحرِّم القتال فيهن ،حتى لولقى الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يَهِجْهُ ،وهن :رجب مُضر ، وثلاثة متواليات ، ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم . وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٦٨٤ — حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال، حدثنا زيد بن حباب قال ، حدثنا موسى بن عبيدة الربذى قال : حدثنى صدقة بن يسار ، عن ابن عمر قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنًى فى أوسط أيام التشريق فقال : يا أيها الناس ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، أوّلهن رجبُ مُضَر بين جمادى وشعبان ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم .[١]

---

(١) الأثر : ١٦٦٨٤ — « موسى بن عبد الرحمن المسروقى » ، شيخ الطبرى ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٨٩٠٦ .
و « زيد بن حباب العكلى » ، مضى مراراً ، منها رقم : ١١١٣٤ .

١٦٦٨٥ — حدثنا محمد بن معمر قال ، حدثنا روح قال، حدثنا أشعث عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعةحرم، ثلاثة متواليات ، ورجبُ مُضَر بين جمادى وشعبان .[1]

١٦٦٨٦ — حدثنا يعقوب قال، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم قال ، حدثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين، عن أبي بكرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجبُ مضر الذى بين جمادى وشعبان .[2]

و « موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى » ، ضعيف جداً ، منكر الحديث مضى مراراً ، منها رقم : ١١١٣٤ .

و « صدقة بن يسار الجزرى » ، مكى ثقة ، روى عن ابن عمر . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٩٤ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٤٢٨ .

وهذا إسناد ضعيف ، لضعف موسى بن عبيدة الربذى .

(١) الأثر : ١٦٦٨٥ — « محمد بن معمر بن ربعى البحرانى » ، شيخ الطبرى ، ثقة من شيوخ البخارى ومسلم ، مضى برقم : ٢٤١ ، ٣٠٥٦ ، ٥٣٩٣ .

و « روح » ، هو « روح بن عبادة القيسى » ، ثقة ، مضى مراراً كثيرة .

و « أشعث » ، هو « أشعث بن عبد الملك الحمرانى » ، ثقة مأمون ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٤٣١ ، وابن أبي حاتم ١/١/٢٧٥ .

وهذا الخبر ، نقله ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١٦٠ ، عن هذا الموضع ، ثم قال : « ورواه البزار ، عن محمد بن معمر ، به ، ثم قال : لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه » .

(٢) الأثر : ١٦٦٨٦ — هذا خبر منقطع الإسناد ، لأن محمد بن سيرين لم يسمع من أبي بكرة ، ووصله البخارى فى مواضع من صحيحه ، من طريق « أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبي بكرة » (الفتح ١ : ١٤٥ ، ١٧٧ ، ٣/١٧٨ : ٦/٤٥٩ : ٢١٠ ، ٨/٢١١ : ٨٣ ، ٢٤٤) ، مطولا .

ووصله مسلم أيضاً فى صحيحه ١١ : ١٦٧ .

ورواه أحمد فى مسنده ٥ : ٣٧ ، منقطعاً ، كما رواه الطبرى ، وقد استوفى الحافظ ابن حجر ، تفصيل القول فى ذلك فى الفتح ، فى المواضع التى ذكرتها آنفاً .

والحديث صحيح متفق عليه .

١٦٦٨٧ — حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سليمان التيمى قال، حدثنى رجل بالبحرين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته فى حجة الوداع : ألا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجبُ الذى بين جمادى وشعبان .

١٦٦٨٨ — حدثنا ابن حميدقال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن ابن أبى نجيح قوله : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان .

١٦٦٨٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يوم منًى : ألا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان .

* * *

وهو قول عامة أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٩٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم »، أما « أربعة حرم، » فذو القعدة، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب . وأما « كتاب الله » ، فالذى عنده .

١٦٦٩١ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « إن عدة الشهور عند الله ١٠/٨٩

اثنا عشر شهراً » ، قال : يعرف بها شأن النسىء ، ما نقص من السنة .

١٦٦٩٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قول الله : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله » ، قال : يذكر بها شأن النسىء .

* * *

وأما قوله : « ذلك الدين القيم » ، فإن معناه : هذا الذى أخبرتكم به ، من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله ، وأن منها أربعة حرماً : هو الدين المستقيم ، كما : —

١٦٦٩٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط عن السدى : « ذلك الدين القيم » ، يقول : المستقيم .

١٦٦٩٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ذلك الدين القيم » ، قال : الأمر القيم . يقول : قال تعالى : واعلموا ، أيها الناس ، أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله الذى كتب فيه كل ما هو كائن ، وأن من هذه الاثنى عشر شهراً أربعةُ أشهرٍ حرماً ، ذلك دين الله المستقيم ، لا ما يفعله النسىء من تحليله ما يحلل من شهور السنة ، وتحريمه ما يحرِّمه منها .[1]

* * *

وأما قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، فإن معناه : فلا تعصوا الله فيها ، ولا تحلُّوا فيهن ما حرَّم الله عليكم ، فتكسبوا أنفسكم ما لا قِبَل لها به من سخط الله وعقابه ، كما : —

---

(١) « النسىء » ، هكذا جاءت فى المخطوطة أيضاً ، بمعنى « الناسئ » ، وهو الذى كان يحلل لهم الشهر ويحرمه . وأخشى أن يكون وهماً من الناسخ ، فإن « النسىء » على وزن « فعيل » ، وهو بمعنى « مفعول » ، أو مصدر « نسأ الشهر » ، ولم أرهم قالوا فى الرجل إلا « ناسئ » ، وجمعه « نسأة » ، مثل « فاسق » و « فسقة » .

وانظر ما سيأتى فى تفسير « النسىء » ص : ٣٤٣ ، والخبر رقم : ١٦٧٠٨ ، ١٦٧٠٩ ، والتعليق هناك .

١٦٦٩٥ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : الظلم العمل بمعاصي الله ، والترك لطاعته .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه « الهاء » ، و« النون » في قوله : « فيهن » .

فقال بعضهم : عاد ذلك على « الاثني العشر الشهر » ،[1] وقال : معناه : فلا تظلموا في الأشهر كلِّها أنفسكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٩٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، في كلِّهن . ثم خصَّ من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حُرُماً ، وعظَّم حُرُماتهن ، وجعل الذنبَ فيهن أعظم ، والعمل الصالح والأجر أعظم .

١٦٦٩٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سويد بن عمرو ، عن حماد ابن سلمة ، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : في الشهور كلها .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحُرُم أنفسكم = و« الهاء والنون » عائدة على « الأشهر الأربعة » .

*** ذكر من قال ذلك :**

١٦٦٩٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أما قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، فإن الظلم في الأشهر الحرم

---

(١) في المطبوعة : « على الاثني عشر شهراً » ، وأثبت ما في المخطوطة .

أعظم خطيئةً ووِزْرًا ، من الظلم فيما سواها ، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً ، ولكن الله يعظِّم من أمره ما شاء . وقال : إن الله اصطفى صَفَايا من خلقه ، اصطفى من الملائكة رسُلاً ، ومن الناس رسلاً ، واصطفى من الكلام ذكرَه ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضانَ والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالى ليلةَ القدر ، فعظِّموا ما عظم الله ، فإنما تعظم الأمور بما عظَّمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا فى تصييركم حرامَ الأشهر الأربعة حلالاً ، وحلالها حراماً = أنفسَكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٩٩ — **حدثنا** ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً » ، إلى قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، أى : لا تجعلوا حرامها حلالاً ولا حلالها حراماً ، كما فعل أهل الشرك ، فإنما النسىء ، الذى كانوا يصنعون من ذلك ، « زيادة فى الكفر يُضَل به الذين كفروا » ، الآية .(١)

١٦٧٠٠ — **حدثنا** محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : « ظلم أنفسكم » ، أن لا تحرِّموهن كحرمتهن . ١٠/٩٠

١٦٧٠١ — **حدثنى** الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد بن على : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : « ظلم أنفسكم » ، أن لا تحرِّموهن كحرمتهن .

١٦٧٠٢ — **حدثنا** أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٦٦٩٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٦١٥ .

سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ، بنحوه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : فلا تظلموا فى الأشهر الأربعة أنفسكم ، باستحلال حرامها ، فإن الله عظمها وعظّم حرمتها .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب فى تأويله ، لقوله : « فلا تظلموا فيهن » ، فأخرج الكناية عنه مُخْرَجَ الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة . وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة ، إذا كَنَتْ عنه : « فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ، ولأربعة أيام بقين » ، وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين قالت : « فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ، ولأربع عشرة مضت » = فكان فى قوله جل ثناؤه : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، وإخراجِه كناية عدد الشهور التى نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة ، الدليلُ الواضح على أن « الهاء والنون » ، من ذكر الأشهر الأربعة ، دون الاثنى العشر . لأن ذلك لو كان كناية عن « الاثنى عشر شهرًا » ، لكان : فلا تظلموا فيها أنفُسكم .[1]

* * *

فإن قال قائل : فما أنكرت أن يكون ذلك كنايةً عن « الاثنى عشر » ، وإن كان الذى ذكرت هو المعروف فى كلام العرب ؟ فقد علمت أن [من] المعروف من كلامها ،[2] إخراجُ كناية ما بين الثلاث إلى العشر ، بالهاء دون النون ، وقد قال الشاعر :[3]

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٥ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « أن المعروف من كلامها » ، والسياق يقتضى إثبات ما أثبت بين القوسين ، لأن هذا القائل ، أقر أولا بأن ما قاله الطبرى هو « المعروف من كلامها » ، أى المشهور المتفق عليه . فالجيد أن يعترض عليه بشىء آخر ، هو « الجائز فى كلامها » ، فمن أجل هذا المعنى زدت « من » بين القوسين ، ليستقيم منطق الكلام .

(٣) هو عمر بن لجأ التيمى .

أَصْبَحْنَ فِى قُرْحٍ وَفِى دَارَاتِهَا   سَبْعَ لَيَالٍ غَيْرَ مَعْلُوفَاتِهَا (١)

ولم يقل : « معلوفاتهن » ، وذلك كناية عن « السبع » ؟

قيل : إن ذلك وإن كان جائزًا ، فليس الأفصحَ الأعرفَ فى كلامها . وتوجيهُ كلام الله إلى الأفصح الأعرف ، أولى من توجيهه إلى الأنكر.

* * *

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت ، فقد يجب أن يكون مباحاً لنا ظُلْم أنفسنا فى غيرهن من سائر شهور السنة ؟

قيل : ليس ذلك كذلك ، بل ذلك حرام علينا فى كل وقتٍ وزمانٍ ، ولكن الله عظَّم حرمة هؤلاء الأشهر وشرَّفهن على سائر شهور السنة ، فخصّ الذنبَ فيهن بالتعظيم ، كما خصَّهن بالتشريف ، وذلك نظير قوله : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٣٨] . ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله : « حافظوا على الصلوات » ، ولم يبح ترك المحافظة عليهن ، بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ، ولكنه تعالى ذكره زادَها تعظيماً ، وعلى المحافظة عليها توكيداً ، وفى تضييعها تشديداً . فكذلك ذلك فى قوله : « منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

* * *

وأما قوله : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ، فإنه يقول جل ثناؤه : وقاتلوا المشركين بالله ، أيها المؤمنون ، جميعاً غير مختلفين ، مؤتلفين غير مفترقين ، كما يقاتلكم المشركون جميعاً ، مجتمعين غير متفرقين ، كما :—

١٦٧٠٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) حماسة أبى تمام ٤ : ١٥٧ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٥ ، واللسان (قرح) ، غير منسوبة ودل على أنها لعمر بن لجأ ، أبيات رواها الأصمعى فى الأصمعيات ص : ٢٥ ، ٢٦ . و « قرح » (بضم القاف وسكون الراء) ، هو سوق وادى القرى ، صلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنى به مسجد ، ورواية الحماسة واللسان : « حبسن فى قرح » .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ، أما « كافة » ، فجميع ، وأمركم مجتمع .

١٦٧٠٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وقاتلوا المشركين كافة » ، يقول : جميعاً .

١٦٧٠٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وقاتلوا المشركين كافة » ، أى : جميعاً .

* * *

و « الكافة » فى كل حال على صورة واحدة، لا تذكَّر ولا تجمع ، لأنها وإن كانت بلفظ « فاعلة »، فإنها فى معنى المصدر، كـ «العافية» و«العاقبة» ، ولا تدخل العربُ فيها « الألف واللام » ، لكونها آخر الكلام ، مع الذى فيها من معنى المصدر ، كما لم يدخلوها إذا قاتلوا : « قاموا معاً » ، و« قاموا جميعاً » .[1] ٩١/١٠

* * *

وأما قوله : « واعلموا أن الله مع المتقين » ، فإن معناه : واعلموا، أيها المؤمنون بالله ، أنكم إن قاتلتم المشركين كافة ، واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ، ولم تخالفوا أمره فتعصوه ، كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ، ومن كان الله معه لم يغلبه شيء ، [2] لأن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه .

* * *

(١) انظر تفسير « كافة » فيما سلف ٤ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٦ .

(٢) انظر تفسير « مع » فيما سلف ١٣ : ٥٧٦ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما النّسيء إلاّ زيادة فى الكفر .

* * *

و «النسيء» مصـ[ـدر] من قول القائل : « نسأت فى أيامك ، ونسأ الله فى أجلك » ، أى : زاد الله فى أيام عمرك ومدة حياتك ، حتى تبقى فيها حيًّا . وكل زيادة حدثت فى شيء ، فالشيء الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه : « نسيء » . ولذلك قيل للبن إذا كُثِّر بالماء : «نسيء» ، وقيل للمرأة الحبلى : « نَسُوء » و « نُسِئت المرأة » ، لزيادة الولد فيها ، وقيل : « نسأتُ الناقة وأنسأتها » ، إذا زجرتها ليزداد سيرها .

وقد يحتمل أن : « النسيء » ، « فعيل » ، صرف إليه من « مفعول » ، كما قيل : « لعينٌ » و « قتيل» ، بمعنى : ملعون ومقتول . ويكون معناه : إنما الشهر المؤخَّر زيادة فى الكفر .

وكأنّ القول الأوّل أشبه بمعنى الكلام ، وهو أن يكون معناه : إنما التأخير الذى يؤخِّره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة ، وتصييرهم الحرام منهن حلالاً ، والحلال منهن حراماً ، زيادة فى كفرهم وجحودهم أحكامَ الله وآياته .

* * *

وقد كان بعض القرأة يقرأ ذلك : ﴿ إِنَّمَا النَّسْىُ ﴾ بترك الهمز ، وترك مدّه =

« يضل به الذين كفروا » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة الكوفيين : ﴿ يَضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بمعنى : يضل الله بالنسيء الذى ابتدعوه وأحدثوه ، الذين كفروا .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : ﴿ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بمعنى : يزول عن محجة الله التى جعلها لعباده طريقاً يسلكونه إلى مرضاته ، الذين كفروا .

* * *

وقد حكى عن الحسن البصرى : ﴿ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بمعنى : يُضِلُّ بالنسىء الذى سنه الذين كفروا ، الناسَ .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : هما قراءتان مشهورتان ، قد قرأت بكل واحدةٍ القرأة أهلُ العلم بالقرآن والمعرفة به ، وهما متقاربتا المعنى . لأن من أضله الله فهو « ضالٌّ » ، ومن ضَلَّ فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضلَّ . فبأيتهما قرأ القارئ، فهو للصواب فى ذلك مصيبٌ .

* * *

وأما الصواب من القراءة فى « النسيء » ، فالهمزة، وقراءته على تقدير « فعيل » لأنها القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار التى لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه .

* * *

وأما قوله: « يحلونه عاماً » ، فإن معناه : يُحلُّ الذين كفروا النسيء = و « الهاء » فى قوله : « يحلونه » ، عائدةٌ عليه .

ومعنى الكلام : يحلُّون الذى أخَّروا تحريمه من الأشهر الأربعة الحرم، عاماً = « ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله » ، يقول: ليوافقوا بتحليلهم ما حلَّلوا من الشهور ، وتحريمهم ما حرموا منها ، عدَّة ما حرَّم الله[1] = « فيحلوا ما حرَّم الله زُيِّن لهم سوء أعمالهم » ، يقول: حُسِّن لهم وحُبِّب إليهم سيِّئُ أعمالهم وقبيحها ،

(١) انظر تفسير « عدة » فيما سلف ٣ : ١٤/٤٥٩ : ٢٣٤ .

وما خولف به أمرُ الله وطاعته[١] = « والله لا يهدى القوم الكافرين » ، يقول : والله لا يوفق لمحاسن الأفعال وجميلها ،[٢] وما لله فيه رضًى ، القومَ الجاحدين توحيدَه ، والمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه يخذّلهم عن الهُدى ، كما خذّل هؤلاء الناس عن الأشهر الحرم .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٠٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » ، قال : « النسىء » ، هو أن « جُنَادة بن عوف بن أمية الكنانى » ، كان يوافى الموسم كلَّ عام ، وكان يُكنى « أبا ثُمَامة » ،[٤] فينادى : « ألا إنّ أبا ثمامة لا يُحَابُ ولا يُعَاب ،[٥] ألا وإن صَفَرَ العامِ الأوّلِ العامَ حلالٌ » ،[٦] فيحله الناس ، فيحرم صَفَرَ عاماً ، ويحرِّم المحرم عاماً ، فذلك قوله تعالى : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » إلى قوله : « الكافرين » . وقوله : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » ، يقول : يتركون المحرم عاماً ، وعاماً يحرِّمونه .

٩٢/١٠

* * *

(١) انظر تفسير « زين » فيما سلف ص : ٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « لمحاسن الأفعال وحلها » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وصوابه ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « هدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٤) انظر أخبار « النسأة » ، وخبر « جنادة بن عوف بن أمية » فى سيرة ابن هشام ١ : ٤٤ — ٤٧ ، والمحبر : ١٥٦ ، ١٥٧ ، وغيرهما . و « جنادة بن عوف » ، هو الذى قام عليه الإسلام من النسأة .

(٥) كان فى المطبوعة : « لا يجاب» بالجيم ، ووردت بالجيم فى كثير من الكتب ، منها لسان العرب (نسأ) ، ولكنه ورد فى المحبر : ١٥٧ ، بالحاء المهملة ، وهو من « الحوب » ، أى : الإثم ، أى : لا ينسب إلى الإثم . وانظر الخبر التالى رقم : ١٦٧١٠ .

(٦) فى المطبوعة : « صفر العام الأول حلال » ، حذف « العام » الثانية ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

قال أبو جعفر : وهذا التأويلُ من تأويل ابن عباس ، يدل على صحة قراءة من قرأ ﴿النَّسْيُ﴾ ، بترك الهمز وترك المدّ ، وتوجيهه معنى الكلام إلى أنه « فَعْلٌ » ، من قول القائل : « نسيت الشيء أنساه » ، ومن قول الله ، ﴿ نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٦٧] ، بمعنى : تركوا الله فتركهم .

١٦٧٠٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، قال : فهو المحرَّم ، كان يحرَّم عاماً ، وصفرُ عاماً ، وزِيد صفرٌ آخر في الأشهر الحُرُم . وكانوا يحرمون صفراً مرة ، ويحلُّونه مرة ، فعاب الله ذلك . وكانت هوازن وغطفان وبنو سُلَيْم تفعله .

١٦٧٠٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، قال : كان « النسيء » ، رجلاً من بني كنانة ، (١) وكان ذا رأي فيهم ، وكان يجعل سنةً المحرمَ صفراً ، فيغزون فيه ، فيغنمون فيه ، ويصيبون ، ويحرِّمه سنة .

١٦٧٠٩ — . . . . قال حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي وائل : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، الآية ، وكان رجل من بني كنانة يُسَمَّى « النسيء » ، فكان يجعل المحرَّم صفراً ، ويستحل فيه الغنائم ، فنزلت هذه الآية.

١٦٧١٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ، عن مجاهد قال ، كان رجل من بني كنانة يأتي كلَّ عام في الموسم على حمار له ، فيقول : « أيها الناس ، إني لا أعاب ولا أُحَابُ ، (٢) ولا مَرَدَّ لما أقول ، إنَّا قد

---

(١) قوله : « كان النسيء رجلا » ، دال على صواب قوله هناك ص : ٢٣٧ ، تعليق ١ : ، على أن « النسيء » في ذلك الموضع صواب أيضاً ، وانظر الأثر التالي ، قوله : « وكان رجل من بني كنانة يسمى النسيء » ، وهذا كله لم تذكره كتب اللغة التي بين يدي .

(٢) « أحاب » مضى تفسيرها ص : ٢٤٥ ، تعليق : ٥ ، وكانت هنا في المطبوعة أيضاً « أجاب » بالجيم .

حرَّمنا المحرَّم وأخَّرنا صفر». ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته، ويقول: «إنا قد حرَّمنا صفر وأخَّرنا المحرَّم»، فهو قوله: «ليواطئوا عدة ما حرم الله»، قال: يعني الأربعة = «فيحلوا ما حرم الله»، لتأخير هذا الشهر الحرام.

١٦٧١١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: «إنما النسيء زيادة في الكفر»، «النسيء»، المحرّم، وكان يحرم المحرَّم عاماً ويحرِّم صفر عاماً، فالزيادة «صفر»، وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرم، فيحلوا ما حرم الله. وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه، وهم الذين كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية.

١٦٧١٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: «إنما النسيء زيادة في الكفر» إلى قوله: «الكافرين»، عمد أناسٌ من أهل الضلالة فزادوا صفرًا في الأشهر الحرم، فكان يقوم قائمهم في الموسم فيقول: «ألا إن آلهتكم قد حرمت العام المحرَّم»، فيحرمونه ذلك العام. ثم يقوم في العام المقبل فيقول: «ألا إن آلهتكم قد حرمت صفر»، فيحرمونه ذلك العام. وكان يقال لهما «الصفران». قال: فكان أول من نَسَأَ النسيء: بنو مالك بن كنانة، وكانوا ثلاثة: أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بني فقيم بن الحارث، ثم أحد بني كنانة.[1]

---

(١) هكذا جاء في المخطوطة: «وكانوا ثلاثة»، ثم لم يذكر غير واحد. وقوله: «أبو ثمامة، صفوان بن أمية»، مضى قبل في الأثر رقم: ١٦٧٠٦ أن «أبا ثمامة» هو «جنادة بن عوف بن أمية»، أما «صفوان» هذا فقد ذكره أبو عبيد البكري في شرح الأمالي: ١٠، وقال: قال الليثي: كان الذي انبرى للنسيء، القلمس، وهو: صفوان بن محرث، أحد بني مالك بن كنانة، وكان له بذلك ملكة وأكل، وتوارثه بنوه إلى الإسلام». ولكن الذي ذكره ابن حبيب في المحبر، وابن هشام في سيرته ١: ٤٤. قال ابن إسحاق: «وكان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحلت ما أحل، وحرمت منها ما حرم: القلمس، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم ابن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة. ثم قام بعده على ذلك، ابنه:

١٦٧١٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، قال : فرض الله الحج في ذي الحجة . قال : وكان المشركون يسمون الأشهر : ذو الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيع ، وربيع ، وجمادى ، وجمادى ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة يحجون فيه مرة ، ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمُّون صفر صفر . ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ، ثم يسمون شعبان رمضان، ثم يسمون رمضانَ شوالاً ، ثم يسمُّون ذا القعدة شوالاً ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذا الحجة ، فيحجون فيه ، واسمه عندهم ذو الحجة . ثم عادوا بمثل هذه القصة ، فكانوا يحجون في في كل شهر عامين ، حتى وافق حجةُ أبي بكر رحمة الله عليه الآخرَ من العامين في ذي القعدة . ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجتَّه التي حجَّ ، فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » . ٩٣/١٠

١٦٧١٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

عباد بن حذيفة . ثم قام بعد عباد : قلع بن عباد . ثم قام بعد قلع : أمية بن قلع . ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية . ثم قام بعد عوف : أبو ثمامة جنادة بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام » . وذلك ما قاله ابن حبيب ، وما قاله ابن حزم في الجمهرة : ١٧٨ ، والمصعب الزبيري في نسب قريش : ١٢ .

ولم أجد هذا الخبر في مكان آخر ، فأعرف مقالة قتادة في أمر النسيء والنسأة .

و « صفوان بن محرث » الذي ذكره البكري ، هو « صفوان بن أمية » المذكور في هذا الخبر ، وهو : « صفوان بن أمية بن محرث بن خمل بن شق بن رقبة بن مخدج بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة » ، وكان أحد حكام العرب في الجاهلية ، وأحد من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية (انظر المحبر : ١٣٣ ، ٢٣٧/ أمالي القالي ١ : ٢٤٠ وذكر شعره في تحريم الخمر) . وبين من هذا كله أن « صفوان بن أمية » ، ليس من « بني فقيم بن الحارث بن مالك » . بل من بني « مخدج ابن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك » .

ثم انظر ص : ٢٥٠ ، تعليق : ١ ، وذكر « القلمس » للناسيء في شعر عبد الرحمن بن الحكم ، وأمه هي : « آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن محرث » .

معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » ، قال : حجوا فى ذى الحجة عامين ، ثم حجوا فى المحرم عامين ، ثم حجُّوا فى صفر عامين . فكانوا يحجون فى كل سنة فى كل شهر عامين ، حتى وافقت حجة أبي بكر الآخرَ من العامين فى ذى القعدة ، قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة . ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم من قابلٍ فى ذى الحجة ، فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم فى خطبته : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » .

١٦٧١٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبي مالك : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » ، قال : كانوا يجعلون السنة ثلاثةَ عشر شهرًا ، فيجعلون المحرَّم صفرًا ، فيستحلُّون فيه الحرمات ، فأنزل الله : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » .

١٦٧١٦ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا » الآية ، قال : هذا رجل من بنى كنانة يقال له : « القَلَمَّس » ، كان فى الجاهلية . وكانوا فى الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض فى الشهر الحرام ، يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يمُدّ إليه يده . فلما كان هو ، قال : « اخرجوا بنا » ، قالوا له : « هذا المحرَّم » ! فقال : « ننسئه العام ، هما العام صفران ، فإذا كان عام قابلٍ قضينا ، فجعلناهما محرَّمَين » . قال : ففعل ذلك . فلما كان عام قابل قال : « لا تغزوا فى صفر ، حرِّموه مع المحرم ، هما محرَّمان ، المحرَّم أنسأناه عاماً أوَّلُ ونقضيه . ذلك « الإنساء » ، وقال منافرهم :[1]

---

(١) فى المطبوعة : « وقال شاعرهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « المنافر » ، هو المفاخر فى المنافرة . قال ابن سيده : « وكأنما جاءت المنافرة ، فى أول ما استعملت ، أنهم كانوا يسألون الحاكم : أينا أعز نفرا ؟ » . و « المنافرة » : هى أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ، ثم يحكما بينهما رجلا .

* وَمِنَّا مُنْسِى الشُّهُورِ القَلَمَّسُ * [١]

وأنزل الله: « إنما النسيء زيادة فى الكفر » ، إلى آخر الآية .

* * *

وأما قوله : « زيادة فى الكفر » ، فإن معناه زيادة كُفْر بالنسيء ، إلى كفرهم بالله قبلَ ابتداعهم النسيء ، [٢] كما : —

١٦٧١٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » ، يقول : ازدادوا به كفراً إلى كفرهم .

* * *

وأما قوله : « ليواطئوا » ، فإنه من قول القائل : « واطأت فلاناً على كذا أواطئه مُواطأة » ، إذا وافقته عليه ، معيناً له ، غير مخالف عليه .

* * *

وروى عن ابن عباس فى ذلك ما :—

١٦٧١٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ليواطئوا عدة ما حرم الله » ، يقول : يشبهون .

* * *

---

(١) هكذا جاء فى المخطوطة مضطرب الميزان ، وذكره القرطبى فى تفسيره ٨ : ١٣٨ .

* وَمِنَّا نَاسِئُ الشَّهْرِ القَلَمَّسُ * [١]

وهو أيضاً غير مستقيم ، والذى وجدته ، هو ما قاله عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص ابن أمية ، قال :

ثَمَانِى أَبُو العَاصِى الأَمِينُ وَهَاشِمٌ وعُثْمَانُ ، والنَّاسِى الشُّهُورَ القَلَمَّسُ

وأم عبد الرحمن بن الحكم ، ومروان بن الحكم ، هى : « آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن محرث بن خمل بن شق » ، و « صفوان » هذا هو الذى جاء ذكره فى الخبر رقم : ١٦٧١٢ ، وأنه كان من « النسأة » ، وكل ناسىء كان يقال له : « القلمس » ، فهذا البيت يؤيد ما قاله قتادة بعض التأييد . وانظر البيت الذى ذكرته فى نسب قريش للمصعب الزبيرى ص : ٩٨ .

(٢) فى المطبوعة : « وقيل : ابتداعهم النسيء » ، غير ما فى المخطوطة ، فأفسد الكلام كله .

قال أبو جعفر : وذلك قريب المعنى مما بيَّنَّا ، وذلك أن ما شابه الشيء ، فقد وافقه من الوجه الذي شابهه .

وإنما معنى الكلام : أنهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرِّمونها ، عدة الأشهر الأربعة التي حرَّمها الله ، لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها ، وإن قدَّموا وأخَّروا . فذلك مواطأة عِدَّتهم عدَّةَ ما حرّم الله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : وهذه الآية حثٌّ من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله ، على غزو الروم ، وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك .

يقول جل ثناؤه : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله = « ما لكم » ، أيّ شيء أمرُكم = « إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله » ، يقول : إذا قال لكم رسولُ الله محمدٌ = : « انفروا » ، أي : اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم .

* * *

وأصل « النفر » ، مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك . ومنه : « نفوراً الدابة » . غير أنه يقال : من النفر إلى الغزو : « نَفَرَ فلان إلى ثغر كذا يَنْفِر نَفْراً ونَفِيراً » ، وأحسب أن هذا من الفروق التي يفرِّقون بها بين اختلاف المخبر عنه ،[1] ١٠/٩٤

(١) يعني أبو جعفر ، أنهم لم يقولوا في النفر إلى الغزو « نفوراً » في مصدره ، وقد أثبتت كتب اللغة أنه يقال في مصدره « نفر إلى الغزو نفوراً » .

وإن اتفقت معانى الخبر.[١]

* * *

فعنى الكلام : ما لكم أيها المؤمنون ، إذا قيل لكم : اخرجُوا غزاة = « فى سبيل الله » ، أى : فى جهاد أعداء الله[٢] = « اثَّاقلتم إلى الأرض » ، يقول : تثاقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها .

* * *

وقيل : « اثَّاقلتم » لإدغام « الثاء » فى « التاء » فأحدثتْ لها ألف ،[٣] ليُتَوصَّل إلى الكلام بها ، لأن « التاء » مدغمة فى « الثاء » . ولو أسقطت الألف ، وابتدئ بها ، لم تكن إلا متحركة ، فأحدثت الألف لتقع الحركة بها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً﴾ ، [سورة الأعراف : ٣٨] ، وكما قال الشاعر :[٤]

تُولِى الضَّجِيعَ إذَا مَا اسْتَافَهَا خَصِراً عَذْبَ المَذَاقِ ، إِذَا مَا اتَّابَعَ القُبَلُ[٥]

[فهو من « الثقل » ، ومجازه مجاز « افتعلتم »] ، من « التثاقل » .[٦]

* * *

وقوله : « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » ، يقول جل ثناؤه : أرضيتم بحظ الدنيا والدّعة فيها ، عوضاً من نعيم الآخرة ، وما عند الله للمتقين فى جناته = « فما

---

(١) انظر « النفر » فيما سلف ٨ : ٥٣٦ ، ولم يفسره هناك .

(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) فى المطبوعة : « لأنه أدغم التاء فى الثاء فأحدث لها ألف » ، وكان فى المخطوطة : « لأنه غام » ، فلم يحسن قراءتها ، فغير الكلام ، فأثبته على الصواب من المخطوطة . وانظر ما سلف فى الإدغام ٢ : ٢٢٤ .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) مضى شرحه وتفسيره آنفاً ٢ : ٢٢٤ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٨ .

(٦) مكان هذه الجملة فى المطبوعة : « فهو بنى الفعل افتعلتم من التثاقل » ، وهو كلام غث جداً . وفى المخطوطة : « فهو بن الفعل افعلم من التثاقل » ، غير منقوط ، وصححت هذه العبارة اجتهاداً ، مؤتنساً بما قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٦٠ ، قال : « ومجاز : اثاقلتم ، مجاز : افتعلتم ، من التثاقل ، فأدغمت التاء فى الثاء ، فثقلت وشددت » . يعنى أبو عبيدة : أنك لو بنيت « افتعل » من « الثقل » ، كان واجباً إدغام التاء فى الثاء . وانظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

متاع الحياة الدنيا فى الآخرة » ، يقول : فما الذى يستمتع به المتمتعون فى الدنيا من عيشها ولذّاتها فى نعيم الآخرة والكرامة التى أعدّها الله لأوليائه وأهل طاعته[1]= « إلا قليل » ، يسير . يقول لهم : فاطلبوا ،أيها المؤمنون ، نعيم الآخرة ، وشرف الكرامة التى عند الله لأوليائه ،[2] بطاعته والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره فى النفير لجهاد عدوّه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧١٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » ، أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح ، وبعد الطائف ، وبعد حنين . أمروا بالنَّفير فى الصيف ، حين خُرِفت النخل ،[3] وطابت الثمار ، واشتَهُوا الظلال ، وشقّ عليهم المخرج .

١٦٧٢٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » الآية ، قال : هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف . أمرهم بالنَّفير فى الصيف ، حين اختُرِفت النخل ، وطابت الثمار ، واشتهوا الظلال ، وشَقّ عليهم المخرج . قال : فقالوا : « الثقيل » ، ذو الحاجة ، والضَّيْعة والشغل ،[4] والمنتشرُ به أمره فى ذلك كله ، فأنزل الله : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ، [سورة التوبة : ٤١] .

* * *

(١) انظر تفسير « متاع » فيما سلف من فهارس اللغة (متع) .

(٢) فى المطبوعة : « وترف الكرامة » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) « خرف النخل يخرفه خرفاً ، واخترفه اخترافاً » ، صرم ثمره واجتناه بعد أن يطيب .

(٤) فى المطبوعة : « فقالوا : منا الثقيل وذو الحاجة والضيعة . . . » ، غير ما فى المخطوطة ، وكان فى المخطوطة ما أثبت . وهو مقبول ، مع شكى فى أن يكون سقط من الكلام شىء .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله ، متوعِّدَهم على ترك النَّفْر إلى عدوّهم من الروم : إن لم تنفروا، أيها المؤمنون، إلى من استنفرَكم رسولُ الله، يعذّبكم الله عاجلاً فى الدنيا، بتركِكم النَّفْر إليهم، عذاباً مُوجعاً [1] = «ويستبدل قوماً غيركم»، يقول: يستبدل الله بكم نبيَّه قوماً غيرَكم، ينفرون إذا استنفروا، ويجيبونه إذا دعوا ، ويطيعون الله ورسوله [2] = « ولا تضروه شيئاً » ، يقول : ولا تضروا الله، بترككم النّفير ومعصيتكم إياه، شيئاً ، لأنه لا حاجة به إليكم ، بل أنتم أهل الحاجة إليه ، وهو الغنى عنكم وأنتم الفقراء= « والله على كل شىء قدير »، يقول جل ثناؤه: والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم، وعلى كل ما يشاء من الأشياء ، قدير. [3]

* * *

وقد ذكر أن « العذاب الأليم » فى هذا الموضع ، كان احتباسَ القَطْر عنهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٢١ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا زيد بن الحباب قال ، حدثنى عبد المؤمن بن خالد الحنفى قال ، حدثنى نجدة الخراسانى قال : سمعت ابن عباس ، وسئل عن قوله: « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » ، قال : إن رسول الله

وقوله : « الثقيل : ذو الحاجة والضيعة » هو تفسير قوله تعالى : « انفروا خفافاً وثقالا » ، جمع « ثقيل » ، كما سترى فى تفسير الآية ص : ٢٦٢ وما بعدها .

(١) انظر تفسير « النفر » فيما سلف قريباً ص : ٢٥١ .

(٢) انظر تفسير « الاستبدال » فيما سلف ٨ : ١٢٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير «قدير » فيما سلف من فهارس اللغة (قدر) .

صلى الله عليه وسلم استنفر حيًّا من أحياء العرب فتثاقلوا عنه ، فأمسك عنهم المطر ، ١٠/٩٥
فكان ذلك عذابهم ، فذلك قوله : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما » .[١]

١٦٧٢٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبد المؤمن ، عن نجدة قال : سألت ابن عباس ، فذكر نحوه = إلا أنه قال : فكان عذابهم أنْ أمسك عنهم المطر .[٢]

١٦٧٢٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » ، استنفر الله المؤمنين فى لَهَبَان الحرِّ فى غزوة تبوك قِبَلَ الشأم ،[٣] على ما يعلم الله من الجَهْد .

* * *

وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٢٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قال : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » ، وقال : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا

---

(١) الأثر : ١٦٧٢١ — « زيد بن الحباب العكلى » ، سلف مراراً ، آخرها رقم : ١٦٦٨٤ .

و « عبد المؤمن بن خالد الحنفى » ، ثقة ، مضى برقم ١١٩١٤ .

و « نجدة الخراسانى » هو : « نجدة بن نفيع الحنفى » ، ثقة ، مضى أيضاً برقم : ١١٩١٤ .

وهذا الخبر ، رواه الطبرى فيما يلى برقم : ١٦٧٢٢ ، من طريق يحيى بن واضح ، عن عبد المؤمن .

ورواه أبو داود فى سننه ٣ : ١٦ ، رقم : ٢٥٠٦ ، من طريق زيد بن الحباب ، مختصراً ، ورواه البيهقى فى السنن ٩ : ٤٨ ، بنحوه . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٣٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والحاكم ، وصححه الحاكم .

(٢) الأثر : ١٦٧٢٢ — هو مكرر الأثر السالف ، وهذا أيضاً لفظ أبى داود والبيهقى : « المطر » ، من طريق زيد بن الحباب السالف .

(٣) « لهبان الحر » ، (بفتح اللام والهاء)، شدته فى الرمضاء . ويقال : « يوم لهبان » ، صفة ، أى شديد الحر . و « اللهبان » مصدر مثل : اللهب ، واللهيب ، واللهاب (بضم اللام) ، وهو اشتعال النار إذا خلصت من الدخان .

عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ إلى قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فنسختها الآية التي تلتها: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، [سورة التوبة: ١٢٠ - ١٢٢].

* * *

قال أبو جعفر: ولا خبرَ بالذى قال عكرمة والحسن، من نسخ حكم هذه الآية التى ذكَرا،[١] يجب التسليم له، ولا حجةَ نافٍ لصحة ذلك.[٢] وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عددٌ من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعدُ، وجائزٌ أن يكون قوله: «إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً»، الخاص من الناس، ويكون المراد به من استنفرَه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفر، على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس.

وإذا كان ذلك كذلك، كانقوله: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة»، نهياً من الله المؤمنين عن إخلاء بلاد الإسلام بغير مؤمنٍ مقيم فيها، وإعلاماً من الله لهم أن الواجب النَّفرُ على بعضهم دون بعض، وذلك على من استُنْفِرَ منهم دون من لم يُسْتَنْفَر. وإذا كان ذلك كذلك،لم يكن فى إحدى الآيتين نسخ للأخرى، وكان حكم كل واحدة منهما ماضياً فيما عُنِيَتْ به.

* * *

---

(١) فى المطبوعة: «التى ذكروا»، والصواب من المخطوطة.

(٢) فى المطبوعة: «ولا حجة تأتى بصحة ذلك» وفى المخطوطة: «ولا حجة بات بصحه ذلك»، غير منقوطة، وصواب قراءتها ما أثبت.

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا إعلامٌ من الله أصحابَ رسوله صلى الله عليه وسلم أنّه المتوكّل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه ، = وتذكيرٌ منه لهم فعلَ ذلك به، وهو من العدد فى قلة ، والعدوُّ فى كثرة ، فكيف به وهو من العدد فى كثرة ، والعدوّ فى قلة ؟

يقول لهم جل ثناؤه : إلا تنفروا، أيها المؤمنون، مع رسولى إذا استنفركم فتنصروه، فالله ناصره ومعينه على عدوّه ، ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم ، كما نصره = « إذ أخرجه الذين كفروا »، بالله من قريش من وطنه وداره = « ثانى اثنين » ، يقول : أخرجوه وهو أحد الاثنين ، أى : واحد من الاثنين .

* * *

وكذلك تقول العرب : « هو ثانى اثنين » ، يعنى : أحد الاثنين، و« ثالث ثلاثة ، ورابع أربعة » ، يعنى : أحد الثلاثة ، وأحد الأربعة . وذلك خلاف قولهم : « هو أخو ستة ، وغلام سبعة » ، لأن « الأخ » ، و« الغلام » غير الستة والسبعة ، « وثالث الثلاثة » ، أحد الثلاثة .

* * *

وإنما عنى جل ثناؤه بقوله : « ثانى اثنين » ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه، لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش إذ همُّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختفيا فى الغار .

* * *

وقوله : « إذ هما فى الغار » ، يقول : إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر

رحمة الله عليه ، فى الغار .

* * *

و« الغار » ، النقب العظيم يكون فى الجبل .

* * *

= « إذ يقول لصاحبه » ، يقول : إذ يقول رسول الله لصاحبه أبى بكر ، « لا تحزن » ، وذلك أنه خافَ من الطَّلَب أن يعلموا بمكانهما ، فجزع من ذلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحزن » ، لأن الله معنا والله ناصرنا ،[١] فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا . ٩٦/١٠

يقول جل ثناؤه : فقد نصره الله على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد ، فكيف يخذله ويُحْوِجه إليكم ، وقد كثَّر الله أنصاره وعدد جنودِه ؟

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٢٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلا تنصروه » ، ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعثَه . يقول الله : فأنا فاعلٌ ذلك به وناصره ، كما نصرته إذ ذاك وهو ثانى اثنين .

١٦٧٢٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « إلا تنصروه فقد نصره الله » ، قال : ذكر ما كان فى أول شأنه حين بُعثَ ، فالله فاعلٌ به كذلك ، ناصره كما نصره إذ ذاك ، « ثانىَ اثنين إذ هما فى الغار » .

١٦٧٢٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إلا تنصروه فقد نصره الله » الآية ، قال : فكان صاحبَه أبو بكر ، وأما

---

(٦) انظر تفسير « مع » فيما سلف ص : ٢٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

« الغار » ، فجبل بمكة يقال له : « ثَوْر » .

١٦٧٢٨ — حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثني أبي قال ، حدثنا أبان العطار قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، وكان لأبي بكر مَنِيحةٌ من غَنَم تروح على أهله ، [1] فأرسل أبو بكر عامر بن فهيرة في الغنم إلى ثور . وكان عامر بن فهيرةَ يروح بتلك الغنم على النبي صلى الله عليه وسلم بالغار في ثور ، وهو « الغار » الذي سماه الله في القرآن . [2]

١٦٧٢٩ — حدثني يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطي قال ، حدثنا عفان وحَبّان قالا ، حدثنا همام ، عن ثابت ، عن أنس ، أن أبا بكر رضى الله عنه حدّثهم قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وأقدامُ المشركين فوق رؤوسنا ، فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم رفع قدَمَه أبصرنا ! فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟[3]

---

(١) « المنيحة » ، شاة أو ناقة يعيرها الرجل أخاه ، يحتلبها وينتفع بلبنها سنة ، ثم يردها إليه .

(٢) الأثر : ١٦٧٢٨ — هذا جزء من كتاب عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان ، والذي خرجته فيما سلف برقم : ١٦٠٨٣ ، ومواضع أخرى كثيرة . وهذا الجزء من الكتاب ، في تاريخ الطبري ٢ : ٢٤٦ .

(٣) الأثر : ١٦٧٢٩ — « يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطي » ، شيخ الطبري ، لم أجد له ترجمة في غير الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٠٢/٢/٤ .

و « عفان » هو « عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار » ، ثقة ، من شيوخ أحمد والبخاري ، مضى برقم : ٥٣٩٢ .

و « حبان » ، هو « حبان بن هلال الباهلي » ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى برقم : ٥٤٧٢ . « حبان » بفتح الحاء لا بكسرها .

و « همام » هو « همام بن يحيى بن دينار الأزدي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها : ١٦٣٠٦ .

و « ثابت » ، هو « ثابت بن أسلم البناني » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى برقم : ٢٩٤٢ ، ٧٠٣٠ .

وهذا الخبر رواه من طريق عفان بن مسلم ، ابن سعد في الطبقات ١٢٣/١/٣ ، وأحمد في مسنده رقم : ١١ ، والترمذي في تفسير الآية .

١٦٧٣٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن إبراهيم ابن مهاجر ، عن مجاهد قال : مكث أبو بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً .

١٦٧٣١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري : « إذ هما في الغار »، قال : في الجبل الذي يسمَّى ثوراً ، مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليالٍ .

١٦٧٣٢ — حدثنا يونس قال، أخبرنا بن وهب قال ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبيه : أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه حين خطب قال : أيُّكم يقرأ « سورة التوبة » ؟[1] قال رجل : أنا . قال: اقرأ . فلما بلغ: «إذ يقول لصاحبه لا تحزن » ، بكى أبو بكر وقال : أنا والله صاحبُه .[2]

ورواه من طريق حبان بن هلال ، البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٤٥)، ومسلم في صحيحه ١٥ : ١٤٩ .

ورواه البخاري من طريق محمد بن سنان ، عن هلال في صحيحه (الفتح ٧ : ٩) .

وقال الترمذي : « هذا حديث صحيح غريب ، إنما يروى من حديث همام . وقد روى هذا الحديث حبان بن هلال ، وغير واحد ، عن همام ، نحو هذا » .

وخرجه السيوطي في الدر ٣ : ٢٤٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وأبي عوانة ، وابن حبان ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

(١) في المخطوطة : « سورة البقرة » ، وهو خطأ أبين من أن يدل على تصحيحه .

(٢) الأثر : ١٦٧٣٢ — « عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري المصري » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٩٧٣ .

وأبوه « الحارث بن يعقوب بن ثعلبة، أو: ابن عبد الله ، الأنصاري المصري » . ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٨٢ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٩٣ .

القول في تأويل قوله ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله[١] = وقد قيل : على أبي بكر = « وأيده بجنود لم تروها » ، يقول : وقوّاه بجنودٍ من عنده من الملائكة ، لم تروها أنتم [٢] = « وجعل كلمة الذين كفروا » ، وهي كلمة الشرك = « السُّفْلى » ، لأنها قُهِرَت وأذِلَّت ، وأبطلها الله تعالى ، ومحق أهلها ، وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب ، والغالب هو الأعلى = « وكلمة الله هي العليا » ، يقول : ودين الله وتوحيده وقولُ لا إله إلا الله ، وهي كلمتُه = « العليا » ، على الشرك وأهله ، الغالبةُ ، [٣] كما :—

١٦٧٣٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » ، وهي الشرك بالله = « وكلمة الله هي العليا » ، وهي : لا إله إلا الله .

* * *

وقوله : « وكلمة الله هي العليا » ، خبر مبتدأ ، غيرُ مردودٍ على قوله : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » ، لأن ذلك لو كان معطوفاً على « الكلمة » الأولى ، لكان نصباً .[٤]

* * *

(١) انظر تفسير « السكينة » فيما سلف ص : ١٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « التأييد » فيما سلف ص : ٤٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الأعلى » فيما سلف ٧ : ٢٣٤ .
(٤) انظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للفراء ١ : ٤٣٨ ، وهو فصل جيد واضح .

وأما قوله : « والله عزيز حكيم » ، فإنه يعني : « والله عزيز » ، في انتقامه من أهل الكفر به ، لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب ، ولا ينصر من عاقبه ناصر = « حكيم » ، في تدبيره خلقَه ، وتصريفه إياهم في مشيئته.[1] ١٠/٩٧

* * *

القول في تأويل قوله { انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا }

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في معنى « الخفة » و« الثقل » ، اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالنفر معه .

فقال بعضهم : معنى « الخفة » ، التي عناها الله في هذا الموضع ، الشباب = ومعنى « الثقل » ، الشيخوخة.

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٣٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن رجل ، عن الحسن في قوله : « انفروا خفافاً وثقالا » ، قال : شيباً وشبّاناً .

١٦٧٣٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص، عن عمرو ، عن الحسن قال : شيوخاً وشباناً .

١٦٧٣٦ — . . . . قال ، حدثنا ابن عيينة، عن علي بن زيد، عن أنس ، عن أبي طلحة : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : كهولاً وشباناً ، ما أسمع الله عذَر واحداً ! ![2] فخرج إلى الشأم، فجاهد حتى مات.[3]

(١) انظر تفسير « عزيز » و « حكيم » ، فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .

(٢) في المطبوعة : « عذر أحداً » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٦٧٣٦ — « علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة » ، مضى مراراً ، وثقه أخي السيد أحمد فيما سلف رقم : ٤٨٩٧ ، وقد تكلم فيه أحمد وغيره قال : « ضعيف الحديث » . و « أنس » هو « أنس بن مالك » خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٧٣٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة ابن النعمان قال : كان رجل من النَّخع ، وكان شيخاً بادناً ، فأراد الغزوَ ، فمنعه سعد بن أبي وقاص فقال : إن الله يقول : « انفروا خفافاً وثقالاً »! فأذن له سعد . فقتل الشيخ ، فسأل عنه بعدُ عُمَرُ ، فقال : ما فعل الشيخ الذى كأنَّه من بنى هاشم؟[1] فقالوا : قتل يا أمير المؤمنين ![2]

١٦٧٣٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن إسمعيل ، عن أبي صالح قال : الشابُّ والشيخ .

١٦٧٣٩ — . . . . قال ، حدثنا أبو أسامة، عن مالك بن مغول ، عن إسمعيل ، عن عكرمة قال : الشاب والشيخ .

١٦٧٤٠ — . . . . قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : كهولاً وشبَّاناً .

١٦٧٤١ — . . . . قال ، حدثنا حبويه، أبو يزيد ، عن يعقوب القمى ، عن جعفر بن حميد ، عن بشر بن عطية : كهولاً وشباناً [3] .

و « أبو طلحة » ، هو « زيد بن سهل الأنصارى » ، صاحب رسول الله ، شهد العقبة ، وبدراً ، المشاهد كلها .

وهذا الخبر ، رواه ابن سعد فى الطبقات ٣/٢/٦٦ من طريق عفان بن مسلم ، عن حماد ابن سلمة ، عن ثابت ، وعلى بن زيد ، عن أنس ، مطولا ، بغير هذا اللفظ . ورواه الحاكم فى المستدرك ٣ : ٣٥٣ ، من هذه الطريق نفسها وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٤٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى عمر العدنى فى مسنده ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل فى زوائد الزهد ، وأبى يعلى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩ : ٣١٢ ، بغير هذا اللفظ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح » .

(١) فى المطبوعة : « كان من بنى هاشم » ، وهو خطأ لاشك فيه ، فإن الرجل « من النخع » ، كما ذكر قبل ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٦٧٣٧ — « المغيرة بن النعمان النخعى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٣٦٢٢ .

(٣) الأثر : ١٦٧٤١ — « حبويه ، أبو يزيد » ، هو « إسحق بن إسماعيل الرازى » ،

١٦٧٤٢ — حدثنا الوليد قال، حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، فى قوله: « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : شباناً وكهولاً .

١٦٧٤٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : شباباً وشيوخاً ، وأغنياء ومساكين .

١٦٧٤٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال، قال الحسن : شيوخاً وشبّاناً .

١٦٧٤٥ — حدثنى سعيد بن عمرو قال، حدثنا بقية قال ، حدثنا حَرِيز قال ، حدثنى حبان بن زيد الشرعيّ قال : نفرنا مع صَفْوان بن عمرو ، وكان والياً على حمص قِبَلَ الأفْسوس، إلى الجَرَاجمة،[١] فلقيت شيخاً كبيراً هِمّاً،[٢] قد سقط حاجباه على عينيه ، من أهل دمشق ، على راحلته ، فيمن أغار .[٣] فأقبلت عليه فقلت : يا عمّ ، لقد أعذر الله إليك ! فرفع حاجبيه ، فقال : يا ابن

مضى مراراً ، منها رقم : ١٥٩٩٣ ، وكتب فى المطبوعة : « حيوة » ، وغير ما فى المخطوطة ، وهو خطأ محض .

وأما « جعفر بن حميد » ، فلم أجد له ذكراً فى شىء من مراجعى ، والذى يروى عنه يعقوب ابن عبد الله القمى ، هو : « جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى القمى » ، والذى نقله ابن حجر فى التهذيب فى ترجمته عن أبى نعيم أن اسم « أبى المغيرة » هو : « دينار » لا « حميد » .

وأما « بشر بن عطية » ، فلم أجد من يسمى بهذا إلا « بشر بن عطية » ، رجل روى عنه مكحول ، يقال هو صحابى ، ويقال هو : « بشر بن عصمة المزنى » ، انظر لسان الميزان ٢ : ٢٦ ، ٢٧ ، فى الترجمتين ، والإصابة فى ترجمة الاسمين . وهذا كله مضطرب .

(١) « الأفسوس » ، بلد بثغور طرسوس ، و « طرسوس » مدينة بثغور الشأم بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم .

و « الجراجمة » ، نبط الشأم ، ويقال : هم قوم من العجم بالجزيرة .

وكان فى المخطوطة : « قبل الأفسون إلى الحراصه » ، والصواب ما فى المطبوعة وهو مطابق لما فى تفسير ابن كثير ٤ : ١٧٦ ، نقلا عن هذا الموضع من الطبرى .

(٢) « الهم » (بكسر الهاء) : الشيخ الكبير الفانى البالى .

(٣) فى المخطوطة : « أغات » ، والصواب ما فى المطبوعة ، وهو موافق لما فى ابن كثير .

أخى ، استنفرنا الله خفافاً وثقالاً ، من يحبّه الله يبتَله ، ثم يعيده فيبْتليه ،[1] إنما يبتلى الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا الله .[2]

١٦٧٤٦ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسمعيل ، عن أبى صالح : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : كل شيخ وشابّ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : مشاغيل وغير مشاغيل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٤٧ – حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن الحكم فى قوله : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : مشاغيل وغير مشاغيل .

* * *

وقال آخرون : معناه : انفروا أغنياء وفقراء .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « من يحبه الله يبتليه ، ثم يعيده فيبقيه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو الصواب وحده .

(٢) الأثر : ١٦٧٤٥ – « بقية » هو « بقية بن الوليد » ، سلف مراراً كثيرة .

و « حريز » هو « حريز بن عثمان بن جبر الرحبى » ، ثقة مأمون ، ثبت فى الحديث ، وإنما وضع منه من وضع ، لأنه كان ينال من على رضى الله عنه ، ثم ترك ذلك . و « حريز » (بفتح الحاء ، وكسر الراء) . وقال أبو داود : « شيوخ حريز ، كلهم ثقات » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٩٦/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٨٩/٢/١ .

وكان فى المطبوعة : « جرير » ، وهو فى المخطوطة غير منقوط .

و « حبان بن زيد الشرعبى » (بكسر الحاء من : حبان) ، أبو خداش الحمصى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وسلف قبل أن أبا داود ، وثق جميع شيوخ حريز بن عثمان . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٧٨/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٦٩/٢/١ .

و « صفوان بن عمرو » ، كأنه هو « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكى » ، ثقة . والذى حملنى على هذا الظن ، أنى رأيت فى ترجمته فى التهذيب عن أبى اليمان ، عن صفوان : « أدركت من خلافة عبد الملك ، وخرجنا فى بعث سنة ٩٤ » ، ولكنى لم أجد ذكراً لولايته على حمص .

وقد سلف « صفوان بن عمرو السكسكى » مراراً ، منها رقم : ٧٠٠٩ ، ١٢٨٠٧ ، ١٣١٠٨ .

١٦٧٤٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عمن ذكره، عن أبى صالح : « انفروا خفافاً ، وثقالاً » ، قال : أغنياء وفقراء .

* * *

وقال آخرون : معناه : نِشاطاً وغير نِشاط .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٤٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، يقول : انفروا نِشاطاً وغير نِشاط . ٩٨/١٠

١٦٧٥٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة : « خفافاً وثقالاً » ، قال : نِشاطاً وغير نِشاط .

* * *

وقال آخرون : معناه : ركباناً ومشاةً .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٥١ — حدثنا على بن سهل قال، حدثنا الوليد قال ، قال أبو عمرو : إذا كان النَّفْر إلى دروب الشأم ، نفر الناس إليها « خِفافاً» ، ركباناً . وإذا كان النَّفْر إلى هذه السواحل، نفروا إليها « خفافاً وثقالاً » ، ركباناً ومشاة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ذا ضَيْعة وغير ذى ضَيْعة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٥٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : « الثقيل » ، الذى له الضيعة ، فهو ثقيل يكره أن يُضيع ضَيْعته ويخرج = و « الخفيف » الذى لا ضيعة له، فقال الله : « انفروا خفافاً وثقالاً » .

١٦٧٥٣ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال :

زعم حضرميّ أنه ذُكر له أن ناساً كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلاً أو كبيراً فيقول : إن أجتنبْه إباءً ، فإنى آثم !(١) فأنزل الله : « انفروا خفافاً وثقالاً » .

١٦٧٥٤ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أيوب ، عن محمد قال : شهد أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا، ثم لم يتخلف عن غَزَاة للمسلمين إلا وهو فى أخرى ،(٢) إلا عاماً واحداً . وكان أيوب يقول : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، فلا أجدنى إلاّ خفيفاً أو ثقيلاً .(٣)

١٦٧٥٥ — حدثنا على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثنا حَريز بن عثمان ، عن راشد بن سعد ، عمن رأى المقداد بن الأسود فارسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوتٍ من توابيت الصَّيارفة بحمص ، وقد فَضَل عنه من عِظَمِه، فقلت له: لقد أعذر الله إليك! فقال: أبتْ علينا «سورة البعوث»، (٤) « انفروا خفافاً وثقالاً » .(٥)

---

(١) فى المطبوعة مكان : « إن أجتنبه إباء ، فإنى آثم » ما نصه : « فيقول : إنى أحسبه قال : أنا لا آثم » ، وهو مضطرب جداً ، وفى تفسير ابن كثير ٤ : ١٧٤ ، ١٧٥ ، اختصر الكلام وكتب : « فيقول : إنى لا آثم » ، وفى الدر المنثور ٣ : ٢٤٦ ، مثله مختصراً . وأما المخطوطة فكان رسمها هكذا : « فيقول : إن أحسبه أباً قال آثم » ، فآثرت قراءتها كما أثبتها ، ومعناه : إن أجتنب النفر إباء للغزو ، فإنى آثم ، ولكن عليّ أو كبرى عذر يدفع عنى إثم التخلف . هذا ما رجحته ، والله أعلم .

(٢) فى المطبوعة : « إلا وهو فى أخرى »، وفى المخطوطة : « فى آخرين »، وحذف هذه العبارة ابن كثير فى تفسيره ، والسيوطى فى الدر المنثور . وهى صحيحة المعنى ، رواها ابن سعد « فى أخرى » كما فى المطبوعة : ورواها الحاكم : « إلا هو فيها » .

(٣) الأثر : ١٦٧٥٤ — رواه ابن سعد فى الطبقات ٣/٢/٤٩ من طريق إسماعيل ابن إبراهيم الأسدى ، وهو « ابن علية » ، مطولا مفصلا .
ورواه الحاكم فى المستدرك ٣ : ٤٥٨ ، من هذه الطريق نفسها ، مطولا .

(٤) هكذا جاء هنا فى المخطوطة : « البعوث » ، وأنا فى شك منه شديد ، لأنى لم أجد من سمى « سورة التوبة » ، « سورة البعوث » ، بل أجمعوا على تسميتها « سورة البحوث » ، كما سأفسره بعد ص : ٢٦٨ ، تعليق : ٢ . ثم انظر آخر التعليق على الخبر رقم : ١٦٧٥٦ .

(٥) الأثر : ١٦٧٥٥ . « حريز بن عثمان بن جبر الرحبى » ، مضى آنفاً برقم ١٦٧٤٥ . وكان فى المطبوعة : « جرير » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة غير منقوط .
و « راشد بن سعد المقرائى الحبرانى الحمصى » ، ثقة ، لا بأس به إذا لم يحدث عنه متروك ،

١٦٧٥٦ — حدثنا سعيد بن عمرو السكونى قال، حدثنا بقية بن الوليد قال : حدثنا حريز قال ، حدثنى عبد الرحمن بن ميسرة قال ، حدثنى أبو راشد الحبرانى قال : وافيت المقداد بن الأسود فارسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص، قد فَضَل عنها من عِظَمه،[1] يريد الغزو، فقلت له : لقد أعذر الله إليك ! فقال ، أبَتْ علينا « سورة البُحُوث »[2] : « انفروا خفافاً وثقالاً » .[3]

* * *

وشيوخ « حريز بن عثمان » ثقات جميعاً، كما أسلفت فى رقم : ١٦٧٤٥ ، و « حريز » ثقة فى نفسه . وهذا الخبر سيأتى بعد هذا ، ليس فيه مجهول .

(١) فى المطبوعة : « فضل عنه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، لأنه صواب محض ، فالتابوت يذكر ، وقد يؤنث .

(٢) فى المطبوعة : « البعوث » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الموافق لرواية هذا الأثر فى المراجع التى سأذكرها . و « البحوث » : منهم من يقولها بضم الباء ، جمع « بحث » ، سميت بذلك لأنها بحثت عن المنافقين وأسرارهم ، أى : استثارتها وفتشت عنها .

وقد قال ابن الأثير إنه رأى فى « الفائق » للزمخشرى « البحوث » بفتح الباء ، ومطبوعة الفائق ، لا ضبط فيها . ثم قال ابن الأثير : « فإن صحت ، فهى فعول ، من أبنية المبالغة ، ويقع على الذكر والأنثى ، كامرأة صبور ، ويكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة » . أما الزمخشرى فقال : « سورة البحوث : هى سورة التوبة ، لما فيها من البحث عن المنافقين وكشف أسرارهم ، وتسمى المبعثرة » .

وهذا كله يؤيد ما ذهبت إليه فى ص، ٢٦٧ ، التعليق رقم : ٤.

(٣) الأثر : ١٦٧٥٦ — انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٦٧٥٥ .

« سعيد بن عمرو السكونى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ٥٥٦٣ ، ٦٥٢١ ، وغيرها .

و « بقية بن الوليد » ، مضى توثيقه ، ومن تكلم فيه قريباً رقم : ١٦٧٤٥ .

و « حريز » هو « حريز بن عثمان » ، سلف فى الأثر السالف ، ومراجعه هناك ، وكان فى المطبوعة هنا « جرير » أيضاً ، والمخطوطة غير منقوطة .

و « عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمى » ، أبو سلمة الحمصى ، ثقة ، لأن أبا داود قال : « شيوخ حريز كلهم ثقات » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٨٥ .

و « أبو راشد الحبرانى الحميرى الحمصى » ، تابعى ثقة . لم يرو عنه غير « حريز » . مترجم فى التهذيب ، والكنى للبخارى : ٣٠ .

وهذا الخبر رواه ابن سعد فى الطبقات ٣/١/١١٥ ، من طريق يزيد بن هارون ، عن

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنَّفر لجهاد أعدائه فى سبيله ، خفافاً وثقالاً . وقد يدخل فى « الخفاف » كل من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنه على ذلك ، وصحة جسمه وشبابه ، ومن كان ذا يُسْرٍ بمالٍ وفراغ من الاشتغال ،[1] وقادراً على الظهر والركاب . ويدخل فى « الثقال » ، كل من كان بخلاف ذلك ، من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ، ومن مُعْسِرٍ من المال ، ومشتغل بضيعة ومعاش ، ومن كان لا ظهرَ له ولا ركاب ، والشيخ ذو السِّن والعِيَال .

فإذ كان قد يدخل فى « الخفاف » و « الثقال » من وصفنا من أهل الصفات التى ذكرنا ، ولم يكن الله جل ثناؤه خصَّ من ذلك صنفاً دون صنف فى الكتاب ، ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا نَصَب على خصوصه دليلاً ، وجب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد فى سبيله خفافاً وثقالاً مع رسوله صلى الله عليه وسلم ، على كل حال من أحوال الخفّة والثقل .

* * *

١٦٧٥٧ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن مسلم بن صبيح قال : أول ما نزل من « براءة » : « انفروا خفافاً وثقالاً » .

حريز بن عثمان (وفى الطبقات : جرير ، وهو خطأ كما بينت) .

ورواه الحاكم فى المستدرك من طريق : بقية بن الوليد ، عن حريز بن عثمان (وفيه : جرير ، وهو خطأ) .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٠ ، وقال : « رواه الطبرانى ، وفيه بقية بن الوليد ، وفيه ضعف ، وقد وثق . وبقية رجاله ثقات » .

قلت : قد تبين من التخريج أنه رواه عن « حريز » ، « يزيد بن هارون » ، وهو ثقة روى له الجماعة ، كما سلف مراراً .

هذا ، وقد جاء فى مجمع الزوائد « سورة البعوث » ، وانظر ما كتبته آنفاً فى ص : ٢٦٧ ، تعليق : ٤ ، و ص : ٢٦٨ ، تعليق : ٢ .

(١) فى المطبوعة : « ذا تيسر » ، والذى فى المخطوطة محض الصواب .

١٦٧٥٨ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن أبيه، عن أبى الضحى، مثله.

١٦٧٥٩ - حدثنا الحارث قال، حدثنا القاسم قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: إن أول ما نزل من «براءة»: «لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة»، قال: يعرِّفهم نصره، ويوطِّنهم لغزوة تَبُوك.

٩٩/١٠

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جاهدوا»، أيها المؤمنون، الكفارَ= «بأموالكم»، فأنفقوها فى مجاهدتهم على دين الله الذى شرعه لكم، حتى ينقادوا لكم، فيدخلوا فيه طوعاً أو كرهاً، أو يعطوكم الجزية عن يدٍ صَغَاراً، إن كانوا أهل كتابٍ، أو تقتلوهم[1] = «وأنفسكم»، يقول: وبأنفسكم، فقاتلوهم بأيديكم، يخزهم الله وينصركم عليهم = «ذلكم خير لكم»، يقول: هذا الذى آمركم به من النفر فى سبيل الله تعالى خفافاً وثقالاً، وجهادِ أعدائه بأموالكم وأنفسكم، خيرٌ لكم من التثاقل إلى الأرض إذا استنفرتم، والخلودِ إليها، والرضى بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضاً من الآخرة = إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بُيِّن لكم من فضل الجهاد فى سبيل الله على القعود عنه.

* * *

(١) انظر تفسير «الجهاد» فيما سلف ص: ١٧٣، تعليق: ٥، والمراجع هناك.
= وتفسير «سبيل الله» فيما سلف من فهارس اللغة (سبل).

القول فى تأويل قوله ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه فى التخلّف عنه حين خرج إلى تبوك ، فأذن لهم : لو كان ما تدعو إليه المتخلفين عنك ، والمستأذنيك فى ترك الخروج معك إلى مغزاك الذى استنفرتهم إليه = « عرضاً قريباً » ، يقول : غنيمة حاضرة[1]= « وسفراً قاصداً » ، يقول : وموضعاً قريباً سهلاً = « لاتبعوك » ، ونفروا معك إليهما ، ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد ، وكلفتهم سفراً شاقًّا عليهم ، لأنك استنهضتهم فى وقت الحرّ ، وزمان القَيْظ ، وحين الحاجة إلى الكِنّ = « وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم » ، يقول تعالى ذكره : وسيحلف لك ، يا محمد ، هؤلاء المستأذنوك فى ترك الخروج معك ، اعتذاراً منهم إليك بالباطل ، لتقبل منهم عذرهم ، وتأذن لهم فى التخلّف عنك ، بالله كاذبين = « لو استطعنا لخرجنا معكم » ، يقول : لو أطقنا الخروجَ معكم ، بوجود السَّعة والمراكب والظهور وما لا بُدّ للمسافر والغازى منه ، وصحة البدن والقوى ، لخرجنا معكم إلى عدوّكم = « يهلكون أنفسهم » ، يقول : يوجبون لأنفسهم ، بحلفهم بالله كاذبين ، الهلاك والعطب ،[2] لأنهم يورثونها سَخَطَ الله ، ويكسبونها أليم عقابه = « والله يعلم إنهم لكاذبون » ، فى حلفهم بالله : « لو استطعنا لخرجنا معكم » ، لأنهم كانوا للخروج مطيقين ، بوجود السبيل إلى ذلك بالذى كان عندهم من الأموال ، مما يحتاج إليه الغازى فى غزوه ، والمسافر فى سفره ،

---

(١) انظر تفسير « العرض » فيما سلف ص: ٥٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الهلاك » فيما سلف ١٣ : ١٥٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وصحة الأبدان وقوَى الأجسام .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لو كان عرضاً قريباً » ، إلى قوله : « لكاذبون » ، إنهم يستطيعون الخروج ، ولكن كان تَبَطِئةٌ من عند أنفسهم والشيطان ، وزَهَادة فى الخير .

١٦٧٦١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « لو كان عرضاً قريباً » ، قال : هى غزوة تبوك .

١٦٧٦٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله يعلم إنهم لكاذبون » ، أى : إنهم يستطيعون .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : وهذا عتابٌ من الله تعالى ذكره ، عاتبٌ به نبيَّه صلى الله عليه وسلم فى إذنه لمن أذن له فى التخلف عنه، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، من المنافقين .

يقول جل ثناؤه : « عفا الله عنك » ، يا محمد ، ما كان منك فى إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك ، وفى التخلف عنك ، من قبل أن تعلم صدقه من كذبه[2] = « لم أذنت لهم » ، لأى شىء أذنت لهم ؟ = ١٠٠/١٠

(١) الأثر : ١٦٧٦٢ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٦٩٩ .
(٢) انظر تفسير « العفو » فيما سلف من فهارس اللغة (عفا) .

« حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » ، يقول : ما كان ينبغى لك أن تأذن لهم فى التخلف عنك إذ قالوا لك : « لو استطعنا لخرجنا معك » ، حتى تعرف مَن له العذر منهم فى تخلفه، ومن لا عذر له منهم ، فيكون إذنك لمن أذنتَ له منهم على علم منك بعذره ، وتعلمَ مَنِ الكاذبُ منهم المتخلفُ نفاقاً وشكّاً فى دين الله .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٣ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » ، قال : ناسٌ قالوا : استأذِنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا .

١٦٧٦٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا » الآية ، عاتبه كما تسمعون ، ثم أنزل الله التى فى « سورة النور » ، فرخص له فى أن يأذن لهم إن شاء ، فقال : ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ ، [سورة النور : ٦٢] ، فجعله الله رخصةً فى ذلك من ذلك .

١٦٧٦٥ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن ميمون الأودى قال : اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يؤمر فيهما بشىء : إذنه للمنافقين ، وأخذه من الأسارى ، فأنزل الله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » ، الآية .

١٦٧٦٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، قرأت على سعيد بن أبى عروبة ، قال : هكذا سمعته من قتادة ، قوله : « عفا الله عنك لم

أذنت لهم » الآية ، ثم أنزل الله بعد ذلك فى « سورة النور » : ﴿ فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ الآية .

١٦٧٦٧ — حدثنا صالح بن مسمار قال ، حدثنا النضر بن شميل قال ، أخبرنا موسى بن سَرْوان ، قال : سألت مورِّقاً عن قوله : « عفا الله عنك » ، قال : عاتبه ربه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : وهذا إعلامٌ من الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم سِيمَا المنافقين : أن من علاماتهم التى يُعرفون بها ، تخلُّفهم عن الجهاد فى سبيل الله ، باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تركهم الخروجَ معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة .

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، لا تأذننّ فى التخلُّف عنك إذا خرجت لغزو عدوّك ، لمن استأذنك فى التخلف من غير عذر ، فإنه لا يستأذنك فى ذلك إلا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر . فأمّا الذى يصدّق بالله ، ويقرُّ بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب ، فإنه لا يستأذنك فى

---

(١) الأثر ١٦٧٦٧ — « صالح بن مسمار المروزى السلمى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٢٢٤ .

و « النضر بن شميل المازنى » الإمام النحوى ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١١٥١٢

و « موسى بن سروان العجلى » ، ويقال : « ثروان » و « فروان » مضى برقم : ١١٤١١ ، وكان فى المطبوعة هنا « موسى بن مروان » ، وهو خطأ ، وأثبت ما فى المخطوطة

و « مورق » ، هو « مورق بن مشمرج العجلى » ، ثقة عابد من العباد الخشن مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/١/٥١ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٠٣

ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه [1]= « والله عليم بالمتقين » ، يقول : والله ذو علم بمن خافه ، فاتقاه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، والمسارعة إلى طاعته في غزو عدوّه وجهادهم بماله ونفسه ، وغير ذلك من أمره ونهيه .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله » ، فهذا تعييرٌ للمنافقين حين استأذنوا فى القعود عن الجهاد من غير عُذْر ، وعَذَر الله المؤمنين فقال : ﴿ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ ، [سورة النور : ٦٢] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : إنما يستأذنك ، يا محمد ، فى التخلف خِلافكَ وترك الجهاد معك ، من غير عذر بيِّنٍ ، الذين لا يصدّقون بالله ولا يقرّون بتوحيده = « وارتابت قلوبهم » ، يقول : وشكت قلوبهم فى حقيقة وحدانية الله ، وفى ثواب أهل طاعته ، وعقابه أهل معاصيه[3]= « فهم فى ريبهم يترددون » ، يقول : فى شكهم متحيِّرون ، وفى ظلمة الحيرة متردِّدون ، لا يعرفون حقًّا من باطل ، فيعملون على بصيرة . وهذه صفة المنافقين . ١٠/١٠١

* * *

(١) انظر تفسير « جاهد » فيما سلف ص : ٢٧٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وقى) .

(٣) انظر تفسير « الارتياب » و « الريب » فيما سلف ١١ . ١٧٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك = ثم ١١ : ٢٨٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التى ذكرت فى « سورة النور » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قوله : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله » إلى قوله : « فهم فى ريبهم يترددون » ، نسختهما الآية التى فى « النور » : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ إلى ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [سورة النور : ٦٢] .

* * *

وقد بيَّنَّا « الناسخ والمنسوخ » ، بما أغنى عن إعادته ههنا .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو أراد هؤلاء المستأذنوك ، يا محمد ، فى ترك الخروج معك بجهاد عدوك، الخروجَ معك = « لأعدُّوا له عدّة »، يقول : لأعدوا للخروج عدة ، ولتأهّبوا للسفر والعدوِّ أهبتَهما[2] = « ولكن كره الله انبعاثهم » ، يعنى خروجهم لذلك[3] = « فثبطهم »، يقول : فثقّل عليهم الخروجَ حتى استخفُّوا القعودَ فى منازلهم خِلافك، واستثقلوا السفر والخروج معك، فتركوا

(١) انظر مقالته فى « الناسخ والمنسوخ » فيما سلف ص٤٢ ، تعليق : ٢، والمراجع هناك . وانظر الفهارس العامة ، وفهارس النحو والعربية وغيرها .

(٢) انظر تفسير « أعد » ، فيما سلف ص : ٣١ .

(٣) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ٨ : ١٠٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . — وتفسير « البعث » فيما سلف ١١ : ٤٠٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

لذلك الخروج = « وقيل اقعدوا مع القاعدين » ، يعنى : اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون ، ومع النساء والصبيان، واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين فى سبيل الله .(١)

* * *

وكان تثبيط الله إياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، لعلمه بنفاقهم وغشهم للإسلام وأهله ، وأنهم لو خرجوا معهم ضرُّوهم ولم ينفعوا . وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القعود كانوا : « عبد الله ابن أبىّ ابن سلول» ، و« الجدّ بن قيس» ، ومن كان على مثل الذى كانا عليه. كذلك :—

١٦٧٧٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذين استأذنوه فيما بلغنى ، من ذوى الشرف ، منهم : عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، والجدّ بن قيس، وكانوا أشرافاً فى قومهم، فثبطهم الله، لعلمه بهم، أن يخرجوا معهم ،(٢) فيفسدوا عليه جنده .(٣)

* * *

(١) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ٩ : ٨٥ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يخرجوا معهم » وفى سيرة ابن هشام : « معه » .

(٣) الأثر : ١٦٧٧٠ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٧٦٢. وكان فى المخطوطة : « فيفسدوا عليه حسه » غير منقوطة ، فاسدة الكتابة . والذى فى المطبوعة مطابق لما فى سيرة ابن هشام ، وهو الصواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لو خرج،أيها المؤمنون ، فيكم هؤلاء المنافقون = « ما زادوكم إلا خبالاً »، يقول : لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فساداً وضرًّا ،ولذلك ثبَّطتُهم عن الخروج معكم .

* * *

وقد بينا معنى « الخبال »، بشواهده فيما مضى قبل.[1]

* * *

= « ولأ وضعوا خلالكم» ، يقول : ولأسرعوا بركائبهم السَّير بينكم .

* * *

وأصله من « إيضاع الخيل والركاب » ، وهو الإسراع بها فى السير . يقال للناقة إذا أسرعت السير : « وضعت الناقة تَضَع وَضعاً ومَوْضوعاً » ، و« أوضعها صاحبها »، إذا جدّ بها وأسرع ، « يوضعها إيضاعاً » ، ومنه قول الراجز :[2]

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَــــذَعْ أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَــعْ[3]

* * *

(١) انظر تفسير « الخبال » فيما سلف ٧ : ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢) هو دريد بن الصمة .

(٣) سيرة ابن هشام ٤ : ٨٢ ، واللسان (وضع) ، وغيرهما ، وهذا رجز قاله دريد فى يوم غزوة حنين ، وكان خرج مع هوازن، عليهم مالك بن عوف النصرى ، ودريد بن الصمة يومئذ شيخ كبير ، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً . وكان مالك بن عوف كره أن يكون لدريد بن الصمة رأى فى حربهم هذه أو ذكر ، فقال دريد : « هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى » .

يَا لَيْتَنِي فِيهــا جَذَعْ أَخُبُّ فِيهــا وأَضَعْ
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعْ

و « الجذع » ، الصغير الشاب . و « الخبب » ، ضرب من السير كالوضع . ثم وصف فرسه

وأما أصل « الخلال » ، فهو من « الخَلَل » ، وهى الفُرَج تكون بين القوم ، فى الصفوف وغيرها . ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « تَرَاصُّوا فِى الصُّفُوفِ لاَ يَتَخَلَّلكُمْ [الشَّياطين ، كأنها] أَوْلاَدُ الحَذَفِ » .[1]

* * *

وأما قوله : « يبغونكم الفتنة » ، فإن معنى : « يبغونكم الفتنة » ، يطلبون لكم ما تفتنون به ، عن مخرجكم فى مغزاكم ، بتثبيطهم إياكم عنه .[2]

* * *

يقال منه : « بغيتُه الشر » ، « وبغيتُه الخير » « أبغيه بُغاء » ، إذا التمسته له ، بمعنى : « بغيت له » . وكذلك « عكمتك » ، و « حلبتك » ، بمعنى : « حلبت لك » ، و « عكمت لك » ،[3] وإذا أرادوا : أعنتك على التماسه وطلبه ، قالوا : « أبْغَيتُك كذا » ، و « أحلبتك » ، و « أعكمتك » ، أى : أعنتك عليه .[4]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٢/١٠

١٦٧٧١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

فيما تمنى . « وطفاء » ، طويلة الشعر ، و « الزمعة » الهنة الزائدة الناتئة فوق ظلف الشاة . و « الشاة » هنا : الوعل وهو شاة الجبل . و « صدع » الفتى القوى من الأوعال .

(١) لم يذكر إسناده ، وهو حديث مشهور ، رواه أبو داود فى سننه ١ : ٢٥٢ ، رقم : ٦٦٧ ، بغير هذا اللفظ ، والنسائى فى السنن ٢ : ٩٢ . والذى وضعته بين القوسين من الحديث فيما رواه صاحب اللسان ، لأنه فى السنن : « كأنها الحذف » ، وفى اللسان أيضاً « كأنها بنات حذف » . أما المطبوعة فقد ضم الكلام بعضه إلى بعض ، مع أنه كان فى المخطوطة ، بياض بين « لا يتخللكم » ، وبين « أولاد الحذف » ، وفى الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ .

و « الحذف » ضأن سود جرد صغار ، ليس لها آذان ولا أذناب ، يجاء بها إلى الحجاز من جرش اليمن ، واحدتها « حذفة » (بفتحتين) ، شبه الشياطين بها .

(٢) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) « عكمه » و « عكم له » ، هو أن يسوى له الأعدال على الدابة ويشدها .

(٤) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ١٣ : ٨٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
ثم انظر مثل هذا التفصيل فيما سلف ٧ : ٥٣ .

معمر ، عن قتادة : « ولأوضعوا خلالكم » ، بينكم = « يبغونكم الفتنة » ، بذلك .

١٦٧٧٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «ولأوضعوا خلالكم» ، يقول : [ولأوضعوا بينكم] ، خلالكم ، بالفتنة .(١)

١٦٧٧٣ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » ، يبطئونكم قال : رفاعة بن التابوت ، وعبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وأوس بن قيظيّ .

١٦٧٧٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولأوضعوا خلالكم » ، قال : لأسرعوا الأزقة(٢) = « خلالكم يبغونكم الفتنة »، يبطّئونكم = عبد الله بن نبتل، ورفاعة بن تابوت ، وعبد الله بن أبي ابن سلول .

١٦٧٧٥ — . . . . قال حدثنا الحسين قال، حدثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : « ولأوضعوا خلالكم » ، قال : لأسرعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك .

١٦٧٧٦ — حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً » ، قال : هؤلاء المنافقون في غزوة تبوك . يسلّي الله عنه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال : وما يُحزنكم ؟ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ! يقولون : « قد جُمع لكم ، وفُعِل وفُعِل ، يخذّلونكم » =«ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » ، الكفر .

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « « ولأضعوا أسلحتهم خلالكم بالفتنة » ، وهو لا يفيد معنى ، وظني أن « أسلحتهم » هي « بينكم » ، وهو تفسير « خلالكم » كما مر في أثر قتادة السالف ، ولكنه أخر اللفظ الذي فسره وهو « خلالكم » .

(٢) هكذا في المطبوعة والمخطوطة : « الأزقة » ، وهو جمع « زقاق » « بضم الزاي » ، وهو الطريق الضيق ، دون السكة ، وجعل « الأزقة » مفعولا لقوله : « أسرعوا » ، غريب ، وأخشى أن يكون في الكلام خلل أو تصحيف .

وأما قوله : « وفيكم سَمّـَاعون لهم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معنى ذلك : وفيكم سماعون لحديثكم لهم ، يؤدُّونه إليهم ، عيون لهم عليكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٧٧ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وفيكم سماعون لهم » ، يحدِّثون أحاديثكم ، عيونٌ غير منافقين .

١٦٧٧٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وفيكم سماعون لهم » ، قال : محدِّثون ، عيون ، غير المنافقين .(١)

١٦٧٧٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وفيكم سماعون لهم » ، يسمعون ما يؤدُّونه لعدوِّكم .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفيكم من يسمع كلامهم ويُطيع لهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٨٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وفيكم سماعون لهم » ، وفيكم من يسمع كلامهم .

١٦٧٨١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذين استأذنوا ، فيما بلغنى ، من ذوى الشرف ، منهم عبد الله بن أبى ابن سلول ، والجدُّ بن قيس ، وكانوا أشرافاً فى قومهم ، فثبطهم الله ، لعلمه بهم : أن يخرجوا معهم ، فيفسدوا عليه جُنده . وكان فى جنده قوم أهلُ محبةٍ لهم وطاعةٍ فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم ، فقال : « وفيكم سمّـَاعون لهم » .(٢)

(١) فى المطبوعة : « غير منافقين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٦٧٨١ — صدر هذا الخبر مضى برقم : ١٦٧٧٠ ، وساقه هنا فيما بعد ، وهو فى سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٧٦٢ .

قال أبو جعفر : فعلى هذا التأويل : وفيكم أهلُ سمع وطاعة منكم ، لو صحبوكم أفسدوهم عليكم ، بتثبيطهم إياهم عن السير معكم .

وأما على التأويل الأول ، فإن معناه: وفيكم منهم سمّاعون يسمعون حديثكم لهم ، فيبلغونهم ويؤدونه إليهم ، عيون لهم عليكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين عندى فى ذلك بالصواب ، تأويلُ من قال : معناه : « وفيكم سماعون لحديثكم لهم ، يبلغونه عنكم ، عيون لهم » ، لأن الأغلب من كلام العرب فى قولهم: « سمّاع »، وصف من وصف به أنه سماع للكلام ، كما قال الله جل ثناؤه فى غير موضع من كتابه : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ [سورة المائدة ٤١] ، واصفاً بذلك قوماً بسماع الكذب من الحديث . وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه إليه، فإنما تصفه بأنه: « له سامع مطيع » ، ولا تكاد تقول : = « هو سماع مطيع » .(١)

* * *

وأما قوله : « والله عليم بالظالمين » ، فإن معناه : والله ذو علم بمن يوجّه أفعاله إلى غير وجوهها ، ويضعها فى غير مواضعها ، ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ، ومن يستأذنه شكًّا فى الإسلام ونفاقاً ، ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ، ومن يسمعه ليسرَّ بما سُرَّ به المؤمنون ،(٢) ويساء بما ساءهم ، لا يخفى عليه شىء من سرائر خلقه وعلانيتهم .(٣) ١٠/١٠٣

* * *

وقد بينا معنى «الظلم» فى غير موضع من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٤)

* * *

(١) انظر تفسير « سماع » فيما سلف ١٠ : ٣٠٩ .
(٢) فى المطبوعة : « بما سر المؤمنين » ، وفى المخطوطة : « بما سر المؤمنون »، وصوابها ما أثبت .
(٣) انظر تفسر « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .
(٤) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنةَ لأصحابك، يا محمد ، التمسوا صدَّهم عن دينهم[١] ، وحرصوا على ردّهم إلى الكفرِ بالتخذيل عنه ،[٢] كفعل عبد الله بن أبيّ بك وبأصحابك يوم أحدٍ ، حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه . وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل . ويعنى بقوله : « من قبل »، من قبل هذا = « وقلبوا لك الأمور » ، يقول : وأجالوا فيك وفى إبطال الدين الذى بعثك به الله الرأىَ بالتخذيل عنك ،[٣] وإنكار ما تأتيهم به ، وردّه عليك = « حتّى جاء الحق » ، يقول : حتّى جاء نصر الله = « وظهر أمر الله » ، يقول : وظهر دين الله الذى أمرَ به وافترضه على خلقه، وهو الإسلام[٤]=« وهم كارهون » ، يقول : والمنافقون بظهور أمر الله ونصره إياك كارهون .[٥] وكذلك الآن ، يظهرك الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به ، وهم كارهون .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك .

١٦٧٨٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وقلبوا

---

(١) انظر تفسير « ابتغى » فيما سلف قريبا ص : ٢٧٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٢٧٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « التقليب » فيما سلف ١٢ : ٤٤ ، ٤٥ ، ومادة (قلب) فى فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « الظهور » فيما سلف ص: ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٥) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ص: ٢٧٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

لك الأمور » ، أى : ليخذّلوا عنك أصحابك، ويردّوا عليك أمرك = « حتى جاء الحق وظهر أمر الله » .[١]

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت فى نفرٍ مسمَّين بأعيانهم .

١٦٧٨٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن عمرو ، عن الحسن قوله : « وقلبوا لك الأمور » ، قال : منهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وعبد الله بن نبتل أخو بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن رافع ، وزيد ابن التابوت القينقاعى .[٢]

* * *

وكان تخذيل عبد الله بن أبيٍّ أصحابَه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزاة ، كالذى : —

١٦٧٨٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن الزهرى ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبى بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم، كلٌّ قد حدَّث فى غزوة تبوك ما بلَغه عنها ، وبعض القوم يحدِّث ما لم يحدِّث بعضٌ ، وكلٌّ قد اجتمع حديثه فى هذا الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمان عُسْرةٍ من الناس،[٣] وشدة من الحرّ ، وجَدْبٍ من البلاد ، وحين طاب الثمار، وأحِبَّتِ الظلال،[٤] فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها ، على الحال من الزمان الذى هم عليه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلَّما يخرج فى غزوةٍ

---

(١) الأثر : ١٦٧٨٢ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٧٨١ .

(٢) الأثر : ١٦٧٨٢ — لم أجده فى سيرة ابن هشام . ولكنه فى تاريخ الطبرى ٣ : ١٤٣ ، بمثله .

(٣) فى السيرة : « فى زمان من عسرة الناس » .

(٤) « وأحبت الظلال » ليس فى سيرة ابن هشام ، وهو ثابت فى رواية أبى جعفر فى التاريخ ٣ : ١٤٢ . وكذلك فى المطبوعة : « والناس يحبون » وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو مطلب السياق .

إلا كَنَى عنها،وأخبر أنه يريد غير الذى يَصْمِدُ له،[1] إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيَّنها للناس، لبعد الشُّقَّة، وشدة الزمان ، وكثرة العدوّ الذى صَمَد له ، ليتأهَّب الناس لذلك أُهْبَتَه . فأمر الناس بالجهاد ،وأخبرهم أنه يريد الروم. فتجهز الناسُ على ما فى أنفسهم من الكره لذلك الوجه ، لما فيه ، مع ما عظَّموا من ذكر الروم وغزوهم .[2]

= ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدّ فى سفره، فأمر الناس بالجهاز والانكماش،[3] وحضّ أهل الغنى على النفقة والحُمْلان فى سبيل الله .[4]

=فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضرب عسكره على ثنية الوداع ،[5] وضرب عبد الله بن أبى ابن سلول عسكره على حِدَةٍ أسفلَ منه بحذاء «ذُبَاب»[6] = جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع= وكان فيما يزعمون، ليس بأقل العسكرين . ١٠/١٠٤

فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم، تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلّف

---

(١) « صمد للأمر يصمد » ، قصده قصداً .

(٢) هذه الجملة الأخيرة من أول قوله : « فتجهز الناس » ، لم أجدها فى هذا الموضع من سيرة ابن هشام ٤ : ١٥٩ ، وسأذكر موضع ما يليه فى التخريج ، فإنه قد أسقط ما بعد ذلك ، حتى بلغ ما بعده .

(٣) « الانكماش » الإسراع والجد فى العمل والطلب .

(٤) « الحملان » (بضم فسكون) مصدر مثل « الحمل » ، يريد : حمل من لا دابة له على دابة يركبها فى وجهه هذا .

وهذه الجملة من أول قوله : « ثم إن رسول الله » ، إلى هذا الموضع ، فى سيرة ابن هشام ٤ : ١٦١ ، والذى يليه من موضع آخر سأبينه .

(٥) وهذه الجملة مفردة فى سيرة ابن هشام ٤ : ١٦٢ ، بعدها كلام حذفه أبو جعفر ، ووصله بما بعده .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : « على ذى حدة » ، وكان فى المخطوطه كتب قبل « ذى » « دين» ثم ضرب عليها . ولم أجدهم قالوا : « على ذى حدة » ، يؤيد صواب ذلك أن ابن هشام قال : « على حدة » ، وذكر أبو جعفر هذا الخبر فى تاريخه ٣ : ١٤٣ ، فيه أيضاً « على حدة » ، فمن أجل ذلك أغفلت ما كان فى المطبوعة والمخطوطة = وكان فى المطبوعة ، وفى سيرة ابن هشام « نحو ذباب » ، وفى المخطوطة : « نحوا » ، والألف مطموسة قصيرة ، والذى فى التاريخ ما أثبته « بحذاء » ، وهو الصواب الذى لا شك فيه . وبيان موضع الجبل ، ليس مذكوراً فى السيرة ، وهو مذكور فى التاريخ .

من المنافقين وأهل الريب . وكان عبد الله بن أبي، أخا بني عوف بن الخزرج ، وعبد الله بن نبتل ، أخا بني عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ،[١] أخا بني قينقاع ، وكانوا من عظماء المنافقين ، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله .

= قال : وفيهم، فيما حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصرى ، أنزل الله : « لقد ابتغوا الفتنة من قبل » ، الآية .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : وذكر أن هذه الآية نزلت فى الجدّ بن قيس .

* * *

ويعنى جل ثناؤه بقوله: « ومنهم » ، ومن المنافقين = « من يقول ائذن لى » ، أقم فلا أشخَصُ معك = « ولا تفتنى » ، يقول: ولاتبتلنى برؤية نساء بنى الأصفر وبناتهم . فإنّى بالنساء مغرمٌ ، فأخرج وآثَمُ بذلك .[٣]

* * *

وبذلك من التأويل تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل .

* ذكر الرواية بذلك عمن قاله :

١٦٧٨٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « رفاعة بن يزيد » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، والتاريخ

(٢) الأثر : ١٦٧٨٤ — هذا خبر مفرق ، ذكرت مواضعه فيما سلف ، وهو فى سيرة ابن هشام ٤ : ١٥٩ / ثم ٤ : ١٦١ / ثم ٤ : ١٦١ / ثم ٤ : ١٦٢ ، وهو بتمامه فى تاريخ الطبرى ٣ : ١٤٢ ، ١٤٣ . والجزء الأخير من هذا الخبر ، مضى برقم ١٦٨٧٣

(٣) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص ٢٨٣ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ائذن لي ولا تفتني » ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اغزُوا تبوك، تغنموا بنات الأصفر ونساء الروم ! فقال الجدّ : ائذن لنا ، ولا تفتنّا بالنساء .

١٦٧٨٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اغزوا تغنَموا بنات الأصفر = يعني نساء الروم ، ثم ذكر مثله .

١٦٧٨٧ — . . . . قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « ائذن لي ولا تفتني » ، قال : هو الجدّ بن قيس ، قال : قد علمت الأنصار أني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ، ولكن أعينك بمالي .

١٦٧٨٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه، للجد ابن قيس أخي بني سلمة : هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله، أوْ تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي ما رَجل أشدّ عُجْباً بالنساء منّي ، وإني أخشى إن رأيت نساءَ بني الأصفر أن لا أصبر عنهن ! فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك ! ففي الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية : « ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني » الآية ، أي : إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه ، أعظم .[١]

١٦٧٨٩ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في

---

(١) الأثر : ١٦٧٨٨ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٥٩ ، ١٦٠ ، وهو تابع صدر الأثر السالف رقم : ١٦٧٨٤ ، بعد قوله هناك : « وأخبرهم أنه يريد الروم » ، وبين الذي رواه أبو جعفر ، وما في السيرة خلاف يسير في ختام الخبر .

قوله : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، قال : هو رجل من المنافقين يقال له جَدُّ بن قيس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : العامَ نغزو بنى الأصفر ونتَّخذ منهم سراريّ ووُصَفاءَ [١] = فقال : أى رسول الله ، ائذن لى ولا تفتنى ، إن لم تأذن لى افتتنت وقعدت ! [٢] وغضب [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ، [٣] فقال الله : « ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » . وكان من بنى سلمة ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : من سيدكم يا بنى سَلِمة ؟ فقالوا : جدُّ بن قيس ، غير أنه بخيلٌ جبان ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وأىُّ داءٍ أدْوَى من البخل ، ولكن سيِّدكم الفتى الأبيض ، الجعدُ : بشر بن البراء بن مَعْرُور . [٤]

١٦٧٩٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية عن على ، عن ابن عباس قوله : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، يقول : ائذن لى ولا تحرجنى = « ألا فى الفتنة سقطوا » ، يعنى : فى الحرج سقطوا .

١٦٧٩١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، ولا تؤثمنى ، ألا فى الإثم سقطوا .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « سرارى ووصفاناً » ، والصواب من المخطوطة . و « الوصفاء » جمع « وصيف » ، والأنثى « وصيفة » ، وجمعها « وصائف » ، وهو الخادم الغلام الشاب ، ومثله الخادمة .

(٢) فى المطبوعة : « ووقعت » ، مكان « وقعدت » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وأراد القعود عن الخروج إلى الغزوة خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) فى المطبوعة : « فغضب » ، وفى المخطوطة : « وغضب » ، وظاهر أنه سقط من الخبر ما أثبته بين القوسين .

(٤) فى المطبوعة : « الجعد الشعر البراء بن معرور » ، غير ما كان فى المخطوطة ، وهو الصواب المحض ، فإن الخبر هو خبر « بشر بن البراء بن معرور » فى تسويده على بنى سلمة . وأما أبوه « البراء بن معرور » ، فهو من أول من بايع بيعة العقبة الأولى ، وأول من استقبل القبلة ، وأول من أوصى بثلث ماله ، وهو أحد النقباء ، ومات قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل مقدم رسول الله المدينة بشهر ، ولما دفنوه ، وجهوا قبره إلى القبلة .

ويقال : « رجل جعد » ، يراد به أنه مدمج الخلق ، معصوب الجوارح ، شديد الأسر ، غير مسترخ ولا مضطرب ، وهو من حلية الكريم . ويراد به أيضاً : جعودة الشعر ، وهو مدح العرب ، لأن سبوطة الشعر إنما هى فى الروم وفى الفرس . وإنما أراد فى الخبر المعنى الأول .

وقوله : « وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » ، يقول : وإن النار لمطيفة بمن كفر ١٠/١٠٥ بالله وجحد آياته وكذَّب رسله ، محدقة بهم ، جامعة لهم جميعاً يوم القيامة .[١] يقول : فكفى للجدّ بن قيس وأشكاله من المنافقين بِصِلِيِّها خزياً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن يصبك سرورٌ بفتح الله عليك أرضَ الروم فى غَزاتك هذه ،[٢] يسؤ الجدّ ابن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين ، وإن تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها ،[٣] يقول الجد ونظراؤه : « قد أخذنا أمرنا من قبل » ، أى : قد أخذنا حذرَنا بتخلّفنا عن محمد ، وترك أتباعه إلى عدوّه = « من قبل » ، يقول : من قبل أن تصيبه هذه المصيبة = « ويتولوا وهم فرحون » ، يقول : ويرتدُّوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمداً وأصحابه من المصيبة ،[٤] بفلول أصحابه وانهزامهم عنه ،[٣] وقتل من قُتِل منهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) انظر تفسير « الإحاطة » فيما سلف ١٣ : ٥٨١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف : ١٣ : ٤٧٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الحسنة » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

(٣) « الفلول » ، مصدر « فل » ، لازماً ، بمعنى : انهزم . وقد مر آنفاً فى كلام الطبرى أيضاً ، ولم أجد له ذكراً فى كتب اللغة . انظر ما سلف ٧ : ٣١٣ ، تعليق : ٣ ، وما قلته فى تصحيح ذلك استظهاراً من قولهم : « من فل ذل » ، أى : من انهزم وفر عن عدوه ، ذل .

(٤) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٩٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « إن تصبك حسنة تسؤهم » ، يقول : إن تصبك فى سفرك هذه الغزوة تبوك = « حسنة تسؤهم » ، قال : الجدُّ وأصحابه .

١٦٧٩٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قد أخذنا أمرنا من قبل » ، حِذْرنا .

١٦٧٩٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قد أخذنا أمرنا من قبل » ، قال : حِذْرنا .

١٦٧٩٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن تصبك حسنة تسؤهم » ، إن كان فتح للمسلمين ، كبر ذلك عليهم وساءَهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره، مؤدِّباً نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم : « قل »، يا محمد، لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك، لن يصيبنا، أيها المرتابون فى دينهم = « إلا ما كتب الله لنا » ، فى اللوح المحفوظ ، وقضاه علينا [١] = « هو مولانا » ، يقول : هو ناصرنا على أعدائه [٢] = « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ،

---

(١) انظر تفسير « كتب » فيما سلف من فهارس اللغة (كتب) .

(٢) انظر تفسير « المولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

يقول : وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فإنهم إن يتوكلوا عليه ، ولم يرجُوا النصر من عند غيره ، ولم يخافوا شيئاً غيره ، يكفِهم أمورهم ، وينصرهم على من بغاهم وكادهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: « قل »، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين الذين وصفتُ لك صفتهم وبينت لك أمرهم: هل تنتظرون بنا إلاّ إحدى الخلّتين اللتين هما أحسن من غيرهما،(٢) : إما ظفرًا بالعدوّ وفتحاً لنا بغلبتناهم ، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة = وإما قتلاً من عدوِّنا لنا، ففيه الشهادة ، والفوز بالجنة، والنجاة من النار . وكلتاهما مما نُحبُّ ولا نكره = « ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده »، يقول : ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة ، تهلككم = « أو بأيدينا » ، فنقتلكم = « فتربصوا إنا معكم متربصون » ، يقول: فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا ، وما إليه صائرٌ أمر كلّ فريقٍ منّا ومنكم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص: ٤٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « التربص » فيما سلف ص ١٧٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك = وتفسير « الحسنى » فيما سلف ٩ : ٩٦ ، ٩٧ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٩٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين »، يقول : فتح أو شهادة = وقال مرة أخرى : يقول : القتل ، فهي الشهادة والحياة والرزق . وإمّا يخزيكم بأيدينا .

١٦٧٩٧ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « هل تربصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين »، يقول : قتل فيه الحياة والرزق، وإما أن يغلب فيؤتيه الله أجراً عظيماً، وهو مثل قوله : ﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، إلى ﴿ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [سورة المائدة : ٧٤] .

١٠٦/١٠

١٦٧٩٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « إلا إحدى الحسنيين » ، قال : القتل في سبيل الله ، والظهور على أعدائه .

١٦٧٩٩ — . . . . قال ، حدثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج قال : بلغني عن مجاهد قال : القتل في سبيل الله ، والظهور .

١٦٨٠٠ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إحدى الحسنيين » ، القتل في سبيل الله ، والظهور على أعداء الله .

١٦٨٠١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه = قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « بعذاب من عنده » ، بالموت = « أو بأيدينا » ، قال: القتل .

١٦٨٠٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هل تربصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين » ، إلا فتحاً ، أو قتلاً في سبيل

الله = « ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » ، أى : قتل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين : أنفقوا كيف شئتم أموالكم فى سفركم هذا وغيره ، وعلى أى حال شئتم ، من حال الطوع والكره ،[١] فإنكم إن تنفقوها لن يتقبَّل الله منكم نفقاتكم ، وأنتم فى شك من دينكم ، وجهلٍ منكم بنبوة نبيكم ، وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه = « إنكم كنتم قوماً فاسقين » ، يقول : خارجين عن الإيمان بربكم .[٢]

* * *

وخرج قوله : « أنفقوا طوعاً أو كرهاً » ، مخرج الأمر ، ومعناه الجزاء ،[٣] والعرب تفعل ذلك فى الأماكن التى يحسن فيها « إن » ، التى تأتى بمعنى الجزاء ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٨٠] ، فهو فى لفظ الأمر ، ومعناه الجزاء ،[٣] ومنه قول الشاعر :[٤]

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي ، لاَ مَلُومَةً لَدَيْنَا ، وَلاَ مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ[٥]

---

(١) انظر تفسير « الطوع » فيما سلف ٦ : ٥٦٤ ، ٥٦٥ .
= وتفسير « الكره » فيما سلف ص : ٢٨٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ١٣ : ١١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة فى الموضعين : « ومعناه الخبر » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤١ .

(٤) هو كثير عزة .

(٥) سلف تخريجه وبيانه فى التفسير ٢ : ٢٩٤ ، ولم أشر هناك إلى هذا الموضع ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٤١ .

فكذلك قوله : « أنفقوا طوعاً أو كرهاً ، إنما معناه : إن تنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يُتَقَبَّل منكم .

* * *

وقيل : إن هذه الآية نزلت فى الجدّ بن قيس ، حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، لما عرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم : « هذا ما لى أعينك به » .

١٦٨٠٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قال ، الجدّ بن قيس : إنى إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ، ولكن أعينك بمالى ! قال : ففيه نزلت : « أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم » ، قال : لقوله « أعينك بمالى » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما منع هؤلاء المنافقين ، يا محمد ، أن تقبل منهم نفقاتهم التى ينفقونها فى سفرهم معك ، وفى غير ذلك من السبل ، إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله .

= ف « أن » الأولى فى موضع نصب ، والثانية فى موضع رفع ، [1] لأن معنى الكلام : مامنع قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله = « ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى » ،

(١) يعنى بالثانية « أن » المشددة فى « أنهم » ، وأما الأولى فهى « أن » الخفيفة

يقول : لا يأتونها إلا متثاقلين بها .[١] إلا أنهم لا يرجون بأدائها ثواباً ، ولا يخافون بتركها عقاباً ، وإنما يقيمونها مخافةً على أنفسهم بتركها من المؤمنين ، فإذا أمنوهم لم يقيموها = «ولا ينفقون »، يقول : ولا ينفقون من أموالهم شيئاً = « إلا وهم كارهون »، أن ينفقوه فى الوجه الذى ينفقونه فيه ، مما فيه تقوية للإسلام وأهله .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

١٠٧/١٠

فقال بعضهم : معناه : فلا تعجبك ، يا محمد ، أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم فى الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة . وقال : معنى ذلك التقديمُ ، وهو مؤخر .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٠٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » ، قال : هذه من تقاديم الكلام ،[٣]

---

(١) انظر تفسير « كسالى » فيما سلف ٩ : ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٢) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ص : ٢٩٣ ، تعليق : ١ والمراجع هناك .

(٣) هذه أول مرة أجد استعمال « تقاديم » جمعاً فى هذا التفسير . وهى جمع « تقديم » كأمثاله من قولهم « التكاذيب » ، « والتكاليف » ، و « التحاسين » ، و « التقاصيب » ، وما أشبهها .

وكان فى المخطوطة : « هذه من تقاديم الله ، ليعذبهم بها فى الآخرة » ، ولكن ناشر المطبوعة نقل هذا النص الثابت فى المطبوعة ، من الدر المنثور ٣ : ٢٤٩ ، وكأنه الصواب ، إن شاء الله ، ولذلك تركته على حاله .

وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٢ .

يقول : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة .

١٦٨٠٥ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ، بما ألزمهم فيها من فرائضه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٠٦ — حدثت عن المسيّب بن شريك،عن سلمان الأنصرى ، عن الحسن : « إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا » ، قال : بأخذ الزكاة ، والنفقة فى سبيل الله .[1]

١٦٨٠٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا » ، بالمصائب فيها ، هى لهم عذابٌ ، وهى للمؤمنين أجرٌ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك عندنا ، التأويلُ الذى ذكرنا عن الحسن . لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل ، فصرْفُ تأويله إلى ما دلّ عليه ظاهره، أولى من صرفه إلى باطنٍ لا دلالةَ على صحته .

وإنما وجـَّه من وجـَّه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر ، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم فى الحياةالدنيا، وجـْهاً يوجـِّهه إليه،وقال: كيف يعذّبهم

(١) الأثر : ١٦٨٠٦ — « المسيب بن شريك التميمى ، أبو سعيد » ، ترك الناس حديثه ، وقال البخارى : « سكتوا عنه » . مترجم فى الكبير ٤/١/٤٠٨ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٢٩٤ ، وميزان الاعتدال ٣ : ١٧١ ، ولسان الميزان ٦ : ٣٨ .
و « سلمان الأنصرى » ، هكذا فى المخطوطة ، وهو فى المطبوعة « الأقصرى » ، ولم أستطع أن أعرف شيئاً عن هذا الاسم

بذلك فى الدنيا وهى لهم فيها سرور ؟ وذهبَ عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه، إلزامُه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه، إذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيِّب النفس، ولا راجٍ من الله جزاءً، ولا من الآخذ منه حمداً ولا شكراً، على ضجرٍ منه وكُرْهٍ .

* * *

وأما قوله : « وتزهق أنفسهم وهم كافرون » ، فإنه يعنى ونخرج أنفسهم ، فيموتوا على كفرهم بالله، وجحودهم نبوّةَ نبىِّ الله محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

يقال منه: « زَهَقَتْ نفس فلان، و زَهِقَتْ » ، فمن قال : « زَهَقت » قال : « تَزْهَق » ، ومن قال : « زَهِقت » ، قال : « تزهق » ، « زهوقًا » ، ومنه قيل : « زَهَق فلان بين أيدى القوم يَزْهَق زُهُوقاً » إذا سبقهم فتقدمهم. ويقال : « زهق الباطل » ، إذا ذهب ودرس .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويحلف بالله لكم، أيها المؤمنون ، هؤلاء المنافقون، كذباً وباطلاً، خوفاً منكم: «إنهم لمنكم» فى الدين والملة . يقول الله تعالى، مكذّباً لهم : « وما هم منكم» ، أى : ليسوا من أهل دينكم وملتكم ، بل هم أهل

---

(١) لا أدرى ما هذا ، فإن أصحاب اللغة لم يذكروا فى مضارع اللغتين إلا « تزهق » بفتح الهاء ، أما الأخرى فلا أدرى ما تكون ، ولا أجد لها عندى وجهاً ، فتركتها على حالها لم أضبطها .

شكٌّ ونفاقٍ = « ولكنهم قوم يفرقون » ، يقول : ولكنهم قوم يخافونكم ، فهم خوفاً منكم يقولون بألسنتهم : « إنا منكم » ، ليأمنوا فيكم فلا يُقْتَلوا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لو يجد هؤلاء المنافقون « ملجأ » ، يقول : عَصَراً يعتصِرون به من حِصْن ، ومَعْقِلاً يعتقِلون فيه منكم = « أو مغارات » ،

* * *

= وهى الغيران فى الجبال ، واحدتها : « مَغَارة » ، وهى « مفعلة » ، من : « غار الرجل فى الشىء ، يغور فيه » ، إذا دخل ، ومنه قيل ، « غارت العين » ، إذا دخلت فى الحدقة .

* * *

= « أو مدَّخلاً » يقول : سَرَباً فى الأرض يدخلون فيه .

* * *

وقال ، « أو مدَّخلاً » ، لأنه من « ادَّخَل يَدَّخِل » .[١]

* * *

وقوله : « لولّوا إليه » يقول : لأدبروا إليه ، هرباً منكم[٢] = « وهم يجمحون » . يقول : وهم يسرعون فى مَشْيِهم .

* * *

وقيل : إن « الجماح » مشىٌ بين المشيين ،[٣] ومنه قول مهلهل :

(١) فى المطبوعة : « أو مدخلا الآيه ، لأنه » ، وهو خطأ فى الطباعة فيما أرجح ، زاد « الآية » لشبهه بقوله : « لأنه » بعده ، وخالف الطابع المصحح ، فأثبت له ما صححه ! !

(٢) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٣) هذا نص نادر لا تجده فى كتب اللغة ، فليقيد فيها هو وشاهده .

لَقَدْ جَمَحْتُ جِمَاحاً فِى دِمَائِهِمُ حَتَّى رَأَيْتُ ذَوِى أَحْسَابِهِمْ خَمَدُوا(١)

* * *

وإنما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة،لأنهم إنما قاموا بين أَظْهُرِ ١٠/١٠٨
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله ، لأنهم كانوا فى قومهم وعشيرتهم وفى دورهم وأموالهم ، فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه ، فصانعوا القوم بالنفاق ، ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الإيمان ، وفى أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به والعداوة لهم . فقال الله ، واصِفَـهم بما فى ضمائرهم : « لو يجدون ملجأ أو مغارات » ، الآية .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٠٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية عن على ، عن ابن عباس قوله : « لو يجدون ملجأ » ، « الملجأ » ، الحِرْز فى الجبال ، « والمغارات » ، الغِيران فى الجبال . وقوله : « أو مدّخلا » ، و « المدّخل » ، السَّرَب .

١٦٨٠٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلا لولّوا إليه وهم يجمحون » ، « ملجأ » ، يقول : حرزاً = « أو مغارات » ، يعنى الغيران = « أو مدخلا » ، يقول : ذهاباً فى الأرض ، وهو النفق فى الأرض ، وهو السَّرَب .

١٦٨١٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

(١) لم أجد هذا البيت فيما وقفت عليه من شعر مهلهل . وقوله : « خمدا » ، أى : سكنوا فاتوا ، كما تنطوء الجمرة .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلاً » ، قال : حرزاً لهم يفرُّون إليه منكم .

١٦٨١١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلاً » ، قال : محرزاً لهم، لفرُّوا إليه منكم = وقال ابن عباس: قوله: « لو يجدون ملجأ » ، حرزاً = « أو مغارات » ، قال : الغيران = « أو مدّخلاً » ، قال : نفقاً في الأرض .

١٦٨١٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد، عن قتادة : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلاً » ، يقول : « لو يجدون ملجأ » ، حصوناً = « أو مغارات » ، غيراناً = « أو مدخلاً » ، أسراباً = « لولوا إليه وهم يجمحون » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: ومن المنافقين الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم في هذه الآيات = « من يلمزك في الصدقات » ، يقول : يعيبك في أمرها ، ويطعَنُ عليك فيها .

* * *

يقال منه : « لمز فلان فلاناً يَلْمِزُه ، ويَلْمُزُه » إذا عابه وقرصه ، وكذلك « همزه » ، ومنه قيل : « فلان هُمَزَةٌ لُمَزَة » ، ومنه قول رؤبة :

قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وَجَمْزِي فِي ظِلِّ عَصْرَىْ بَاطِلِي وَلَمْزِي[1]

---

(١) ديوانه : ٦٤ ، من رجزه في أبان بن الوليد البجلي ، ثم ذكر فيها نفسه ، فقال :

ومنه قول الآخر : (١)

إِذَا لَقِيتُكَ تُبْدِى لِى مُكَاشَرَةً وَإِنْ أُغَيَّبْ، فَأَنْتَ العَائِبُ اللُّمَزَهْ (٢)

* * *

= « فإن أعطوا منها رضوا »، يقول : ليس بهم فى عيبهم إياك فيها ، وطعنهم عليك بسببها ، الدِّينُ، ولكن الغضب لأنفسهم، فإن أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك ، وإن أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك وعابوك .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

فَإِن تَرَيْنِى اَلْيَوْمَ أُمَّ حَمْزِ قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِى وجَمْزِى
مِنْ بَعْدِ تَقْمَاص الشَّبَابِ الأَبْزِ فى ظِلِّ عَصْرِىْ بَاطِلِى وَلَمْزِى
فَكُلُّ بَذْءٍ صَالِحٍ أَوْ نِقْزِ لَاقٍ حِمَامَ الأَجَلِ المُجْتَزِّ

« أم حمز » ، يعنى « أم حمزة » . و « العنق » ضرب من العدو ، و « الجمز » فوق العنق ، ودون الحضر ، وهو العدو الشديد . يعنى ما تقارب من جريه لما كبر . و « تقماص الشباب » ، من « القمص » ، « قمص الفرس » ، إذا نفر واستن ، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ، ويعجن برجليه . و « التقماص » مصدر لم تذكره كتب اللغة . و « الأبز » : الشديد الوثب ، المتطلق فى عدوه ، يقال : « ظبى أبوز ، وأباز » ، ولم يذكروا فى الصفات « الأبز » ، وهو هنا صفة بالمصدر . و « البدء » : السيد الشاب المقدم المستجاد الرأى. و « النقز » (بكسر النون) : الخسيس الرذال من الناس .

(١) هو زياد الأعجم .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٣ ، إصلاح المنطق : ٤٧٥ ، والجمهرة لابن دريد ٣ : ١٨ ، والمقاييس ٦ : ٦٦ ، واللسان (همز) ، وسيأتى فى التفسير ٣٠ : ١٨٨ (بولاق) بغير هذه الرواية ، وهى :

تُدْلِى بِوُدِّ إِذَا لَاقَيْتَنِي كَذِباً وَإِنْ أُغَيَّبْ فَأنت الهَامِزُ اللُّمَزَهْ

وهى رواية ابن السكيت ، وابن فارس ، والطبرى بعد ، ورواية ابن دريد ، وصاحب اللسان ، وابن دريد .

* إِذَا لَقِيتُكَ عن شَحْطٍ تُكَاشِرُنِى *

وقوله : « وإن أغيب » بالبناء للمجهول ، لا كما ضبط فى مجاز القرآن .

١٦٨١٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ومنهم من يلمزك فى الصدقات » ، قال: يروزك.[1]

١٦٨١٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ومنهم من يلمزك فى الصدقات » ، يروزك ويسألك ،[1] قال ابن جريج : وأخبرنى داود بن أبى عاصم قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت . قال : ورآه رجل من الأنصار فقال : ما هذا بالعدل ؟ فنزلت هذه الآية .

١٦٨١٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « ومنهم من يلمزك فى الصدقات » ، يقول : ومنهم من يطعُن عليك فى الصدقات. وذكر لنا أن رجلاً من أهل البادية حديثَ عهدٍ بأعرابيّةٍ ، أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهباً وفضة ، فقال : يا محمد ، والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ، ما عدلت ! فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : ويلك ! فمن ذا يعدل عليك بعدى ! ثم قال نبى الله صلى الله عليه وسلم : احذروا هذا وأشباهه فإن فى أمتى أشباه هذا ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، فإذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم . وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم، كان يقول : والذى نفسى بيده ،ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعكموه ، إنما أنا خازن .

١٠٩/١٠

١٦٨١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ومنهم من يلمزك فى الصدقات » ، قال : يطعن .

١٦٨١٧ — . . . . قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ،

---

(١) « رازه يروزه روزاً » ، اختبره وامتحنه، وقد ذكر هذا الخبر فى المعاجم من كلام مجاهد ، وفسروه فقالوا : « يقال : رزت ما عند فلان ، إذا اختبرته وامتحنته والمعنى : يمتحنك ويذوق أمرك ، هل تخاف لائمته أم لا »

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قَسْماً ، إذ جاءه ابن ذى الخُوَيْصِرَة التميمى ، [1] فقال : اعدل ، يا رسول الله ! فقال : ويلك ، ومن يعدل إن لم أعدل ! فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، إئذن لى فأضرب عنقه ! قال : دَعْه ، فإن له أصحاباً يحتقر أحدكم صلاته مع صَلاتهم ، [2] وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة ، [3] فينظر فى قُذَذِه فلا ينظر شيئاً ، [4] ثم ينظر فى نَصْله ، فلا يجد شيئاً ، ثم ينظر فى رِصَافه فلا يجد شيئاً ، [5] قد سبق الفَرْثَ والدم ، [6] آيتهم رجل أسود ، [7] إحدى يده = أو قال : يديه = مثل ثدى المرأة ، أو مثل البَضْعَة تَدَرْدَرُ ، [8] يخرجون على حين فترة من الناس . قال : فنزلت : « ومنهم من يلمزك فى الصدقات » = قال أبو سعيد : أشهد أنى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن عليًّا رحمة الله عليه حين قتلهم ، جىء بالرجل على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . [9]

١٦٨١٧م — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) فى مسلم والبخارى « ذو الخويصرة » ، ليس فيها « ابن » ، وهذا هو المعروف المشهور .

(٢) فى المطبوعة : « يحقر » ، وهى كذلك فى رواية الخبر فى الصحيحين ، ولكن هكذا جاءت فى المخطوطة .

(٣) « مرق السهم من الرمية » ، خرج من الجانب الآخر خروجاً سريعاً . و « الرمية » ، المرمية ، يعنى الصيد المرمى بالسهم ونحوه .

(٤) « القذذ » جمع « قذة » (بضم القاف) ، وهى ريش السهم .

(٥) « الرصاف » جمع « رصفة » (بفتحات) ، وهى العقبة التى تلوى على موضع الفوق من السهم .

(٦) « الفرث » ، سرجين الدابة ، ما دام فى كرشها .

(٧) « الآية » ، العلامة .

(٨) « البضعة » القطعة من اللحم . « تدردر » ، « تتدردر » ، أى : تضطرب .

(٩) الأثر : ١٦٨١٧ — هذا حديث صحيح الإسناد ، رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٦ : ٤٥٥) ومسلم فى صحيحه ٧ : ١٦٥ ، من طريق الزهرى ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن . وجاء الخبر من طرق صحاح كثيرة ، انظر شرح البخارى ، وصحيح مسلم .

قوله : « ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » ، قال : هؤلاء المنافقون ، قالوا : والله ما يعطيها محمد إلا من أحبّ ، ولا يؤثر بها إلا هواه ! فأخبر الله نبيه ، وأخبرهم أنه إنما جاءت من الله ، وإن هذا أمر من الله ليس من محمد : « إنما الصدقات للفقراء » ، الآية .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو أنّ هؤلاء الذين يلمزونك ، يا محمد ، فى الصدقات ، رَضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء ، وقسم لهم من قسم = « وقالوا حسبنا الله » ، يقول : وقالوا : كافينا الله ،[1] = « سيؤتينا الله من فضله ورسوله » ، يقول : سيعطينا الله من فضل خزائنه ، ورسوله من الصدقة وغيرها[2] = « إنا إلى الله راغبون » ، يقول : وقالوا : إنا إلى الله نرغب فى أن يوسع علينا من فضله ، فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة إليهم .

* * *

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص : ٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « آتى » و « فضل » فى فهارس اللغة (أتى) ، (فضل) .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما الصدقات إلا للفقراء والمساكين ،[1] ومن سماهم الله جل ثناؤه .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة « الفقير » و « المسكين » .

فقال بعضهم : « الفقير » ، المحتاج المتعفف عن المسألة ، و « المسكن » ، المحتاج السائل.[2]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨١٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : « الفقير » ، الجالس فى بيته = و « المسكين » ، الذى يسعى .

١٦٨١٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، = قال : « المساكين » ، الطوافون ، و « الفقراء » ، فقراء المسلمين .

١٦٨٢٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن جرير بن حازم قال ، حدثنى رجل ، عن جابر بن زيد : أنه سئل عن « الفقراء » ، قال : « الفقراء » ، المتعففون ، و « المساكين » ، الذين يسألون . ١١٠/١٠

(١) فى المطبوعة : « لا ينال الصدقات » ، وهو كلام غير مستقيم ، والصواب ما كان فى المخطوطة ، ولكنه لم يحسن قراءته .

(٢) انظر تفسير « المسكين » فيما سلف ١٣ : ٥٦٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٦٨٢١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله الجزرىّ قال : سألت الزهري عن قوله : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : الذين فى بيوتهم لا يسألون، و« المساكين » ، الذين يخرجون فيسألون .[1]

١٦٨٢٢ — حدثنا الحارث قال، حدثنا القاسم قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الفقير » ، الذى لا يسأل، و« المسكين » ، الذى يسأل .

١٦٨٢٣ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : « الفقراء » ، الذين لا يسألون الناس ، أهلُ حاجة[2] = و « المساكين » ، الذين يسألون الناس .

١٦٨٢٤ — حدثنا الحارث قال، حدثنى عبد العزيز قال، حدثنا عبد الوارث، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الفقراء »، الذين لا يسألون ، و« المساكين» الذين يسألون .

* * *

وقال آخرون : « الفقير » ، هو ذو الزمانة من أهل الحاجة ، و« المسكين » ، هو الصحيح الجسم منهم .[3]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٢٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : « الفقير » ، من به زَمانة = و« المسكين» ، الصحيح المحتاج .

(١) الأثر : ١٦٨٢١ — « معقل بن عبيد الله الجزرى العبسى ، الحرانى » ، ثقة ، ليس به بأس . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٩٣/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٢٨٦/١/٤ .
وكان فى المطبوعة : « الحرانى » ، مكان « الجزرى » ، وهو صواب ، ولكنى أثبت ما كان فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وهم أهل حاجة » ، زاد ما ليس فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة ، أسقط « منهم » .

١٦٨٢٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، أما « الفقير » ، فالزَّمِن الذى به زَمانة ، وأما « المسكين » ، فهو الذى ليست به زمانة .

* * *

وقال آخرون : « الفقراء » ، فقراء المهاجرين ، و « المساكين » ، من لم يهاجر من المسلمين ، وهو محتاج .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٢٧ — حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا جرير بن حازم ، عن على بن الحكم ، عن الضحاك بن مزاحم : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : فقراء المهاجرين = و « المساكين » ، الذين لم يهاجروا .[١]

١٦٨٢٨ — . . . . قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « إنما الصدقات للفقراء المهاجرين » ، قال سفيان : يعنى : ولا يعطى الأعراب منها شيئاً .

١٦٨٢٩ — حدثنا ابن وكيع قال : حدثنى أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان يقال : إنما الصدقة لفقراء المهاجرين .

١٦٨٣٠ — . . . . قال، حدثنا جرير ، عن منصور، عن إبراهيم قال : كانت تجعل الصدقة فى فقراء المهاجرين ، وفى سبيل الله .

١٦٨٣١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد ابن جبير ، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قالا :[٢] كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار ، والزوجة ، والعبد ، والناقة يحج عليها ويغزو ، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهماً فى الزكاة .

١٦٨٣٢ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٦٨٢٧ — « على بن الحكم البنانى » ، ثقة ، له أحاديث . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٨١ .

(٢) فى المطبوعة : « قال » ، والصواب من المخطوطة .

سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان يقال : إنما الصدقات فى فقراء المهاجرين ، وفى سبيل الله .

* * *

وقال آخرون : « المسكين » ، الضعيف الكسب .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٣٣ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن عون ، عن محمد قال : قال عمر : ليس الفقير بالذى لا مال له ، ولكن الفقير الأخلقُ الكسْب = قال يعقوب : قال ابن علية : « الأخلق » ، المحارَفُ ، عندنا.[2]

١٦٨٣٤ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين : أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال : ليس المسكين بالذى لا مال له ، ولكن المسكين الأخلقُ الكسْبِ .

* * *

وقال بعضهم : « الفقير » ، من المسلمين ، و « المسكين » من أهل الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٣٥ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عمر بن نافع قال : سمعت عكرمة فى قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : لا تقولوا لفقراء المسلمين « مساكين » ، إنما « المساكين » ، مساكين أهل الكتاب .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، قول من قال : « الفقير » ، ١١١/١٠

---

(١) فى المطبوعة : « الضعيف البئيس » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وكان فيها : « النسب » ، وهو تحريف ، دل على صوابه الآثار التالية .

(٢) أراد عمر : أن الفقير ، هو الذى لم يقدم لآخرته شيئاً يثاب عليه ، وأن الفقر الأكبر إنما هو فقر الآخرة ، وأن فقر الدنيا أهون الفقرين . و « الأخلق » من قولهم : « هضبة خلقاء » ، ملساء لا نبات بها . وللجبل المصمت الذى لا يؤثر فيه شيء « أخلق » . وفى حديث فاطمة بنت قيس : « أما معاوية ، فرجل أخلق من المال » ، أى : خلو عار منه .

وأما « المحارف » ، كما فسره ابن علية ، فهو المنقوص الحظ ، فهو محدود محروم ، إذا طلب الرزق لم يرزق ، ضد « المبارك » .

هو ذو الفقر والحاجة ، ومع حاجته يتعفَّف عن مسألة الناس والتذلل لهم، فى هذا الموضع =و « المسكين » هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم .

وإنما قلنا إن ذلك كذلك، وإن كان الفريقان لم يُعْطَيا إلا بالفقر والحاجة ، دون الذلة والمسألة ، [١] لإجماع الجميع من أهل العلم أن « المسكين » ، إنما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر ، وأن معنى « المسكنة » ، عند العرب ، الذلة ، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ ، [سورة البقرة: ٦١] ، يعنى بذلك : الهون والذلة ، لا الفقر . فإذ كان الله جل ثناؤه قد صنَّف من قسم له من الصدقة المفروضة قسماً بالفقر ، فجعلهم صنفين ، كان معلوماً أن كل صنف منهم غير الآخر . وإذ كان ذلك كذلك ، كان لا شك أن المقسوم له باسم « الفقير » ، غير المقسوم له باسم الفقر و« المسكنة » ، والفقير المعطَى ذلك باسم الفقير المطلق ، هو الذى لا مسكنة فيه ، والمعطى باسم المسكنة والفقر ، هو الجامع إلى فقره المسكنة ، وهى الذلّ بالطلب والمسألة .

* * *

= فتأويل الكلام، إذ كان ذلك معناه: إنما الصدقات للفقراء: المتعفِّف منهم الذى لا يسأل ، والمتذلل منهم الذى يسأل .

* * *

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك خبرٌ .

١٦٨٣٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا إسمعيل بن جعفر ، عن شريك بن أبى نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس المسكين بالذى تردّه اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان، إنما المسكين المتعفف ! اقرأوا إن شئتم: ﴿ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾ [٢] [سورة البقرة : ٢٧٣] .

---

(١) فى المطبوعة : « الذلة والمسكنة » ، والصواب ما فى المخطوطة ، ولم يحسن قراءتها.
(٢) الأثر : ١٦٨٣٦ — « إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى » ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٦٨٨٤ ، ٨٣٩٨ .

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما المسكين المتعفف » ، على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من تسميتهم أهل الفقر « مساكين » ، لا على تفصيل المسكين من الفقير .

ومما ينبيء عن أن ذلك كذلك ، انتزاعه صلى الله عليه وسلم بقول الله :[1] اقرأوا إن شئتم : «لا يسألون الناس إلحافاً » ، وذلك فى صفة من ابتدأ ذكره ووصفه بالفقر فقال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٧٣] .

* * *

وقوله : « والعاملين عليها » ، وهم السعاة فى قبضها من أهلها ، ووضعها فى مستحقّيها ، يعطون ذلك بالسعاية ، أغنياء كانوا أو فقراء .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٣٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال : سألت الزهرى : عن « العاملين عليها » ، فقال : السعاة .

١٦٨٣٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والعاملين عليها » ، قال : جُباتها ، الذين يجمعونها ويسعون فيها .

١٦٨٣٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد :

و « شريك بن أبى نمر » ، هو « شريك بن عبد الله بن أبى نمر القرشى » ثقة ، روى له البخارى ومسلم ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٣٧ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٦٣ .
وهذا الخبر رواه البخارى من طريق محمد بن جعفر ، عن شريك بن أبى نمر (الفتح ٨ : ١٥٢) ، ورواه مسلم فى الصحيح من طريق إسماعيل بن جعفر ، عن شريك ، ومن طريق محمد بن جعفر ، عن شريك ، عن عطاء بن يسار ، وعبد الرحمن بن أبى عمرة ، عن أبى هريرة (٧ : ١٢٩) .

(١) فى المطبوعة : « انتزاعاً لقول الله » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة . يقال : « انتزع بالآية ، وبالشعر » ، إذا تمثل به .

« والعاملين عليها » ، الذى يعمل عليها .

* * *

ثُمّ اختلف أهل التأويل فى قدر ما يعطى العامل من ذلك .

فقال بعضهم : يعطى منه الثُّمُن .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٤٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : للعاملين عليها الثمن من الصدقة .

١٦٨٤١ — حدثت عن مسلم بن خالد، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله : « والعاملين عليها » ، قال : يأكل العمال من السهم الثامن .

* * *

وقال آخرون : بل يعطى على قدر عُمالته .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٤٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا عبد الوهاب ابن عطاء ، عن الأخضر بن عجلان قال ، حدثنا عطاء بن زهير العامرى ، عن أبيه : أنه لقى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله عن الصدقة : أىُّ مالٍ هى؟ فقال : مالُ العُرْجان والعُوران والعميان ، وكل مُنْقَطَع به .[١] فقال له : إن للعاملين حقًّا والمجاهدين! قال : إن المجاهدين قوم أحل لهم ، والعاملين عليها على قدر عُمالتهم .[٢] ثم قال : لا تحل الصدقة لغنىّ ، ولا لذى مِرّةٍ سوىّ [٣].

١١٢/١٠

---

(١) « منقطع به » (بالبناء للمجهول) ، هو الرجل إذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت ، أو قامت عليه راحلته ، أو أتاه أمر لا يقدر على أن يتحرك معه . يقال : « قطع به » ، و « انقطع به » .

(٢) فى المطبوعة : « وللعاملين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٦٨٤٢ — « عبد الوهاب بن عطاء الخفاف » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٢٩ ، ٥٤٣٢ ، ١٠٥٢٢ .

و « الأخضر بن عجلان الشيبانى » ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٦٧ .

١٦٨٤٣ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : يكون للعامل عليها إن عمل بالحق ، ولم يكن عمر رحمة الله عليه ولا أولئك يعطون العامل الثمن ، إنما يفرضون بقدر عُمالته .

١٦٨٤٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن : « والعاملين عليها »، قال : كان يعطى العاملون .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قولُ من قال : يعطى العامل عليها على قدر عُمالته وأجر مثله .

وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه لم يقسم صدقة الأموال بين الأصناف الثمانية على ثمانية أسهم ، وإنما عرّف خلقه أن الصدقات لن تجاوز هؤلاء الأصناف الثمانية إلى غيرهم . وإذ كان كذلك ، بما سنوضح بعدُ ، وبما قد أوضحناه في موضع آخر ، كان معلوماً أن من أعطى منها حقًّا ، فإنما يعطى على قدر اجتهاد المعطى فيه . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان العامل عليها إنما يعطى على عمله ، لا على الحاجة التي تزول بالعطية ، كان معلوماً أن الذى أعطاه من ذلك إنما هو عِوَض من سعيه وعمله، وأن ذلك إنما هو قدر ما يستحقه عوضاً من عمله الذى لا يزول بالعطية ، وإنما يزول بالعزل .

* * *

وأما « المؤلفة قلوبهم » ، فإنهم قوم كانوا يُتَألَّفون على الإسلام، ممن لم تصحّ نصرته ، استصلاحاً به نفسَه وعشيرتَه ، كأبي سفيان بن حرب، وعيينة بن بدر ،

و « عطاء بن زهير بن الأصبغ العامرى » ، روى عن أبيه ، روى عنه شميط ، والأخضر بن عجلان ، هكذا ذكره ابن أبي حاتم ٣/١/٣٣٢ ، ولم أجد له ترجمة في غيره .

وأبوه : « زهير بن الأصبغ العامرى » ، روى عن عبد الله بن عمرو ، روى عنه ابنه عطاء. مترجم في الكبير ٢/١/٣٩٢ ، وابن حاتم ١/٢/٥٨٧ ، ولم يذكرا فيه جرحاً .

وهذا الخبر ، خرجه السيوطى في الدر المنثور ٣ : ٢٥٢ ، ولم ينسبه إلا إلى أبي الشيخ ، وفيه « عبد الله بن عمر » ، وهو خطأ .

والأقرع بن حابس ، ونظرائهم من رؤساء القبائل .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٤٥ - حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والمؤلفة قلوبهم » ، وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلموا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضَخ لهم من الصدقات ، [١] فإذا أعطاهم من الصدقات فأصابوا منها خيراً قالوا: هذا دين صالح ! وإن كان غير ذلك، عابوه وتركوه .

١٦٨٤٦ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال، [٢] حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبى كثير : إن المؤلفة قلوبهم من بنى أمية : أبو سفيان بن حرب = ومن بنى مخزوم : الحارث بن هشام ، وعبد الرحمن بن يربوع = ومن بنى جُمَح : صفوان بن أمية = ومن بنى عامر بن لؤى : سهيل بن عمرو ، وحويطب ابن عبد العزى = ومن بنى أسد بن عبد العزى : حكيم بن حزام = ومن بنى هاشم : سفيان بن الحارث بن عبد المطلب = ومن بنى فزارة : عيينة بن حصن بن بدر = ومن بنى تميم : الأقرع بن حابس = ومن بنى نصر : مالك بن عوف = ومن بنى سليم : العباس بن مرداس = ومن ثقيف : العلاء بن حارثة = أعطى النبي صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مئة ناقة ، إلا عبد الرحمن بن يربوع ، وحويطب بن عبد العزى ، فإنه أعطى كلّ رجل منهم خمسين.

١٦٨٤٧ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) « رضخ له من ماله رضيخة » ، أعطاه عطية مقاربة ، ليست بالكثيرة ، وأصله من « الرضخ » ، وهو كسر النوى وغيره ، كأنه كسر له من ماله شيئاً .

(٢) فى المطبوعة : « حدثنا عبد الأعلى » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، وهذا إسناد دائر فى التفسير وشيخ الطبرى « محمد بن عبد الأعلى » .

عيسى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى قال : قال صفوان ابن أمية : لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لأبغض الناس إلىّ ، فما بَرِح يعطينى حتى إنه لأحبُّ الناس إلى .[1]

١٦٨٤٨ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : ناس كان يتألفهم بالعطية ، عيينة بن بدر ومن كان معه .

١٦٨٤٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس ، عن الحسن : « والمؤلفة قلوبهم » ، الذين يُؤَلَّفون على الإسلام .

١٦٨٥٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : وأما « المؤلفة قلوبهم » ، فأناس من الأعراب ومن غيرهم ، كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا .

١٦٨٥١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال ، سألت الزهرى عن قوله : « والمؤلفة قلوبهم » ، فقال : من أسلم من يهودىّ أو نصرانى . قلت : وإن كان غنيًّا ؟ قال : وإن كان غنيًّا . ١٠/١١٣

١٦٨٥٢ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا معقل ابن عبيد الله الجزرى ، عن الزهرى : « والمؤلفة قلوبهم » ، قال : من هو يهودىّ أو نصرانىّ .[2]

* * *

(١) الأثر : ١٦٨٤٧ — رواه مسلم فى صحيحه ١٥ : ٧٢ ، ٧٣ ، مطولا من طريق عبد الله بن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان بن أمية .
ورواه أحمد فى مسنده ٣ : ٤٠١ من طريق زكريا بن عدى ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان ، (هكذا جاء هنا فى المسند) ، والصواب ما سيأتى فى المسند ٦ : ٤٦٥ ، من طريق زكريا بن عدى ، عن ابن المبارك ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب .

(٢) الأثر : ١٦٨٥٢ — « معقل بن عبيد الله الجزرى » ، مضى قريباً برقم : ١٦٨٢١ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً « الحرانى » ، مكان « الجزرى » ، وهو صواب ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة .

ثم اختلف أهل العلم فى وجود المؤلفة اليوم وعدمها ، وهل يعطى اليوم أحدٌ على التألف على الإسلام من الصدقة ؟

فقال بعضهم : قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم ، ولا سهم لأحد فى الصدقة المفروضة إلا لذى حاجة إليها ، وفى سبيل الله ، أو لعامل عليها .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٥٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن : « والمؤلفة قلوبهم » ، قال : أما «المؤلفة قلوبهم » ، فليس اليوم .

١٦٨٥٤ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل عن جابر ، عن عامر قال : لم يبق فى الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم ، إنما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٨٥٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا عبد الرحمن بن يحيي ، عن حبان بن أبي جبلة قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : وأتاه عيينة بن حصن : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ ، [سورة الكهف : ٢٩] ، أى : ليس اليوم مؤالفة .

١٦٨٥٦ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ، عن الحسن قال : ليس اليوم مؤلفة .

١٦٨٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال : إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ولى أبو بكر رحمة الله عليه ، انقطعت الرشى .

* * *

وقال آخرون : « المؤلفة قلوبهم » ، فى كل زمان ، وحقهم فى الصدقات .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٥٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : فى الناس اليوم ، المؤلفة قلوبهم .

١٦٨٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أن الله جعل الصدقة فى معنيين أحدهما : سدُّ خَلَّة المسلمين ، والآخر : معونة الإسلام وتقويته . فما كان فى معونة الإسلام وتقوية أسبابه ، فإنه يُعطاه الغنى والفقير ، لأنه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه ، وإنما يعطاه معونةً للدين . وذلك كما يعطى الذى يُعْطاه بالجهاد فى سبيل الله ، فإنه يعطى ذلك غنيًّا كان أو فقيرًا ، للغزو ، لا لسدّ خلته . وكذلك المؤلفة قلوبهم ، يعطون ذلك وإن كانوا أغنياء ، استصلاحاً بإعطائهموه أمرَ الإسلام وطلبَ تقويته وتأييده . وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم ، بعد أن فتح الله عليه الفتوح ، وفشا الإسلام وعز أهله . فلا حجة لمحتجّ بأن يقول : « لا يتألف اليوم على الإسلام أحد ، لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم » ، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم فى الحال التى وصفت .

* * *

وأما قوله : « وفى الرقاب » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى معناه

فقال بعضهم ، وهم الجمهور الأعظم : هم المكاتبون ، يعطون منها فى فك رقابهم .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٦٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسين : أن مكاتباً قام إلى أبي موسى الأشعرى رحمه الله وهو يخطب الناسَ يوم الجمعة ، فقال : أيها الأمير ، حُثَّ الناس علىَّ ! فحثّ

---

(١) انظر تفسير « الرقاب » فيما سلف ٣ : ٩/٣٤٧ : ٣٥ ، ١٠/٣٦ : ٥٥٢ — ٥٥٧ .

عليه أبو موسى ، فألقى الناسُ عليه عمامة وملاءة وخاتماً ، حتى ألقوا سَواداً كثيراً ، فلما رأى أبو موسى ما ألقى عليه قال : اجمعوه ! فجمع ، ثم أمر به فبيع . فأعطى المكاتب مكاتبته ، ثم أعطى الفضل فى الرقاب ، ولم يردّه على الناس ، وقال : إنما أعطى الناسُ فى الرقاب .

١٦٨٦١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال ، سألت الزهرى عن قوله : « وفى الرقاب » ، قال : المكاتَبون . ١١٤/١٠

١٦٨٦٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وفى الرقاب » ، قال : المكاتَب

١٦٨٦٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن : « وفى الرقاب » ، قال : هم المكاتبون .

* * *

وروى عن ابن عباس أنه قال : لا بأس أن تُعْتَقَ الرقبة من الزكاة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، قولُ من قال : « عنى بالرقاب ، فى هذا الموضع ، المكاتبون » ، لإجماع الحجة على ذلك ، فإن الله جعل الزكاة حقًّا واجباً على من أوجبها عليه فى ماله ، يخرجها منه ، لا يرجع إليه منها نفعٌ من عرض الدنيا ، ولا عِوَض . والمعتق رقبةً منها ، راجع إليه ولاء من أعتقه ، وذلك نفع يعود إليه منها .

* * *

وأما « الغارمون » ، الذين استدانوا فى غير معصية الله ، ثم لم يجدوا قضاء فى عين ولا عَرَض .

* * *

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٦٤ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد قال : « الغارمون » ، من احترق بيته ، أو يصيبه السيل فيذهب متاعه ، ويدَّانُ على عياله ، فهذا من الغارمين .

١٦٨٦٥ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد فى قوله : « والغارمين » ، قال : من احترق بيته ، وذهب السيل بماله ، وادَّان على عياله .

١٦٨٦٦ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : « الغارمين » ، المستدين فى غير سَرَف ، ينبغى للإمام أن يقضى عنهم من بيت المال .

١٦٨٦٧ — . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال : سألنا الزهرى عن « الغارمين » ، قال : أصحاب الدين .

١٦٨٦٨ — . . . . قال ، حدثنا معقل ، عن عبد الكريم قال ، حدثنى خادم لعمر بن عبد العزيز خدمه عشرين سنة قال : كتب عمر بن عبد العزيز : أن يُعْطى الغارمون = قال أحمد : أكثر ظنى : من الصدقات .

١٦٨٦٩ — . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : « الغارمون » ، المستدين فى غير سرف .

١٦٨٧٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أما « الغارمون » ، فقوم غرَّقتهم الديون فى غير إملاق ،[1] ولا تبذير ولا فساد.

١٦٨٧١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « الغارم » ، الذى يدخل عليه الغُرْم .

١٦٨٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيي بن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : « والغارمين » ، قال : هو الذى يذهب السيل والحريق بماله ، ويدَّان على عياله .

---

(١) « الإملاق » هنا هو : إنفاق المال وتبذيره حتى يورث حاجة ، و « الإملاق » أيضاً : الإفساد . وانظر ما سلف فى الخبر رقم : ٦٢٣٣ ، ج ٥ : ٦٠٢ ، تعليق : ٢ .

١٦٨٧٣ — .... قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى جعفر قال : المستدين فى غير فساد .

١٦٨٧٤ — .... قال ، حدثنى أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : « الغارمون » ، الذين يستدينون فى غير فساد ، ينبغى للإمام أن يقضى عنهم .

١٦٨٧٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن عثمان ابن الأسود ، عن مجاهد : هم قوم ركبتهم الديون فى غير فساد ولا تبذير ، فجعل الله لهم فى هذه الآية سهماً .

* * *

وأما قوله : « وفى سبيل الله » ، فإنه يعنى : وفى النفقة فى نصرة دين الله وطريقه وشريعته التى شرعها لعباده ، بقتال أعدائه ، وذلك هو غزو الكفار .[1]

* * *

وبالذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٧٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وفى سبيل الله » ، قال : الغازى فى سبيل الله .

١٦٨٧٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة : رجل عمل عليها ، أو رجل اشتراها بماله ، أو فى سبيل الله ، أو ابن السبيل ، أو رجل كان له جار تصدّق عليه فأهداها له .[2]

---

(١) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٢) الأثر : ١٦٨٧٧ — رواه أبو داود فى سننه ٢ : ١٥٨ ، رقم : ١٦٣٥ من طريق مالك ، عن زيد بن أسلم ، موقوفاً ، ثم رواه برقم : ١٦٣٦ ، من طريق معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعاً .
ورواه ابن ماجة فى سننه : ٥٨٩ ، رقم : ١٨٤١ ، مرفوعاً ، بنحوه .

١٦٨٧٨ — . . . . قال، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدرى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تحل الصدقة لغنى ، إلا لثلاثة : فى سبيل الله ، أو ابن السبيل ، أو رجل كان له جار فتصدق عليه ، فأهداها له .[1]

١٠/١١٥

* * *

وأما قوله : « وابن السبيل » ، فالمسافر الذى يجتاز من بلد إلى بلد .

* * *

و «السبيل » ، الطريق ،[2] وقيل للضارب فيه : « ابن السبيل » ، للزومه إياه ، كما قال الشاعر :[3]

أَنَا ابْنُ الحَرْبِ رَبَّتْنِي وَلِيداً إِلَى أَنْ شِبْتُ واكْتَهَلَتْ لِدَاتِي

وكذلك تفعل العرب ، تسمى اللازم لشيء يعرف به : « ابْنَه ».[4]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك .

١٦٨٧٩ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : « ابن السبيل » ، المجتاز من أرض إلى أرض .

١٦٨٨٠ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٦٨٧٨ — « عطية » هو « عطية بن سعد بن جنادة العوفى » ، ضعيف ، مضى مراراً .
وهذا الخبر رواه أبو داود فى سننه ٢ : ١٦٠ ، رقم : ١٦٣٧ ، من طريق سفيان ، عن عمران البارق ، عن عطية ، بنحوه ، ثم قال أبو داود : « ورواه فراس ، وابن أبى ليلى ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مثله » .
وهو حديث ضعيف لضعف « عطية العوفى » .

(٢) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .
= وتفسير « ابن السبيل » فيما سلف ٣ : ٤/٣٤٥ : ٨/٢٩٥ : ٣٤٦ — ٣٤٧ .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعرف بابنه » ، وهو لا يستقيم ، صوابه ما أثبت .

مندل ، عن ليث ، عن مجاهد : « وابن السبيل » ، قال : لابن السبيل حق من الزكاة وإن كان غنيًّا، إذا كان مُنْقَطَعاً به .

١٦٨٨١ — حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال : سألت الزهرى عن « ابن السبيل » ، قال : يأتى علىّ ابن السبيل وهو محتاج . قلت : فإن كان غنيًّا ؟ قال : وإن كان غنياً .

١٦٨٨٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وابن السبيل » ، الضيف ، جعل له فيها حق .

١٦٨٨٣ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال [ابن زيد] : « ابن السبيل » ، المسافر من كان ، غنيًّا أو فقيرًا، إذا أصيبت نفقته أو فقدت ، أو أصابها شيء ، أو لم يكن معه شيء ، فحقه واجب .[1]

١٦٨٨٤ — حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، أنه قال : فى الغنى إذا سافر فاحتاج فى سفره ، قال : يأخذ من الزكاة .

١٦٨٨٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى جعفر قال : « ابن السبيل » ، المجتاز من الأرض إلى الأرض .

* * *

وقوله : « فريضة من الله » ، يقول جل ثناؤه : قَسْمٌ قسمه الله لهم، فأوجبه فى أموال أهل الأموال لهم[2] = « والله عليم » ، بمصالح خلقه فيما فرض لهم ، وفى غير ذلك ، لا يخفى عليه شيء . فعلى علمٍ منه فرض ما فرض من الصدقة ، وبما فيها من المصلحة = « حكيم » ، فى تدبيره خلقه ، لا يدخل فى تدبيره خلل .[3]

* * *

(١) الأثر : ١٦٨٨٣ — فى المطبوعة والمخطوطة : « قال قال ابن السبيل . . . » ، والزيادة بين القوسين من إسناده قبل ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ١٦٨٧٦ .

(٢) انظر تفسير « الفريضة » فيما سلف ٩ : ٢١٢ ، تعليق : ١ ، والمرجع هناك .

(٣) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .

واختلف أهل العلم فى كيفية قسم الصدقات التى ذكرها الله فى هذه الآية ، وهل يجب لكل صنف من الأصناف الثمانية فيها حق ، أو ذلك إلى رب المال ؟ ومن يتولى قسمها ، فى أن له أن يعطى جميعَ ذلك من شاء من الأصناف الثمانية .

فقال عامة أهل العلم : للمتولى قسمـُها ووضعـُها فى أىِّ الأصناف الثمانية شاء . وإنما سمَّى الله الأصناف الثمانية فى الآية ، إعلاماً منه خلقَه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف الثمانية إلى غيرها ، لا إيجاباً لقسمها بين الأصناف الثمانية الذين ذكرهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٨٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن المنهال بن عمرو ، عن زرّ بن حبيش ، عن حذيفة فى قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها » ، قال : إن شئت جعلته فى صنف واحد ، أو صنفين ، أو لثلاثة .

١٦٨٨٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الحجاج ، عن المنهال ، عن زر ، عن حذيفة قال : إذا وضعتها فى صنف واحد أجزأ عنك .

١٦٨٨٨ — . . . . قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عمر : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : أيـُّما صنف أعطيته من هذا أجزأك .

١٦٨٨٩ — . . . . قال حدثنا ابن نمير ، عن عبد المطلب ، عن عطاء : « إنما الصدقات للفقراء » ، الآية ، قال : لو وضعتها فى صنف واحد من هذه الأصناف أجزأك . ولو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعفِّفين فجبرتهم بها ، كان أحبَّ إلىَّ .

١٦٨٩٠ — . . . . قال أخبرنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل » ، فأىَّ صنف أعطيته من هذه الأصناف أجزأك .

١٠/١١٦

١٦٨٩١ — . . . . قال، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس، مثله .

١٦٨٩٢ — . . . . قال ، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن إبراهم : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها »، قال : إنما هذا شيء أعلمَه ُ، فأىَّ صنف من هذه الأصناف أعطيته أجزأ عنك .

١٦٨٩٣ — . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن شعبة ، عن الحكم،عن إبراهيم : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال:فى أىّ هذه الأصناف وضعتَها أجزأك .

١٦٨٩٤ — . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير قال : إذا وضعتَها فى صنف واحد مما سمَّى الله أجزأك .

١٦٨٩٥ — . . . . قال، حدثنا أبى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع ابن أنس ، عن أبى العالية قال : إذا وضعتَها فى صنف واحد مما سمَّى الله أجزأك .

١٦٨٩٦ — . . . . قال، حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : إذا جعلتَها فى صنف واحد من هؤلاء أجزأ عنك .[1]

١٦٨٩٧ — . . . . قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن مسعود ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » » ، الآية ، قال : أعلمَ أهلَها مَنْ هم .

١٦٨٩٨ — . . . . قال ، حدثنا حفص ، عن ليث، عن عطاء ، عن عمر : أنه كان يأخذ الفرْض فى الصدقة ، ويجعلها فى صنف واحد .

* * *

وكان بعض المتأخرين يقول: إذا تولى رب المال قَسْمها ، كان عليه وضعها فى ستة أصناف ، وذلك أن المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا ، وأنّ سهم العاملين

---

(١) الأثر : ١٦٨٩٦ — « خالد بن حيان الرقى » ، أبو يزيد الكندى الخراز ، ثقة ، متكلم فيه ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٣٣/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٣٢٦/٢/١ .

يبطل بقسمه إياها . ويزعم أنه لا يجزيه أن يعطى من كل صنف أقل من ثلاثة أنفس . وكان يقول : إن تولى قَسْمها الإمامُ، كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف ، لا يجزى عنده غير ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه [١] = « ويقولون هو أذن »، سامعةٌ، يسمع من كل أحدٍ ما يقول ، فيقبله ويصدّقه .

* * *

وهو من قولهم: « رجل أذنة » ،مثل « فعلة »، [٢] إذا كان يسرع الاستماع والقبول ،كما يقال: « هو يَقَن،ويَقِن » إذا كان ذا يقين بكل ما حُدِّث . وأصله من « أذِن له يأذَن » ، إذا استمع له . ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أذِنَ الله لشيء كأذَنِه لنبيّ يتغنى بالقرآن »، [٣] ومنه قول عدى بن زيد :

---

(١) انظر تفسير « الأذى» فيما سلف ٨ : ٨٤ — ٨٦ ، وص : ٨٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) هكذا جاء فى المطبوعة والمخطوطة : « رجل أذنة مثل فعلة » ، وهذا شيء لم أعرف ضبطه ، ولم أجد له ما يؤيده فى مراجع اللغة ، والذى فيها أنه يقال : « رجل أذن » (بضم فسكون) و « أذن » (بضمتين) ، ولا أدرى أهذه على وزن « فعلة » (بضم ففتح): « همزة » و « لمزة» ، أم على نحو وزن غيره . وأنا فى ارتياب شديد من صواب ما ذكره هنا ، وأخشى أن يكون سقط من الناسخ شيء ، أو أن يكون حرف الكلام .

(٣) هذا الحديث ، استدل به بغير إسناد ، وهو حديث صحيح ، رواه مسلم فى صحيحه (٦ : ٧٨ ، ٧٩) من حديث أبي هريرة .

أَيُّهَا القَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ إنَّ هَمِّى فِى سَمَاعٍ وَأَذَنْ[(١)]

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت فى نبتل بن الحارث.[(٢)]

١٦٨٩٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، ذكر الله غشّهم[(٣)] = يعنى : المنافقين = وأذاهم للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ومنهم الذين يؤذون النبىّ ويقولون هو أذن »، الآية. وكان الذى يقول تلك المقالة، فيما بلغنى ، نبتل بن الحارث ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه قال : « إنما محمد أذُنٌ ! من حدّثه شيئاً صدّقه ! » ، يقول الله : « قل أذن خير لكم » ، أى : يسمع الخير ويصدِّق به .[(٤)]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « قل أذن خير لكم » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار : ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾، بإضافة « الأذن » إلى « الخير » ، يعنى : قل لهم ، يا محمد : هو أذن خير ، لا أذن شرٍّ .

* * *

وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك: ﴿ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾، بتنوين « أذن »، ويصير « خير » خبراً له ، بمعنى : قل: من يسمع منكم ، أيها المنافقون ، ما تقولون ويصدقكم ، إن كان محمد كما وصفتموه ، من أنكم إذا أتيتموه ، فأنكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم إياه وعيبكم له ، سمع منكم وصدقكم = خيرٌ

---

(١) أمالى الشريف المرتضى ١ : ٣٣ ، واللسان (أذن) و (ددن) ، و « الدد » (بفتح الدال) و « الددن » ، اللهو . و « السماع » ، الغناء ، والمغنية يقال لها « المسمعة » .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « فى ربيع بن الحارث » ، وهو خطأ محض ، لاشك فيه .

(٣) فى المطبوعة : « ذكر الله عيبهم » ، أخطأ ، والصواب ما فى المخطوطة ، وسيرة ابن هشام .

(٤) الأثر : ١٦٨٩٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٧٨٢ ، وانظر خبر نبتل بن الحارث أيضاً فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٨ .

(٥) فى المطبوعة : « إذا آذيتموه فأنكرتم » ، وهو كلام لا معنى له ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، والصواب ما أثبت .

لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون . ثم كذبهم فقال : بل لا يقبل إلا من المؤمنين =« يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندى فى ذلك ، قراءةُ من قرأ : ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾ ، بإضافة « الأذن » إلى « الخير »، وخفض « الخير » ، يعنى : قل هو أذن خير لكم ، لا أذن شرٍ .[1] ١٠/١١٧

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنى عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن » ، يسمع من كل أحد .

١٦٩٠١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن » ، قال : كانوا يقولون: « إنما محمد أذن ، لا يحدِّث عنا شيئاً، إلا هو أذن يسمع ما يقال له » .

١٦٩٠٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ويقولون هو أذن »، نقول ما شئنا ونحلف، فيصدقنا .

١٦٩٠٣ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « هو أذن » ، قال : يقولون : « نقول ما شئنا ، ثم نحلف له فيصدقنا » .

١٦٩٠٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ،حدثنا حجاج ،عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٤ .

وأما قوله : « يؤمن بالله » ، فإنه يقول : يصدّق بالله وحده لا شريك له .

وقوله : « ويؤمن للمؤمنين » ، يقول : ويصدق المؤمنين ، لا الكافرين ولا المنافقين .

وهذا تكذيبٌ من الله للمنافقين الذين قالوا : « محمد أذن ! » ، يقول جل ثناؤه : إنما محمد صلى الله عليه وسلم مستمعُ خيرٍ ، يصدّق بالله وبما جاء من عنده ، ويصدق المؤمنين ، لا أهل النفاق والكفر بالله .

* * *

وقيل : « ويؤمن للمؤمنين » ، معناه : ويؤمن المؤمنين ، لأن العرب تقول فيما ذكر لنا عنها : « آمنتُ له ، وآمنتُه » ، بمعنى : صدّقته ، كما قيل : ﴿رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ، [سورة النمل : ٧٢] ، ومعناه : ردفكم = وكما قال : ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٤] ، ومعناه : للذين هم ربَّهم يرهبون .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنى عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين » ، يعنى : يؤمن بالله ، ويصدق المؤمنين .

* * *

وأما قوله : « ورحمة للذين آمنوا منكم » ، فإن القرأة اختلفت فى قراءته : فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار : ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، بمعنى : قل هو

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٤ .

أذن خير لكم ، وهو رحمة للذين آمنوا منكم = فرفع « الرحمة » ، عطفاً بها على « الأذن » .

* * *

وقرأه بعض الكوفيين : ﴿ وَرَحْمَةٍ ﴾ ، عطفاً بها على « الخير » ، بتأويل : قل أذن خير لكم ، وأذن رحمة .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى ، قراءةُ من قرأه : ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ ، بالرفع ، عطفاً بها على « الأذن » ، بمعنى : وهو رحمة للذين آمنوا منكم . وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه ، وصدَّق بما جاء به من عند ربه ، لأن الله استنقذهم به من الضلالة ، وأورثهم باتِّباعه جنّاته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون : « هو أذن » ، وأمثالِهم من مكذّبيه ، والقائلين فيه الهُجْرَ والباطل ،[2] عذابٌ من الله موجع لهم فى نار جهنم .[3]

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٤ .

(٢) انظر تفسير « الأذى » فيما سلف ص : ٣٢٤، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم : يحلف لكم ، أيها المؤمنون ، هؤلاء المنافقون بالله ، ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وذكرِهم إياه بالطعن عليه والعيب له ، ومطابقتهم سرًّا أهلَ الكفر عليكم = بالله والأيمان الفاجرة: أنهم ما فعلوا ذلك ، وإنهم لعلى دينكم ، ومعكم على من خالفكم ، يبتغون بذلك رضاكم . يقول الله جل ثناؤه : « والله ورسوله أحق أن يرضوه »، بالتوبة والإنابة مما قالوا ونطقوا = « إن كانوا مؤمنين » ، يقول : إن كانوا مصدِّقين بتوحيد الله ، مقرِّين بوعده ووعيده .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « يحلفون بالله لكم ليرضوكم »، الآية ، ذكر لنا أن رجلاً من المنافقين قال : والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، وإن كان ما يقول محمد حقًّا، لهم شَرٌّ من الحمير! قال: فسمعها رجل من المسلمين فقال: والله إن ما يقول محمد حق ، ولأنت شر من الحمار ! فسعى بها الرجل إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال له : ما حملك على الذى قلت ؟ فجعل يلتَعِنُ ،ويحلف بالله ما قال ذلك .[1] قال: وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدِّق الصادق ، وكذِّب ١١٨/١٠

(١) « التعن الرجل » ، إذا أنصف فى الدعاء على نفسه ، أو لعن نفسه .

الكاذب ! فأنزل الله فى ذلك : «يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذباً للمؤمنين ليرضوهم ، وهم مقيمون على النفاق ، أنه من يحارب الله ورسوله ، ويخالفهما فيناوئهما بالخلاف عليهما = « فأن له نار جهنم »، فى الآخرة =« خالداً فيها»، يقول: لابثاً فيها مقيماً إلى غير نهاية؟ [١]= « ذلك الخزى العظيم »، يقول : فلُبْثُه فى نار جهنم وخلوده فيها ، هو الهوان والذلّ العظيم . [٢]

* * *

وقرأت القرأة: ﴿ فَأَنَّ ﴾ ،بفتح الألف من «أن»، بمعنى: ألم يعلموا أنّ لمن حادّ الله ورسوله نارُ جهنم = وإعمال« يعلموا» فيها، كأنهم جعلوا « أن » الثانية مكررة على الأولى ، واعتمدوا عليها ، إذ كان الخبر معها دون الأولى .

* * *

وقد كان بعض نحويى البصرة يختار الكسر فى ذلك ، على الابتداء ، بسبب دخول « الفاء » فيها ، وأن دخولها فيها عنده دليلٌ على أنها جواب الجزاء ، وأنها إذا كانت للجزاء جواباً ، [٣] كان الاختيار فيها الابتداء .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٢) انظر تفسير « الخزى » فيما سلف ص: ١٦٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « إذا كانت جواب الجزاء » ، وفى المخطوطة : « إذا كانت للجواب جزاء » ، والصواب ما أثبت ، إنما أخطأ الناسخ .

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز غيرها، فتح الألف فى كلا الحرفين أعنى « أنَّ » الأولى والثانية ، لأن ذلك قراءة الأمصار ، وللعلة التى ذكرت من جهة العربية .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يخشى المنافقون أن تنزل فيهم[1] « سورة تنبئهم بما فى قلوبهم » ، يقول : تظهر المؤمنين على ما فى قلوبهم .[2]

* * *

وقيل : إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين ، قالوا : « لعل الله لا يفشى سِرَّنا ! »، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم : « استهزئوا » ، متهدداً لهم متوعداً : « إن الله مخرج ما تحذرون ».

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٧ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة » ، قال : يقولون القول بينهم ، ثم يقولون : « عسى الله أن لا يفشى سرنا علينا ! » .

١٦٩٠٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ،

---

(١) انظر تفسير « الحذر » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥ .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ١٣ : ٢٥٢، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله = إلا أنه قال : سِرَّنا هذا .

* * *

وأما قوله : « إن الله مخرجٌ ما تحذرون » ، فإنه يعنى به : إن الله مظهر عليكم ، أيها المنافقون ، ما كنتم تحذرون أن تظهروه ، فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم ،[1] فكانت هذه السورة تدعَى : ﴿ الفَاضِحَةَ ﴾ .

١٦٩٠٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كانت تسمَّى هذه السورة : ﴿ الفَاضِحَةَ ﴾ ، فاضحةَ المنافقين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن سألت ، يا محمد ، هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب ، ليقولن لك : إنما قلنا ذلك لعباً ، وكنا نخوض فى حديثٍ لعباً وهزؤاً![2] يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون ؟ ١١٩/١٠

* * *

وكان ابن اسحق يقول : الذى قال هذه المقالة : كما :—

١٦٩١٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذى قال هذه المقالة فيما بلغنى ، وديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف .[3]

(١) انظر تفسير « الإخراج » فيما سلف ٢ : ١٢/٢٢٨ : ٢١١ .

(٢) انظر تفسير « الخوض » فيما سلف ١١ : ٥٢٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « اللعب » فيما سلف ١١ : ٥٢٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الاستهزاء » فيما سلف ١١ : ٢٦٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٦٩١٠ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٨٩٩ .

١٦٩١١ — حدثنا على بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا الليث قال ، حدثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم : أن رجلاً من المنافقين قال لعوف بن مالك فى غزوة تبوك: ما لقُرّائنا هؤلاء، أرغبُنا بطوناً وأكذبُنا ألسنةً، وأجبنُنا عند اللقاء ! فقال له عوف : كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه = قال زيد[1] : قال عبد الله بن عمر : فنظرت إليه متعلقاً بحَقَب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكُبُه الحجارة، [2] يقول : «إنما كنا نخوض ونلعب» ! فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون»؟ ما يزيده . [3]

١٦٩١٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رجل فى غزوة تبوك فى مجلس : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغبَ بطوناً ، ولا أكذبَ ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء ! فقال رجل فى المجلس : كذبتَ ، ولكنك منافق ! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن . قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيته متعلقاً بحَقَب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : «فقال زيد» ، بالفاء ، والسياق يقتضى إسقاطها .

(٢) «الحقب» (بفتحتين) : حبل يشد به الرحل فى بطن البعير مما يلى ثيله ، لئلا يؤذيه التصدير ، أو يجتذبه التصدير فيقدمه . و «نكبته الحجارة» ، لثمت الحجارة رجله وظفره ، أى نالته وآذته وأصابته .

(٣) الأثر : ١٦٩١١ — «هشام بن سعد المدنى» ، ثقة ، متكلم فيه ، مضى برقم : ٥٤٩٠ ، ١١٧٠٤ ، ١٢٨٢١ .

«زيد بن أسلم العدوى» الفقيه ، روى عن عبد الله بن عمر ، روى له الجماعة . مضى مراراً كثيرة .

وسيأتى الخبر الذى يليه ، من طريق ابن وهب ، عنه .

وهذا إسناد صحيح .

تَنْكُبه الحجارة، وهو يقول : « يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب! »، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد قد كفرتم بعد إيمانكم » .[1]

١٦٩١٣ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن عكرمة فى قوله : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » إلى قوله : « بأنهم كانوا مجرمين » ، قال : فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول : « اللهم إنى أسمع آية أنا أعْنَى بها، تقشعرُّ منها الجلود، وتَجِبُ منها القلوب،[2] اللهم فاجعل وفاتى قتلاً فى سبيلك، لا يقول أحدٌ: أنا غسَّلت ، أنا كفَّنت ، أنا دفنت » ، قال : فأصيب يوم اليمامة ، فما أحدٌ من المسلمين إلا وُجد غيره .

١٦٩١٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » ، الآية ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوته إلى تبوك ، وبين يديه ناس من المنافقين ، فقالوا : « يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشأم وحصونها ! هيهات هيهات » ! فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : احبسوا علىَّ الرَّكْب![3] فأتاهم فقال: قلتم كذا، قلتم كذا . قالوا : « يا نبى الله، إنما كنا نخوض ونلعب » ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ما تسمعون .

١٦٩١٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » ، قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك، ورَكْب من المنافقين يسيرون بين يديه، فقالوا : يظن هذا أن يفتح قصورَ الروم وحصونها ! فأطلع الله نبيه صلى الله عليه

(١) الأثر : ١٦٩١٢ — مكرر الأثر السالف ، وهو صحيح الإسناد .

(٢) « وجب قلبه يجب وجيباً » ، خفق واضطرب . وكان فى المطبوعة : « وتجل » باللام ، كأنه يعنى من « الوجل » ، ولكنه لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة .

(٣) فى المطبوعة : « على هؤلاء الركب » ، زاد « هؤلاء » لغير طائل

وسلم على ما قالوا ، فقال : عليّ بهؤلاء النفر ! فدعاهم فقال : قلتم كذا وكذا ! فحلفوا : ما كنا إلا نخوض ونلعب !

١٦٩١٦ — حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ،حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب وغيره قالوا : قال رجل من المنافقين : ما أرى قُرّاءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ! فرُفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ! فقال : « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون »، إلى قوله : «مجرمين» ، وإن رجليه لتنسفان الحجارة ، [1] وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متعلق بنِسْعَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . [2] ١٠/١٢٠

١٦٩١٧ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إنما كنا نخوض ونلعب » ، قال : قال رجل من المنافقين : « يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادى كذا وكذا ، فى يوم كذا وكذا ! وما يدريه ما الغيب ؟ » .

١٦٩١٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

* * *

(١) فى المطبوعة : « ليسفعان بالحجارة » ، غير ما كان فى المخطوطة مسيئاً فى فعله ، والصواب ما فى المخطوطة . « نسفت الناقة الحجارة والتراب فى عدوها تنسفه نسفاً » ، إذا أطارته ، وكذلك يقال فى الإنسان إذا اشتد عدوه .

(٢) « النسعة » (بكسر فسكون) : سير مضفور يجعل زماماً للبعير ، وقد تنسج عريضة تجعل على صدر البعير . ويقال للبطان والحقب : « النسعان » .

القول فى تأويل قوله ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٦٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم : « لا تعتذروا » ، بالباطل فتقولوا : « كنا نخوض ونلعب = « قد كفرتم » ، يقول : قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به [١]= « بعد أيمانكم » ، يقول : بعد تصديقكم به وإقراركم به =« إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة» . [٢]

* * *

وذكر أنه عُنِىَ : بـ« الطائفة » ، فى هذا الموضع ، رجلٌ واحد . [٣]

وكان ابن إسحق يقول فيها : —

١٦٩١٩ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذى عُفِىَ عنه، فيما بلغنى مَخْشِىّ بن حُمَيِّر الأشجعى ، [٤] حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع . [٥]

١٦٩٢٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن حبان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب : « إن نعف عن طائفة منكم » ، قال : « طائفة »، رجل .

* * *

(١) فى المخطوطة : « يقول : لحم الحق » ، وهى لا تقرأ ، والذى فى المطبوعة مقارب للصواب ، فتركته على حاله .

(٢) انظر تفسير « العفو » فيما سلف من فهارس اللغة (عفا) .

(٣) انظر تفسير « الطائفة » فيما سلف ١٣ : ٣٩٨، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) فى سيرة ابن هشام فى هذا الموضع « مخشن بن حمير » ، وقد أشار ابن هشام إلى هذا الاختلاف فيما سلف من سيرته ، ابن هشام ٤ : ١٦٨ . ولكنى أثبت ما فى المخطوطة .

(٥) الأثر : ١٦٩١٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٩١٠ .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : « إن نعف عن طائفة منكم » ، بإنكار ما أنكر عليكم من قبل الكفر = « نعذب طائفة » ، بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٢٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال بعضهم : كان رجل منهم لم يمالئهم فى الحديث ،يسير مجانباً لهم ،[١] فنزلت : « إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة » ، فسُمِّى « طائفةً » وهو واحد .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك. إن تتب طائفة منكم فيعفو الله عنه ، يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة .

* * *

وأما قوله : « إنهم كانوا مجرمين »، فإن معناه : نعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم ، وهو الكفر بالله ، وطعنهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « المنافقون والمنافقات » ، وهم الذين يظهرون للمؤمنين الإيمانَ بألسنتهم ، ويُسِرُّون الكفرَ بالله ورسوله[٣] = بعضهم

(١) فى المطبوعة : « فيسير » ، بالفاء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الإجرام » فيما سلف ١٣ : ٤٠٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « النفاق » فيما سلف ١ : ٢٣٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٣٢٤ — ٣٢٧ ، ٣٤٦ — ٣٦٣ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤/٤١٤ : ٢٣٢ ، ٨/٢٢٣ : ٩/٥١٣ : ٧ .

من بعض » ، يقول : هم صنف واحد ، وأمرهم واحد ، فى إعلانهم الإيمان ، واستبطانهم الكفر= « يأمرون » مَنْ قبل منهم = « بالمنكر » ، وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتكذيبه[1] = « وينهون عن المعروف » ، يقول : وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله ، وبما جاءهم به من عند الله[2] .

* * *

وقوله : « ويقبضون أيديهم » ، يقول : ويمسكون أيديهم عن النفقة فى سبيل الله ، ويكفُّونها عن الصدقة ، فيمنعون الذين فرضَ الله لهم فى أموالهم ما فرّض من الزكاة حقوقَهم ، كما :-

١٦٩٢٣ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ويقبضون أيديهم » ، قال : لا يبسطونها بنفقة فى حق .

١٦٩٢٤ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٩٢٥ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٩٢٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

١٠/١٢١ ١٦٩٢٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ويقبضون أيديهم » ، لا يبسطونها بخير .

١٦٩٢٨ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ويقبضون أيديهم » ، قال : يقبضون أيديهم عن كل خير .

* * *

(١) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ١٣ : ١٦٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ١٣ : ١٦٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « نسوا الله فنسيهم » ، فإن معناه : تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره ، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى « النسيان » ، الترك ، بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .[1]

* * *

وكان قتادة يقول فى ذلك ما : —

١٦٩٢٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، قتادة قوله : « نسوا الله فنسيهم » ، نُسُوا من الخير ، ولم ينسوا من الشرّ .

* * *

قوله : « إن المنافقين هم الفاسقون » ، يقول : إن الذين يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بألسنتهم الإيمانَ بالله ، وهم للكفر مستبطنون ،[2] هم المفارقون طاعةَ الله ، الخارجون عن الإيمان به وبرسوله .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار » بالله = « نار جهنم » ، أن يصليهموها جميعاً = « خالدين فيها » ، يقول : ماكثين فيها أبداً ، لا يحيون فيها ولا يموتون[4] = « هى حسبهم » ، يقول : هى

---

(١) انظر تفسير « النسيان » فيما سلف ١٢ : ٤٧٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « النفاق » فيما سلف قريباً ص : ٣٣٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٢٩٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

كافيتهم عقاباً وثواباً على كفرهم بالله [١] = « ولعنهم الله » ، يقول : وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته = « ولهم عذاب مقيم » ، يقول : وللفريقين جميعاً : يعني من أهل النفاق والكفر ، عند الله = « عذابٌ مقيم » ، دائم لا يزول ولا يبيد. [٢]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين الذين قالوا : « إنما كنا نخوض ونلعب » : أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون ؟ = « كالذين من قبلكم » ، من الأمم الذين فعلوا فعلكم ، فأهلكهم الله ، وعجل لهم في الدنيا الخزى ، مع ما أعدَّ لهم من العقوبة والنكال في الآخرة . يقول لهم جل ثناؤه : واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذى حلَّ بهم ، فإنهم كانوا أشد منكم قوةً وبطشاً ، وأكثر منكم أموالاً وأولاداً = « فاستمتعوا بخلاقهم » ، يقول : فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ، [٣] ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضاً من نصيبهم في الآخرة ، [٤]

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص: ٣٠٤، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « مقيم » فيما سلف ١٠ ٢٩٣ ، ١٤/٢٩٤ : ١٧٢ .

(٣) انظر تفسير « الاستمتاع » فيما سلف ١٢ : ١١٦، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الخلاق » فيما سلف ٢ : ٤٥٢ - ٤/٤٥٤ : ٢٠١ - ٦/٢٠٣ : ٥٢٧ ، ٥٢٨ .

وقد سلكتم، أيها المنافقون، سبيلهم فى الاستمتاع بخلاقكم . يقول: فعلتم بدينكم ودنياكم ، كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم ، الذين أهلكتهم بخلافهم أمرى = « بخلاقهم » ، يقول : كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم = « وخضتم » ، فى الكذب والباطل على الله = « كالذى خاضوا » ، يقول : وخضتم أنتم أيضاً، أيها المنافقون ، كخوض تلك الأمم قبلكم .[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٣٠ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى أبو معشر ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : قال : لتأخذُنَّ كما أخذ الأمم من قبلكم، ذراعاً بذراع ، وشبراً بشبر ، وباعاً بباع ،حتى لو أن أحداً من أولئك دخل جُحر ضبٍّ لدخلتموه ! = قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم القرآن : «كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا » = قالوا : يا رسول الله ، كما صنعت فارس والروم ؟ قال : فهل الناس إلا هم ؟ [2]

١٦٩٣١ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ،

---

(١) انظر تفسير « الخوض » فيما سلف ص: ٣٣٢، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٩٣٠ ــ إسناده ضعيف .

« أبو معشر » ، هو : « نجيح بن عبد الرحمن السندى » ، منكر الحديث ، مضى برقم : ١٢٧٥ .

ولكن هذا الخبر له أصل فى الصحيح ، فقد رواه البخارى فى صحيحه من طريق أحمد بن يونس ، عن ابن أبى ذئب ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة (الفتح ١٣ : ٢٥٤) ، بغير هذا اللفظ .

يقال : « أخذ إخذ فلان » ، إذا سار بسيرته .

١٢٢/١٠ عن ابن جريج ، عن عمر بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله : « كالذين من قبلكم »، الآية قال ، قال ابن عباس : ما أشبه الليلة بالبارحة! « كالذين من قبلكم » ، هؤلاء بنو إسرائيل،شبهنا بهم ، لا أعلم إلا أنه قال : والذى نفسى بيده،لتَتَّبِعُنَّهم حتى لو دخل الرجل منهم جُحْرَ ضبٍّ لدخلتموه.[١]

١٦٩٣٢ = ... قال ابن جريج : وأخبرنى زياد بن سعد، عن محمد بن زيد ابن مهاجر، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفسى بيده ، لتتبعُنّ سَنَنَ الذين من قبلكم ، شبراً بشبرٍ ، وذراعاً بذراع ، وباعاً بباع ، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه ! قالوا : ومن هم ، يا رسول الله ؟ أهلُ الكتاب ! قال : فَمَهْ ! [٢]

---

(١) الأثر : ١٦٩٣١ – « عمر بن عطاء » ، هذا الراوى عن عكرمة هو : « عمر بن عطاء ابن وراز » ، وهو ضعيف ، ليس بشيء . قال أحمد : « كل شيء روى ابن جريج ، عن عمر ابن عطاء ، عن عكرمة ، فهو : ابن وراز . وكل شيء روى ابن جريج ، عن عمر بن عطاء ، عن ابن عباس ، فهو ابن أبى الخوار » ، فهما رجلان . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٢٦/١٣ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٦٥ .

فهذا إسناد ضعيف أيضاً ، ولكن له أصل فى الصحيح ، كما سلف قبل .

(٢) الأثر : ١٦٩٣٢ – هذا إسناد تابع للإسناد السالف ، ولكنى فصلته عنه ، لأن الإسناد الأول قد تم برواية ابن جريج حديث ابن عباس ، ثم انتقل إلى إسناد آخر إلى أبى هريرة .

و « زياد بن سعد بن عبد الرحمن الخراسانى » ، وكان شريك ابن جريج ، وهو ثقة ، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٢٧/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٥٣٣/٢/١ .

و « محمد بن زيد بن مهاجر بن قنفذ التيمى القرشى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٠٥٢١ .

فهذا خبر صحيح الإسناد .

* * *

وأما قوله : « فه » ، فقد كتبها فى المطبوعة : « فمن » ، وهى فى المخطوطة بالهاء واضحة عليها سكون ، ويدل على صواب ذلك ، اقتصار ابن جريج فى الخبر التالى على ذكر « فمن » ، دون ذكر الخبر ، فهذا دال على أن الأولى مخالفة للثانية ، لا مطابقة لها .

واستعمال « مه » بمعنى الاستفهام ، قد ذكر له صاحب اللسان فى مادة « ما » ، شاهداً ، ولكنه أساء فى نقله عن ابن جنى بعده ، فلم يتبين ما أراد قبله . قال : « ما : حرف نفى ، وتكون بمعنى الذى ... وتكون موضوعة موضع : من ، وتكون بمعنى الاستفهام وتبدل من الألف الهاء ، فيقال : مه ، قال الراجز :

١٦٩٣٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال أبو سعيد الخدرى أنه قال : فمن .(١)

١٦٩٣٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « فاستمتعوا بخلاقهم » ، قال : بدينهم .

١٦٩٣٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَذَّركم أن تحدثوا فى الإسلام حَدَثاً ، وقد علم أنه سيفعل ذلك أقوامٌ من هذه الأمة ،(٢) فقال الله فى ذلك : « فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا » ، وإنما حسبوا أن لا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببنى إسرائيل قبلهم ، وإن الفتنة عائدة كما بدأت .

* * *

قَدْ وَرَدَتْ مِنْ أَمْكِنَهْ ومِنْ هَهُنَا وَمِنْ هُنَهْ
إِنْ لَمْ أُرَوِّهَا فَمَهْ

قال ابن جنى : يحتمل ، مه ، هنا وجهين : أحدهما أن تكون : فه ، زجراً منه ، أى : فاكفف عنى . ولست أهلا للعتاب = أو : فه يا إنسان ، يخاطب نفسه ويزجرها » .

قلت : وهذا تحكم من أبى الفتح بن جنى ، فإن سياق الرجز يوجب أن يكون معناه : إن لم أرو أنا هذه الإبل ، فمن يرويها ؟ وهو صريح معنى الاستدلال الذى ساقه صاحب اللسان ، ولكنه أساء فى البيان وقصر ، وأساء فى إردافه الكلام ما أردفه من كلام أبى الفتح .

وهذا الخبر الذى رواه ابن جريج ، عن أبى هريرة ، دليل آخر ، وشاهد قوى على استعمالهم « مه » ، بمعنى الاستفهام .

(١) الأثر : ١٦٩٣٣ — حديث أبى سعيد الخدرى ، فى معنى الأخبار السالفة رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ١٣ : ٢٥٥) ، ومسلم فى صحيحه ١٦ : ٢١٩ ، من طريق زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى .

وهذا الخبر رواه ابن جريج مختصراً على كلمة واحدة ، وهى « فمن » ، ليبين معنى رواية أبى هريرة قبل : « فمه » ، أنها بمعنى « فمن » ، استفهاماً ، كما سلف فى التعليق قبله .

(٢) جاء هكذا فى المخطوطة : « حذركم أن تحدثوا فى الإسلام حدثاً ، وقد علمتم أنه . . . » ، وهو غير مقروء ، ولا مستقيم ، والذى فى المطبوعة ، كأنه منقول من الدر المنثور ٣ : ٢٥٥ ، وقد نسبه إلى أبى الشيخ ، ولم ينسبه إلى ابن جرير ، وهو فضلا عن ذلك ، مختصر فى الدر المنثور .

وأما قوله : « أولئك حبطت أعمالهم » ، فإن معناه : هؤلاء الذين قالوا : « إنما كنا نخوض ونلعب » ، وفعلوا فى ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم = « حبطت أعمالهم »، يقول : ذهبت أعمالهم باطلاً ، فلا ثوابَ لها إلا النار ، لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه[١]= « وأولئك هم الخاسرون » ، يقول : وأولئك هم المغبونون صفقتهم ، ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسيرِ الزهيدِ .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يُسِرُّون الكفرَ بالله ، وينهون عن الإيمان به وبرسوله = « نبأ الذين من قبلهم » ، يقول : خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم ،[٣] حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا ، ماذا حلّ بهم من عقوبتنا ؟

* * *

ثم بين جل ثناؤه مَنْ أولئك الأمم التى قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتهم نَبأُهم، فقال : « قوم نوح »، ولذلك خفض « القوم » ، لأنه ترجم بهم عن « الذين » ، و « الذين » فى موضع خفض .

* * *

(١) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ص:١٦٦، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الخسران » فيما سلف ١٣ : ٥٣٥ ، تعليق : ١، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص:٣٣١، تعليق : ٢، والمراجع هناك .

ومعنى الكلام : ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعي بهم ، إذ كذبوا رسولى نوحاً ، وخالفوا أمرى ؟ ألم أغرقهم بالطوفان ؟

= « وعاد » ، يقول : وخبر عاد ، إذ عصوا رسولى هوداً ، ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية؟ = وخبر ثمود، إذ عصوا رسولى صالحاً ، ألم أهلكهم بالرجفة ، فأتركهم بأفنيتهم خموداً ؟= وخبر قوم إبرهيم، إذ عصوه وردُّوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق ، ألم أسلبهم النعمة ، وأهلك ملكهم نمرود ؟ = وخبر أصحاب مَدْين بن إبراهيم، ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة إذ كذبوا رسولى شعيباً ؟=وخبر المنقلبة بهم أرضُهم ، فصار أعلاها أسفلها ، إذ عصوا رسولى لوطاً ،[1] وكذبوا ما جاءهم به من عندى من الحق ؟ يقول تعالى ذكره : أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزئون بالله وبآياته ورسوله ، أن يُسْلك بهم فى الانتقام منهم ، وتعجيل الخزى والنكال لهم فى الدنيا، سبيلُ أسلافهم من الأمم، ويحلّ بهم بتكذيبهم رسولى محمداً صلى الله عليه وسلم ما حلّ بهم فى تكذيبهم رُسلنا ، إذ أتتهم بالبينات .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٣٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « والمؤتفكات »، قال : قوم لوط ،انقلبت بهم أرضهم ، فجعل عاليها سافلها . ١٠/١٢٣

١٦٩٣٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والمؤتفكات » ، قال : هم قوم لوط .

* * *

(١) انظر تفسير « الائتفاك » فيما سلف ص : ٢٠٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « البينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

فإن قال قائل : فإن كان عنى بـ « المؤتفكات » قوم لوط ، فكيف قيل : « المؤتفكات » ، فجمعت ولم توحّد ؟

قيل : إنها كانت قريات ثلاثاً ، فجمعت لذلك ، ولذلك جمعت بالتاء ، على قول الله : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴾ ، [سورة النجم : ٥٣].[1]

فإن قال : وكيف قيل : أتتهم رسلهم بالبينات ، وإنما كان المرسل إليهم واحداً ؟

قيل : معنى ذلك : أتى كل قرية من المؤتفكات رسولٌ يدعوهم إلى الله ، فتكون رُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم إليهم للدعاء إلى الله عن رسالته ، رسلاً إليهم ، كما قالت العرب لقوم نسبوا إلى أبى فديك الخارجى : « الفُدَيْكات » ، و « أبو فديك » ، واحدٌ ، ولكن أصحابه لما نسبوا إليه وهو رئيسهم ، دعوا بذلك ، ونسبوا إلى رئيسهم . فكذلك قوله : « أتتهم رسلهم بالبينات » .

* * *

وقد يحتمل أن يقال معنى ذلك : أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية ، رسلهم من الله بالبينات .

* * *

وقوله : « فما كان الله ليظلمهم » ، يقول جل ثناؤه : فما أهلك الله هذه الأمم التى ذكر أنه أهلكها إلاّ بإجرامها وظلمها أنفسها ، واستحقاقها من الله عظيم العقاب ، لا ظلماً من الله لهم ، ولا وضعاً منه جل ثناؤه عقوبةً فى غير من هو لها أهلٌ ، لأن الله حكيم لا خلل فى تدبيره ، ولا خطأ فى تقديره ، ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله ، حتى أسخطوا عليهم ربهم ، فحقت عليهم كلمة العذاب فعذّبوا .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأما «المؤمنون والمؤمنات» ، وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه ، فإن صفتهم : أن بعضهم أنصارُ بعض وأعوانهم [1] = « يأمرون بالمعروف »، يقول: يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله، وبما جاء به من عند الله، [2]= [« وينهون عن المنكر » . . . .] [3]=« ويقيمون الصلاة »، يقول: ويؤدُّون الصلاة المفروضة [4]= « ويؤتون الزكاة »، يقول : ويعطون الزكاة المفروضةَ أهلَها [5]= « ويطيعون الله ورسوله » ، فيأتمرون لأمر الله ورسوله ، وينتهون عما نهاهم عنه = « أولئك سيرحمهم الله » ، يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، الذين سيرحمهم الله ، فينقذهم من عذابه ، ويدخلهم جنته ، لاأهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله ، الناهون عن المعروف ، الآمرون بالمنكر ، القابضون أيديهم عن أداء حقِّ الله من أموالهم=« إن الله عزيز حكيم »،يقول : إن الله ذو عزة فى انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به، لا يمنعه من الانتقام منه مانع، ولا ينصره منه ناصر= « حكيم»، فى انتقامه منهم، وفى جميع أفعاله . [6]

* * *

(١) انظر تفسير « الأولياء » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ٣٣٨، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) ما بين القوسين زدته استظهاراً، وهو تمام الآية ، أخل به الناسخ ، وأسقط تفسيره ، كما هو بين من سياق أبى جعفر فى تفسيره .

انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ص : ٣٣٨، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « إقامة الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) .

(٥) انظر تفسير « إيتاء الزكاة » فيما سلف من فهارس اللغة (أتى) .

(٦) انظر تفسير « عزيز » ، و « حكيم » ، فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٣٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية قال : كل ما ذكره الله فى القرآن من « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ، فـ « الأمر بالمعروف » ، دعاء من الشرك إلى الإسلام = و « النهى عن المنكر » ، النهى عن عبادة الأوثان والشياطين .

١٦٩٣٩ — . . . . قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يقيمون الصلاة » ، قال : الصلوات الخمس .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقرُّوا به وبما جاء به من عند الله ، من الرجال والنساء = « جنات تجرى من تحتها الأنهار » ، يقول : بساتين تجرى تحت أشجارها الأنهار [1] = « خالدين فيها » ، يقول : لابثين فيها أبداً ، مقيمين لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد [2] = « ومساكن طيبة » ، يقول : ومنازل يسكنونها طيبة . [3]

١٠/١٢٤

* * *

(١) انظر تفسير « جنة » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٢) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٣) انظر تفسير « طيبة » فيما سلف من فهارس اللغة (طيب) .

و « طيبها » أنها ، فيما ذكر لنا ، كما :—

١٦٩٤٠ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا إسحق بن سليمان، عن جَسْر ، عن الحسن قال : سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية فى كتاب الله تبارك وتعالى : « ومساكن طيبة فى جنات عدن » ، فقالا: على الخبير سقطتَ! سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قصرٌ فى الجنة من لؤلؤ ، فيه سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، فى كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء ، فى كل بيت سبعون سريراً .[1]

١٦٩٤١ — حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى قال ، حدثنا قرة بن حبيب ، عن جَسْر بن فرقد، عن الحسن ، عن عمران بن حصين وأبى هريرة قالا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « ومساكن طيبة فى جنات عدن » ، قال : قصر من لؤلؤة ، فى ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، فى كل دار سبعون بيتاً من زبرجدة خضراء ، فى كل بيت سبعون سريراً ، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون ، على كل فراش زوجة من الحور العين ، فى كل بيت سبعون مائدة ،

---

(١) الأثر : ١٦٩٤٠ — « إسحق بن سليمان الرازى » ، شيخ أبى كريب ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٢٢٤ .

و « جسر » هو : « جسر بن فرقد ، أبو جعفر القصاب » ، روى عنه إسحق بن سليمان ، وروى هو عن الحسن وغيره ، وكان رجلا صالحاً ، ولكنه فى الحديث ليس بشىء . مترجم فى الكبير ١/٢/٢٤٥ ، وقال : « ليس بذاك » ، وفى ابن أبى حاتم ١/١/٥٣٨ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٨٤ ، ولسان الميزان ٢ : ١٠٤ .

وكان فى المطبوعة : « إسحق بن سليمان ، عن الحسن قال سألت » ، وأسقط اسم « جسر » ، لأنه كان فى المخطوطة قد كتب : « عن الحسن ، عن الحسن » ، ثم ضرب الناسخ على « الألف واللام » من « الحسن » الأولى ، فظنه قد ضرب عليه كله ، والصواب ما أثبت ، وسيأتى فى الإسناد التالى .

وهذا الخبر ، ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٠ ، ٣١ ، وقال : « رواه البزار والطبرانى فى الأوسط . وفيه جسر بن فرقد ، وهو ضعيف ، وقد وثقه سعيد بن عامر ، وبقية رجال الطبرانى ثقات » .

ثم خرجه فى مجمع الزوائد ١٠ : ٤٢٠ وقال : « رواه الطبرانى ، وفيه : جسر بن فرقد ، وهو ضعيف » ، فاختصر ما سلف .

وهو إسناد ضعيف كما قال ، فقد ضعف جسر بن فرقد ، البخارى وغيره من الأئمة .

على كل مائدة سبعون لوناً من طعام،فى كل بيت سبعون وصيفة ، ويعطى المؤمن من القوة فى غَـداة ٍ واحدة ما يأتى على ذلك كله أجمع .[١]

* * *

وأما قوله : « فى جنات عدن » ، فإنه يعنى : وهذه المساكن الطيبة التى وصفها جل ثناؤه ، « فى جنات عدن » .

* * *

و « فى » من صلة « مساكن » .

* * *

وقيل : « جنات عدن » ، لأنها بساتين خلد وإقامة ، لا يظعَـنُ منها أحدٌ .

* * *

وقيل : إنما قيل لها « جنات عدن » ، لأنها دارُ الله التى استخلصها لنفسه ، ولمن شاء من خلقه = من قول العرب : « عَـدَنَ فلان بأرض كذا » ، إذا أقام بها وخلد بها ، ومنه « المَعْدِن » ،ويقال : « هو فى معدِن صدق » ، يعنى به : أنه فى أصلٍ ثابت . وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى :

وَإِنْ يَسْتَضِيفُوا إِلَى حِلْمِهِ يُضَافُوا إِلَى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنْ[٢]

---

(١) : ١٦٩٤١ — « قرة بن حبيب بن يزيد بن شهرزاد القنوى الرماح » ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٨٣/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٣٢/٢/٣ .

و « جسر بن فرقد » سلف فى الإسناد وقبله . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « حسن بن فرقد » ، وصوابه ما أثبت .

وهو إسناد ضعيف أيضاً .

(٢) ديوانه : ١٧ ، ومخطوطه ديوانه القصيدة رقم : ١٥ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٤ ، واللسان « وزن » ، وهى من كلمته الأولى التى أقبل بها على قيس بن معد يكرب الكندى ، ورواية الديوان « إلى حكمه » ، ولكنها فى المخطوطة ومجاز القرآن كما أثبتها ، ولكن المطبوعة كتب « حكمه » .

يقول قبله :

وَلٰكِنَّ رَبِّى كَفَى غُرْبَتِى بِحَمْدِ الإِلٰهِ ، فَقَدْ بَلَّغَنْ

أَخَا ثِقَةٍ عَالِياً كَعْبُهُ جَزِيلَ العَطَاءِ كَرِيمَ المِنَنْ

وينشد : « قد وزَن » . (١)

* * *

وكالذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس وجماعة معه، فيما ذكر ، يتأوّلونه .

١٦٩٤٢ — حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « جنات عدن » ، قال : « معدن الرجل » ، الذي يكون فيه .

١٦٩٤٣ — حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال، حدثنا ابن أبى مريم قال، حدثنا الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يفتح الذكرَ فى ثلاث ساعات يبقين من الليل ، فى الساعة الأولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت . ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن ، وهى فى داره التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، وهى مسكنه، ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، ثم يقول : طوبى لمن دخلك ، وذكر فى الساعة الثالثة . (٢)

كَرِيمًا شَمائِلُهُ ، مِنْ بَنِى مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ السُّنَنْ
فَإِنْ يَتْبَعُوا أَمْرَهُ يَرْشُدُوا وَإِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ لَا يَضِنّْ

و « استضاف إليه » ، لجأ إليه عند الحاجة .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « قد وزن » ، بالواو ورواية الديوان : « قد رزن » بالراء ، وكله صحيح المعنى . وهذه التى ذكرها الطبرى ، هى الرواية التى فسرها صاحب اللسان فى « وزن » . يقال : « وزن الشىء » ، أى : رجح ، و « وزن الرجل وزانة » ، إذا كان متثبتاً ، و « رجل وزين الرأى » ، أصيله . و « رزن » بالراء مثله فى المعنى ، يقال : « رجل رزين » ، أى : وقور .

(٢) الأثران : ١٦٩٤٣ ، ١٦٩٤٤ — « زيادة بن محمد الأنصارى » ، منكر الحديث ، مترجم فى التهذيب، والكبير ٢/١/٤٠٧ ، وذكر إسناد هذا الخبر ، وابن أبى حاتم ١/٢/٦١٩ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٦١ ، وساق هذا الحديث بطوله ، وفيه ذكر الساعة الثالثة ، ثم قال : « وهذه ألفاظ منكرة ، لم يأت بها غير زيادة » .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ : ٤١٢ وقال : « رواه البزار ، وفيه زيادة بن محمد ، وهو ضعيف » .

١٦٩٤٤ - حدثني موسى بن سهل قال ، حدثنا آدم قال، حدثنا الليث ابن سعد قال ، حدثنا زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن فضالة ابن عبيد ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عدن دارُه = يعنى : دار الله = التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، وهى مسكنه ، ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصديقين ، والشهداء . يقول الله تبارك وتعالى : طوبى لمن دخلك .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى « جنات عدن » ، جنات أعناب وكروم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠/١٢٥ ١٦٩٤٥ - حدثني أحمد بن أبي سريج الرازى قال،حدثنا زكريا بن عدى قال ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث : أن ابن عباس سأل كعباً عن جنات عدن ، فقال : هى الكروم والأعناب ، بالسريانية .(٢)

* * *

وقال آخرون : هى اسم لبُطْنان الجنة ووَسطها .

* ذكر من قال ذلك :

وكان في المطبوعة في الخبر الأول : « الكندى سعد ، عن زيادة بن محمد » ، وصوابه « الليث ابن سعد » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنه وصل الحروف بعضها ببعض .

(١) الأثر : ١٦٩٤٤ - انظر التعليق السالف . و « آدم» ، هو « آدم بن أبي إياس » .

(٢) الأثر : ١٦٩٤٥ - « أحمد بن أبي سريج الرازى » ، هو « أحمد بن الصباح النهشلي الرازى » ، شيخ أبي جعفر . روى عنه البخارى ، وأبو داود ، والنسائى . ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/١/٥٦ .

و « زكريا بن عدى بن زريق التيمى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٥٤٤٦ .

و « عبيد الله بن عمرو الرقى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، منها رقم : ٧١٨٧ .

و « زيد بن أبي أنيسة الجزرى » ، ثقة ، مضى مراراً آخرها : ١٣٨٥٥ .

و « يزيد بن أبي زياد القرشى » ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، ثقة ، يضعف حديثه . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٣٠٨ .

و « عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمى » ، روى له الجماعة ، مضى أيضاً ، برقم : ١٣٣٠٨ .

١٦٩٤٦ — حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا شعبة، عن سليمان الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله قال: « عدن »، بُطْنان الجنة.

١٦٩٤٧ — حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان وشعبة، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله في قوله: « جنات عدن »، قال: بُطْنان الجنة = قال ابن بشار في حديثه، فقلت: ما بطنانها؟ = وقال ابن المثنى في حديثه، فقلت للأعمش: ما بطنان الجنة؟ = قال: وَسَطها.

١٦٩٤٨ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، وأبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله: « جنات عدن »، قال: بطنان الجنة.

١٦٩٤٩ — . . . . . قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، بمثله.

١٦٩٥٠ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى، عن شعبة، عن سليمان، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله، مثله.

١٦٩٥١ — حدثنا أحمد ابن أبي سريج قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، وعبد الله بن مرة، عنهما جميعاً، أو عن أحدهما، عن مسروق، عن عبد الله: « جنات عدن ». قال: بطنان الجنة.

١٦٩٥٢ — حدثنا بن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود في قول الله: « جنات عدن »، قال: بُطْنان الجنة.

* * *

وقال آخرون : « عدن » ، اسم لقصر .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٥٣ — حدثني على بن سعيد الكندى قال، حدثنا عبدة أبو غسان ، عن عون بن موسى الكنانى ، عن الحسن قال : « جنات عدن » ، وما أدراك ما جنات عدن؟ قصرٌ من ذهَب، لا يدخله إلاّ نبي ، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل ، ورفع به صوته . [١]

١٦٩٥٤ — حدثنا أحمد بن أبى سريج قال، حدثنا عبد الله بن عاصم قال ، حدثنا عون بن موسى قال : سمعت الحسن بن أبى الحسن يقول : جنات عدن، وما أدراك ما جنات عدن ؟ قصر من ذهب، لا يدخله إلا نبيّ، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل = رفع الحسن به صوته . [٢]

١٦٩٥٥ — حدثنا أحمد قال، حدثنا يزيد قال أخبرنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو قال : إن فى الجنة قصرًا يقال له « عدن » ، حوله البروج والرُّوح ، له خمسون ألف باب ، على كل باب حِبَرة، [٣] لا يدخله إلا نبيّ أو صدّيق .

١٦٩٥٦ — حدثنا الحسن بن ناصح قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة، عن يعلى بن عطاء قال : سمعت يعقوب بن عاصم يحدث ، عن عبد الله بن عمرو :

---

(١) الأثر : ١٦٩٥٣ — « عبدة ، أبو غسان » ، لم أعرف من يكون ؟
و « عون بن موسى الكنانى الليثى » ، أبو روح ، ثقة سمع الحسن . مترجم فى الكبير ٤/١/١٧ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٨٦ .

(٢) الأثر : ١٦٩٥٤ — « أحمد بن أبى سريج » ، مضى برقم : ١٦٩٤٥
« عبد الله بن عاصم الحمانى »، صدوق ، روى عنه أبو حاتم ، وأبو زرعة . مترجم فى التهذيب، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٣٤ .
« عون بن موسى الكنانى » ، مضى قبله .

(٣) « الحبرة » (بكسر الحاء وفتح الباء) : ضرب من برود اليمن منمر . وقالوا : « ليس حبرة ، موضعاً أو شيئاً معلوماً ، إنما هو شيء » . وكأنه هو المراد فى مثل هذا الخبر ، أى : ستور موشية .

إن فى الجنة قصرًا يقال له «عدن»، له خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف حِبَرَة، لا يدخله إلا نبي أو صدّيق أو شهيد.[١]

* * *

وقيل: هى مدينة الجنة.

* ذكر من قال ذلك:

١٦٩٥٧ — حدثت عن عبد الرحمن المحاربى، عن جويبر، عن الضحاك: فى «جنات عدن»، قال: هى مدينة الجنة، فيها الرُّسُل والأنبياء والشهداء، وأئمة الهدى، والناس حولهم بعدُ، والجنات حولها.

* * *

وقيل: إنه اسم نَهر.

* ذكر من قال ذلك:

١٦٩٥٨ — حدثت عن المحاربى، عن واصل بن السائب الرقاشى، عن عطاء قال: «عدن»، نَهر فى الجنة، جنّاته على حافتيه.

* * *

وأما قوله: «ورضوان من الله أكبر»، فإن معناه: ورضَى الله عنهم أكبر من ذلك كله،[٢] بذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الأثر: ١٦٩٥٦ — «الحسن بن ناصح»، هو «الحسن بن ناصح البصرى السراج»، قال ابن أبى حاتم: «روى عن عثمان بن عثمان الغطفانى، ومعتمر بن سليمان، ومعاذ بن معاذ، ويحيى بن راشد، سمع منه أبى فى الرحلة الثانية»، الجرح والتعديل ١/٢/٣٩، تاريخ بغداد ٧ : ٤٣٥.

وهناك أيضاً: «الحسن بن ناصح الخلال المخرمى»، روى عن إسحق بن منصور، وغيره قال ابن أبى حاتم: «أدركته. ولم أكتب عنه، وكان صدوقاً»، وكأن هذا هو شيخ الطبرى. مترجم فى ابن أبى حاتم ١/٢/٣٩، وتاريخ بغداد ٧ : ٤٣٥.

وكان فى المطبوعة: «الحسن بن ناجح»، وهو مخالفة لما فى المخطوطة.

و «يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى»، ذكره ابن حبان فى الثقات، مترجم فى التهذيب، والكبير ٤/٢/٣٨٨، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢١١.

(٢) انظر تفسير «الرضوان» فيما سلف ص ١٧٤، تعليق: ٢، والمراجع هناك.

١٦٩٥٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ! فيقولون: لبّيك ربَّنَا وسَعْدَيك ! فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون : ما لنا لا نرضى ، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خلقك ؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك . قالوا : يا ربّ، وأيُّ شيء أفضل من ذلك! قال : أحِلُّ عليكم رضوانى ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً .[١]

١٢٦/١٠

١٦٩٦٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثني يعقوب ، عن حفص ، عن شمر قال : يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب ، إلى الرجل حين ينشقُّ عنه قبره ، فيقول : أبشر بكرامة الله ! أبشر برضوان الله ! فيقول : مثلك من يبشِّر بالخير ؟ ومن أنت ؟ فيقول: أنا القرآن الذى كُنْتُ أسهر ليلك، وأُظمئ نهارك! فيحمله على رقبته حتى يُوافى به ربَّه، فيمثُلُ بين يديه فيقول : يا رب ، عبدك هذا، اجزه عنى خيرًا، فقد كنت أسهر ليله، وأظمئ نهاره، وآمره فيطيعنى ، وأنهاه فيطيعنى . فيقول الرب تبارك وتعالى : فله حُلَّة الكرامة . فيقول : أى ربّ ، زدْهُ ، فإنه أهلُ ذلك! فيقول: فله رِضْوانى = قال : « ورضوانٌ من الله أكبر ».[٢]

* * *

(١) الأثر : ١٦٩٥٩ – هذا حديث صحيح رواه البخارى بهذا الإسناد نفسه ، وبلفظه فى صحيحه (الفتح ١١ : ٣٦٣ ، ٣٦٤) ، واستوفى الكلام عليه الحافظ ابن حجر فى شرحه . ورواه مسلم فى صحيحه ١٧ : ١٦٨ ،

وانظر ما سلف رقم : ٦٧٥١ ، ١٦٥٦٧ ، من حديث جابر بن عبد الله ، غير مرفوع ، وما علقت به عليه هناك . وذكره ابن كثير فى تفسيره فى هذا الموضع ٤ : ٢٠٢ وقال : « رواه البزار فى مسنده ، من حديث الثورى . وقال الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه صفة الجنة . هذا عندى على شرط الصحيح » .

(٢) الأثر : ١٦٩٦٠ – « يعقوب » ، هو : « يعقوب بن عبد الله القمى » ، ثقة ، مضى مراراً ، منها : ١٣٠٤٥ .

و « حفص » هو « حفص بن حميد القمى » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٥١٨ .

وابتُدِئ الخبر عن « رضوان الله » للمؤمنين والمؤمنات أنه أكبر من كلّ ما ذكر جل ثناؤه ، فرفع ، وإن كان « الرضوان » فيما قد وعدهم . ولم يعطف به فى الإعراب على « الجنات » و « المساكن الطيبة » ، ليعلم بذلك تفضيلُ الله رضوانَه عن المؤمنين ، على سائر ما قسم لهم من فضله ، وأعطاهم من كرامته ، نظير قول القائل فى الكلام لآخر : « أعطيتك ووصلتك بكذا ، وأكرمتك، ورضاى بعدُ عنك أفضل لك » . [1]

* * *

=« ذلك هو الفوز العظيم » ، هذه الأشياء التى وعدت المؤمنين والمؤمنات = « هو الفوز العظيم » ، يقول : هو الظفر العظيم ، والنجاء الجسيم ، لأنهم ظفروا بكرامة الأبد، ونَجَوْا من الهوان فى سَقَر ، [2] فهو الفوز العظيم الذى لا شىء أعظم منه. [4]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: « يا أيها النبي جاهد الكفار »، بالسيف والسلاح = « والمنافقين» .

* * *

و « شمر » هو « شمر بن عطية الأسدى الكاهلى » ، ثقة ، مضى برقم : ١١٥٤٥ .
وانظر شواهد لبعض ألفاظ هذا الخبر فيما رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٥٩ — ١٦٥ .
ولم أجد هذا الخبر مسنداً بلفظه هذا .

(١) فى المطبوعة ، جعل الكلام هكذا : « أفضل ذلك ، هذه الأشياء التى وعدت المؤمنين والمؤمنات . . . »، وهو غير مستقيم ، والذى أثبته هو الذى فى المخطوطة ، ولكن ظاهر أنه قد سقط من الناسخ بعض كلام أبى جعفر . فاستظهرت أن السياق هو ذكر لفظ الآية ، ثم تفسير « ذلك » بقوله : « هذه الأشياء . . . » ، فأثبتها كذلك ، وفصلت بين الكلامين فصلا تاماً .
وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٦ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « الهوان فى السفر » ، وهو لا معنى له ، والصواب ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ، ١١ : ٢٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

واختلف أهل التأويل فى صفة «الجهاد» الذى أمر الله نبيه به فى المنافقين . (١)

فقال بعضهم : أمره بجهادهم باليد واللسان ، وبكل ما أطاق جهادَهم به .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٦١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، ويحيي ابن آدم ، عن حسن بن صالح ، عن على بن الأقمر ، عن عمرو بن أبى جندب ، عن ابن مسعود فى قوله : « جاهد الكفار والمنافقين » ، قال : بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، فإن لم يستطع فليكفهرَّ فى وجهه . (٢)

* * *

وقال آخرون : بل أمره بجهادهم باللسان .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٦٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن

---

(١) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص: ٢٥٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « المنافق » فيما سلف ص : ٣٣٩ ؛ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٩٦١ — « حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .

و « يحيى بن آدم » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .
و « حسن بن صالح بن حى الثورى » ، ثقة ، مضى مراراً .
و « على بن الأقمر الوادعى الهمدانى » ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى مراراً .
و « عمرو بن أبى جندب » أو « عمرو بن جندب » ، هو « أبو عطية الوادعى » ، مختلف فى اسمه . ترجم له فى التهذيب ، فى الأسماء ، وفى الكنى ، وقال : « قال البخارى فى تاريخه : روى عنه أبو إسحق ، وعلى بن الأقمر » ، ثم قال : « والصواب أنه وإن كان يكنى أبا عطية ، فإنه غير الوادعى » . وهو ثقة ، من أصحاب عبد الله بن مسعود . ترجم له ابن أبى حاتم ٣/١/٢٢٤ باسم « عمرو بن جندب » ، وكان فى المطبوعة « عمرو بن جندب » ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة ، وهما صواب كما ترى .

وهذا الخبر ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٥٨ ، ونسبه إلى ابن أبى شيبة ، وابن أبى الدنيا فى كتاب الأمر بالمعروف ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

وقوله : « فليكفهر فى وجهه » : أى فليلقه بوجه منقبض عابس لاطلاقة فيه ولا بشر ولا انبساط .

على ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف ، والمنافقين باللسان ، وأذهبَ الرفق عنهم .

١٦٩٦٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنى الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « جاهد الكفار والمنافقين » ، قال : « الكفار » ، بالقتال ، و« المنافقين » ، أن يغلُظ عليهم بالكلام .

١٦٩٦٤ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، يقول : جاهد الكفار بالسيف ، واغلظ على المنافقين بالكلام ، وهو مجاهدتهم .

* * *

وقال آخرون : بل أمره بإقامة الحدود عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٦٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « جاهد الكفار والمنافقين » ، قال : جاهد الكفار بالسيف ، والمنافقين بالحدود ، أقم عليهم حدودَ الله .

١٦٩٦٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، قال : أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار بالسيف ، ويغلظ على المنافقين فى الحدود . ١٢٧/١٠

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب ، ما قال ابن مسعود : من أنّ الله أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين بنحو الذى أمرَه به من جهاد المشركين .

* * *

فإن قال قائل : فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهُرِ أصحابه ، مع علمه بهم ؟

قيل : إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهرَ منهم كلمةَ الكفر، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك. وأمّا مَنْ إذا اطُّلِع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأُخِذ بها ، أنكرها ورجع عنها وقال : «إنى مسلم»، فإن حكم الله فى كلّ من أظهر الإسلام بلسانه ، أن يحقِنَ بذلك له دمه وماله ، وإن كان معتقداً غير ذلك ، وتوكّل هو جلّ ثناؤه بسرائرهم ، ولم يجعل للخلق البحثَ عن السرائر. فلذلك كان النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مع علمه بهم وإطْلاع الله إياه على ضمائرهم واعتقاد صُدروهم ، كان يُقِرّهم بين أظهر الصحابة ، ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبَه الحرب على الشرك بالله ، لأن أحدهم كان إذا اطُّلِع عليه أنه قد قال قولاً كفر فيه بالله ، ثم أخذ به أنكره وأظهر الإسلام بلسانه . فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه إلاّ بما أظهر له من قوله ، عند حضوره إياه وعزمه على إمضاء الحكم فيه ، دون ما سلف من قولٍ كان نطقَ به قبل ذلك ، ودون اعتقاد ضميرِه الذى لم يُبح الله لأحدٍ الأخذَ به فى الحكم ، وتولّى الأخذَ به هو دون خلقه .

* * *

وقوله : « واغلظ عليهم » ،[1] يقول تعالى ذكره : واشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرْهاب .[2]

* * *

وقوله : « ومأواهم جهنم » ، يقول : ومساكنهم جهنم ، وهى مثواهم ومأواهم[3] = « وبئس المصير » ، يقول : وبئس المكان الذى يُصَار إليه جهنّمُ .[4]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الغلظة » فيما سلف ٧ : ٣٤١ .

(٢) فى المطبوعة : « والإرعاب » بالعين ، خالف ما هو الصواب فى العربية ، وفى المخطوطة . إنما يقال : « رعبه يرعبه رعباً ، فهو مرعوب ورعيب » و « رعبه » ترعيباً » ، ونصوا فقالوا : « ولا تقل : أرعبه » .

(٣) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ص : ٧٧ ، تعليق : والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « المصير » فيما سلف ١٣ : ٤٤١ تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذى نزلت فيه هذه الآية ، والقول الذى كان قاله ، الذى أخبر الله عنه أنه يحلف بالله ما قاله .

فقال بعضهم : الذى نزلت فيه هذه الآية : « الجُلاس بن سويد بن الصامت» .

* * *

وكان القولُ الذى قاله ، ما : —

١٦٩٦٧ — حدثنا به ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر » ، قال : نزلت فى الجلاس بن سويد بن الصامت ، قال : « إن كان ما جاء به محمد حقًّا ، لنحن أشرُّ من الحُمُر ! » ، (١) فقال له ابن امرأته : والله ، يا عدو الله ، لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت ، فإنى إن لا أفعل أخاف أن تصيبنى قارعةٌ ، وأؤاخذ بخطيئتك ! فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الجلاس ، فقال : ياجُلاس ، أقلت كذا وكذا ؟ فحلف ما قال ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمُّوا بما لم ينالوا وما نَقَموا إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

---

(١) انظر استعمال « أشر » ، فيما سلف فى الأثرين رقم : ٥٠٨٠ ، ١١٧٢٣ .
وكان فى المطبوعة : « الحمير » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١٦٩٦٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : نزلت هذه الآية : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » ، في الجلاس بن سويد بن الصامت ، أقبل هو وابن امرأته مُصْعَب من قُباء ، فقال الجلاس : إن كان ما جاء به محمد حقًّا لنحن أشرُّ من حُمُرنا هذه التي نحن عليها! [1] فقال مصعب : أما والله ، يا عدو الله ، لأخبرنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلتَ ! فأتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وخشيت أن ينزَّل فيَّ القرآن ، أو تصيبني قارعة ، أو أن أخْلَط [بخطيئته] ، [2] قلت : يا رسول الله ، [3] أقبلت أنا والجلاس من قباء ، فقال كذا وكذا ، ولولا مخافة أن أُخْلَط بخطيئته ، [4] أو تصيبني قارعة ، ما أخبرتك . قال : فدعا الجلاس فقال له : يا جلاس ، أقلت الذي قال مصعب ؟ قال : فحلف ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » ، الآية . ١٠/١٢٨

١٦٩٦٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذي قال تلك المقالة ، فيما بلغني ، الجلاس بن سويد بن الصامت ، فرفعها عنه رجلٌ كان في حجره ، يقال له : « عمير بن سعيد » ، [5] فأنكرها ، [6] فحلف

(١) في المطبوعة : « حميرنا » بالإفراد ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « أخلط » ، ليس فيها ذكر الخطيئة واستظهرتها من باقي الخبر ، ومن تفسير ابن كثير .

(٣) في المطبوعة : « يا رسول أقبلت » ، وهو من الطباعة .

(٤) في المطبوعة : « أن أؤاخذ بخطيئته » ، غير ما في المخطوطة ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو الصواب ، وهو موافق لما في تفسير ابن كثير ٤ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٥) في المخطوطة والمطبوعة : « سعيد » ، والذي في سيرة ابن هشام ، « سعد » ، ولكني تركت ما في المخطوطة ، لأني وجدت الحافظ ابن حجر في الإصابة ، ذكر هذا الاختلاف ، فأخشى أن تكون هذه رواية أبي جعفر في سيرة ابن إسحق .

(٦) في المطبوعة : « فأنكر » ، أثبت ما في المخطوطة ، موافقاً لابن هشام .

بالله ما قالها . فلما نزل فيه القرآن ، تاب ونزع وحسنت توبته ، فيما بلغنى .[١]

١٦٩٧٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « كلمة الكفر » ، قال أحدهم : « لئن كان ما يقول محمد حقًّا لنحن شر من الحمير » ! فقال له رجل من المؤمنين : إن ما قال لحقٌّ ، ولأنت شر من حمار! قال : فهمَّ المنافقون بقتله ، فذلك قوله : « وهموا بما لم ينالوا » .

١٦٩٧١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٩٧٢ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٦٩٧٣ — حدثنى أيوب بن إسحق بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى ظلِّ شجرة ، فقال : إنه سيأتيكم إنسانٌ فينظر إليكم بعينى شيطان ، فإذا جاء فلا تكلموه . فلم يلبث أن طلَع رجل أزرقُ ،[٢] فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علامَ تشتمنى أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا ، حتى تجاوزَ عنهم ، فأنزل الله : « يحلفون بالله ما قالوا » ، ثم نعتهم جميعاً إلى آخر الآية .[٣]

* * *

(١) الأثر : ١٦٩٦٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٩١٩ .

(٢) إذا قيل : « رجل أزرق » ، فإنما يعنون زرقة العين ، وقد عدد الجاحظ فى الحيوان ٥ : ٣٣٠ ، « الزرق من العرب » ، وكانت العرب تتشاءم بالأزرق ، وتعده لئيما . وانظر طبقات فحول الشعراء : ١١١ ، فى قول مزرد ، فى قاتل عمر رضى الله عنه :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ ... بِكَفَّىْ سَبَنْتَى أَزْرَقِ العَيْنِ مُطْرِقِ

(٣) الأثر : ١٦٩٧٣ — « أيوب بن إسحق بن إبراهيم بن سافرى » ، أبو أيوب البغدادى ، =

وقال آخرون : بل نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول : قالوا : والكلمة التى قالها ما :—

١٦٩٧٤ — حدثنا به بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يحلفون بالله ما قالوا » إلى قوله : « من ولىّ ولا نصير » ، قال : ذكر لنا أنّ رجلين اقتتلا ، أحدهما من جهينة ، والآخر من غِفار ، وكانت جهينة حلفاء، الأنصار ، وظهر الغفارىّ على الجهنىّ ، فقال عبد الله بن أبىّ للأوس : انصروا أخاكم ، فوالله ما مثلنا ومَثَلُ محمد إلا كما قال القائل : « سمِّن كلبك يأكلك » ، وقال : ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [سورة المنافقون : ٨] ، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه فسأله ، فجعل يحلف بالله ما قاله ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر » .

١٦٩٧٥ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر » ، قال : نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنّهم يحلفون بالله كذباً على كلمة كُفْر تكلموا بها ، أنهم لم يقولوها . وجائز أن يكون ذلك القول ما روى عن عروة : أن الجلاس قاله = وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبى ابن سلول ، والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال .

شيخ الطبرى. قال ابن أبى حاتم : « كتبنا عنه بالرملة ، وذكرته لأبى فعرفه ، وقال : كان صدوقاً » . مترجم فى ابن أبى حاتم ٢٤١/١/١ ، وتاريخ بغداد ٧ : ٩ ، ١٠ .

و « عبد الله بن رجاء بن عمرو » ، أبو عمرو الغدانى . كان حسن الحديث عن إسرائيل . وهو ثقة . مترجم فى التهذيب .

وهذا إسناد صحيح . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٥٨ ، وزاد نسبته إلى الطبرانى ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

ولا علم لنا بأىّ ذلك من أىٍّ ، (١) إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة ، ويُتوصَّل به إلى يقين العلم به ، وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل ، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » .

* * *

وأما قوله : « وهموا بما لم ينالوا » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى الذى كان همّ بذلك ، وما الشيء الذى كان هم به .

[فقال بعضهم : هو رجل من المنافقين ، وكان الذى همّ به]، قتلَ ابن امرأته الذى سمع منه ما قال ، (٢) وخشى أن يفشيه عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٧٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : همّ المنافق بقتله = يعنى قتل المؤمن الذى قال له : « أنت شر من الحمار » ! فذلك قوله : « وهمُّوا بما لم ينالوا » .

١٠/١٢٩

١٦٩٧٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله . (٣)

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « بأن ذلك من ى » ، وهو لا معنى له ، وصوابه ما أثبت ، كما نبهت عليه مراراً انظر ما سلف : ١٣ : ٢٦٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) كان فى المخطوطة : « . . . وما الشيء الذى كان هم به قيل ابن امرأته » ، وجعلها فى المطبوعة : « . . . هم به أقتل ابن امرأته » ، وعلق عليه فقال : « فى العبارة سقط ، ولعل الأصل : فقال بعضهم : كان الذى هم الجلاس بن سويد ، والشيء الذى كان هم به قتل ابن امرأته إلخ ، تأمل » .

والصواب ، إن شاء الله ، ما أثبت بين القوسين ، لأن الخبر التالى من خبر مجاهد ، ولم يبين فيه اسم المنافق ، كما لم يبينه فى رقم : ١٦٩٧٠ ، وما بعده ، فالصواب الجيد ، أن يكون اسم المنافق مبهماً فى ترجمة سياق الأخبار ، كدأب أبى جعفر فى تراجم فصول تفسيره .

(٣) فى المطبوعة : « عن مجاهد ، به » ، وفى المخطوطة ، قطع فلم يذكر شيئاً ، فأقررت ما درج على مثله أبو جعفر .

وقال آخرون : كان الذى همّ ، رجلاً من قريش = والذى همّ به ، قتلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٧٨ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شبل ، عن جابر ، عن مجاهد فى قوله : « وهموا بما لم ينالوا » ، قال : رجل من قريش ، همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له : « الأسود » .

* * *

وقال آخرون : الذى همّ ، عبد الله بن أبى ابن سلول ، وكان همُّه الذى لم ينله ، قوله: ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾،[سورة المنافقون : ٨]، من قول قتادة ، وقد ذكرناه.[1]

* * *

وقوله : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، ذكر لنا أن المنافق الذي ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر ، كان فقيراً فأغناه الله بأن قُتِل له مولًى ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ديتَه . فلما قال ما قال ، قال الله تعالى : « وما نقموا » ، يقول : ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً .[2] = « إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٧٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبومعاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه: « وما نقموا إلاأن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، وكان الجلاس قُتِل له مولًى ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته ، فاستغنى ، فذلك قوله : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

١٦٩٨٠ — . . . . قال، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو ، عن عكرمة قال :

(١) انظر ما سلف رقم : ١٦٩٧٤ .

(٢) انظر تفسير « نقم » فيما سلف ١٠ : ٤٣٣/١٣ : ٣٥ .

قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفاً فى مولى لبنى عدىّ بن كعب ، وفيه أنزلت هذه الآية : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

١٦٩٨١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما نقموا إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، قال : كانت لعبد الله بن أبىّ دية ، فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له .

١٦٩٨٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان قال ، حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة : أن مولى لبنى عدى ابن كعب قتل رجلاً من الأنصار ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفاً ، وفيه أنزلت : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » = قال عمرو : لم أسمع هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من عكرمة = يعنى : الدية اثنى عشر ألفاً .

١٦٩٨٣ — حدثنا صالح بن مسمار قال ، حدثنا محمد بن سنان العوَقىّ قال ، حدثنا محمد بن مسلم الطائفى ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثنى عشر ألفاً . فذلك قوله : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، قال : بأخذ الدِّية .[1]

* * *

وأما قوله : « فإن يتوبوا يك خيراً لهم » ، يقول تعالى ذكره : فإن يتب هؤلاء القائلون كلمةَ الكفر من قِيلهم الذى قالوه فرجعوا عنه ، يك رجوعهم وتوبتهم من

---

(١) الأثر : ١٦٩٨٣ — « صالح بن مسمار السلمى المروزى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٢٢٤ .

و « محمد بن سنان الباهلى العوقى » ، أبو بكر البصرى ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/١٠٩ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٧٩ .

و « محمد بن مسلم الطائفى » ، ثقة ، يضعف ، مضى برقم : ٤٤٧ ، ٣٤٧٣ ، ٤٤٩١ .

وهذا الخبر ، لم يذكره أبو جعفر فى باب الديات من تفسيره ، انظر ما سلف رقم ١٠١٤٣ ، فى ج ٩ : ٥٠ .

ذلك، خيراً لهم من النفاق[١] = « وإن يتولوا »، يقول : وإن يدبروا عن التوبة ، فيأتوها ويصرّوا على كفرهم ،[٢] = « يعذبهم الله عذاباً أليمًا » ، يقول : يعذبهم عذاباً موجعاً فى الدنيا ، إما بالقتل ، وإما بعاجل خزى لهم فيها ، ويعذبهم فى الآخرة بالنار .[٣]

* * *

وقوله : « وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير » ، يقول : وما لهؤلاء المنافقين إن عذبهم الله عاجل الدنيا = « من ولى » ، يواليه على منعه من عقاب الله[٤] =« ولا نصير » ينصره من الله فينقذه من عقابه.[٥] وقد كانوا أهل عز ومنعة بعشائرهم وقومهم ، يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء ، فأخبر جل ثناؤه أن الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم ، لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه ، إن احتاجوا إلى نصرهم .

* * *

وذكر أن الذى نزلت فيه هذه الآية ، تاب مما كان عليه من النفاق .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٨٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة عن أبيه : « فإن يتوبوا يك خيراً لهم » ، قال : قال الجلاس : قد استثنى الله لى التوبة ، فأنا أتوب . فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٠/١٣٠

١٦٩٨٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه: « فإن يتوبوا يك خيراً لهم » ، الآية، فقال الجلاس:

---

(١) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) .
(٢) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .
(٤) انظر تفسير « الولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
(٥) انظر تفسير « النصير » فيما سلف من فهارس اللغة (نصر) .

يا رسول الله ، إني أرى الله قد استثنى لى التوبة ، فأنا أتوب ! فتابَ ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه .

* * *

القولُ فى تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝٧٧ ﴾

قال أبو جعفر : يقولُ تعالى ذكره : ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك ، يا محمد، صفتهم= « من عاهد الله »، يقول: أعطى الله عهداً [1]=« لئن أتانا من فضله»، يقول: لئن أعطانا الله من فضله، ورزقنا مالاً، ووسَّع علينا من عنده[2] = « لنصدقن » ، يقول : لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذى رزقنا ربُّنا[3]= « ولنكونن من الصالحين »، يقول: ولنعملنّ فيها بعمَل أهل الصلاح بأموالهم ، من صلة الرحم به، وإنفاقه فى سبيل الله.[4] يقول الله تبارك وتعالى : فرزقهم الله وآتاهم من فضله = «فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به»، بفضل الله الذى آتاهم، فلم يصدّقوا منه، ولم يصلوا منه قرابةً، ولم ينفقوا منه فى حق الله =«وتولوا»، يقول: وأدبروا عن عهدهم الذى عاهدوه الله[5]= « وهم معرضون » ، عنه[6]= « فأعقبهم »

(١) انظر تفسير « عاهد » فيما سلف : ص ١٤١، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « آتى » ، و « الفضل » فيما سلف من فهارس اللغة (أتى) و (فضل) .
(٣) انظر تفسير « التصدق » فيما سلف ٩ : ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ .
(٤) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .
(٥) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
(٦) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ١٣ : ٤٦٣، تعليق : ٦، والمراجع هناك .

الله = « نفاقاً فى قلوبهم » ، ببخلهم بحق الله الذى فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله، وإخلافهم الوعدَ الذى وعدُوا الله، ونقضهم عهدَه فى قلوبهم[١]= « إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه » ، من الصدقة والنفقة فى سبيله = « وبما كانوا يكذبون »، فى قيلهم، وحرَمهم التوبة منه، لأنه جل ثناؤه اشترط فى نفاقهم أنَّه أعقبهموه إلى يوم يلقونه ، وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا .

* * *

واختلف أهل التأويل فى المعنىِّ بهذه الآية .

فقال بعضهم: عُنى بها رجل يقال له: « ثعلبة بن حاطب »، من الأنصار.[٢]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٨٦ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله» ، الآية، وذلك أن رجلاً يقال له: « ثعلبة بن حاطب » ، من الأنصار ، أتى مجلساً فأشهدهم فقال : لئن آتانى الله من فضله ، آتيت منه كل ذى حقٍّ حقه، وتصدّقت منه ، ووصلت منه القرابة ! فابتلاه الله فآتاه من فضله، فأخلف الله ما وعدَه ، وأغضبَ الله بما أخلفَ ما وعده . فقصَّ الله شأنه فى القرآن : « ومنهم من عاهد الله » ، الآية إلى قوله : « يكذبون » .

١٦٩٨٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا هشام بن عمار قال ، حدثنا محمد ابن شعيب قال ، حدثنا معان بن رفاعة السلمى ، عن أبى عبد الملك على بن يزيد الألهانى : أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن : أنه أخبره عن أبى أمامة الباهلى ، عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى : أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع

(١) انظر تفسير « النفاق » فيما سلف ص : ٣٥٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المخطوطة ، وقف عند قوله : « يقال له » ، ولم يذكر اسم الرجل ، واستظهره الناشر الأول من الأخبار ، وأصاب فيما فعل .

الله أن يرزقني مالاً! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدى شكره، خير من كثير لا تطيقه! قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: أما ترضى أن تكون مثل نبي الله، فوالذى نفسي بيده، لو شئتُ أن تسيرَ معي الجبال ذهباً وفضة لسارت! قال: والذى بعثك بالحق لئن دعوتَ الله فرزقني مالاً، لأعطينّ كلّ ذى حق حقه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ارزق ثعلبة مالاً! قال: فاتّخذ غنماً، فنمت كما ينمو الدُّود، فضاقت عليه المدينة، فتنحَّى عنها، فنزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلى الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما. ثم نمت وكثرت، فتنحَّى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهى تنمو كما ينمو الدود، حتى ترك الجمعة. فطفق يتلقَّى الركبان يوم الجمعة، يسألهم عن الأخبار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا: يا رسول الله، اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة! فأخبروه بأمره، فقال: يا ويْحَ ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة! قال: وأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [سورة التوبة : ١٠٣] الآية، ونزلت عليه فرائض الصدقة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة، رجلاً من جهينة، ورجلاً من سليم، وكتب لهما كيفَ يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال لهما: مرَّا بثعلبة، وبفلان، رجل من بنى سليم، فخذا صدقاتهما! فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هذه إلاّ جزية! ما هذه إلاّ أخت الجزية! ما أدرى ما هذا! انطلقا حتى تفرُغا ثم عودا إليّ. فانطلقا، وسمع بهما السُّلمى، فنظر إلى خِيار أسنان إبله، فعزلها للصدقة، ثم استقبلهم بها. فلما رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نأخذ هذا منك. قال: بلى، فخذوه، [1] فإنّ نفسي بذلك طيّبة، وإنما هى لى! فأخذوها منه. فلما فرغا من صدقاتهما،

١٠/١٣١

(١) «بلى» واستعمالها فى غير جحد، قد سلف مراراً، آخرها فى رقم: ١٦٣٠٥، ص: ٦٧، تعليق: ٣، والمراجع هناك.

رجعا حتّى مرّا بثعلبة ، فقال : أرونى كتابكما ! فنظر فيه ، فقال : ما هذه إلاّ أخت الجزية ! انطلقا حتّى أرى رأيى . فانطلقا حتّى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهما قال : يا ويح ثعلبة ! قبل أن يكلّمهما ، ودعا للسلمىّ بالبركة ، فأخبراه بالذى صنع ثعلبة ، والذى صنع السلمىّ ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين » إلى قوله : « وبما كانوا يكذبون » ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتّى أتاه ، فقال : ويحك ياثعلبة ! قد أنزل الله فيك كذا وكذا ! فخرج ثعلبة حتّى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال : إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك ، فجعل يَحْثِي على رأسه التراب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعنى ! فلما أبَى أن يقبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، رجع إلى منزله ، وقُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئاً . ثم أتى أبا بكر حين استُخلِف ، فقال : قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعى من الأنصار ، فاقبل صدقتى ! فقال أبو بكر : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها ! فقُبِض أبو بكر ، ولم يقبضها . فلما ولى عمر ، أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، اقبل صدقتى ! فقال : لم يقبلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ، وأنا أقبلها منك ! فقُبِض ولم يقبلها ، ثم ولى عثمان رحمة الله عليه ، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا أقبلها منك ! (١) فلم يقبلها منه . وهلك ثَعْلبة فى خلافة عثمان رحمة الله عليه . (٢)

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأنا لا أقبلها » ، والجيد حذف « لا » كما سلف فى مقالة أبى بكر وعمر ، وهو مطابق لما فى أسد الغابة .

(٢) الأثر : ١٦٩٨٧ — « هشام بن عمار بن نصير السلمى » ، ثقة ، روى له البخارى ،

١٦٩٨٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » الآية ، ذكر لنا أن رجلاً من الأنصار أتى على مجلس من الأنصار ، فقال : لئن آتاه الله مالاً ليؤدين إلى كل ذى حق حقه ! فآتاه الله مالاً ، فصنع فيه ما تسمعون ، قال : « فلما آتاهم من فضله بخلوا به » إلى قوله : « وبما كانوا يكذبون » . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدّث أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة إلى بنى إسرائيل ، قالت بنو إسرائيل : إن التوراة كثيرة ، وإنا لا نفرُغ لها ، فسل لنا ربَّك جماعاً من الأمر نحافظ عليه ، ونتفرغ فيه لمعاشنا ![1] قال : يا قوم ، مهلاً مهلاً !

وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة . وتكلموا فيه قالوا : لما كبر تغير . ومضى برقم : ١١١٠٨ .
و « محمد بن شعيب بن شابور الأموى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٦٩٨٧ .

و « معان بن رفاعة السلمى » أو : « السلامى » وهو المشهور ، لين الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتج به . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٧٠ ، وفى إحدى نسخه « السلمى » كما جاء فى الطبرى ، ولذلك تركته على حاله ، وابن أبى حاتم .

و « على بن يزيد الألهانى » ، « أبو عبد الملك » ، ضعيف بمرة ، روى من القاسم بن عبد الرحمن صاحب أبى أمامة نسخة كبيرة ، وأحاديثه هذه ضعاف كلها . مضى برقم : ١١٥٢٥ .

و « القاسم بن عبد الرحمن الشامى » ، تقدم بيان توثيقه ، وأن ما أنكر عليه إنما جاء من قبل الرواة عنه الضعفاء ، مضى برقم : ١٩٣٩ ، ١١٥٢٥ .

وأما ثعلبة بن حاطب الأنصارى ، فى ترجمته خلط كثير . أهو رجل واحد ، أم رجلان ؟ أولهما هو الذى آخى رسول الله بينه وبين معتب بن الحمراء ، والذى شهد بدراً وأحداً . والآخر هو صاحب هذه القصة . يقال : إن الأول قتل يوم أحد . وجعلهما بعضهم رجلا واحداً ، ونفوا أن يكون قتل يوم أحد . انظر ترجمته فى الإصابة ، والاستيعاب : ٧٨ ، وأسد الغابة ١ : ٢٣٧ ، وابن سعد : ٣ / ٢ / ٣٢ .

وهذا الخبر رواه بهذا الإسناد ، ابن الأثير فى أسد الغابة ١ : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣١ ، ٣٢ ، وقال : « رواه الطبرانى ، وفيه على بن يزيد الألهانى ، وهو متروك » .

وهو ضعيف كل الضعف ، ليس له شاهد من غيره ، وفى بعض رواته ضعف شديد .

وهذا الخبر ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٦٠ ، ونسبه إلى الحسن بن سفيان ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، والعسكرى فى الأمثال ، والطبرانى ، وابن منده ، والباوردى ، وأبى نعيم فى معرفة الصحابة ، وابن مردوية ، والبيهقى فى الدلائل ، وابن عساكر .

(١) فى المطبوعة : « لمعايشنا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

هذا كتاب الله ، ونور الله ، وعِصْمة الله ! قال : فأعادوا عليه ، فأعاد عليهم ، قالها ثلاثاً . قال : فأوحى الله إلى موسى : ما يقول عبادى ؟ قال : يا رب ، يقولون كيت وكيت . قال : فإنى آمرهم بثلاثٍ إن حافظوا عليهن دخلوا بهن الجنة ، أن ينتهوا إلى قسمة الميراثِ فلا يظلموا فيها ، ولا يدخلوا أبصارَهم البيوت حتى يؤذن لهم ، وأن لا يطعموا طعاماً حتى يتوضأوا وضوء الصلاة. قال : فرجع بهن نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه ، ففرحوا ، ورأوا أنهم سيقومون بهن . قال : فوالله مالبث القومُ إلاقليلاً حتى جَنَحُوا وانْقُطِع بهم. فلما حدّث نبيُّ الله بهذا الحديث عن بنى إسرائيل، قال: تكفَّلوا لى بستٍّ، أتكفل لكم بالجنة! قالوا: ما هنّ، يا رسول الله ؟ قال : إذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا وعدتم فلا تُخْلفوا ، وإذا اؤتمنتم فلا تخونوا ، وكُفُّوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم : أبصارَكم عن الخيانة ، وأيديكم عن السرقة ، وفروجكم عن الزِّنا .

١٣٢/١٠

١٦٩٨٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : ثلاثٌ من كن فيه صار منافقاً وإن صامَ وصلى وزعم أنه مُسلم : إذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف .

* * *

وقال آخرون : بل المعنيُّ بذلك رجلان : أحدهما ثعلبة ، والآخر معتب ابن قشير .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٩٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن عمرو ابن عبيد ، عن الحسن : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » الآية ،[١] وكان الذى عاهد الله منهم : ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى

---

(١) كان فى المطبوعة : « من فضله ، إلى الآخر » ، وهو غريب جداً ، وفى المخطوطة : « من فضله الآخر » ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وإنما سها الناسخ كعادته .

عمرو بن عوف .[1]

١٦٩٩١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » ، قال رجلان خرجا على ملأٍ قعودٍ ، فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدقن ! فلما رزقهم الله بخلوا به .

١٦٩٩٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله »، رجلان خرجا على ملأٍ قُعُود فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدقن ! فلما رزقهم بخلوا به، « فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه »، حين قالوا : «لنصدقن»، فلم يفعلوا .

١٦٩٩٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ، نحوه .

١٦٩٩٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن » الآية ، قال : هؤلاء صنف من المنافقين ، فلما آتاهم ذلك بخلوا به ، فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقاً إلى يوم يلقونه ، ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو ، كما أصاب إبليس حين منعه التوبة .

* * *

قال أبو جعفر : في هذه الآية ، الإبانةُ من الله جل ثناؤه عن علامةِ أهل النفاق، أعني في قوله: « فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » .

* * *

(١) الأثر : ١٦٩٩٠ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٩٦٩ .

وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين، ورُويت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .[١]

* ذكر بعض من قال ذلك :

١٦٩٩٥ — حدثنا أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبدالرحمن بن يزيد قال، قال عبد الله: اعتبروا المنافق بثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدَر، وأنزل الله تصديقَ ذلك في كتابه: « ومنهم عاهد الله لئن آتانا من فضله » إلى قوله : « يكذبون » .[٢]

١٦٩٩٦ — حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن سماك، عن صبيح بن عبد الله بن عميرة، عن عبد الله بن عمرو قال : ثلاث من كن فيه كان منافقاً: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان . قال : وتلا هذه الآية : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين »، إلى آخر الآية .[٣]

---

(١) فى المطبوعة : « ووردت به » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٦٩٩٥ — « عمارة » ، هو « عمارة بن عمير التيمى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٣٢٩٤ ، ٥٧٨٩ ، ١٥٣٥٩ .

و « عبد الرحمن بن يزيد النخعى » ، تابعى ثقة ، روى له الجماعة . مضى برقم : ٣٢٩٤ ، ٣٢٩٥ ، ٣٢٩٩ .

و « عبد الله » ، إنما يعنى « عبد الله بن مسعود » .

وهذا خبر صحيح الإسناد ، موقوف على ابن مسعود ، ولم أجده مرفوعاً عنه . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ١٠٨ ، بلفظه هذا ، وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح » . وذكر قبله حديثاً نحوه ، ليس فيه الآية : « عن عبد الله ، يعنى ابن مسعود ، عن النبى صلى الله عليه وسلم » ، ثم قال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح » .

(٣) الأثر : ١٦٩٩٦ — هذا الخبر ، يأتى بإسناد آخر بعده .

و « صبيح بن عبد الله بن عميرة » و « صبيح بن عبد الله العبسى » ، فى الذى يليه . وقد سلف برقم : ١٢٧٤١ ، ١٢٧٤٢ ، وسلف أن البخارى ترجم له فى الكبير ٢/٢/٣١٩ ، باسم « صبيح بن عبد الله » ، زاد فى الإسناد « العبسى » ، وعلق المعلق هناك أنه فى ابن ماكولا : « صبيح ابن عبد الله بن عمير التغلبى » والذى قاله الطبرى هنا « عميرة » ، ولم أجد ما أرجح به ، وترجم له ابن أبى حاتم ٢/١/٤٤٩ ، ولم يذكروا له رواية عن « عبد الله بن عمرو » ، وكان فى المطبوعة

١٦٩٩٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت صبيح بن عبد الله العبسيّ يقول : سألت عبد الله بن عمرو عن المنافق ، فذكر نحوه .[1]

١٢٣/١٠

١٦٩٩٨ – حدثني محمد بن معمر قال، حدثنا أبو هشام المخزومى قال ، حدثنا عبد الواحد بن زياد قال ، حدثنا عثمان بن حكيم قال ، سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث : بالكذب، والإخلاف ، والخيانة، فالتمستُها فى كتاب الله زماناً لا أجدُها ، ثم وجدتها فى اثنتين من كتاب الله ،[2] قوله : « ومنهم من عاهد الله» حتى بلغ « وبما كانوا يكذبون»، وقوله : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة الأحزاب : ٧٢] ، هذه الآية.

١٦٩٩٩ – حدثني القاسم بن بشر بن معروف قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا محمد المحرم قال : سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هنا « عبد الله بن عمر » ، وأظنه خطأ ، يدل عليه ما فى الخبر بعده . (وانظر ما يلى) .

وهذا الخبر بهذا الإسناد نقله أخى السيد أحمد فى شرحه على المسند ، فى مسند « عبد الله ابن عمرو بن العاص » رقم : ٦٨٧٩ ، ثم قال : « ورواه الحافظ أبو بكر الفريابى فى كتاب صفة النفاق (ص : ٥٠ – ٥١) ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن غندر ، عن شعبة ، عن سماك ابن حرب ، عن صبيح بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمرو» ، ثم ساق الخبر ، بنحوه ، ثم قال : « وهذا موقوف ، وإسناده صحيح ، وهو شاهد جيد لهذا الحديث ، لأنه مثله مرفوع حكماً . وصبيح ابن عبد الله ، بضم الصاد ، تابعى كبير ، أدرك عثمان وعلياً . وترجمه البخارى فى الكبير ٢/٢/٣١٩ ، ولم يذكر فيه جرحاً » .

وحديث المسند ، حديث مرفوع .

وحديث آية المنافق ، رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ١ : ٨٣ ، ٨٤) من حديث أبى هريرة ، وعبد الله بن عمرو . ورواه مسلم فى صحيحه (٢ : ٤٦ – ٤٨) ، من حديث عبد الله بن عمرو ، وأبى هريرة .

(١) الأثر : ١٦٩٩٧ – « صبيح بن عبد الله العبسى » ، انظر ما سلف رقم : ١٦٩٩٦ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة « القيسى » بالقاف والياء ، وصححته من المراجع ، ومما سلف رقم : ١٢٧٤١ ، ١٢٧٤٢ .

(٢) فى المطبوعة : « فى آيتين » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، والذى رجح ذلك عندى ، أن الذى ذكره بعد هذا ، ثلاث آيات من سورة التوبة ، وآية من سورة الأحزاب ، فهذه أربعة . ولكنه أراد فى سورتين من القرآن ، أو نحو ذلك .

ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان. فقلت للحسن : يا أبا سعيد ، لئن كان لرجل عليَّ دين فلقيني فتقاضاني ،وليس عندى ، وخفت أن يحبسني ويهلكني ، فوعدته أن أقضيه رأسَ الهلال ، فلم أفعل ، أمنافق أنا ؟ قال : هكذا جاء الحديث! ثم حدّث عن عبد الله بن عمرو : أن أباه لما حضره الموت قال : زوِّجوا فلاناً ، فإني وعدته أن أزوجه ، لا ألقى الله بثُلُثِ النفاق ! قال قلت : يا أبا سعيد ، ويكون ثُلُث الرجل منافقاً ، وثلثاه مؤمن ؟ قال : هكذا جاء الحديث قال : فحججت فلقيت عطاء بن أبي رباح ، فأخبرته الحديثَ الذى سمعته من الحسن ، وبالذى قلت له وقال لى ، فقال لى :[1] أعجزت أن تقول له : أخبرنى عن إخوة يوسف عليه السلام ، ألم يعدوا أباهم فأخلفوه ، وحدّثوه فكذبوه ، وأتمنهم فخانوه ، أفمنافقين كانوا ؟ ألم يكونوا أنبيـــاء ؟ أبوهم نبيٌّ ، وجدُّهم نبي ؟ قال : فقلت لعطاء : يا أبا محمد ، حدّثني بأصل النفاق ، وبأصل هذا الحديث . فقال : حدثني جابر ابن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا الحديث فى المنافقين خاصَّة ، الذين حدّثوا النبي فكذبوه ، وأتمنهم على سرّه فخانوه ، ووعدوه أن يخرجوا معه فى الغزو فأخلفوه . قال : وخرج أبو سفيان من مكة ، فأتى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا ، فاخرجوا إليه ، واكتموا. قال : فكتب رجل من المنافقين إليه : « إن محمداً يريدكم ، فخذوا حذركم ». فأنزل الله : ﴿لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، [سورة الأنفال : ٢٧] . ، وأنزل فى المنافقين : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » ، إلى : « فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » ، فإذا لقيت الحسن فأقرئه السلام ، وأخبره بأصل هذا الحديث ، وبما قلت

(١) فى المطبوعة : « فقال » ، أسقط « لى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

لك . قال : فقدمت على الحسن فقلت : يا أبا سعيد ، إن أخاك عطاءً يقرئك السلام ، فأخبرته بالحديث الذى حدث ، وما قال لى ، فأخذ الحسن بيدى فأشالها ،(١) وقال : يا أهل العراق ، أعجزتم أن تكونوا مثلَ هذا ؟ سمع منى حديثاً فلم يقبله حتى استنبط أصله ، صدق عطاء ، هكذا الحديث ، وهذا فى المنافقين خاصة .(٢)

١٧٠٠٠ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا يعقوب ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كن فيه ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ، فهو منافق . فقيل له : ما هى يا رسول الله ؟ فقال النبى عليه السلام : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان .

١٧٠٠١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين ، قال ، حدثنا مبشّر ، عن الأوزاعى ، عن هرون بن رياب ، عن عبد الله بن عمرو بن وائل : أنه لما حضرته الوفاة قال : إنّ فلاناً خطب إلىّ ابنتى ، وإنى كنت قلت له فيها قولاً شبيهاً بالعِدَة ، والله لا ألقى الله بثُلُث النفاق ، وأشهدكم أنى قد زوّجته .(٣)

* * *

(١) فى المطبوعة : «فأمالها» ، وهو لا معنى له البتة . وفى المخطوطة : «فأسالها» ، غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . يقال : «شالت الناقة بذنبها وأشالته» ، رفعته . ويقال : «أشال الحجر ، وشال به ، وشاوله» ، رفعه ، ويقال : «شال السائل بيديه» ، إذا رفعهما يسأل بهما .

(٢) الأثر : ١٦٩٩٩ – «القاسم بن بشر بن أحمد بن معروف» ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١٠٥٠٩ ، ١٠٥٣١ .

و «شبابة» ، هو «شبابة بن سوار الفزارى» ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٢٨٥١ ، وقبله . وكان فى المطبوعة : «أسامة» ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فحرفه تحريفاً منكراً .

و «محمد المحرم» ، هو «محمد بن عمر المحرم» ويقال هو : «محمد بن عبد الله بن عبيد ابن عمير الليثى» ، وهومنكرالحديث. سلف بيان حاله برقم: ١٥٩٢٢، تفصيلا، ومواضع ترجمته. وكان فىالمطبوعة: «محمد المخرمى» ، غير ما فى المخطوطة بلا دليل ولا بيان ، وهوإساءة وخطأ .

وهذا خبر منكر جداً ، أشار إليه البخارى فى التاريخ الكبير ١/١/٢٤٨ فى ترجمة «محمد المحرم» ، قال : «عن عطاء ، والحسن . منكر الحديث : إذا وعد أخلف ، سمع منه شبابة» ، يعنى هذا الخبر .

(٣) الأثر : ١٧٠٠١ – «مبشر» ، هو «مبشر بن إسماعيل الحلبى» ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، روى الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/١١ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٣٤٣ . وكان فى المطبوعة : «ميسرة»، تصرف تصرفاً معيباً ، وفى المخطوطة : «مسر» غير منقوطة .

وقال قوم : كان العهد الذى عاهد الله هؤلاء المنافقون، شيئاً نووه فى أنفسهم، ولم يتكلموا به .

* ذكر من قال ذلك :

١٠/١٣٤

١٧٠٠٢ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال : سمعت معتمر بن سليمان التيمى يقول: ركبت البحرَ، فأصابنا ريحٌ شديدة، فنذر قوم منا نذوراً، ونويت أنا، لم أتكلم به. فلما قدمت البصرة سألت أبى سليمانَ فقال لى : يابُنَىّ، فِ به.[1]

= قال معتمر : وحدثنا كهمس ، عن سعيد بن ثابت قال قوله : « ومنهم من عاهد الله »، الآية ، قال : إنما هو شىء نووه فى أنفسهم ولم يتكلموا به، ألم تسمع إلى قوله: « ألم يعلموا أن الله يعلم سِرَّهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب » ؟[2]

* * *

و « هرون بن رياب التميمى الأسيدى » ، كان من العباد ، ممن يخفى الزهد . ثقة . قال ابن حزم : « اليمان ، وهرون ، وعلى ، بنو رياب = كان هرون من أهل السنة ، واليمان من أئمة الخوارج ، وعلى من أئمة الروافض ، وكانوا متعادين كلهم » ! ! مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢١٩ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٨٩ .

وأما « عبد الله بن عمرو بن وائل » ، فهذا غريب ولكنه صحيح ، فإنه « عبد الله بن عمرو ابن العاص بن وائل » ، فلا أدرى لم فعل ذلك فى سياق اسمه ، إلا أن يكون سقط من الناسخ .

هذا ، وقد كان الإسناد فى المطبوعة هكذا : « حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال حدثنا ميسرة » ، وقد صححت « ميسرة » قبل ، أما « قال حدثنى حجاج عن ابن جريج » ، فقد كتبها ناسخ المخطوطة ، ولكنه ضرب عليها ضربات بالقلم ، يعنى بذلك حذفها ، ولكن الناشر لم يعرف اصطلاحهم فى الضرب على الكلام ، فأثبت ما حذفته .

(١) فى المطبوعة : « فه به » ، ولا يقال ذلك إلا عند الوقف ، والصواب « ف » على حرف واحد ، أمراً من « وفى يفى » . وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٧٠٠٢ - « كهمس بن الحسن التيمى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٣٩ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٧٠ .

و « سعيد بن ثابت » ، هكذا هو فى المخطوطة ، ولم أجد له ذكراً فيما بين يدى من كتب الرجال ، وأخشى أن يكون قد دخله تحريف .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرًّا، ويظهرون الإيمان بهما لأهل الإيمان بهما جهراً = «أن الله يعلم سرهم»، الذى يسرُّونه فى أنفسهم ، من الكفر به وبرسوله = «ونجواهم»، يقول : « ونجواهم»، إذا تناجوا بينهم بالطعن فى الإسلام وأهله، وذكرِهم بغير ما ينبغى أن يُذكروا به، فيحذروا من الله عقوبته أن يحلَّها بهم، وسطوته أن يوقعها بهم ، على كفرهم بالله وبرسوله ، وعيبهم للإسلام وأهله، فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه = « وأن الله علام الغيوب » ، يقول : ألم يعلموا أن الله علاّم ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسّهم ، مما أكنّته نفوسهم، فلم يظهرْ على جوارحهم الظاهرة، فينهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب ، ويزجرهم عن إضمار غير ما يبدونه ، وإظهار خلاف ما يعتقدونه ؟[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذين يلمزون المطوّعين فى الصدقة على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجبه الله عليهم فى أموالهم ، ويطعنون فيها عليهم

(١) انظر تفسير « علام الغيوب » فيما سلف ١١ : ٢٣٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

بقولهم: « إنما تصدقوا به رياءً وسُمْعة، ولم يريدوا وجه الله »[١] = ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدّقون به إلا جهدهم، وذلك طاقتهم، فينتقصونهم ويقولون: « لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيًّا! »، سخريةً منهم بهم = « فيسخرون منهم سخر الله منهم ».

* * *

وقد بينا صفة « سخرية الله »، بمن يسخر به من خلقه، في غير هذا الموضع، بما أغنى عن إعادته ههنا.[٢]

* * *

=« ولهم عذاب أليم »، يقول: ولهم من عند الله يوم القيامة عذابٌ موجع مؤلم.[٣]

* * *

وذكر أن المعنيّ بقوله: « المطوعين من المؤمنين »، عبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدى الأنصارى = وأن المعنيّ بقوله: « والذين لا يجدون إلا جهدهم »، أبو عقيل الأراشيّ، أخو بني أنيف.

* ذكر من قال ذلك:

١٧٠٠٣ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات »، قال: جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام، فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلاّ رياءً! وقالوا: إن كان الله ورسولُه لَغَنِيَّيْنِ عن هذا الصاع!

---

(١) انظر تفسير « اللمز » فيما سلف ص: ٣٠٠، ٣٠١.
= وانظر تفسير « التطوع » فيما سلف ٣ : ٢٤٧، ٤٤١، وسيأتي تفسيره بعد قليل ص: ٣٩٢، ٣٩٣.

(٢) لم يمض تفسير « سخر »، وإنما عنى أبو جعفر قوله تعالى في سورة البقرة: « الله يستهزئُ بهم »، انظر ما سلف ١ : ٣٠١ - ٣٠٦.

(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم).

١٧٠٠٤ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس يوماً فنادى فيهم : أن اجمعوا صدقاتكم ! فجمع الناس صدقاتهم . ثم جاء رجل من آخرهم بِمَنٍّ من تمر ،[1] فقال : يا رسول الله ، هذا صاع من تمرٍ ، بِتُّ ليلتى أجرُّ بالجرير الماءَ ،[2] حتى نلت صاعين من تمرٍ ، فأمسكت أحدَهما ، وأتيتك بالآخر . فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره فى الصدقات . فسخر منه رجال وقالوا : « والله إن الله ورسوله لغنيَّان عن هذا ! وما يصنعان بصاعك من شىء » ! ثم إن عبد الرحمن بن عوف ، رجل من قريش من بنى زهرة ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل بقى من أحدٍ من أهل هذه الصدقات ؟ فقال : لا ! فقال عبد الرحمن بن عوف : إن عندى مئة أوقية من ذهب فى الصدقات . فقال له عمر بن الخطاب : أمجنون أنت ؟ فقال : ليس بى جنون ! فقال : فعلتَمنا ما قلت ؟[3] قال : نعم ! مالى ثمانية آلاف ، أما أربعة آلافٍ فأقرضها ربى ، وأما أربعة آلاف فلى ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت ! وكره المنافقون فقالوا : « والله ما أعطى عبد الرحمن بن عوف عطيَّته إلاَّ رياءً » ! وهم كاذبون ، إنما كان به متطوِّعاً ، فأنزل الله عذرَه وعذرَ صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر ، فقال الله فى كتابه : « الذين يلمزون المطوِّعين من المؤمنين فى الصدقات » ، الآية .

١٠/١٣٥

(١) فى المطبوعة : « من أحوجهم بمن من تمر » ، غير ما فى المخطوطة بلا طائل ، و « المن » مكيال .

(٢) « الجرير » ، الحبل ، وأراد أنه أنه كان يسقى الماء بالحبل .

(٣) فى المطبوعة : « أتعلم ما قلت » ، وفى المخطوطة : « أفعلمنا ما قلت » ، وهذا صواب قراءتها .

١٧٠٠٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين » ، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف ، فلمزه المنافقون وقالوا : « راءَى ! » = « والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، قال : رجل من الأنصار آجرَ نفسه بصاع من تمر ، لم يكن له غيره ، فجاء به فلمزوه ، وقالوا : كان الله غنيًّا عن صاع هذا !

١٧٠٠٦ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٠٠٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٠٠٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين »، الآية، قال : أقبل عبد الرحمن ابن عوف بنصف ماله ، فتقرَّب به إلى الله ، فلمزه المنافقون فقالوا : ما أعطى ذلك إلا رياء وسمعة! فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له« حبحاب ، أبو عقيل» (١)

---

(١) « حبحاب » ، ذكره ابن حجر فى الإصابة فى « حبحاب » ، ثم قال : « قيل فيه بموحدتين ، والأشهر بمثلثتين ، وسيأتى » ولم يذكره فى « حثحاث » كما يدل عليه تعقيبه هذا، وإنما ذكره فى « جثجاث » بالجيم والثاء المثلثة فيما سلف قبله ، وقال هناك : « قيل : هو اسم أبى عقيل ، صاحب الصاع ، ضبطه السهيلى تبعاً لابن عبد البر ، وضبطه غير بالحاء المهملة . وقيل فى اسمه غير ذلك . وتأتى ترجمته فى الكنى » . بيد أن الحافظ ابن حجر قال فى فتح البارى ٨ : ٢٤٩ : « وذكر السهيلى أنه رآه بخط بعض الحفاظ مضبوطاً بجيمين » .

ولم أجد فى الاستيعاب لابن عبد البر ضبطاً له ، وهو مترجم هناك فى « أبو عقيل صاحب الصاع » ص : ٦٧٣ ، وهو فى مطبوعة الاستيعاب بالحاء والثاء المثلثة من ضبط مصححه . وفى السهيلى (الروض الأنف ٢ : ٣٣١) : « جثجاث » ، بالجيم والثاء .

وأما صاحب أسد الغابة فترجم له فى « أبو عقيل ، صاحب الصاع » (٥ : ٢٥٧) ، ولم يضبطه ، وهو محرف فى المطبوعة . ولكنه أورده فى « حبحاب » (بالحاء والباء) ، وقال : هو أبو عقيل الأنصارى . أسد الغابة ١ : ٣٦٦ .

وترجم له ابن سعد فى الطبقات ٤١/٢/٣ فى « بنى أنيف بن جشم بن عائذ الله ، من بلى ،

فقال : يا نبي الله، بِتُّ أجرُّ الجرير على صاعين من تمر ، أما صاع فأمسكته لأهلي ، وأما صاع فهاهوذا ! فقال المنافقون : « والله إن الله ورسوله لغنيَّان عن هذا ! » . فأنزل الله في ذلك القرآن : « الذين يلمزون » ، الآية .

١٧٠٠٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، قال : تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله، وكان ماله ثمانية آلاف دينار ، فتصدق بأربعة آلاف دينار ، فقال ناس من المنافقين : إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء ! فقال الله: « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات» = وكان لرجل صاعان من تمر ، فجاء بأحدهما ، فقال ناس من المنافقين : إن

حلفا بني جحجبا بن كلفة » وقال : « أبو عقيل ، واسمه عبد الرحمن الإراشي الأنيفي » ، ولم يذكر خبر الصاع .

هذا ، وقد استوفى الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨ : ٢٤٩ ، ذكر « أبي عقيل » ، فذكر الاختلاف في صاحب الصاع ، وهذا ملخصه :

الأول : أنه « الحبحاب ، أبو عقيل » ، وذكر ما رواه الطبري هنا وفيما سيأتي ، وما رواه غيره .

الثاني : أنه « سهل بن رافع » ، وحجته فيه ، خبر رواه الطبراني في الأوسط من طريق سعيد ابن عثمان البلوي ، « عن جدته بنت عدي أن أمهما عميرة بنت سهل بن رافع صاحب الصاع الذي لمزه المنافقون » ، وهكذا قال ابن الكلبي .

الثالث : من طريق عكرمة : أنه « رفاعة بن سهل بن رافع »، وقال: وعند أبي حاتم « رفاعة ابن سعد » ، ويحتمل أن يكون تصحيفاً ، ويحتمل أن يكون اسم « أبي عقيل » « سهل » ، ولقبه « حبحاب » = أو هما اثنان من الصحابة .

الرابع : في الصحابة « أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة البلوي » ، بدري ، لم يسمه موسى ابن عقبة ، ولا ابن إسحق ، وسماه الواقدي « عبد الرحمن » . قال : واستشهد باليمامة . قال : وكلام الطبري يدل على أنه هو صاحب الصاع عنده . وتبعه بعض المتأخرين ، والأول أولى .

الخامس : أنه « عبد الرحمن بن سمحان » ؟ ؟ (هكذا جاء) .

السادس : أن صاحب الصاع هو « أبو خيثمة » : « عبد الله بن خيثمة ، من بني سالم ، من الأنصار » ، ودليله ما جاء في حديث توبة كعب بن مالك، وانظر الأثر رقم :١٧٠١٦ .

السابع : عن الواقدي أن صاحب الصاع ، هو « علية بن زيد المحاربي » .

وقال الحافظ : « وهذا يدل على تعدد من جاء بالصاع » .

وهذا اختلاف شديد ، يحتاج إلى فضل تحقيق ومراجعة ، قيدته هنا ليكون تذكرة لمن أراد تتبعه وتحقيقه .

كان الله عن صاع هذا لغنيًّا ! فكان المنافقون يطعنون عليهم ويسخرون بهم ، فقال الله : « والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .

١٧٠١٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال الأنماطي قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن [عمر بن] أبي سلمة ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تصدقوا ، فإني أريد أن أبعث بعثاً . قال : فقال عبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ، إن عندي أربعة آلاف ، ألفين أقرضهما الله ، وألفين لعيالي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أعطيت ، وبارك لك فيما أمسكت ! فقال رجل من الأنصار : وإن عندي صاعين من تمرٍ ، صاعاً لربي ، وصاعاً لعيالي ! قال : فلمز المنافقون وقالوا : ما أعطى ابن عوف هذا إلاّ رياءً ! وقالوا : أو لم يكن الله غنيًّا عن صاع هذا ! فأنزل الله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين » ، إلى آخر الآية .(١)

١٧٠١١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن

---

(١) الأثر : ١٧٠١٠ — « أبو عوانة » ، هو « الوضاح بن عبد الله اليشكري » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى برقم : ٤٤٩٨ ، ١٠٣٣٦ ، ١٠٣٣٧ .

و « عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، يضعف ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٧٥٥ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « أبو عوانة ، عن أبي سلمة »، وهو خطأ لا شك فيه ، صوابه من إسناده في تفسير ابن كثير ، ومن مجمع الزوائد .

وأبوه « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخر : ١٢٨٢٢ .

خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٢ ، عن أبي سلمة ، وعن أبي هريرة ، ثم قال : « رواه البزار من طريقين : إحداهما متصلة عن أبي هريرة ، والأخرى عن أبي سلمة مرسلة . قال : ولم نسمع أحداً أسنده من حديث عمر بن أبي سلمة ، إلا طالوت بن عباد . وفيه عمر بن أبي سلمة ، وثقة العجلي ، وأبو خيثمة وابن حبان ، وضعفه شعبة وغيره . وبقية رجالها ثقات » .

وحديث البزار رواه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢١٢ ، ٢١٣ ، وهذا إسناده : « قال الحافظ أبو بكر البزار ، حدثنا طالوت بن عباد ، حدثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة » ، وساق الخبر . ثم قال ابن كثير : « ثم رواه عن أبي كامل ، عن أبي عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه مرسلا . قال : ولم يسنده أحد إلا طالوت » .

ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات » ، قال : أصاب الناس جَهْدٌ شديد ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدّقوا ، فجاء عبد الرحمن بأربعمائة أوقية ، ١٠/١٣٦ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك له فيما أمسك . فقال المنافقون : ما فعل عبد الرحمن هذا إلاّ رياء وسمعة ! قال : وجاء رجل بصاع من تمر ، فقال : يا رسول الله ، آجرت نفسى بصاعين ، فانطلقت بصاع منهما إلى أهلى ، وجئت بصاع من تمر . فقال المنافقون : إن الله غنىٌّ عن صاع هذا ! فأنزل الله هذه الآية : « والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .[1]

١٧٠١٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات » ، الآية ، وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات ،[2] عبد الرحمن بن عوف ، تصدق بأربعة آلاف دينار ، وعاصم بن عدى أخا بنى العَجلان ،[3] وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغّب فى الصدقة ، وحضّ عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى فتصدق بمئة وَسْقٍ من تمر ، فلمزوهما وقالوا : ما هذا إلا رياء ! وكان الذى تصدّق بجهده : أبو عقيل ، أخو بنى أنيف ، الأراشى ، حليف بنى عمرو بن عوف ،[4] أتى بصاع من تمر فأفرغه فى الصدقة ، فتضاحكوا به وقالوا : إن الله لغنىٌّ عن صاع أبى عقيل !![5]

---

(١) الأثر : ١٧٠١١ — « عبد الرحمن بن سعد » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكى الرازى » ، مضى برقم : ١٠٦٦٦ ، ١٠٨٥٥ .

(٢) فى المطبوعة : « من المطوعين » ، وكان فى المخطوطة قد كتب « وكان المطوعين » ، ثم عاد بالقلم على الياء فجعلها واواً ، فتصرف الناشر ولم يبال بفعل الناسخ . والذى أثبته مطابق لما فى السيرة . ولذلك غير الناسخ ما بعده فكتب ، « أخو بنى العجلان » ، غير ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « أخو بنى عجلان » ، تصرف تصرفاً معيباً .

(٤) قوله : « الأراشى ، حليف بنى عمر بن عوف » ، ليس فى المطبوع من سيرة ابن هشام ، وانظر التعليق السالف ص : ٣٨٤ ، رقم : ١

(٥) الأثر : ١٧٠١٢ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٩٩٠ .

١٧٠١٣ - حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو النعمان الحكم عبدالله قال، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن أبي وائل، عن أبي مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل[1] = قال أبو النعمان : كنا نعمل = قال : فجاء رجل فتصدق بشيء كثير. قال: وجاء رجل فتصدق بصاع تمر، فقالوا: إن الله لغنيٌّ عن صاع هذا! فنزلت: «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم». [2]

١٧٠١٤- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن حباب، عن موسى بن عبيدة قال، قال حدثني خالد بن يسار، عن ابن أبي عقيل، عن أبيه قال: بتُّ أجرُّ الجرير على ظهري على صاعين من تمر[3]، فانقلبتُ بأحدهما إلى أهلي يتبلَّغون به،[4] وجئت بالآخر أتقرَّب به، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.[5] فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: انثره فى الصدقة. فسخر المنافقون منه. وقالوا:

---

(١) قوله «كنا نحامل»، من «المحاملة» وفسره الحافظ ابن حجر فى الفتح فقال: «أى نحمل على ظهورنا بالأجرة. يقال: حاملت، بمعنى: حملت، كسافرت. وقال الخطابى: يريد: نتكلف الحمل بالأجرة، لنكسب ما نتصدق به. ويؤيده فى الرواية الثانية التى بعده - يعنى فى البخارى - حيث قال: انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل، أى: يطلب الحمل بالأجرة».

ويبين هذا أيضاً، تفسير أبى النعمان بقوله: «كنا نعمل»، وهو تفسير فيما أرجح، لا رواية أخرى فى الخبر.

(٢) الأثر: ١٧٠١٣ - «أبو النعمان»، «الحكم بن عبد الله الأنصارى»، ثقة، قال البخارى: «حديثه معروف، كان يحفظ». وليس له فى صحيح البخارى غير هذا الحديث. مترجم فى التهذيب.

و«أبو مسعود»، هو «أبو مسعود الأنصارى البدرى»، واسمه «عقبة بن عمرو بن ثعلبة»، صاحب رسول الله، شهد العقبة. وكان فى المخطوطة: «عن ابن مسعود»، وهو خطأ صرف.

وهذا الخبر، رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٣ : ٢٢٤) من طريق عبيد الله بن سعيد، عن أبى النعمان الحكم بن عبد الله البصرى، بمثله، وفيه زيادة بعد قوله: «بشيء كثير»، هى «فقالوا: مرائى».

ثم رواه البخارى أيضاً فى صحيحه (الفتح ٨ : ٢٤٩) من طريق بشر بن خالد، عن محمد ابن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، عن أبى وائل، عن أبى مسعود، بغير هذا اللفظ، وفيه التصريح باسم «أبى عقيل» الذى أتى بنصف صاع. ومن هذه الطريق رواه مسلم فى صحيحه ٧ : ١٠٥.

ثم انظر: ص: ٣٨٩، تعليق رقم: ١.

(٣) «الجرير»: الحبل، وسلف شرحه ص: ٣٨٣، تعليق: ٢.

(٤) «تبلغ ببعض الطعام»، أى: اكتفى به من كثيره، حتى يبلغ ما يشبعه.

(٥) قوله: «إلى رسول الله»، متعلق بقوله: «جئت»، لا بقوله: «أتقرب به»،

لقد كان الله غنيًّا عن صدقة هذا المسكين ! فأنزل الله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات » ، الآيتين .[1]

١٧٠١٥ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا الجريرى ، عن أبى السليل قال : وقف على الحىّ رجل ،[2] فقال : حدثنى أبى أو عمى فقال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : من يتصدق اليوم بصدقة أشهدُ له بها عند الله يوم القيامة ؟ قال : وعلىَّ عمامة لى . قال : فنزعت لَوْثًا أو لوثين لأتصدق بهما ،[3] قال : ثم أدركنى ما يدرك ابن آدم ، فعصبت بها رأسى . قال : فجاء

أى : جئت به إلى رسول الله ، أتقرب به إلى الله .

(١) الأثر : ١٧٠١٤ — « موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى » ، ضعيف بمرة ، لا تحل الرواية عنه ، كما قال أحمد . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٨١١ .

وأما « خالد بن يسار » ، الذى روى عن ابن أبى عقيل ، وروى عنه « موسى بن عبيدة » ، فلم أجد له ترجمة ولا ذكر . وهناك « خالد بن يسار » ، روى عن أبى هريرة ، روى عنه شعيب ابن الحبحاب ، ولا أظنه هو هو ، وهذا أيضاً قالوا : هو مجهول .

وأما « ابن أبى عقيل » ، فاسمه « رضى بن أبى عقيل » ، مترجم فى الكبير ٢/١/٣١٣ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٥٢٣ ، قالا : « روى عن أبيه ، وروى عنه محمد بن فضيل » ، ولم يذكر فيه جرحاً .

و « أبو عقيل » ، مضى ذكره ، وهو مترجم فى الكنى للبخارى : ٦٢ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٤١٦ ، وقالا : روى عنه ابنه : رضى بن أبى عقيل .

وهذا خبر ضعيف الإسناد جداً ، لضعف « موسى بن عبيدة » ، وللمجهول الذى فيه ، وهو « خالد بن يسار » .

بيد أن الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٢ ، ٣٣ ، روى هذا الخبر ، بنحو لفظه ، ثم قال : « رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات ، إلا خالد بن يسار ، لم أجد من وثقه ولا جرحه » . فلا أدرى أرواه عن « خالد بن يسار » ، أحد غير « موسى بن عبيدة » فى إسناد الطبرانى ، أم رواه « موسى ابن عبيدة » ، فإن يكن « موسى » هو راويه ، فقد سلف مراراً أن ضعفه الهيثمى . والظاهر أنه من رواية « موسى » ، لأن رأيت ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢١٣ ، نقل هذا الخبر عن الطبرى ، ثم قال : « وكذا رواه الطبرانى من حديث زيد بن الحباب ، به . وقال : اسم أبى عقيل حباب (حبحاب) ، ويقال : عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة » (انظر ص : ٣٨٣ ، تعليق : ٢ . فهذا دال على أن فى إسناد الطبرانى « موسى بن عبيدة » ، الضعيف بمرة .

(٢) فى المسند : « وقف علينا رجل فى مجلسنا بالبقيع » ، واختلف لفظ الخبر بعد .

(٣) « لاث العمامة على رأسه ، يلوثها » أى : عصبها ولفها وأدارها . و « اللوث » : اللفة من لفائف العمامة .

رجل لا أرى بالبقيع رجلاً أقصرَ قِمَّة، [١] ولا أشدَّ سواداً، ولا أدَمَّ بعينٍ منه، [٢] يقود ناقة لا أرى بالبقيع أحسن منها ولا أجمل منها . قال : أصدقةٌ هي، يا رسول الله ؟ قال : نعم ! قال : فدُونَكها ! [٣] فألقى بخطامها = أو : بزمامها [٤] = قال : فلمزه رجل جالسٌ فقال : والله إنه ليتصدّق بها ، ولهي خيرٌ منه ! فنظر إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بل هو خير منك ومنها ! [٥] يقول ذلك ثلاثاً صلى الله عليه وسلم . [٦]

١٧٠١٦ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك يقول : الذي تصدّق بصاع التمر فلمزه المنافقون : « أبو خيثمة الأنصاري » . [٧]

---

(١) « القمة » بالكسر ، شخص الإنسان إذا كان قائماً ، وهي « القامة » . وهذا هو المراد هنا . و « القمة » أيضاً ، رأس الإنسان ، وليس بمراد هنا .

(٢) في المطبوعة : « ولا أذم لعيني منه » ، وهو فاسد ، غير ما في المخطوطة . وهذه الجملة في مسند أحمد محرفة : « ولا آدم يعير بناقة » ، وفي تفسير ابن كثير نقلا عن المسند : « ولا أذم ببعير ساقه » ، فزاده تحريفاً . والصواب ما في تفسير الطبري .

« ولا أدم » من « الدمامة » ، « دم الرجل يدم دمامة » ، وهو القصر والقبح . وفي حديث ابن عمر : « لا يزوجن أحدكم ابنته بدميم » .

(٣) « دونكها » ، أي : خذها .

(٤) في المخطوطة : « فألقى الله بخطامها أو بزمامها » ، وهو خطأ ظاهر ، صوابه ما أثبت . ولكن ناشر المطبوعة حذف فكتب : « فألقى بخطامها » .

(٥) في المطبوعة والمخطوطة : « يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم » ، وهو تحريف من الناسخ ، وصوابه ما أثبت ، وذلك أنه رأى في النسخة التي نقلنا عنها : « يقول ذلك ثلثا » فقرأها « نبينا » ، وصوابه « ثلثاً » ، كما كانو يكتبونها بحذف الألف . واستظهرت ذلك من حديث أحمد في المسند قال : « ثلاث مرات » .

(٦) الأثر : ١٧٠١٥ — « أبو السليل » ، هو : « ضريب بن نقير بن سمير القيسي الجريري » ، ثقة . روى عن سعيد الجريري وغيره . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٤٣ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٤٧٠ .

وهذا الخبر رواه أحمد في المسند ٥ : ٣٤ ، ونقله عنه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢١١ ، ٢١٢ ، بزيادة ، واختلاف في بعض لفظه ، كما أشرت إليه آنفاً في التعليقات .

(٧) الأثر : ١٧٠١٦ — « عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري » ، ثقة . مضى برقم : ١٦١٤٧ . وانظر ما سلف ج ١٣ : ٥٦٧ ، تعليق : ١ .

١٧٠١٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا محمد بن رجاء أبو سهل العباداني قال ، حدثنا عامر بن يساف اليمامي ، عن يحيى بن أبي كثير اليمامي قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، مالي ثمانية آلاف ، جئتك بأربعة آلاف ، فأجعلها في سبيل الله، وأمسكت أربعة آلاف لعيالي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت ! وجاء رجل آخر فقال : يا رسول الله ، بتُّ الليلة أجرُّ الماء على صاعين ، فأما أحدهما فتركت لعيالي وأما الآخر فجئتك به ، أجعله في سبيل الله ، فقال : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت ! فقال ناس من المنافقين: والله ما أعطى عبد الرحمن إلا رياءً وسمعة، ولقد كان الله ورسوله غنيَّين عن صاع فلان! فأنزل الله : « الذين يلمزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات»، يعني عبد الرحمن بن عوف : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، يعني صاحب الصاع=« فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .[1] ١٣٧/١٠

١٧٠١٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال ، قال ابن عباس : أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم، وإذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء بأربعة آلاف ، فقال: هذا مالي أقرِضُه الله ، وقد بقي لي مثله . فقال له : بورك لك فيما أعطيت وفيما أمسكت ! فقال المنافقون : ما أعطى إلاّ رياءً ، وما أعطى صاحبُ الصّاع إلا رياءً ، إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا ! وما يصنع الله بصاع من شيء !

---

(١) الأثر : ١٧٠١٧ – « ومحمد بن رجاء » ، « أبو سهل العباداني » ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المراجع .

و « عامر بن يساف اليمامي » ، وهو « عامر بن عبد الله بن يساف » وثقه ابن معين وغيره ، وقال ابن عدي : « منكر الحديث عن الثقات . ومع ضعفه يكتب حديثه ». مترجم في ابن أبي حاتم ٣٢٩/١/٣ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٧ ، وتعجيل المنفعة : ٢٠٦ ، ولسان الميزان ٣ : ٢٢٤ .

و « يحيى بن أبي كثير اليمامي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٧٦٠ .

١٧٠١٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، إلى قوله : « ولهم عذاب أليم » ، قال : أمر النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدّقوا ، فقال عمر بن الخطاب : فألفَى ذلك مالى وافرًا ، فآخذ نصفه.[1] قال : فجئت أحمل مالاً كثيراً . فقال له رجل من المنافقين : ترائِي يا عمر ! فقال : نعم ، أرائى الله ورسوله ،[2] وأما غيرهما فلا ! قال : ورجلٌ من الأنصار لم يكن عنده شيء ، فواجَرَ نفسه ليجرّ الجرير على رقبته بصاعين ليلته ،[3] فترك صاعاً لعياله ، وجاء بصاع يحمله ، فقال له بعض المنافقين : إن الله ورسوله عن صاعك لغنيَّان ! فذلك قول الله تبارك وتعالى : « الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، هذا الأنصارى = « فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .

* * *

وقد بينا معنى « اللمز » في كلام العرب بشواهده وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى .[4]

* * *

وأما قوله : « المطوّعين » ، فإن معناه : المتطوعين ، أدغمت التاء في

---

(١) في المطبوعة : « فقام عمر بن الخطاب ، فألفى مالا وافراً ، فأخذ نصفه » ، لم يحسن قراءة ما في المخطوطة ، فحرف وبدل وحذف ، وأساء بما فعل غاية الإساءة . وإنما هذا قول عمر ، يقول : فألفى هذا الأمر بالصدقة ، مالى وافراً ، فآخذ نصفه .

(٢) في المطبوعة : « فقال عمر : أرائى الله . . . » ، وفي المخطوطة : « فقال نعم : إن الله ورسوله » ، لم يحسن كتابتها ، وأثبت الصواب من الدر المنثور ٣ : ٢٦٣ .

(٣) في المطبوعة : « فآجر نفسه » ، وهي الصواب المحض ، من قولهم : « أجر المملوك يأجره أجراً ، فهو مأجور » و « آجره إيجاراً ، ومؤاجرة » . وأما ما أثبته عن المخطوطة ، فليس بفصيح ، وإنما هو قياس ضعيف على قولهم في : « آمرته » ، « وامرته » ، وقولهم في « آكله » ، « واكله » على البدل ، وذلك كله ليس بفصيح ولا مرضى . وإنما أثبتها لوضوحها في المخطوطة ، ولأنه من الكلام الذي يقال مثله .

(٤) انظر تفسير « اللمز » فيما سلف ص : ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٨٢ .

الطاء ، فصارت طاء مشددة ، كما قيل : ﴿وَمَنْ يَطَّوَّعْ خَيْرًا﴾ [سورة البقرة : ١٥٨] ، [١] يعني : يتطوّع . [٢]

* * *

وأما « الجهد » ، فإن للعرب فيه لغتين . يقال : « أعطاني من جُهْده »، بضم الجيم، وذلك فيما ذكر ، لغة أهل الحجاز = ومن « جَهْدِه » بفتح الجيم ، وذلك لغة نجد . [٣]

وعلى الضم قراءة الأمصار، وذلك هو الاختيار عندنا، لإجماع الحجة من القرأة عليه .

وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية ، فإنهم يزعمون أنها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد ، وإنما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه ، كما اختلفت لغاتهم في « الوَجْد» ، « والوُجْد » بالضم والفتح ، من : « وجدت » . [٣]

* * *

وروى عن الشعبي في ذلك ما : —

١٧٠٢٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن عيسى ابن المغيرة ، عن الشعبي قال : « الجَهْدُ » ، و « الجُهْد » ، الجَهْد في العمل ، والجُهْد في القوت . [٤]

١٧٠٢١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص ، عن عيسى بن المغيرة ، عن الشعبي ، مثله .

---

(١) هذه القراءة ، ذكرها أبو جعفر فيما سلف ٣ : ٢٤٧ ، وهي قراءة عامة قرأة الكوفيين . وأما قراءتنا في مصحفنا اليوم : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ .

(٢) انظر تفسير « التطوع » فيما سلف ٣ : ٢٤٧، ١٤/٤٤١ : ٣٨٢ ، وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤٧ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٦٤ ، وما سلف ص : ٣٨٢

(٤) في المطبوعة ، حذف قوله : « الجهد ، والجهد » وجعل « فالجهد » ، « الجهد » ، وبدأ به الكلام . وأثبت ما في المخطوطة .

١٧٠٢٢ — .... قال ، حدثنا ابن إدريس، عن عيسى بن المغيرة، عن الشعبي قال : الجَهْد في العمل ، والجُهد في القِيتَة .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ادع الله لهؤلاء المنافقين ، الذين وصفت صفاتهم في هذه الآيات(٢) ، بالمغفرة، أو لا تدع لهم بها .

وهذا كلام خرج مخرج الأمر ، وتأويله الخبر ، ومعناه : إن استغفرت لهم ، يا محمد ، أو لم تستغفر لهم ، فلن يغفر الله لهم .

وقوله : « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، يقول : إن تسأل لهم أن تُستَر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها ، وترك فضيحتهم بها، فلن يستر الله عليهم ، ولن يعفو لهم عنها ، ولكنه يفضحهم بها على رؤوس الأشهاد يوم القيامة(٣) = « ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله »، يقول جل ثناؤه : هذا الفعل من الله بهم ، وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم ، من أجل أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله = « والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، يقول : والله لا يوفق للإيمان به وبرسوله ، (٤)

١٠/١٣٨

(١) في المطبوعة : « والجهد في المعيشة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فغيرها . و « القوت » و « القيت » (بكسر القاف) و « القيتة » (بكسر القاف) ، كله واحد ، وهو المسكة من الرزق ، وما يقوم به بدن الإنسان من الطعام .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « وصف صفاتهم » ، وما أثبت أبين .

(٣) انظر تفسير « الاستغفار » و « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

(٤) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

من آثر الكفر به والخروج عن طاعته، على الإيمان به وبرسوله .[١]

* * *

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين نزلت هذه الآية قال : «لأزيدنّ في الاستغفار لهم على سبعين مرة»، رجاءً منه أن يغفر الله لهم، فنزلت : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة المنافقون : ٦].

١٧٠٢٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه : أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال لأصحابه : لولا أنكم تُنْفقون على محمد وأصحابه لانفَضُّوا من حوله ! وهو القائل : ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ [سورة المنافقون : ٨] ، فأنزل الله : «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : لأزيدنّ على السبعين ! فأنزل الله : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ . فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم .

١٧٠٢٤ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن الشعبي قال : دعا عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول النبيَّ صلى الله عليه وسلم إلى جنازة أبيه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ قال : حُباب بن عبد الله بن أبيّ . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول، إن« الحُبَاب »هو الشيطان .[٢] ثم قال النبي عليه السلام : إنه قد قيل لي : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، فأنا أستغفر لهم سبعين وسبعين وسبعين ، وألبسه النبي صلى الله عليه وسلم قميصَه وهو عَرِقٌ .

---

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف: ٣٣٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) « الحباب » (بضم الحاء) ، الحية ، قال ابن الأثير : « ويقع على الحية أيضاً ، كما يقال لها شيطان ، فهما مشتركان فيه » .

١٧٠٢٥ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إن تستغفر لهم سبعين مرة » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سأزيد على سبعين استغفارة! فأنزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون: ﴿لَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ ، عزماً.(١)

١٧٠٢٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٠٢٧ — . . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٧٠٢٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٠٢٩ — . . . . قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن الشعبي قال: لما ثَقُل عبد الله بن أبيّ، انطلق ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: إن أبي قد احتُضِر ، فأحبُّ أن تشهده وتصلّيَ عليه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : الحُباب بن عبد الله . قال : بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ، إن « الحباب » اسم شيطان . قال : فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عَرِق، وصلى عليه ، فقيل له: أتصلي عليه وهو منافق ؟ فقال: إن الله قال: « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، ولأستغفرن له سبعين وسبعين ! = قال هشيم : وأشكُّ في الثالثة .

١٧٠٣٠ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » إلى قوله : « القوم الفاسقين » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية: أسمعُ ربي قد رَخّص لي فيهم، فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة،

(١) « عزما » ، يعني توكيداً ، وحقاً واجباً .

فلعل الله أن يغفر لهم ! فقال الله ، من شدة غضبه عليهم : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة المنافقون : ٦] .

١٧٠٣١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، فقال نبي الله : قد خيَّرني ربي ، فلأزيدنهم على سبعين ! فأنزل الله : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾ ، الآية .

١٧٠٣٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : لما نزلت : « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأزيدنّ على سبعين! فقال الله : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١)

١٣٩/١٠

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فرح الذين خلّفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه =« بمقعدهم خلاف رسول الله »، يقول : بجلوسهم في منازلهم(١)= « خلاف رسول الله »، يقول : على الخلاف لرسول الله في جلوسه

(١) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ٩ : ٨٥/ ١٤ : ٢٧٧

ومقعده. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنَّفْر إلى جهاد أعداء الله ، فخالفوا أمْرَه وجلسوا فى منازلهم .

* * *

وقوله : « خِلافَ » ، مصدر من قول القائل : « خالف فلان فلاناً فهو يخالفه خِلافاً » ، فلذلك جاء مصدره على تقدير « فِعال » ، كما يقال : « قاتله فهو يقاتله قتالاً »، ولو كان مصدراً من «خَلَفه» لكانت القراءة : « بمقعدهم خَلْفَ رسول الله» ، لأن مصدر : « خلفه» ، «خلفٌ» لا « خِلاف »، ولكنه على ما بينت من أنه مصدر : « خالف » ، فقرئ : « خلاف رسول الله »، وهى القراءة التى عليها قرأة الأمصار ، وهى الصواب عندنا .

* * *

وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى : « بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم» ، [1] واستشهد على ذلك بقول الشاعر : [2]

عَقَبَ الرَّبِيعُ خِلَافَهُمْ ، فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا [3]

---

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٦٤ .

(٢) هو الحارث بن خالد المخزومى .

(٣) الأغانى ٣ : ٣٣٦ (دار الكتب) ١٥ : ١٢٨ (ساسى)، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٤ ، واللسان (عقب) ، (خلف) ، من قصيدة روى بعضها أبو الفرج فى أغانيه ، يقوله فى عائشة بنت طلحة تعريضاً ، وتصريحاً ببسرة جاريتها ، يقول قبله :

يَارَبْعِ بُسْرَةَ إن أضَرَّ بِكَ البِلَى فَلَقَدْ عَهِدتُكَ آهِلاً مَعْمُورَا

ورواية أبى الفرج « عقب الرذاذ » ، و « الرذاذ» صغار المطر . وأما « الربيع » ، فهو المطر الذى يكون فى الربيع . قال أبو الفرج الأصبهانى : «وقوله : عقب الرذاذ ، يقول : جاء الرذاذ بعده . ومنه يقال : عقب لفلان غنى بعد فقر = وعقب الرجل أباه : إذا قام بعده مقامه . وعواقب الأمور ، مأخوذة منه ، واحدتها عاقبة ... والشواطب : النساء اللواتى يشطبن لحاء السعف ، يعملن منه الحصر . ومنه السيف المشطب ، والشطيبة : الشعبة من الشىء . ويقال : بعثنا إلى فلان شطيبة من خيلنا ، أى : قطعة » . قلت : وإنما وصف آثار الغيث فى الديار ، فشبه أرضها بالحصر المنمقة ، للطرائق التى تبقى فى الرمل بعد المطر .

وذلك قريبٌ لمعنى ما قلنا ، لأنهم قعدوا بعده على الخلاف له .

* * *

وقوله : « وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله » ، يقول تعالى ذكره : وكره هؤلاء المخلفون أن يغزُوا الكفار بأموالهم وأنفسهم[1] = « فى سبيل الله » ، يعنى : فى دين الله الذى شرعه لعباده لينصروه ،[2] وميلاً إلى الدعة والخفض ، وإيثارًا للراحة على التعب والمشقة ، وشحًّا بالمال أن ينفقوه فى طاعة الله .

* * *

= « وقالوا لا تنفروا فى الحر » ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم استنفرهم إلى هذه الغزوة ، وهى غزوة تبوك ، فى حرٍ شديد ،[3] فقال المنافقون بعضهم لبعض : « لا تنفروا فى الحر » ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » لهم ، يا محمد = « نار جهنم » ، التى أعدّها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله = « أشد حرًّا » ، من هذا الحرّ الذى تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه . يقول : الذى هو أشد حرًّا ، أحرى أن يُحذر ويُتَّقَى ، من الذى هو أقلهما أذًى = « لو كانوا يفقهون » ، يقول : لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظَه ، ويتدبَّرون آى كتابه ،[4] ولكنهم لا يفقهون عن الله ، فهم يحذرون من الحرّ أقله مكروهاً وأخفَّه أذًى ، ويواقعون أشدَّه مكروهاً[5] ، وأعظمه على من يصلاه بلاءً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص : ٣٥٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) انظر تفسير « النفر » فيما سلف ٥٨ : ١٤/٥٣٦ : ٢٥١ ، ٢٥٤

(٤) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ص : ٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « ويوافقون أشده مكروهاً » ، وهو خطأ من الناسخ ، والصواب ما أثبت .

١٧٠٣٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله » إلى قوله : « يفقهون » ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ الناس أن ينبعثوا معه ، وذلك في الصيف ، فقال رجال : يا رسول الله ، الحرُّ شديدٌ ، ولا نستطيع الخروجَ ، فلا تنفر في الحرّ ! فقال الله : « قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون » ، فأمره الله بالخروج .

١٧٠٣٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : « بمقعدهم خلاف رسول الله » ، قال : هي غزوة تبوك . (١)

١٧٠٣٥ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرٍّ شديدٍ إلى تبوك ، فقال رجل من بني سَلِمة : لا تنفروا في الحرّ ! فأنزل الله : « قل نار جهنم » ، الآية .

١٧٠٣٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : [ثم] ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأجمع السير إلى تبوك ، على شدّة الحرّ وجدب البلاد . يقول الله جل ثناؤه : « وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرًّا » . (٢)

* * *

(١) في المطبوعة : « من غزوة تبوك » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٧٠٣٦ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠١٢ . والزيادة بين القوسين منه .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، فليضحكوا فرحين قليلاً فى هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله، ولَهْوِهم عن طاعة ربهم ،فإنهم سيبكون طويلاً فى جهنم مكانَ ضحكهم القليل فى الدنيا = « جزاء » ، يقول : ثواباً منا لهم على معصيتهم ، بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوّهم ، وقعودهم فى منازلهم خلافَ رسول الله[1]= « بما كانوا يكسبون » ، يقول : بما كانوا يجترحون من الذنوب .[2] ١٠/١٤٠

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٣٧ — حدثنى أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن إسمعيل ، عن أبى رزين : « فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً »، قال يقول الله تبارك وتعالى : الدنيا قليل ، فليضحكوا فيها ما شاءوا ، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لاينقطع . فذلك الكثير .

١٧٠٣٨ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن منصور ، عن أبى رزين ، عن الربيع بن خثيم : « فليضحكوا قليلاً » ، قال : فى الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، قال : فى الآخرة .

١٧٠٣٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن ويحيى قالا، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل بن سميع ، عن أبى رزين فى قوله : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » ، قال : فى الآخرة .

١٧٠٤٠ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « الجزاء » ، فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

(٢) انظر تفسير « الكسب » فيما سلف من فهارس اللغة (كسب) .

شعبة،عن منصور ، عن أبي رزين أنه قال فى هذه الآية : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » ، قال : ليضحكوا فى الدنيا قليلاً ،وليبكوا فى النار كثيراً . وقال فى هذه الآية : ﴿وَإِذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ ، [سورة الأحزاب : ١٦] ، قال : إلى آجالهم = أحد هذين الحديثين رفعه إلى ربيع بن خثيم .(١)

١٧٠٤١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ،حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « فليضحكوا قليلاً » ، قال : ليضحكوا فى الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، فى الآخرة ، فى نار جهنم = « جزاء بما كانوا يكسبون » .

١٧٠٤٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ،حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فليضحكوا قليلاً » ، أى : فى الدنيا = «وليبكوا كثيراً » ، أى : فى النار . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً . ذكر لنا أنه نودى عند ذلك ، أو قيل له : لا تُقَنِّط عبادى .

١٧٠٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال ،حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خثيم ، « فليضحكوا قليلاً » ، قال : فى الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، قال : فى الآخرة .

١٧٠٤٤ — . . . . قال ،حدثنا أبو معاوية ، عن إسمعيل بن سميع ، عن أبي رزين : « فليضحكوا قليلاً » ، قال : فى الدنيا ، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع . فذلك الكثير .

١٧٠٤٥ — حدثنا على بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى

---

(١) الأثر : ١٧٠٤٠ — سيأتى هذا الجزء نفسه بإسناده فى تفسيره آية «سورة الأحزاب» . وكان فى المطبوعة هنا : « قال : أجلهم » ، وفى المخطوطة : « قال : آجالهم » ، أسقط « إلى » ، أثبتها من نص الخبر فى تفسير سورة الأحزاب .

وكان فى المطبوعة فى هذا الأثر ، والذى قبله ، وما سيأتى : « الربيع بن خثيم » ، والصواب : « خثيم » ، كما سلف مراراً ، فغيرته ، ولم أنبه عليه .

معاوية، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » ، قال : هم المنافقون والكفار ، الذين اتخذوا دينهم هزُوًا ولعباً . يقول الله تبارك وتعالى : «فليضحكوا قليلاً »، في الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، في النار .

١٧٠٤٦ — حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « فليضحكوا »، في الدنيا ، « قليلاً » = « وليبكوا »، يوم القيامة، «كثيراً» . وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ ، حتى بلغ : ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ، [سورة المطففين : ٢٩ - ٣٦] .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن ردّك الله ، يا محمد ، إلى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه[١]= « فاستأذنوك للخروج » معك في أخرى غيرها = « فقل » لهم = « لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوًّا إنكم رضيتم بالقعود أوّل مرة » ، وذلك عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك[٢]= «فاقعدوا مع الخالفين»، يقول: فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلافَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنكم منهم، فاقتدوا بهديهم،

(١) انظر تفسير « طائفة » فيما سلف ص : ٣٣٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ص : ٣٩٧ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

واعملوا مثل الذى عملوا من معصية الله ، فإنّ الله قد سَخِط عليكم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٤٧ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله ، الحر شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفر فى الحرّ ! = وذلك فى غزوة تبوك= فقال الله : « قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون » ، فأمره الله بالخروج . فتخلف عنه رجال ، فأدركتهم نفوسهم فقالوا : والله ما صنعنا شيئاً ! فانطلق منهم ثلاثة، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أتوه تابوا، ثم رجعوا إلى المدينة، ١٠/١٤١ فأنزل الله : « فإن رجعك الله إلى طائفة منهم » إلى قوله : « ولا تقم على قبره » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلك الذين تخلّفوا، فأنزل الله عُذْرَهم لما تابوا ، فقال: ﴿ لَقَدْ تَابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، [سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨] .

١٧٠٤٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «فإن رجعك الله إلى طائفة منهم » إلى قوله: « فاقعدوا مع الخالفين »، أى : مع النساء. ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلاً من المنافقين، قيل فيهم ما قيل .(١)

١٧٠٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس: «فاقعدوا مع الخالفين »، و «الخالفون»، الرجال.

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من التأويل فى قوله: « الخالفين »، ما قال ابن عباس .

(١) فى المطبوعة : « فقيل فيهم . . . » ، وكان فى المخطوطة : « قتل منهم ما قتل » ، صوابه ما فى المطبوعة .

* * *

فأمّا ما قال قتادة من أن ذلك النساء ، فقولٌ لا معنى له . لأن العرب لا تجمع النساء إذا لم يكن معهن رجال ، بالياء والنون ، ولا بالواو والنون . ولو كان معنيًّا بذلك النساء لقيل : « فاقعدوا مع الخوالف» ، أو « مع الخالفات » . ولكن معناه ما قلنا ، من أنه أريد به : فاقعدوا مع مرضى الرِّجال وأهل زَمانتهم ، والضعفاء منهم ، والنساء. وإذا اجتمع الرجال والنساء فى الخبر، فإن العرب تغلب الذكور على الإناث ، ولذلك قيل : « فاقعدوا مع الخالفين » ، والمعنى ما ذكرنا .

* * *

ولو وُجِّه معنى ذلك إلى : فاقعدوا مع أهل الفساد ، من قولهم : « خَلَف الرجل عن أهله يَخْلُف خُلُوفاً » ، إذا فسد ، ومن قولهم : « هو خَلْف سَوْءٍ » = كان مذهباً . وأصله إذا أريد به هذا المعنى ، من قولهم : « خَلَف اللبن يَخْلُفُ خُلُوفاً » ، إذا خبث من طول وضعه فى السِّقاء حتى يفسد ، ومن قولهم : « خَلَف فم الصائم » ، إذا تغيرت ريحه .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تصلِّ ، يا محمد ، على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبداً = « ولا تقم على قبره » ، يقول : ولا تتولَّ دفنه وتقبيره.[2]

---

(١) انظر تفسير « خلف » فيما سلف : ١٣ : ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) فى المطبوعة : « وتقبره » ، غير ما فى المخطوطة . و « التقبير » بمعنى : الدفن ، من ألفاظ قدماء الفقهاء . وقد سلف استخدام أبى جعفر هذه اللفظة ، وتعليق عليها فيما سلف ٩ : ٣٨٧ ، تعليق : ١ .

* * *

من قول القائل : « قام فلان بأمر فلان » ، إذا كفاه أمرَه .

* * *

= « إنهم كفروا بالله » ، يقول : إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله = وماتوا وهم خارجون من الإسلام ، مفارقون أمرَ الله ونهيه .[1]

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله ابن أبيّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٥٠ — حدثنا محمد بن المثنى ، وسفيان بن وكيع ، وسوار بن عبد الله قالوا ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الله قال ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر قال : جاء ابن عبد الله بن أبيّ ابن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات أبوه فقال : أعطني قميصَك حتى أكفّنه فيه ، وصلّ عليه ، واستغفر له . = فأعطاه قميصه = وإذا فرغتم فآذنوني .[2] فلما أراد أن يصلي عليه ، [جذبه] عمر ،[3] وقال : أليس قد نهاك الله أن تُصَلّيَ على المنافقين ؟ فقال : بل خيّرني وقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » ! قال : فصلى عليه . قال : فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » ، قال : فترك الصلاة عليهم .[4]

---

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٣٩٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) في المطبوعة : « قال : وإذا فرغتم » ، وليس في المخطوطة : « قال » بل فيها : « وإذا فرغتم » ، بالتكرار .

(٣) « جذبه » التي بين القوسين ، ساقطة من المخطوطة ، زادها الناشر الأول ، وأصاب . .

(٤) الأثر : ١٧٠٥٠ — خبر « عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر » ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ١١٠/٨ : ٢٥١ ، ٢٥٥) ، رواه من طريق يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله ابن عمر ، ثم من طريق أبي أسامة ، عن عبيد الله ، ثم من طريق أنس بن عياض ، عن عبيد الله .

ورواه مسلم في صحيحه ١٧ : ١٢١ ، من طريق أبي أسامة ، عن عبيد الله بن عمر .

وسيأتي من رواية أبي جعفر ، من طريق أسامة ، في الذي يليه ، رقم : ١٧٠٥١ .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢١٧ — ٢١٩ ، فراجعه هناك .

١٧٠٥١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن عبيد الله ، عن ابن عمر قال : لما توفى عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه ، فأعطاه . ثم سأله أن يصلى عليه ، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخذ بثوب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ابنَ سلول ! أتصلى عليه ، وقد نهاك الله أن تصلى عليه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما خيَّرنى ربّى ، فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، وسأزيد على سبعين . فقال : إنه منافق ! فصلى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » .[1]

١٧٠٥٢ — حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن مجاهد قال ، حدثنى عامر ، عن جابر بن عبد الله : أن رأسَ المنافقين مات بالمدينة ، فأوصى أن يصلى عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وأن يكفَّن فى قميصه ، فكفنه فى قميصه ، وصلى عليه ، وقام على قبره، فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » .[2]

١٧٠٥٣ — حدثنى أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سلمة ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلى على عبد الله بن أبى ابن سلول ، فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » .[3] ١٠/١٤٢

---

(١) الأثر : ١٧٠٥١ — انظر التخريج السالف .

(٢) الأثر : ١٧٠٥٢ — حديث جابر بن عبد الله من هذه الطريق، ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢١٩ ، عن مسند البزار ، من طريق عمرو بن على ، عن يحيى ، عن مجالد ، عن الشعبى ، عن جابر ، وقال : « وإسناده لا بأس به ، وما قبله شاهد له » .

وسيأتى حديث جابر من طريق أخرى رقم : ١٧٠٥٤ .

(٣) الأثر : ١٧٠٥٣ — « يزيد الرقاشى » ، هو « يزيد بن أبان الرقاشى » ، ضعيف ، بل متروك ، مضى برقم : ٦٦٥٤ ، ٦٧٢٨ ، ٧٥٧٧ ، وغيرها .

١٧٠٥٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر قال : جاء النبيُّ صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبيّ وقد أدخل حُفْرته، فأخرجه فوضعه على ركبتيه ، وألبسه قميصه ، وتَفَل عليه من ريقه ، والله أعلم .[1]

١٧٠٥٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله ابن عباس : قال : سمعتُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لما توفى عبد الله ابن أبى ابن سلول ، دُعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه . فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحوَّلتُ حتى قمت فى صدره فقلت : يا رسول الله ، أتصلى على عدوّ الله عبد الله بن أبى ، القائل يوم كذا كذا وكذا !! أعدِّد أيامه ،[2] ورسول الله عليه السلام يتبسم، حتى إذا أكثرت عليه قال : أخِّر عنى يا عمر ، إنى خُيِّرت فاخترت ، وقد قيل لى : «استغفر لهم أو لا تستغفر إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، فلو أنى أعلم أنى إن زدت على السبعين غفر له ، لزدت ! قال : ثم صلى عليه ، ومشى معه ، فقام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فعجبتُ لى وجُرْأتى[3] على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلاَّ يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : « ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً » ، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدَه على منافق ، ولا قام

---

(١) الأثر : ١٧٠٥٤ — حديث جابر ، مضى من طريق الشعبى آنفا رقم : ١٠٧٥٢ .

وأما هذه الطريق ، فنها رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٣ : ١١١) ، ومسلم فى صحيحه ١٧٥ : ١٢١ ، ورووا أيضاً من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار .

وقوله : « والله أعلم » ، يعنى : والله أعلم بقضائه ، إذ فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ، مع قضاء الله فى المنافقين بما قضى به فيهم .

(٢) هكذا فى السيرة : « أعدد أيامه » وظنها بعضهم خطأ ، وهى صواب . يعنى يعدد ما كان منه فى أيام من أيامه ، يوم قال كذا ، ويوم قال كذا .

(٣) فى المطبوعة : «أتعجب لى » ، وفى المخطوطة : « تعجبت » ، وأثبت نص ابن هشام فى سيرته . وفى السيرة : « وجراًتى » .

على قبره ، حتّى قبضه الله .[1]

١٧٠٥٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: لما مات عبد الله بن أبى، أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله قميصه ، فأعطاه ، فكفَّن فيه أباه .[2]

١٧٠٥٧ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن عباس ، عن عمر بن الخطاب قال: لما مات عبد الله بن أبيّ = فذكر مثل حديث ابن حميد ، عن سلمة .[3]

١٧٠٥٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » الآية ، قال : بعث عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه ، فنهاه عن ذلك عمر . فأتاه نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه ، قال نبى الله صلى الله عليه وسلم : أهلكك حبُّ اليهود ! قال فقال: يانبى الله، إنى لم أبعث إليك لتؤنّبنى ، ولكن بعثت إليك لتستغفر لى! وسأله قميصه أن يكفن فيه ، فأعطاه إياه، فاستغفر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فمات فكفن فى قميص رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الأثر : ١٧٠٥٥ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٣٦ .

وحديث الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ٢٥٤) ، من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب الزهرى . وسيأتى من هذه الطريق برقم : ١٧٠٥٧ .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢١٨ .

وقوله : « أخر عنى يا عمر » ، أى : أخر عنى رأيك ، فاختصر إيجاز وبلاغة — هكذا قالوا : وقد ذكرت آنفا ج ١٠ : ٣٣٩ ، تعليق : ٦ ، أنهم قصروا من شرحه ، وأن معناه : اصرف عنى رأيك وأبعده ، وأنه مما يزداد على بيان كتب اللغة .

(٢) الأثر : ١٧٠٥٦ — لم أجد هذا الخبر فى سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٧٠٥٧ — سلف تخريجه فى رقم : ١٧٠٥٥ .

وسلم ، ونفث في جلده ، ودلاّه في قبره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً» الآية . قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كُلِّم في ذلك فقال : وما يغني عنه قميصي من الله = أو: ربي = وصلى عليه = وإني لأرجو أن يسلم به ألفٌ من قومه .(١)

١٧٠٥٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن ثور، عن معمر ، عن قتادة قال : أرسل عبد الله بن أبي ابن سلول وهو مريض إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أهلكك حبُّ يهود ! قال : يا رسول الله، إنما أرسلت إليك لتستغفر لي، ولم أرسل إليك لتؤنبني! ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفَّن فيه ، فأعطاه إياه ، وصلى عليه ، وقام على قبره ، فأنزل الله تعالى ذكره : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تعجبك، يا محمد ، أموالُ هؤلاء المنافقين وأولادهم ، فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم

---

(١) قوله : « وصلى عليه » ، هكذا في المخطوطة ، وجعلها في المطبوعة : « وصلاتي عليه » ، كأنه ظنه معطوفاً على قوله : « ما يغني عنه قميصي » ، ولكن جائز أن يكون ما أثبته من المخطوطة ، هو الصواب ، وهو خبر من قتادة أو غيره ، فصل به بين كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولذلك وضعته بين خطين .

على قبره، من أجل كثرة ماله وولده ، فإنى إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذبه بها فى الدنيا بالغموم والهموم ، بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات ، وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات ، = « وتزهق أنفسهم »، يقول : وليموت فتخرج نفسه من جسده ، [1] فيفارق ما أعطيته من المال والولد ، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته ، ووبالاً عليه حينئذ ، ووبالاً عليه فى الآخرة، بموته جاحداً توحيدَ الله ، ونبوةَ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

١٤٣/١٠

١٧٠٦٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن السدى : « وتزهق أنفسهم » ، فى الحياة الدنيا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا أنزل عليك، يا محمد ، سورة من القرآن ، بأن يقال لهؤلاء المنافقين : « آمنوا بالله » ، يقول : صدِّقوا بالله = « وجاهدوا مع رسوله » ، يقول : اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] = « استأذنك أولو الطول منهم » ، يقول : استأذنك ذوو الغنى والمال منهم فى التخلف عنك، والقعود فى أهله [3] = « وقالوا ذرنا » ، يقول : وقالوا لك: دعنا، [4] نكن ممن يقعد فى منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ، ومن لا يقدر على

---

(١) انظر تفسير « زهق » فيما سلف ص : ٢٩٧ .

(٢) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص : ٣٩٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الطول » فيما سلف ٨ : ١٨٢ — ١٨٥ .

(٤) انظر تفسير « ذر » فيما سلف ١٣ : ٢٩١، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

الخروج معك فى السفر .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى معنى « الطول » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٦١ — حدثنى على بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « استأذنك أولو الطول »، قال : يعنى أهل الغنى .

١٧٠٦٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أولو الطول منهم » ، يعنى الأغنياء .

١٧٠٦٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم » ، كان منهم عبد الله بن أبىّ ، والجدُّ بن قيس . فنعى الله ذلك عليهم .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : رضى هؤلاء المنافقون = الذين إذا قيل لهم : آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله ، استأذنك أهل الغنى منهم فى التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين = أن يكونوا فى منازلهم ،

(١) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ص : ٤٠٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٧٠٦٣ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٥٥ ، غير أن ابن هشام قال : « وكان ابن أبى من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه » . ولم يذكر هنا « الجد بن قيس » .

كالنساء اللواتى ليس عليهن فرض الجهاد ، فهن قعود فى منازلهنّ وبيوتهن[١]

= « وطبع على قلوبهم » ، يقول : وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين = « فهم لا يفقهون » ، عن الله مواعظه ، فيتعظون بها .[٢]

* * *

وقد بينا معنى « الطبع » ، وكيف الختم على القلوب ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى معنى « الخوالف » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٦٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، قال : « الخوالف» ، هنّ النساء .

١٧٠٦٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف »، يعنى النساء .

١٧٠٦٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حبويه أبو يزيد ، عن يعقوب القمى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، قال : النساء .

١٧٠٦٧ — . . . . قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « مع الخوالف » ، قال : مع النساء .

١٧٠٦٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) انظر تفسير « الخوالف » فيما سلف ص: ٤٠٥، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ص: ٣٩٩، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ١٣ : ١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

قوله : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، أى : مع النساء .

١٧٠٦٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، قالا : النساء .

١٧٠٧٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٠٧١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٠٧٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، قال : مع النساء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين ، لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين صدقوا الله ورسوله معه ، هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم ، فأنفقوا فى جهادهم أموالهم ،وأتعبوا فى قتالهم أنفسهم وبذلوها[1] =«وأولئك» ، يقول : وللرسول وللذين آمنوا معه ،الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم = «الخيرات » ،وهى خيرات الآخرة ،وذلك: نساؤها ، وجناتها ،ونعيمها . ١٠/١٤٤

* * *

(١) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص : ٤١١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

= واحدتها «خَيْرَة» ، كما قال الشاعر :[١]

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلَاتِ رَبَلَاتِ هِنْدٍ خَيْرَةِ المَلِكَاتِ[٢]

و« الخيرة » ، من كل شيء، الفاضلة .[٣]

* * *

= « وأولئك هم المفلحون » ، يقول : وأولئك هم المخلدون فى الجنات، الباقون فيها ، الفائزون بها .[٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه[٥] = « جنات »، وهى البساتين،[٦] تجرى من تحت أشجارها الأنهار = « خالدين فيها » ، يقول : لابثين فيها ، لا يموتون فيها ، ولا يظعنون عنها[٧]= « ذلك الفوز العظيم » ، يقول : ذلك النجاء العظيم، والحظّ الجزيل .[٨]

* * *

(١) لرجل من بنى عدى ، عدى تيم تميم ، وهو جاهلى .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٧ ، واللسان (خير) ، و « الربلات » جمع « ربلة » (بفتح الراء وسكون الباء ، أو فتحها) ، وهى لحم باطن الفخذ . عنى أمراً قبيحاً . وقوله « خيرة » ، مؤنث « خير » ، صفة ، لا بمعنى التفضيل ، يقال : « رجل خير ، وامرأة خيرة » ، فإذا أردت التفضيل قلت : « فلانة خير الناس » .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٧ .

(٤) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١٣ : ٥٧٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « أعد » فيما سلف ص : ٣١ ، ٢٧٦

(٦) انظر تفسير « الجنة » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٧) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٨) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ص : ٣٥٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وجاء » ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم = « المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم » ، فى التخلف = « وقعد » ، عن المجىء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه[1] = « الذين كذبوا الله ورسوله » ، وقالوا الكذب ، واعتذرُوا بالباطل منهم . يقول تعالى ذكره : سيُصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم ، عذابٌ أليم .[2]

* * *

فإن قال قائل : « وجاء المعذّرون » ، وقد علمت أن « المعذّر » ، فى كلام العرب ، إنما هو : الذى يُعَذِّر فى الأمر فلا يبالغ فيه ولا يُحكمه ؟ وليست هذه صفة هؤلاء ، وإنما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا فى طلب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوّهم ، وحرصوا على ذلك ، فلم يجدوا إليه السبيل ، فهم بأن يوصفوا بأنهم : « قد أعذروا » ، أولى وأحق منهم بأن يوصفو بأنهم « عذّروا » . وإذا وصفوا بذلك ،[3] فالصّواب فى ذلك من القراءة ، ما قرأه ابن عباس ، وذلك ما :—

١٧٠٧٣ — حدثناه المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى حماد قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك قال : كان ابن عباس يقرأ : ﴿ وَجَاءَ الْمُعْذِرُونَ ﴾ ، مخففةً ، ويقول : هم أهل العذر .

= مع موافقة مجاهد إياه وغيره عليه ؟

---

(١) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ص : ٤١٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

(٣) فى المطبوعة : « بأنهم عذروا ، إذا وصفوا بذلك » ، كأنه متعلق بالسالف . والصواب أنه ابتداء كلام ، والواو فى « وإذا » ثابتة فى المخطوطة .

قيل : إن معنى ذلك على غير ما ذهبتَ إليه ، وأن معناه : وجاء المعتذِرون من الأعراب = ولكن « التاء » لما جاورت « الذال » أدغمت فيها ، فصُيِّرتا ذالاً مشدّدة ، لتقارب مخرج إحداهما من الأخرى ، كما قيل : «يذّكّرون» في « يتذكرون» ، و «يذّكّر» في « يتذكر » ، وخرجت العين من « المعذّرين » ، إلى الفتح ، لأن حركة التاء من « المعتذرين » ، وهي الفتحة ، نقلت إليها ، فحركت بما كانت به محركة . والعرب قد توجِّه في معنى « الاعتذار » ، إلى « الإعذار » ، فيقول : « قد اعتذر فلان في كذا » ، يعني : أعذر ، [1] ومن ذلك قول لبيد :

إِلَى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلاَمِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ[2]

فقال : « فقد اعتذر » ، بمعنى : فقد أعْذَرَ .

* * *

على أن أهل التأويل قد اختلفوا في صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم « معذِّرين » .

فقال بعضهم : كانوا كاذبين في اعتذارهم ، فلم يعذرهم الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٧٤ — حدثني أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثني أبي ، عن الحسين قال : كان قتادة يقرأ : « وجاء المعذرون من الأعراب » ، قال : اعتذروا بالكذب .

١٧٠٧٥ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يحيي ابن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وجاء المعذرون من الأعراب » ، قال : نفر من بني غفار ، جاءوا فاعتذروا ، فلم يعذرهم الله .

* * *

= فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء : أن هؤلاء القوم إنما كانوا أهل اعتذار

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٢) سلف البيت وتخريجه ١ : ١١٩ ، تعليق : ١ .

بالباطل لا بالحق ، فغير جائز أن يوصفوا بالإعذار ، إلا أن يوصفوا بأنهم أعْذَرُوا في الاعتذار بالباطل ، فأمّا بالحق = على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء = فغير جائز أن يوصَفوا به .

* * *

وقد كان بعضهم يقول : إنما جاءوا معذّرين غير جادِّين ، يعرضون ما لا يريدون فعله . فمن وجّهه إلى هذا التأويل فلا كلفة في ذلك، غير أني لا أعلم أحداً من أهل العلم بتأويل القرآن وجّه تأويله إلى ذلك ، فأستحبُّ القول به .(١)

* * *

وبعدُ ، فإن الذي عليه من القراءة قرأة الأمصار ، التشديد في « الذال » ، أعني من قوله: ﴿ المُعَذِّرُونَ ﴾ ، ففي ذلك دليلٌ على صحة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار ، لأن القوم الذين وُصفوا بذلك لم يكلفوا أمرًا عَذَّرُوا فيه ، وإنما كانوا فرقتين : إما مجتهد طائع ، وإما منافق فاسقٌ ، لأمر الله مخالف . فليس في الفريقين موصوفٌ بالتعذير في الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو معذّر مبالغٌ ، أو معتَذِر . ١٠/١٤٥

فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الحجة من القرأة مجمعة على تشديد « الذال » من « المعذرين » ، عُلم أن معناه ما وصفناه من التأويل .

* * *

وقد ذكر عن مجاهد في ذلك موافقة ابن عباس .

١٧٠٧٦ — حدثني المثنى قال، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن حميد قال: قرأ مجاهد: ﴿ وَجاءَ المُعْذِرُونَ ﴾، مخففةً ، وقال : هم أهل العذر .

١٧٠٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : كان المعذرون ، [فيما بلغني ، نفراً من بني غِفارٍ ، منهم : خفاف بن أيماء بن

(١) في المطبوعة : « فاستحبوا » جمعاً ، وإنما جاء الخطأ من سوء كتابة المخطوطة ، لأنه أراد أن يكتب بعد آخر الباء واواً ، ثم عدل عن ذلك ، فأخذ الناشر بما عدل عنه الناسخ ! !

رَحَضة ، ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : « ولا على الذين إذا أتوك لتحملهم» ، الآية] .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ،[2] ولا على المرضى ، ولا على من لا يجد نفقة يتبلَّغ بها إلى مغزاه = « حرج » ، وهو الإثم ،[3] يقول : ليس عليهم إثم ، إذا نصحوا لله ولرسوله فى مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم = « ما على المحسنين من سبيل » ، يقول : ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله فى تخلّفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد معه ، لعذر يعذر به ، طريقٌ يتطرّق عليه فيعاقب من قبله[4] = « والله غفور رحيم » ، يقول : والله ساتر على ذنوب المحسنين ، يتغمدها بعفوه لهم عنها = « رحيم » ، بهم ، أن يعاقبهم عليها .[5]

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت فى « عائذ بن عمرو المزنى » .

* * *

(١) الأثر : ١٧٠٧٧ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٦٣ . وكان هذا الخبر فى المخطوطة والمطبوعة مبتوراً ، أتممته من سيرة هشام ، ووضعت تمامه بين القوسين .

(٢) انظر تفسير « الضعفاء » فيما سلف ٥ : ٥٥١/٨ : ١٩ .

(٣) انظر تفسير « الحرج » فيما سلف ١٢ : ٢٩٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « المحسن » و « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) ، (سبل) .

(٥) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم)

وقال بعضهم فى « عبد الله بن مغفل » .

* * *

* ذكر من قال : نزلت فى « عائذ بن عمرو » .

١٧٠٧٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله » ، نزلت فى « عائذ بن عمرو » .

* * *

* ذكر من قال : نزلت فى « ابن مغفل » .

١٧٠٧٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى » إلى قوله : « حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون » ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه ، فجاءته عصابة من أصحابه ، فيهم « عبد الله بن مغفل المزنى » ، فقالوا : يا رسول الله ، احملنا . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما أجد ما أحملكم عليه! فتولوا ولهم بكاءٌ ، وعزيزٌ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ، [1]ولا يجدون نفقةً ولا محملاً . فلما رأى الله حرصَهم على محبته ومحبة رسوله ، أنزل عذرهم فى كتابه فقال : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج » إلى قوله : « فهم لا يعلمون » .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وعز عليهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض صواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ ما يُنفِقُونَ ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولا سبيل أيضاً على النفر الذين إذا ما جاءوك، لتحملهم، يسألونك الحُمْلان ، ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداءِ الله معك ، يا محمد ، قلت لهم : لا أجد حَمُولةً أحملكم عليها = « تولوا » ، يقول : أدبروا عنك ، [1]= « وأعينهم تفيض من الدمع حزناً » ، وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون ، [2] ويتحمَّلون به للجهادِ فى سبيل الله .

* * *

وذكر بعضهم : أن هذه الآية نزلت فى نفر من مزينة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٨٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه » ، قال : هم من مزينة .

١٧٠٨١ — حدثنى المثنى قال، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، قال : هم بنو مُقَرِّنٍ ، من مزينة . ١٠/١٤٦

١٧٠٨٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءةً ، عن مجاهد فى قوله: « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، إلى قوله : « حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون » ، قال : هم بنو مقرِّن ، من مزينة .

---

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) انظر تفسير « تفيض من الدمع » فيما سلف ١٠ : ٥٠٧ .

١٧٠٨٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، قال : هم بنو مقرِّن ، من مزينة .

١٧٠٨٤ — . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن عروة ، عن ابن مغفل المزنى ، وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، الآية .

١٧٠٨٥ — حدثني المثنى قال، أخبرنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قوله : « تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً » ، قال : منهم ابن مقرِّن = وقال سفيان : قال الناس : منهم عرباض ابن سارية .

* * *

وقال آخرون ، بل نزلت فى عِرْباض بن سارية .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٨٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر الكلاعى قالا : دخلنا على عرباض بن سارية ، وهو الذى أنزل فيه : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، الآية .[1]

١٧٠٨٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن قال ، حدثنا الوليد قال ، حدثنا ثور ، عن خالد ، عن عبد الرحمن بن عمرو ، وحجر بن حجر ، بنحوه .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت فى نفر سبعة ، من قبائل شتّى .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ١٧٠٨٦ — « عبد الرحمن بن عمرو بن عبسة السلمى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب . و « حجر بن حجر الكلاعى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب .

١٧٠٨٨ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب وغيره قال : جاء ناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه ، فقال : « لا أجد ما أحملكم عليه » ! فأنزل الله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » الآية . قال : هم سبعة نفر : من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير = ومن بني واقف : هرمى بن عمرو [١] = ومن بني مازن بن النجار : عبد الرحمن بن كعب ، يكنى أبا ليلى = ومن بني المعلى : سلمان بن صخر = ومن بني حارثة : عبد الرحمن بن يزيد ، أبو عبلة ، وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه = ومن بني سَلِمة ، عمرو بن غنمة ، وعبد الله بن عمرو المزني .

١٧٠٨٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قوله : «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم» إلى قوله : «حزناً» ، وهم البكاؤون ، كانوا سبعة . [٢]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٩٣) ٢/١١

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر ، يا محمد، ولكنها على الذين يستأذنوك في التخلف خِلافَك، وترك الجهاد معك ، وهم أهل غنى وقوّةٍ وطاقةٍ للجهاد والغزو ، نفاقاً وشكّاً في وعد الله ووعيده [٣] = « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، يقول : رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء = وهن

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : «حرمى بن عمرو» ، والصواب «هرمى» بالهاء ، انظر ترجمته في الإصابة.

(٢) الأثر ١٧٠٨٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٧٧ ، وليس فيه في هذا الموضع قوله : « وهم سبعة » . وأما عدتهم عند ابن إسحق فقد ذكرها ابن هشام في سيرته ٤ : ١٦١ ، وقال : « وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم » ، ثم عددهم .

(٣) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

« الخوالف » ، خلف الرجال فى البيوت ، ويتركوا الغزو معك ، [١]= « وطبع الله على قلوبهم » ، يقول : وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب [٢]= « فهم لا يعلمون » ، سوء عاقبتهم ، بتخلفهم عنك ، وتركهم الجهاد معك ، وما عليهم من قبيح الثناء فى الدنيا ، وعظيم البلاء فى الآخرة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يعتذر إليكم، أيها المؤمنون بالله ، هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين ، بالأباطيل والكذب ، إذا رجعتم إليهم من سفركم وجهادكم = « قل » ، لهم ، يا محمد ، = « لا تعتذروا لن نؤمن لكم » ، يقول : لن نصدّقكم على ما تقولون = « قد نبأنا الله من أخباركم » ، يقول : قد أخبرنا الله من أخباركم ، وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم [٣]= « وسيرى الله عملكم ورسوله » ، يقول : وسيرى الله ورسوله فيما بعدُ عملكم ، أتتوبون من نفاقكم ، أم تقيمون عليه ؟ = «ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة» ، يقول : ثم ترجعون بعد مماتكم= «إلى عالم الغيب والشهادة »، يعنى : الذى يعلم السرَّ والعلانية، الذى لا يخفى عليه بواطن أموركم

---

(١) انظر تفسير « الخوالف » فيما سلف ص : ٤١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ص : ٤١٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « نبأ » فيما سلف ص : ٣٤٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وظواهرها[1] =«فينبئكم بما كنتم تعملون» ، فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسنها ،[2] فيجازيكم بها : الحسنَ منها بالحسن ، والسيّءَ منها بالسيّء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٥) ٣/١١

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : سيحلف ، أيها المؤمنون بالله ، لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله = « إذا انقلبتم إليهم » ، يعنى : إذا انصرفتم إليهم من غزوكم[3] =« لتعرضوا عنهم » ، فلا تؤنبوهم = « فأعرضوا عنهم » ، يقول جل ثناؤه للمؤمنين : فدعوا تأنيبهم ، وخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق[4] = « إنهم رجس ومأواهم جهنم » ، يقول : إنهم نجس[5] = « ومأواهم جهنم » ، يقول : ومصيرهم إلى جهنم ، وهى مسكنهم الذى يأوونه فى الآخرة[6] = « جزاء بما كانوا يكسبون »[7] ، يقول : ثواباً بأعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا من معاصى الله .[8]

* * *

(١) انظر تفسير « عالم الغيب والشهادة » فيما سلف من فهارس اللغة (غيب) ، (شهد) .
(٢) فى المخطوطة : « سيئها » وأسقط « وحسنها » ، والصواب ما فى المطبوعة .
(٣) انظر تفسير « الانقلاب » فيما سلف ١٣ : ٣٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ص: ٣٦٩ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .
(٥) انظر تفسير « الرجس » فيما سلف ١٢ : ١٩٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٦) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ص: ٣٦٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٧) فى المطبوعة والمخطوطة « جزاء بما كانوا يعملون » ، سهو من النساخ فيما أرجح .
(٨) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .
= وتفسير « الكسب » فيما سلف من فهارس اللغة (كسب) .

وذكر أن هذه الآية نزلت في رجلين من المنافقين ، قالا : ما —

١٧٠٩٠ — حدثنا به محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا » ، إلى « بما كانوا يكسبون »، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : ألا تغزو بني الأصفر ،[1] لعلك أن تصيب بنت عظيم الرُّوم ، فإنهنّ حِسان ! [2] فقال رجلان : قد علمت ، يا رسول الله ، أن النساء فتنة فلا تفتنَّا بهنّ ! فأذن لنا ! فأذن لهما . فلما انطلقا قال أحدهما : إن هو إلا شَحْمةٌ لأوّل آكلٍ ![3] فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينزل عليه في ذلك شيء . فلما كان ببعض الطريق ، نزل عليه وهو على بعض المياه : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ [سورة التوبة : ٤٢] ، ونزل عليه : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٤٣] ، ونزل عليه : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، [سورة التوبة : ٤٤] ، ونزل عليه : « إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون » . فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاهم وهم خلفهم ، فقال : تعلمون أنْ قَد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدَكم قرآن؟ قالوا: ما الذي سمعت ؟ قال : ما أدري ، غير أني سمعت أنه يقول : « إنهم رجس » ! فقال رجل يدعى « مخشيًّا » ، [4] والله لوددت أني أجلد مئة جلدة ، وأني لست معكم ! فأتى رسول

(١) « بنو الأصفر » ، هم الروم .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة « فإنهم حسان » والصواب ما أثبت .

(٣) « الشحمة » ، عنى بها قطعة من « شحم سنام البعير » ، وشحمة السنام من أطايب البعير ، يسرع إليها الآكل ، قال زفر بن الحارث الكلابي :

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً لَيَالِيَ قَارَعْنَا جُذَامَ وَحِمْيَرَا

فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ ، بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ، أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكَسَّرَا

وفي المثل : « ما كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء تمرة » .

(٤) في المخطوطة « مخشى » ، والصواب ما في المطبوعة وهو « مخشى بن حمير الأشجعي » ، انظر ترجمته في الإصابة .

الله صلى الله عليه وسلم، فقال : ما جاء بك ؟ فقال : وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفَعه الريح ، وأنا فى الكِنّ !! [١] فأنزل الله عليه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ﴾ [سورة التوبة: ٤٩]، ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ [سورة التوبة : ٨١]، ونزل عليه فى الرجل الذى قال : «لوددت أنى أُجْلَد مئة جلدة» قولُ الله: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾، [سورة التوبة : ٦٤]، فقال رجل مع رسول الله: لئن كان هؤلاء كما يقولون، ما فينا خير ! فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له : أنت صاحب الكلمة التى سمعتُ ؟ فقال : لا ، والذى أنزل عليك الكتاب ! فأنزل الله فيه : ﴿لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [سورة التوبة : ٧٤]، وأنزل فيه ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾،[سورة التوبة : ٤٧] .

١٧٠٩١ ــ حدثنى يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعبَ بن مالك يقول : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك، جلس للناس. فلما فعل ذلك، جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتَهم، وبايعهم، واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، وصدَقته حديثى . فقال كعب: والله ما أنعم الله علىّ من نعمة قطُّ، بعد أن هدانى للإسلام، أعظمَ فى نفسى من صِدْق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أكون كذبتُه فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى، [٢] شرَّ

---

(١) «سفعته النار ، والشمس ، والسموم ، تسفعه سفعاً » ، لفحته لفحاً يسيراً فغيرت لون بشرته وسودته . و « الكن» (بكسر الكاف) : ما رد الحر والبرد من الأبنية والمساكن ، وكل ما ستر من الشمس والسموم فهو كن .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « حين أنزل الوحى ما قال لأحد » ، بإسقاط « شر » ، وهو لا يستقيم ، وأثبته من نص روايته فى صحيح مسلم .

ما قال لأحد : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجسٌ ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون »، إلى قوله: « فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » .(١) ١١/٤

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: يحلف لكم، أيها المؤمنون بالله، هؤلاء المنافقون ، اعتذاراً بالباطل والكذب = « لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين »، يقول : فإن أنتم، أيها المؤمنون ، رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم ، إذ كنتم لا تعلمون صِدْقهم من كذبهم ، فإن رضاكم عنهم غيرُ نافعهم عند الله ، لأن الله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون ، ومن خفىّ اعتقادهم ما تجهلون، وأنهم على الكفر بالله . . . . . (٢)يعنى أنهم الخارجون من الايمان إلى الكفر بالله، ومن الطاعة إلى المعصية .(٣)

* * *

(١) الأثر : ١٧٠٩١ — هذا مختصر من الخبر الطويل فى توبة كعب بن مالك ، رواه مسلم فى صحيحه ١٧ : ٨٧ — ١٠٠ ، من هذه الطريق ، وقد مضى جزء آخر منه برقم : ١٦١٤٧ .

(٢) لا أشك أن موضع هذه النقط خرم فى كلام أبي جعفر ، من ناسخ كتابه ، وكأن صواب الكلام : « وأنهم على الكفر بالله مقيمون ، وأنهم هم الفاسقون ، يعنى : أنهم الخارجون . . . » ، أو كلاماً شبيهاً بهذا .

(٣) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٤٠٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٩٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره الأعراب أشدُّ جحوداً لتوحيد الله ، وأشدّ نفاقاً، من أهل الحضر فى القرى والأمصار . وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك، لجفائهم ، وقسوة قلوبهم ، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير ، فهم لذلك أقسى قلوباً، وأقلُّ علماً بحقوق الله .

* * *

وقوله : « وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » ، يقول : وأخلق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، [1] وذلك فيما قال قتادة : السُّنَن .

١٧٠٩٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » ، قال : هم أقل علماً بالسُّنَن .

١٧٠٩٣ — حدثنى المثنى قال ،حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : جلس أعرابى إلى زيد بن صَوْحان وهو يحدث أصحابه، وكانت يده قد أصيبت يوم نَهاوَنْد، فقال: والله إنّ حديثك ليعجبنى ، وإن يدك لتُرِيبُنى ! فقال زيد: وما يُرِيبك من يدى؟ إنها الشمال ! فقال الأعرابى: والله ما أدرى، اليمينَ يقطعون أم الشمالَ ؟ فقال زيد بن صوحان: صدق الله :«الأعرابُ أشدُّ كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدودما أنزلَ الله على رسوله » . [2]

* * *

(١) انظر تفسير « حدود الله » فيما سلف ٨ : ٦٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٧٠٩٣ — « عبد الرحمن بن مغراء الدوسى » ، ثقة ، متكلم فيه . مضى برقم : ١١٨٨١ . وكان فى المطبوعة : « عبد الرحمن بن مقرن » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فبدل من عند نفسه .

وقوله : « والله عليم حكيم » يقول : « والله عليم »، بمن يعلم حدودَ ما أنزل على رسوله ، والمنافق من خلقه ، والكافرِ منهم ، لا يخفى عليه منهم أحد=« حكيم » ، فى تدبيره إياهم ، وفى حلمه عن عقابهم ، مع علمه بسرائرهم وخداعهم أولياءَه .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يَعُدُّ نفقته التى ينفقها فى جهادِ مشرك ، أو فى معونة مسلم، أو فى بعض ما ندب الله إليه عباده = « مغرماً » ، يعنى : غرماً لزمه، لا يرجو له ثواباً ، ولا يدفع به عن نفسه عقاباً =« ويتربص بكم الدوائر » ،يقول : وينتظرون بكم الدوائر ،[٢] أن تدور بها الأيام والليالى إلى مكروهٍ ومجىء محبوب ،[٣] وغلبة عدوٍّ لكم .[٤] يقول الله تعالى ذكره: « عليهم دائرة السوء »، يقول: جعل الله دائرة السوء عليهم ، ونزول المكروه بهم، لا عليكم أيها المؤمنون ، ولا بكم= « والله سميع » ، لدعاء الداعين = « عليم » بتدبيرهم ، وما هو بهم نازلٌ من عقاب الله ، وما هم إليه صائرون من أليم عقابه .[٥]

* * *

و « زيد بن صوحان العبدى » ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، ثقة قليل الحديث ، مضى برقم : ١٣٤٨٦ .

وهذا الخبر رواه ابن سعد فى الطبقات ٦ : ٨٤ ، ٨٥ من طريق يعلى بن عبيد ، عن الأعمش ، عن إبراهيم .

(١) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » ، فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .

(٢) انظر تفسير « التربص » فيما سلف ص : ٢٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة « وذى محبوب » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى سيئة الكتابة .

(٤) انظر تفسير « الدوائر » فيما سلف ١٠ : ٤٠٤ .

(٥) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٩٤ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قول الله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر » ، قال : هؤلاء المنافقون من الأعراب ، الذين إنما ينفقون رياءً ، اتِّقاءَ أن يُغْزَوْا أو يُحارَبوا أو يقاتلوا ، ويرون نفقتهم مغرماً . ألا تراه يقول : « ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء » ؟

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ عَلَيهِم دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ بفتح السين ، بمعنى النعت لـ « الدائرة » ، وإن كانت « الدائرة » مضافة إليه ، كقولهم : « هو رجلُ السَّوْء » و « امرؤ الصدق » ، من كأنه إذا فُتح مصدرٌ من قولهم : « سؤته أسوءه سَوْءاً ومَساءَةً ومَسَائِيَةً » .(1)

٥/١١

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز وبعض البصريين : ﴿ عَلَيهِم دَائِرَةُ السُّوءِ ﴾ ، بضم السين ، كأنه جعله اسماً ، كما يقال : عليه دائرة البلاء والعذاب . ومن قال : « عليهم دائرة السُّوء » فضم ، لم يقل : « هذا رجل السُّوء » بالضم ، و « الرجل السُّوء » ، (2) وقال الشاعر : (3)

وكُنْتُ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رَأَى دَماً بِصَاحِبِهِ يَوماً أَحَالَ عَلَى الدَّمِ(4)

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٥٠ .

(٣) هو الفرزدق .

(٤) ديوانه : ٧٤٩ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٠٦ ، والحيوان ٥ : ٣١٩ ، ٦ : ٢٩٨ ، واللسان (حول) ، وغيرها كثير ، من أبيات لها خبر طويل . وقوله : « أحال على الدم » ، أى : أقبل عليه . والذئبان ربما أقبلا على الرجل إقبالا واحداً ، وهما سواء على عدواته والجزم على

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا بفتح السين ، بمعنى : عليهم الدائرة التى تَسُوءهم سوءاً . كما يقال : «هو رجل صِدْق»، على وجه النعت.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يصدِّق الله ويقرّ بوحدانيته ، وبالبعث بعد الموت ، والثواب والعقاب ، وينوى ما ينفق من نفقة فى جهاد المشركين ، (١) وفى سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم = « قربات عند الله » ، و« القربات » جمع « قربة » ، وهو ما قرَّبه من رضى الله ومحبته = « وصلوات الرسول » ، يعنى بذلك : ويبتغى بنفقة ما ينفق ، مع طلب قربته من الله ، دعاءَ الرسول واستغفارَه له .

* * *

وقد دللنا، فيما مضى من كتابنا، على أن من معانى « الصلاة »، الدعاء، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٩٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنا معاوية، عن على،

أكله ، فإذا أدمى أحدهما وثب على صاحبه فزقه وأكله ، وترك الإنسان (من كلام الجاحظ) . وقد كرر الفرزدق هذا المعنى فى قوله :

فَتًى لَيْسَ لِابْنِ العَمِّ كَالذِّئْبِ، إنْ رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْماً دَماً فَهْوَ آكِلُهْ

(١) فى المطبوعة : « ينوى بما ينفق» ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

(٢) انظر تفسير « الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (صلا) .

عن ابن عباس قوله: « وصلوات الرسول »، يعني : استغفار النبيّ عليه السلام .

١٧٠٩٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول » ، قال : دعاء الرسول : هذه ثَنِيَّةُ الله من الأعراب .[1]

١٧٠٩٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر » ، قال : هم بنو مقرِّن ، من مزينة ، وهم الذين قال الله فيهم :﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا ﴾،[سورة التوبة : ٩٢]. قال: هم بنو مقرّن، من مزينة = قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « الأعراب أشد كفرًا ونفاقاً » ، ثم استثنى فقال : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر » ، الآية .

١٧٠٩٨ — حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا جعفر ، عن البختريّ بن المختار العبدى قال، سمعت عبد الرحمن بن معْقل قال : كنا عشرة ولد مقرّن ، فنزلت فينا : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر » ، إلى آخر الآية .[2]

* * *

(١) « الثنية » ، ما استثنى من شيء ، وفي حديث كعب الأحبار : « الشهداء ثنية الله في الأرض » ، يعني هم من الذين استثناهم الله من الصعقة الأولى ، تأول ذلك في قوله تعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله » ، فجعل منهم الشهداء ، لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

(٢) الأثر : ١٧٠٩٨ — « البختري بن المختار العبدي » ، ثقة . مترجم في الكبير ١/٢/١٣٦ وابن أبي حاتم ١/١/٤٢٧ .

و « عبد الرحمن بن معقل المزني » ، تابعي ثقة ، وعده بعضهم في الصحابة لهذا الحديث . فقال الحافظ ابن حجر : « إنما عنى بقوله : كنا = أباه وأعمامه ، وأما هو فيصغر عن ذلك . ومن أعمامه عبد الرحمن بن مقرن ، ذكره ابن سعد في الصحابة » . وهو مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٦ : ١٢٢ ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٢٨٤ .

قال أبو جعفر : قال الله : « ألا إنها قُرْبة لهم » ، يقول تعالى ذكره : ألا إنّ صلوات الرسول قربة لهم من الله .

وقد يحتمل أن يكون معناه : ألا إنّ نفقته التي ينفقها كذلك ، قربةٌ لهم عند الله = « سيدخلهم الله في رحمته » ، يقول : سيدخلهم الله فيمن رحمه فأدخله برحمته الجنة = « إن الله غفورٌ » ، لما اجترموا = « رحيم » ، بهم مع توبتهم وإصلاحهم أن يعذبهم .[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله = « من المهاجرين » ، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم ، وفارقوا منازلهم وأوطانهم[2] = « والأنصار » ، الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله[3] = « والذين اتبعوهم بإحسان » ، يقول : والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله ، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام ، طلبَ رضى الله[4] = « رضي الله عنهم ورضوا عنه » . ٦/١١

وكان في المطبوعة : « عبد الله بن مغفل » ، غير ما في المخطوطة ، وبدل ، وصحف ، وأساء إساءة لا يعذر فيها .

(١) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .

(٢) انظر تفسير « الهجرة » فيما سلف ص : ١٧٣ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الأنصار » فيما سلف ١٠ : ٤٨١ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله : « والسابقون الأوّلون » .

فقال بعضهم : هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، أو أدْركوا .

* ذكر من قال ذلك .

١٧٠٩٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن إسمعيل ، عن عامر : « والسابقون الأوّلون » ، قال : من أدرك بيعة الرضوان .

١٧١٠٠ — . . . . قال ، حدثنا ابن فضيل، عن مطرف ، عن عامر قال : المهاجرون الأوّلون ، من أدرك البيعة تحت الشجرة .

١٧١٠١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى قال ، حدثنا إسمعيل بن أبى خالد ، عن الشعبي قال : المهاجرون الأولون ، الذين شهدوا بيعة الرضوان .

١٧١٠٢ — حدثنى الحارث قال : حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان عن مطرف ، عن الشعبي قال : «المهاجرون الأولون »، من كان قبل البيعة إلى البيعة، فهم المهاجرون الأوّلون، ومن كان بعد البيعة، فليس من المهاجرين الأولين .

١٧١٠٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل ومطرف ، عن الشعبي قال : « السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ، هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

١٧١٠٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن داود ، عن عامر قال: فَصْلُ ما بين الهجرتين بيعة الرضوان، وهى بيعة الحديبية .

١٧١٠٥ — حدثنى المثنى قال: أخبرنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن أبى خالد ومطرف ، عن الشعبي قال : هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

١٧١٠٦ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا عبثر

أبو زبيد، عن مطرف، عن الشعبي قال: المهاجرون الأولون، من أدرك بيعة الرضوان .[١]

* * *

وقال آخرون : بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٠٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن عثمان الثقفي ، عن مولى لأبي موسى ، عن أبي موسى قال : المهاجرون الأولون ، من صلى القبلتين مع النبيّ صلى الله عليه وسلم .

١٧١٠٨ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ابن الربيع ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن مولى لأبي موسى قال : سألت أبا موسى الأشعرى عن قوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار »، قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعاً .

١٧١٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبي هلال ، عن قتادة قال : قلت لسعيد بن المسيب : لم سُمُّوا « المهاجرين الأولين» ؟ قال : من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعاً ، فهو من المهاجرين الأولين .

١٧١١٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال : المهاجرون الأولون ، الذين صلوا القبلتين .

١٧١١١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار »، قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعاً .

١٧١١٢ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عباس بن الوليد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٧١٠٦ — « عبثر ، أبو زبيد » ، هو « عبثر بن القاسم الزبيدى ، أبو زبيد » ، مضى برقم : ١٢٤٠٢ ، وغيرها .

يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

١٧١١٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب = وعن أشعث ، عن ابن سيرين = في قوله : « والسابقون الأولون » ، قال : هم الذين صلوا القبلتين .

١٧١١٤ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا معاذ بن معاذ قال ، حدثنا ابن عون ، عن محمد ، قال : المهاجرون الأولون ، الذين صلوا القبلتين .

١٧١١٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ، قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعاً . ١١/٧

* * *

وأما الذين اتبعوا المهاجرين الأولين والأنصار بإحسان ، فهم الذين أسلموا لله إسلامَهم ، وسلكوا منهاجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير ، كما : —

١٧١١٦ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب قال : مرّ عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان » ، قال : من أقرأك هذه الآية ؟[1] قال : أقرأنيها أبيّ بن كعب . قال : لا تفارقْني حتى أذهب بك إليه ! فأتاه فقال : أنت أقرأت هذا هذه الآية ؟ قال : نعم ! قال : وسمعتَها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! قال : [نعم!] .[2] قال : لقد كنتُ أرانا رُفِعنا رَفْعَةً لا يبلُغها أحدٌ بعدنا! فقال أبيّ : تصديق ذلك في أول الآية التي في أول الجمعة ،[3]

---

(١) استفهام عمر ، كما سيظهر في رقم : ١٧١١٨ ، عن قراءة الآية بخفض « الأنصار » وبالواو في « والذين» ، وقراءته هو ، رفع « الأنصار » وبغير واو في قوله « الذين اتبعوهم » .

(٢) الزيادة بين القوسين لا بد منها ، وليست في المخطوطة ولا المطبوعة ، ونقلتها من تفسير ابن كثير ٤ : ٢٢٩ .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : «قال : وتصديق ذلك في أول الآية» ، وهو غير مستقيم صوابه من تفسير ابن كثير ٤ : ٢٢٩ ، وانظر الأثر التالي .

وأوسط الحشر ، وآخر الأنفال. أما أول الجمعة : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾، [سورة الجمعة : ٣] ، وأوسط الحشر : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾، [سورة الحشر : ١٠] ، وأما آخر الأنفال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ ، [سورة الأنفال : ٧٥] .

١٧١١٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا الحسن بن عطية قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى قال : مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » حتى بلغ : « ورضوا عنه » ، قال : وأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا ؟ قال : أبي بن كعب ! فقال : لا تفارقنى حتى أذهب بك إليه ! فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم ! قال : أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم! قال : لقد كنت أظن أنا رُفِعنا رَفْعة لا يبلغها أحدٌ بعدنا! فقال أبيّ : بلى، تصديق هذه الآية فى أول سورة الجمعة : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ إلى ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، وفى سورة الحشر : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾ ، وفى الأنفال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ ، إلى آخر الآية .

* * *

وروى عن عمر فى ذلك ما :—

١٧١١٨ — حدثنى به أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن حبيب بن الشهيد ، وعن ابن عامر الأنصارى : أن عمر ابن الخطاب قرأ : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ ، فرفع « الأنصار » ولم يلحق الواو فى « الذين » ، فقال له زيد بن ثابت « والذين اتبعوهم بإحسان » ، فقال عمر : « الذين اتبعوهم بإحسان » ، فقال زيد :

أمير المؤمنين أعلم ! فقال عمر : ائتونى بأبىّ بن كعب . فأتاه ، فسأله عن ذلك ، فقال أبى : « والذين اتبعوهم بإحسان » ، فقال عمر : إذاً نتابع أبيًّا .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة على خفض «الأنصار» ، عطفاً بهم على «المهاجرين» .

* * *

وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ : ﴿ الأَنْصَارُ ﴾ ، بالرفع ، عطفاً بهم على « السابقين » .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز غيرها ، الخفضُ فى ﴿ الأَنْصَارِ ﴾ ، لإجماع الحجة من القرأة عليه ، وأن السابق كان من الفريقين جميعاً ، من المهاجرين والأنصار ، وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين ، دون الخبر عن الجميع = وإلحاق « الواو » فى « الذين اتبعوهم بإحسان » ، [1] لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين جميعاً ، على أن « التابعين بإحسان » ، غير « المهاجرين والأنصار » ، وأما « السابقون » ، فإنهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم فى قوله : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

* * *

ومعنى الكلام : رضى الله عن جميعهم لما أطاعوه ، وأجابوا نبيّه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه = ورضى عنه السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه ، وإيمانهم به وبنبيه عليه السلام = « وأعد لهم جناتٍ تجرى تحتها الأنهار » ، يدخلونها = « خالدين فيها » ، لابثين فيها [2] = « أبداً » ، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها [3] = « ذلك الفوز العظيم » . [4] ٨/١١

* * *

(١) قوله : « وإلحاق الواو » معطوف على قوله : « والقراءة التى لا أستجيز غيرها ، الخفض . . . » .

(٢) انظر تفسير « الخلد » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٣) انظر تفسير « أبداً » فيما سلف ص ١٧٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ص : ٤١٥ ، تعليق : ٨ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل مدينتكم أيضاً أمثالهم أقوامٌ منافقون .

* * *

وقوله : « مردوا على النفاق » ، يقول : مرَنُوا عليه ودَرِبوا به .

* * *

ومنه : «شيطانٌ مارد ، ومَرِيد »، وهو الخبيث العاتى. ومنه قيل: «تمرَّد فلان على ربه » ، أى : عتَا ، ومرنَ على معصيته واعتادها .[1]

* * *

وقال ابن زيد فى ذلك ما : —

١٧١١٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق »، قال : أقاموا عليه، لم يتوبوا كما تابَ الآخرون .

١٧١٢٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة،عن ابن اسحق : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » ، أى : لجُّوا فيه ، وأبوْا غيرَه .[2]

* * *

= « لا تعلمهم » ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تعلم،يا محمد ، أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفتُ لك صفتَهم ممن حولكم من الأعراب ومن أهل

---

(١) انظر تفسير « مريد » فيما سلف ٩ : ٢١١ ، ٢١٢ . وفى المطبوعة : « أى : عتا ومرد على معصيته . . . » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٧١٢٠ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٨٩ .

المدينة ، ولكنا نحن نعلمهم ، كما : —

١٧١٢١ — حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وممن حولكم من الأعراب منافقون » إلى قوله : « نحن نعلمهم » ، قال : فما بال أقوام يتكلَّفون علم الناس؟ فلانٌ فى الجنة وفلان فى النار! فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال : لا أدرى ! لعمرى أنتَ بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ، ولقد تكلفت شيئاً ما تكلفته الأنبياء قبلك! قال نبى الله نوح عليه السلام : ﴿ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، [سورة الشعراء : ١١٢] ، وقال نبى الله شعيب عليه السلام : ﴿ بَقِيَّةُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [سورة هود : ٨٦] ، وقال الله لنبيه عليه السلام : « لا تعلمهم نحن نعلمهم » .

* * *

وقوله : « سنعذبهم مرتين » ، يقول : سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين ، إحداهما فى الدنيا ، والأخرى فى القبر .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى التى فى الدنيا ، ما هى ؟

فقال بعضهم : هى فضيحتهم ، فضحهم الله بكشف أمورهم ، وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٢٢ — حدثنا الحسين بن عمرو والعنقزى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس فى قول الله : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » إلى قوله : « عذاب عظيم » ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة فقال : اخرج يا فلان ، فإنك منافق ، اخرج ، يا فلان ، فإنك منافق . فأخرج من المسجد ناساً منهم ، فضحهم . فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد ، فاختبأ منهم حياءً

أنه لم يشهد الجمعة ، وظن أنّ الناس قد انصرفوا . واختبأوا هم من عمر ، ظنّوا أنه قد علم بأمرهم . فجاء عمر فدخل المسجد ، فإذا الناس لم يصلُّوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر ، يا عمر ، فقد فضح الله المنافقين اليوم ! فهذا العذاب الأول ، حين أخرجهم من المسجد . والعذاب الثانى ، عذابُ القبر .(١)

١٧١٢٣ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك : « سنعذبهم مرتين » ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكر المنافقين ، فيعذبهم بلسانه . قال : وعذاب القبر .

* * *

[وقال آخرون : ما يصيبهم من السبي والقتل والجوع والخوف فى الدنيا].(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٢٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « سنعذبهم مرتين » ، قال : القتل والسِّبَاء .

١٧١٢٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « سنعذبهم مرتين » ، بالجوع ، وعذاب القبر . قال : « ثم يردون إلى هذا عذاب عظيم » ، يوم القيامة .

١١/٩

١٧١٢٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا جعفر بن عون ، والقاسم ، ويحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « سنعذبهم مرتين » ، قال : الجوع والقتل = وقال يحيى : الخوف والقتل .(٣)

١٧١٢٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : بالجوع والقتل .

---

(١) الأثر : ١٧١٢٢ — رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٣ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه الحسين بن عمرو بن محمد المنقزى ، وهو ضعيف » .

(٢) هذه الترجمة التى بين القوسين ، ليست فى المخطوطة ولا المطبوعة ، استظهرتها من سياق الأخبار التالية .

(٣) فى المطبوعة : « بالجوع . . . بالخوف » ، بالباء فى أوله ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١٧١٢٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك : « سنعذبهم مرتين » ، قال : بالجوع وعذاب القبر .

١٧١٢٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « سنعذبهم مرتين » ، قال : الجوع والقتل .[1]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : سنعذبهم عذاباً في الدنيا ، وعذاباً في الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « سنعذبهم مرتين » ، عذاب الدنيا ، وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم . ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أسرَّ إلى حذيفة باثني عشر رجلاً من المنافقين ، فقال : « ستة منهم تكفيكَهم الدُّبيلة ،[2] سِراج من نار جهنم ، يأخذ في كتف أحدهم حتى تُفضي إلى صدره، وستة يموتون موتاً». ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله ، كان إذا مات رجل يرى أنه منهم ، نظر إلى حذيفة ، فإن صلى عليه صلى عليه، وإلا تركه. وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة : أنشُدُك الله، أمنهم أنا ؟ قال : لا والله ، ولا أومِن منها أحداً بعدَك !

١٧١٣١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « سنعذبهم مرتين » ، قال : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر .

١٧١٣٢ — حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن العلاء قالا، حدثنا بدل بن المحبر قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة : « سنعذبهم مرتين » ، قال : عذاباً في الدنيا ، وعذاباً في القبر .

---

(١) في المطبوعة : « بالجوع » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) « الدبيلة » في اللغة ، خراج ودمل كبير ، تظهر في الجوف ، فتقتل صاحبها غالباً ، وهي تصغير « دبلة » (بضم الدال وسكون الباء) ، بمثل معناها .

١٧١٣٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر ، = ثم يردّون إلى عذاب النار .

* * *

وقال آخرون : كان عذابهم إحدى المرتين ، مصائبَهم فى أموالهم وأولادهم ، والمرة الأخرى فى جهنم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « سنعذبهم مرتين » ، قال : أما عذابٌ فى الدنيا ، فالأموال والأولاد . وقرأ قول الله : ﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهم وَلاَ أَوْلاَدُهُم إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ،[سورة التوبة : ٥٥] ، بالمصائب فيهم ، هى لهم عذاب ، وهى للمؤمنين أجر . قال : وعذاب فى الآخرة ، فى النار = « ثم يردون إلى عذاب عظيم » ، قال : النار .

* * *

وقال آخرون : بل إحدى المرتين ، الحدود ، والأخرى عذابُ القبر .

ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرتضًى .(١)

* * *

وقال آخرون : بل إحدى المرتين ، أخذ الزكاة من أموالهم ، والأخرى عذابُ القبر .

ذكر ذلك عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن .

* * *

وقال آخرون : بل إحدى المرتين ، عذابهُم بما يدخل عليهم من الغَيْظِ فى أمر الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « سنعذبهم مرتين » ، قال : العذاب الذى وعدَهم مرتين ، فيما بلغنى ، غمُّهم بما هم

---

(١) فى المطبوعة : « غير مرضى » ، وأثبت ما فى المخطوطة

فيه من أمر الإسلام، [1] وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حِسْبَة ، ثم عذابهم فى القبر إذا صاروا إليه ، ثم العذاب العظيم الذين يردُّون إليه ، عذابُ الآخرة ، [2] والخُلْد فيه . [3]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال : إن الله أخبر أنه يعذِّب هؤلاء الذين مرَدوا على النفاق مرتين ، ولم يضع لنا دليلاً يوصِّل به إلى علم صفة ذينك العذابين [4] = وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم. وليس عندنا علم بأىِّ ذلك من أىٍّ . [5] غير أن فى قوله جل ثناؤه «ثم يردّون إلى عذاب عظيم» ، دلالة على أن العذاب فى المرّتين كلتيهما قبل دخولهم النار . والأغلب من إحدى المرتين أنها فى القبر . ١٠/١١

* * *

وقوله : « ثم يردون إلى عذاب عظيم » ، يقول : ثم يردُّ هؤلاء المنافقون ، بعد تعذيب الله إياهم مرتين ، إلى عذاب عظيم ، وذلك عذاب جهنم .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فيما بلغنى عنهم ما هم فيه أمر الإسلام » ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة : « ويخلدون فيه » ، وفى المخطوطة : « ويخلد فيه » ، وصواب قراءتها من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٧١٣٥ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧١٢٠ .

(٤) فى المطبوعة : « نتوصل به » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « بأى ذلك من بأى ، على أن فى قوله . . . » ، فحرف وبدل وأفسد الكلام إفساداً .

وانظر القول فى « أى ذلك كان من أى » فيما سلف ص : ٣٦٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك ، فقد مضت أخواتها كثيراً ، وحرفها النساخ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ، ومنهم « آخرون اعترفوا بذنوبهم » ، يقول : أقرُّوا بذنوبهم = « خلطوا عملا صالحاً » ، يعنى جل ثناؤه بالعمل الصالح الذى خلطوه بالعمل السيئ : اعترافهم بذنوبهم ، وتوبتهم منها ، والآخر السيئ : هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خرج غازياً ، وتركهم الجهادَ مع المسلمين .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، وإنما الكلام : خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئ ؟

قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك .

فكان بعض نحويى البصرة يقول : قيل ذلك كذلك ، وجائزٌ فى العربية أن يكون « بآخر » ، [١] كما تقول « استوى الماء والخشبة » ، أى : بالخشبة ، « وخلطت الماء واللبن » .

وأنكر [آخر] أن يكون نظير قولهم [٢] : « استوى الماء والخشبة » ، واعتلَّ فى ذلك بأن الفعل فى « الخلط » عامل فى الأول والثانى ، وجائز تقديم كل واحد منهما على صاحبه ، وأن تقديم « الخشبة » على « الماء » غير جائز فى قولهم : « استوى الماء والخشبة » ، وكان ذلك عنده دليلاً على مخالفة ذلك « الخلطَ » . [٣]

* * *

(١) لا شك أن الناسخ أسقط شيئاً من كلام أبى جعفر ، وهو ظاهر لمن تأمل. وانظر التعليق التالى .

(٢) الذى بين القوسين فى المطبوعة وحدها ، ولكنه كان فيها « آخرون » . أما المخطوطة ففيها : « وأنكر أن يكون نظير قولهم . . . » ، وهذا أيضاً دال على إسقاط الناسخ بعض الكلام . وانظر التعليق التالى .

(٣) فى المطبوعة : « دليلا عندهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، ولكن الناشر الأول غيره

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أنه بمعنى قولهم : « خلطت الماء واللبن » ، بمعنى : خلطته باللبن .

* * *

= « عسى الله أن يتوب عليهم » ، يقول : لعلّ الله أن يتوب عليهم = « وعسى » من الله واجب ، [1] وإنما معناه : سيتوب الله عليهم ، ولكنه فى كلام العرب على ما وصفت = « إن الله غفور رحيم » ، يقول : إن الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه ، وساترٌ له عليها = « رحيم » ، به أن يعذبه بها . [2]

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بهذه الآية ، والسبب الذى من أجله أنزلت فيه .

فقال بعضهم : نزلت فى عشرة أنفس كانوا تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، منهم أبو لبابة ، فربط سبعةٌ منهم أنفسهم إلى السّوارى عند مـَقـْدم النبي صلى الله عليه وسلم ، توبةً منهم من ذنبهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، قال : كانوا عشرة رَهـْطٍ ، تخلّفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فلما حضرَ رُجوع النبي صلى الله عليه وسلم ، أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسوارى المسجد ، فكان ممرّ النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع فى المسجد عليهم . [3]

لما وضع « آخرون » من عند نفسه . انظر التعليق السالف .

هذا ، وقد تركت الكلام على حاله ، لأنى لا أشك أن الناسخ تخطأ بعض كلام أبى جعفر .

(١) انظر تفسير « عسى » فيما سلف : ص ١٦٧ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .

(٣) فى المطبوعة : « وكان » ، وأثبت ما فى المخطوطة بالفاء .

فلما رآهم قال: من هؤلاء الموثِقُون أنفسهم بالسوارى؟ قالوا : هذا أبو لبابة وأصحابٌ له تخلفوا عنك، يا رسول الله، [وحلفوا لا يطلقهم أحد]، حتى تطلقهم. وتعذرهم.(١) فقال النبي عليه السلام : وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم ، حتى يكون الله هو الذى يطلقهم ، رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين ! فلما بلغهم ذلك قالوا : ونحن والله لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذى يطلقنا !(٢) فأنزل الله تبارك وتعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » = و« عسى » من الله واجب . فلما نزلت ، أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعَذَرَهُم .

* * *

وقال آخرون : بل كانوا ستة ، أحدهم أبو لبابة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٧ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئًا عسى الله » إلى قوله: « إن الله غفور رحيم »، وذلك ١١/١١ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك ، فتخلف أبو لبابة وخمسة معه عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكّروا وندموا، وأيقنوا بالهلكة، وقالوا: « نكون في الكِنِّ والطمأنينة مع النساء، ورسول الله والمؤمنون معه في الجهاد ! والله لنوثقنّ أنفسنا بالسّوارى، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرُنا »، فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسوارى المسجد ، وبقى ثلاثةُ نفرٍ لم يوثقوا أنفسهم . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم وتعذرهم » ، سقط بعض الكلام وتمامه في الدر المنثور : « وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى تطلقهم وتعذرهم » ، وآثرت ما وضعته بين القوسين .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « ونحن بالله » ، وآثرت ما كتبت .

من غزوته ، وكان طريقه فى المسجد ، فمرّ عليهم فقال : من هؤلاء الموثقو أنفسهم بالسوارى ؟ فقالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له ، تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتّى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم ، وقد اعترفوا بذنوبهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا أطلقهم حتّى أومر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتّى يكون الله هو يعذرهم ، وقد تخلفوا عنى ، ورغبوا بأنفسهم عن غزو المسلمين وجهادهم ! فأنزل الله برحمته : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » = و « عسى » من الله واجب= فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعذرهم ، وتجاوز عنهم .

* * *

وقال آخرون : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى كانوا ثمانية .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم : «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » ، قال : هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى ، منهم كرْدَم ، ومرداس ، وأبو لبابة .

١٧١٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى : هلال ، وأبو لبابة ، وكردم ، ومرداس ، وأبو قيس .(١)

* * *

وقال آخرون : كانوا سبعة .

ذكر من قال ذلك :

١٧١٤٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

(١) هؤلاء خمسة ، لم يذكر تمام الثمانية ، كما تدل عليه ترجمة الكلام .

قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » ، ذكر لنا أنهم كانوا سبعة رَهْطٍ تخلفوا عن غزوة تبوك ، فأما أربعة فخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً : جدُّ بن قيس ، وأبو لبابة ، وحرام ، وأوس ، وكلهم من الأنصار ، وهم الذين قيل فيهم : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ ، الآية .

١٧١٤١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، ، عن معمر ، عن قتادة : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، قال : هم نفر ممن تخلف عن تبوك ، منهم أبو لبابة ، ومنهم جد بن قيس ، تِيبَ عليهم = قال قتادة : وليسوا بثلاثة .

١٧١٤٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، قال : هم سبعة ، منهم أبو لبابة ، كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك ، وليسوا بالثلاثة .

١٧١٤٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً » ، نزلت فى أبي لبابة وأصحابه ، تخلفوا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فلما قَفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان قريباً من المدينة ، ندموا على تخلفهم عن رسول الله وقالوا : «نكون فى الظلال والأطعمة والنساء ، ونبى الله فى الجهاد واللأواء! والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى ، ثم لا نطلقها حتى يكون نبى الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا! » ، وأوثقوا أنفسهم ، وبقى ثلاثة ، لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى .[1] فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، فمرّ فى المسجد ، وكان طريقه ، فأبصرهم ، فسأل عنهم ، فقيل له : أبو لبابة وأصحابه ، تخلفوا عنك ، يانبى الله ، فصنعوا بأنفسهم

١٢/١١

(١) « بالسوارى » زيادة من المخطوطة ، ليست فى المطبوعة

ما ترى ، وعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتّى تكون أنت الذى تطلقهم ! فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : لا أطلقهم حتّى أومر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله ، قد رغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين ! فأنزل الله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، إلى «عسى الله أن يتوب عليهم » = و « عسى » من الله واجب = فأطلقهم نبيُّ الله وعذرهم .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بهذه الآية أبو لبابة خاصة ، وذنبه الذى اعترف به فتيب عليه فيه ، [1] ما كان من أمره فى بنى قريظة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٤٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم »، قال : نزلت فى أبي لبابة، قال لبنى قريظة ما قال .

١٧١٤٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، قال : أبو لبابة ، إذ قال لقريظة ما قال ، أشار إلى حلقه : أن محمداً ذابحكم إن نزلتم على حُكْم الله .

١٧١٤٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، فذكر نحوه = إلا أنه قال : إن نزلتم على حكمه .

١٧١٤٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد : ربط أبو لبابة نفسه إلى سارية ، فقال : لا أحلُّ نفسى حتى يحلنى الله ورسوله ! قال : فحلّه النبي صلى الله عليه وسلم : وفيه أنزلت هذه الآية : « وآخرون اعترفوا

---

(١) فى المطبوعة : « فتيب عليه منه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى صواب محض .

بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً » ، الآية .

١٧١٤٨ ـ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن ليث ، عن مجاهد : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، قال : نزلت فى أبى لبابة .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت فى أبى لبابة ، بسبب تخلفه عن تبوك .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٤٩ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الزهرى : كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك، فربط نفسه بسارية، فقال : والله لا أحلّ نفسى منها، ولا أذوق طعاماً ولا شراباً ، حتى أموت أو يتوب الله علىّ! فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خرّ مغشيًّا عليه ، قال : ثم تاب الله عليه ، ثم قيل له : قد تيب عليك يا أبا لبابة ! فقال : والله لا أحلّ نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلّنى ! قال : فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فحله بيده ، ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله ، إنّ من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالى كله صدقة إلى الله وإلى رسوله ! قال : يجزيك يا أبا لبابة الثلث .

* * *

وقال بعضهم : عنى بهذه الآية الأعراب .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٥٠ ـ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، قال فقال : إنهم من الأعراب .

١٧١٥١ ـ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون ، عن حجاج ابن أبى زينب قال : سمعت أبا عثمان يقول : ما فى القرآن آية أرجى عندى لهذه

الأمة من قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » إلى : « والله غفور رحيم » .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى ذلك ، قولُ من قال : نزلت هذه الآية فى المعترفين بخطأ فعلهم فى تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركهم الجهادَ معه ، والخروجَ لغزو الروم ، حين شخص إلى تبوك = وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة ، أحدهم أبو لبابة .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب فى ذلك ، لأن الله جل ثناؤه قال : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ، ولم يكن المعترفُ بذنبه ، الموثقُ نفسه بالسارية فى حصار قريظة ، غير أبى لبابة وحده . فإذ كان ذلك [كذلك] ،[2] وكان الله تبارك وتعالى قد وصف فى قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » بالاعتراف بذنوبهم جماعةً ، عُلِم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك ليست الواحد ،[3] فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذ لم تكن إلا لجماعة ، وكان لا جماعةَ فعلت ذلك ، فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل ، إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك ، صحَّ ما قلنا فى ذلك . وقلنا : « كان منهم أبو لبابة » ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك

* * *

(١) الأثر : ١٧١٥١ - « حجاج بن أبى زينب السلمى » ، « أبو يوسف الواسطى » ، « الصيقل » ، ضعيف ، ليس بقوى ولا حافظ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٧٣ ، وابن أبى حاتم ١/٢/١٦١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٢١٥ . وكان فى المطبوعة : « بن أبى ذئب » ، وهو خطأ ، والمخطوطة برسم المطبوعة غير منقوطة .

و « أبو عثمان » ، هو النهدى ، « عبد الرحمن بن مل » ، ثقة ، أسلم على عهد رسول الله ولم يلقه . مضى مراراً ، منها رقم : ١٣٠٩٧ - ١٣١٠٠ .

وهذا الخبر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٧٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، وابن أبى الدنيا فى التوبة ، وابن المنذر ، وأبى الشيخ ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

(٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٣) فى المطبوعة : « أن الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد » ، أساء قراءة المخطوطة ، فحرف وزاد من عنده ، ما أفسد الكلام وأهلكه .

القول فى تأويل قوله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها = « صدقة تطهرهم » ، من دنس ذنوبهم [١] = «وتزكيهم بها »، يقول : وتنمِّيهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها ، إلى منازل أهل الإخلاص [٢] = « وصل عليهم » ، يقول : وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم ، واستغفر لهم منها = « إن صلاتك سكن لهم » ، يقول : إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم ، بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم [٣] = « والله سميع عليم »، يقول : والله سميع لدعائك إذا دعوت لهم ، ولغير ذلك من كلام خلقه = « عليم » ، بما تطلب لهم بدعائك ربَّك لهم . وبغير ذلك من أمور عباده . [٤]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٥٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : جاءوا بأموالهم = يعنى أبا لبابة وأصحابه = حين أطلقوا ، فقالوا : يا رسول الله ، هذه أموالنا فتصدَّق بها عنا ، واستغفر لنا ! قال : ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً ! فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم

---

(١) انظر تفسير « التطهير » فيما سلف : ١٢ : ٥٤٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « التزكية » فيما سلف من فهارس اللغة (زكا) .
(٣) انظر تفسير « الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (صلا) .
= وتفسير « سكن » فيما سلف ١١ : ٥٥٧ .
(٤) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

وتزكيهم بها » ، يعني بالزكاة : طاعة الله والإخلاص =« وصل عليهم» ، يقول : استغفر لهم .

١٧١٥٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه ، انطلق أبو لبابة وصاحباه بأموالهم ، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خذ من أموالنا فتصدَّق بها عنا ، وصلِّ علينا = يقولون : استغفر لنا = وطهرنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا آخذ منها شيئاً حتى أومر . فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، يقول : استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوا . فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءاً من أموالهم فتصدَّق بها عنهم .

١٧١٥٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم قال : لما أطلق النبي صلى الله عليه وسلم أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسَّواري ، قالوا : يا رسول الله ، خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها ! فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم » ، الآية .

١٧١٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير قال : قال الذين ربطوا أنفسهم بالسواري حين عفا عنهم : يا نبيَّ الله ، طهِّر أموالنا! فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » . وكان الثلاثة إذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخران مثله ، وكان عَمِي منهم اثنان ، فلم يزل الآخر يدعو حتى عَمِي .

١٧١٥٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : الأربعة : جدُّ بن قيس ، وأبو لبابة ، وحرام ، وأوس ، هم الذين قيل فيهم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، أي : وقارٌ لهم ، وكانوا وعدوا من أنفسهم أن ينفقوا ويجاهدوا ويتصدَّقوا .

١٧١٥٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك ، قال : لما أطلق نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه ، أتوا نبيّ الله بأموالهم فقالوا : يا نبي الله ، خذ من أموالنا فتصدّق به عنا ، وطهّرنا ، وصلّ علينا = يقولون: استغفر لنا = فقال نبي الله: لا آخذ من أموالكم شيئاً حتى أومر فيها ! فأنزل الله عز وجل : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم » ، من ذنوبهم التى أصابوا = « وصل عليهم » ، يقول : استغفر لهم . ففعل نبي الله عليه السلام ما أمرَه الله به .

١٧١٥٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « خذ من أموالهم صدقة » ، أبو لبابة وأصحابه = « وصل عليهم » ، يقول: استغفر لهم ، لذنوبهم التى كانوا أصابوا .

١٧١٥٩ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، قال : هؤلاء ناسٌ من المنافقين ممن كان تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، اعترفوا بالنفاق ، وقالوا : يا رسول الله ، قد ارتبنا ونافقنا وشككنا، ولكن توبةٌ جديدة، وصدقةٌ نخرجها من أموالنا ! فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام : « خذ من أموالهم صدقةٌ تطهرهم وتزكيهم بها » ، بعد ما قال : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ ، [سورة التوبة : ٨٤].

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه رفع « تزكيهم » .

فقال بعض نحويى البصرة : رفع « تزكيهم بها » ، فى الابتداء ، وإن شئت جعلته من صفة « الصدقة » ، ثم جئت بها توكيداً ، وكذلك « تطهرهم » .

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة : إن كان قوله : « تطهرهم » للنبي عليه السلام ، فالاختيار أن تجزم ، لأنه لم يعد على « الصدقة » عائد[1]، و« تزكيهم » ، مستأنفٌ . وإن كانت الصدقة تطهرهم وأنت تزكيهم بها ، جاز أن تجزم الفعلين وترفعهما .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب في ذلك من القول ، أن قوله : « تطهرهم » ، من صلة « الصدقة » ، لأن القرأة مجمعة على رفعها ، وذلك دليل على أنه من صلة « الصدقة » . وأما قوله : « وتزكيهم بها » ، فخبر مستأنفٌ ، بمعنى : وأنت تزكيهم بها ، فلذلك رفع .

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « إن صلاتك سكن لهم » .

فقال بعضهم : رحمة لهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٦٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، « إن صلاتك سكن لهم » ، يقول : رحمة لهم .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : إن صلاتك وقارٌ لهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٦١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إن صلاتك سكن لهم » ، أي : وقارٌ لهم .

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته قرأة المدينة : ﴿ إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ بمعنى : دعواتك .

* * *

(١) في المطبوعة : « بأنه لم يعد » ، وأثبت ما في المخطوطة .

وقرأ قرأة العراق وبعض المكيين : ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ، بمعنى : إن دعاءك .

* * *

قال أبو جعفر : وكأنّ الذين قرأوا ذلك على التوحيد ، رأوا أن قراءته بالتوحيد أصحُّ ، لأن فى التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس فى قوله : « إن صلواتك سكن لهم » ، إذ كانت « الصلوات » ، هى جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد ، دون ما هو أكثر من ذلك . والذى قالوا من ذلك ، عندنا كما قالوا ، وبالتوحيد عندنا القراءةُ لا العلة ، لأن ذلك فى العدد أكثر من « الصلوات »،[1] ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم وصلواته أنه سكن لهؤلاء القوم ،[2] لا الخبر عن العدد . وإذا كان ذلك كذلك ، كان التوحيد فى « الصلاة » ، أولى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٠٤﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره ، أخبر به المؤمنين به : أن قبول توبة من تاب من المنافقين ، وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها ، ليسا إلى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم = وأن نبىّ الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسوارى من المتخلفين عن الغزو معه ، وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له فى ذلك ، إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك إلى الله تعالى ذكره دون محمد ، وأن محمداً إنما يفعل ما يفعل من تركٍ وإطلاقٍ

(١) فى المطبوعة : « وبالتوحيد عندنا القراءة لا لعلة أن ذلك فى العدد . . . » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) فى المطبوعة : « وصلاته » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله ، بأمر الله . فقال جل ثناؤه : ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين ، الموثقو أنفسهم بالسوارى ، القائلون : «لا نُطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا» ، السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذَ صدقة أموالهم ، أنّ ذلك ليس إلى محمد ، وأن ذلك إلى الله ، وأن الله هو الذى يقبل توبة من تاب من عباده أو يردُّها ، ويأخذ صدقة من تصدَّق منهم أو يردُّها عليه دون محمد ، فيوجِّهوا توبتهم وصدقتهم إلى الله ، و يقصدوا بذلك قصدَ وجهه دون محمد وغيره ، ويخلصوا التوبة له ، ويريدوه بصدقتهم ، ويعلموا أن الله هو التواب الرحيم ؟ = يقول : المراجع لعبيده إلى العفو عنهم إذا رجعوا إلى طاعته ، الرحيم بهم إذا هم أنابوا إلى رضاه من عقابه .[١]

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما : —

١٧١٦٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قال الآخرون = يعنى الذين لم يتوبوا من المتخلفين : هؤلاء ، يعنى الذين تابوا ، كانوا بالأمس معنا لا يكلَّمون ولا يجالَسون ، فما لهم؟ فقال الله : «إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم» .[١]

١٧١٦٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، أخبرنى رجل كان يأتى حماداً ولم يجلس إليه = قال شعبة : قال العوام بن حوشب : هو قتادة ، أو ابن قتادة ، رجل من محارب = قال : سمعت عبد الله بن السائب = وكان جاره = قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : ما من عبدٍ تصدق بصدقة إلا وقعت فى يد الله ، فيكون هو الذى يضعُها فى يد السائل. وتلا هذه الآية : «وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات» .[٢]

---

(١) انظر تفسير «التوبة» ، «التواب» ، «الرحيم» ، فيما سلف من فهارس اللغة (توب) ، (رحم) .

(٢) الأثر : ١٧١٦٣ — «قتادة» ، أو «ابن قتادة» ، رجل من محارب . لم أجده هكذا .

١٧١٦٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبى قتادة المحاربى ، عن عبد الله بن مسعود قال : ما تصدّق رجلٌ بصدقة إلا وقعت فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل ، وهو يضعها فى يد السائل . ثم قرأ: «ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » .[1]

١٧١٦٥ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن عبد الله بن قتادة، عن ابن مسعود، بنحوه .[1]

١٧١٦٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبى قتادة ، قال قال عبد الله : إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل . ثم قرأ هذه الآية : « هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات» .[1]

ولم أجد أحداً تكلم فى أمره أو ذكره . وصريح هذا الإسناد يدل على أن « قتادة » أو « ابن قتادة » المحاربى ، هذا ، هو الذى أخبر شعبة ، وهو الذى كان يأتى حماداً ، ولم يجلس إليه ، وأنه هو الذى سمع من عبد الله بن السائب ، وكان جاره ، وأن « عبد الله بن السائب » هو الذى سمع من عبد الله ابن مسعود . وهذا إشكال :

فإن « عبد الله بن السائب » ، هو « عبد الله بن السائب الكندى » ، روى عن أبيه ، وزاذان الكندى . وعبد الله بن معقل بن مقرن ، وعبد الله بن قتادة المحاربى (كما سيأتى فى الآثار التالية) . وروى عنه الأعمش ، وأبو إسحق الشيبانى ، والعوام بن حوشب ، وسفيان الثورى . وهو ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٧٥ ، ولم يذكروا له رواية عن ابن مسعود كما ترى ، بل ذكروا روايته عن « عبد الله بن قتادة المحاربى » ، كما سيأتى فى الآثار التالية .

فأنا أخشى أن يكون فى إسناد هذا الخبر شيء ، بدلالة الآثار التى تليه ، وهى مستقيمة على ما ذكر فى كتب الرجال ، وأخشى أن يكون شعبة سمعه عن رجل كان يأتى حماداً ولم يجلس إليه ، عن عبد الله بن السائب ، عن قتادة ، أو ابن قتادة ، رجل من محارب = ثم سمعه من العوام بن حوشب ، عن عبد الله بن السائب ، عن قتادة ، أو ابن قتادة ، رجل من محارب = وأن يكون الناسخ قد أفسد الإسناد . وانظر الكلام على « عبد الله بن أبى قتادة المحاربى » أو « عبد الله بن قتادة » فى التعليق على الآثار التالية .

(١) الآثار : ١٧١٦٤ — ١٧١٦٦ — « عبد الله بن السائب الكندى » ، مضى فى التعليق السالف .

١٧١٦٨ — حدثنا أبو كريب [قال، حدثنا وكيع] قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن القاسم : أنه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ، فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره ، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد . وتصديق ذلك فى كتاب الله : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » ، [1] و﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَا وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَاتِ ﴾ ، [2] [سورة البقرة : ٢٧٦] .

١٧١٦٩ — حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطع الرقى قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن عباد بن منصور ، عن القاسم ، عن أبى هريرة ، ولا أراه إلا قد رفعه قال : إن الله يقبل الصدقة = ثم ذكر نحوه . [3]

وأما « عبد الله بن أبى قتادة المحاربى » ، فهو هكذا فى جميعها ، إلا فى رقم : ١٧١٦٥ ، فإنه فى المخطوطة : « عبد الله بن قتادة » ، ولكن ناشر المطبوعة زاد « أبى » من عند نفسه .

وأما كتب التراجم ، فلم تذكر سوى « عبد الله بن قتادة المحاربى » ، ترجم له ابن أبى حاتم ٢/٢/١٤١ وقال : « روى عن عبد الله بن مسعود ، روى عنه عبد الله بن السائب ، سمعت أبى يقول ذلك » . وترجم له أيضاً الحافظ ابن حجر فى تعجيل المنفعة : ٢٣٣ ، وقال : « عن ابن مسعود ، وعنه عبد الله بن السائب . وثقه ابن حبان » ، ثم قال : « كلام البخارى يدل على أنه لم يرو شيئاً مسنداً فإنه قال : روى عن ابن مسعود قوله فى الصدقة ، قاله الثورى ، عن عبد الله بن السائب ، عنه » .

وأما « عبد الله بن أبى قتادة » ، فلم أجد ذكره هكذا إلا فى تفسير أبى جعفر .

وهذا الخبر ذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٢٧٥ ، ونسبه إلى عبد الرزاق ، والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ١١١ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه : عبد الله بن قتادة المحاربى ، لم يضعفه أحد ، وبقية رجاله ثقات » .

(١) هكذا جاءت الآية فى المخطوطة « وهو الذى يقبل التوبة » ، كما رواه أحمد فى المسند أيضاً رقم : ١٠٠٩٠ ، بهذا الإسناد ، بمثل هذا الخطأ ، فإن التلاوة : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة . . . » ، وقد استظهر أخى السيد أحمد أنه خطأ قديم ، كما قال فى التعليق على الخبر رقم : ٦٢٥٣ فيما سلف . وأما فى المطبوعة ، فقد صححها الناشر « أن الله هو يقبل التوبة . . . » . وأثبت ما فى المخطوطة ليعلم هذا الخطأ .

(٢) الأثر : ١٧١٦٨ — سلف هذا الخبر بهذا الإسناد برقم : ٦٢٥٣ ، وخرجه أخى السيد أحمد هناك .

(٣) الأثر : ١٧١٦٩ — « سليمان بن عمر بن خالد الأقطع الرقى » ، مضى برقم : ٦٢٥٤ . وكان فى المطبوعة « الربى » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وصواب قراءتها « الرقى » .

مضى برقم : ٦٢٥٤ ، وخرجه أخى السيد أحمد فيما سلف .

١٧١٧٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي هريرة قال : إن الله يقبل الصدقة إذا كانت من طيِّب ، ويأخذها بيمينه ، وإن الرّجل يتصدق بمثل اللقمة ، فيربِّيها الله له كما يربِّى أحدكم فصيله أو مُهْره ، فتربو فى كف الله = أو قال : فى يد الله = حتى تكون مثل الجبل .(١)

١١/١٦

١٧١٧١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : والذى نفس محمد بيده ، لا يتصدق رجلٌ بصدقة فتقع فى يد السائل ، حتى تقع فى يد الله !

١٧١٧٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وأن الله هو التواب الرحيم » ، يعنى : إن استقاموا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وقل » ، يا محمد ، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك = « اعملوا» لله بما يرضيه ، من طاعته ، وأداء فرائضه =« فسيرى الله عملكم ورسوله »،

(١) الأثر : ١٧١٧٠ – مضى برقم : ٦٢٥٦ ، من طريق محمد بن عبد الملك ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، بنحوه . وخرجه أخى السيد أحمد هناك ، وأشار إلى رواية الطبرى فى هذا الموضع ، وصحح إسناده هذا .

يقول : فسيرى الله إن عملتم عملكم ، ويراه رسوله والمؤمنون ، فى الدنيا = « وستردون » ، يوم القيامة ، إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم ، فلا يخفى عليه شىء من باطن أموركم وظواهرها[١] = « فينبئكم بما كنتم تعملون » ، يقول : فيخبركم بما كنتم تعملون ، [٢]وما منه خالصاً ، وما منه رياءً ، وما منه طاعةً ، وما منه لله معصية ، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم ، المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته .

* * *

١٧١٧٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، قال : هذا وعيدٌ .[٣]

* * *

(١) انظر تفسير « عالم الغيب والشهادة » فيما سلف من فهارس اللغة (غيب) ، (شهد) .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .

(٣) عند هذا الموضع انتهى الجزء الحادى عشر من مخطوطتنا ، وفى نهايته ما نصه :

« تم الجزء الحادى عشر من كتاب البيان ،

بحمد الله وعونه وحُسْن توفيقه

يتلوه فى الجزء الثانى عشر ، إن شاء الله تعالى :

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

وكان الفراغ من نسخه فى شهر شعبان المبارك سنة خمس عشرة وسبعمئة . غفر الله لمؤلفه ، ولصاحبه ، ولكاتبه ، ولجميع المسلمين .

آمين ، آمين ، آمين ، آمين ، آمين »

ثم يتلوه الجزء الثانى عشر ، وأوله :

« بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

رَبِّ يسِّرْ »

القول فى تأويل قوله ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوّكم ، أيها المؤمنون، آخرون .

* * *

ورفع قوله : « آخرون » ، عطفاً على قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً » .

* * *

= « وآخرون مرجون » ، يعنى : مُرْجئون لأمر الله وقضائه .

* * *

يقال منه : « أرجأته أرجئه إرجاء، وهو مرجَأ » ، بالهمز وترك الهمز ، وهما لغتان معناهما واحد . وقد قرأت القرأة بهما جميعاً .(١)

* * *

وقيل : عُنِى بهؤلاء الآخرين ، نفرٌ ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فندموا على ما فعلوا ، ولم يعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده مقدمه ، ولم يوثقوا أنفسهم بالسوارى ، فأرجأ الله أمرهم إلى أن صحّت توبتهم، فتاب عليهم وعفا عنهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٧٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : وكان ثلاثة منهم = يعنى : من المتخلفين عن

(١) انظر تفسير « الإرجاء » فيما سلف ١٣ : ٢٠ ، ٢١ .

غزوة تبوك = لم يوثقوا أنفسهم بالسواري ، أرجئوا سَبْتَة ، [1] لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم ، فأنزل الله: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ، [سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨] .

١٧١٧٥ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية = يعني قوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » = أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم = يعني من أموال أبي لبابة وصاحبيه = فتصدّق بها عنهم ، وبقي الثلاثة الذين خالفوا أبا لبابة ، ولم يوثقوا ، ولم يذكروا بشيء ، ولم ينزل عذرهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحُبت ، وهم الذين قال الله : « وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم » . فجعل الناس يقولون : هلكوا ! إذ لم ينزل لهم عذر . وجعل آخرون يقولون : عسى الله أن يغفرَ لهم ! فصاروا مرجئين لأمر الله ، حتى نزلت: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ والْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ ، الذين خرجوا معه إلى الشام = ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ، ثم قال: ﴿ وعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ ، يعني المرجئين لأمر الله ، نزلت عليهم التوبة ، فعمُّوا بها ، فقال: ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

١١/١٧

١٧١٧٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، قال: هم الثلاثة الذين خُلِّفُوا .

١٧١٧٧ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) قوله : « سبتة » ، أي برهة من الدهر .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، قال : هلال بن أمية ، ومرارة بن ربعيّ ، وكعب بن مالك ، من الأوس والخزرج .[1]

١٧١٧٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، هلال بن أمية ، ومرارة بن ربعيّ ، وكعب بن مالك ، من الأوس والخزرج .[1]

١٧١٧٩ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٨٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٨١ — . . . . قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٧١٨٢ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة = يريد : غير أبي لبابة وأصحابه = ولم ينزل الله عذرهم ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين : فرقة تقول : « هلكوا ! » ، حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل في أبي لبابة وأصحابه .

---

(١) الأثر : ١٧١٧٧ — « مرارة بن ربعى » ، هكذا جاء فى المخطوطة فى هذا الخبر ، وفى الذى يليه . وصححه فى المطبوعة : « مرارة بن الربيع » ثم جاء فى رقم : ١٧١٨٣ فى المخطوطة : « مرارة بن ربيعة » ، وكلاهما غير المشهور المعروف فى كتب تراجم الصحابة ، والكتب الصحاح ، فهو فيها جميعاً « مرارة بن الربيع الأنصارى » ، من بنى عمرو بن عوف .

وأما « مرارة بن ربعى بن عدى بن يزيد بن جشم » ، فلم يذكره غير ابن الكلبى ، وقال : « كان أحد البكائين » .

فأثبت ما فى مخطوطة الطبرى ، لاتفاق الاسم بذلك فى مواضع ، وأخشى أن يكون فى اسمه خلاف لم يقع إلى خبره . وانظر ما سيأتى رقم : ١٧٤٣٦ .

ثم انظر رقم : ١٧٤٣٣ ، وما بعده ، وفيها « ابن ربيعة » و « ابن الربيع » .

وتقول فرقة أخرى: «عسى الله أن يعفو عنهم!»، وكانوا مرجئين لأمر الله. ثم أنزل الله رحمته ومغفرته فقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ الآية، وأنزل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، الآية.

١٧١٨٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وآخرون مرجون لأمر الله»، قال: كنا نُحدَّث أنهم الثلاثة الذين خُلِّفوا: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، رهط من الأنصار.[١]

١٧١٨٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: «وآخرون مرجون لأمر الله»، قال: هم الثلاثة الذين خُلِّفوا.

١٧١٨٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: «وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم»، وهم الثلاثة الذين خلفوا، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم، حتى أتتهم توبتهم من الله.[٢]

* * *

وأما قوله: «إما يعذبهم»، فإنه يعني: إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه، فيعذبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة = «وإما يتوب عليهم»، يقول: وإما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم، فيغفر لهم = «والله عليم حكيم»، يقول: والله ذو علم بأمرهم وما هم صائرون إليه من التوبة والمقام على الذنب = «حكيم»، في تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه، لا يدخل حكمه خَلَلٌ.[٣]

* * *

(١) الأثر: ١٧١٨٣ — «مرارة بن ربيعة»، المعروف «مرارة بن الربيع»، ولكن هكذا جاء في المخطوطة، وصححه الناشر في المطبوعة. وانظر رقم: ١٧١٧٧

(٢) الأثر: ١٧١٨٥ — سيرة ابن هشام ٤: ١٩٨، ١٩٩، وهو تابع الأثر السالف رقم: ١٧١٣٥.

(٣) انظر تفسير «عليم» و «حكيم» فيما سلف من فهارس اللغة (علم) و (حكم).

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين ابتنوا مسجداً ضراراً ، وهم ، فيما ذكر ، اثنا عشر نفساً من الأنصار .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٨٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن الزهرىّ ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبى بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم=يعنى : من تبوك = حتّى نزل بذى أوان = بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار . وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهّز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه! فقال : إنى على جناح سفر وحال شُغْلٍ = أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم = ولو قَدْ قَدمنا أتيناكم إن شاء الله ، فصلَّينا لكم فيه . فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخْشُم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومعن ابن عدىّ = أو أخاه : عاصم بن عدى = أخا بنى العجلان فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه! فخرجا سريعين حتّى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظِرنى حتّى أخرج إليك بنارٍ من أهلى ! فدخل [إلى] أهله ، فأخذ سعفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتّى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرّقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه . ونزل فيهم من القرآن ما نزل : «والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكفراً» إلى آخر القصة . وكان الذين بنوه

١١/١٨

اثنى عشر رجلاً : خِذَام بن خالد، من بنى عبيد بن زيد ،[١] أحد بنى عمرو ابن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق = وثعلبة بن حاطب ، من بنى عبيد ، وهو إلى بنى أمية بن زيد = ومعتب بن قشير ، من بنى ضبيعة بن زيد = وأبو حبيبة ابن الأزعر ، من بنى ضبيعة بن زيد = وعباد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف ، من بنى عمرو بن عوف = وجارية بن عامر ، وابناه : مجمع بن جارية ، وزيد ابن جارية ، ونبتل بن الحارث ، وهم من بنى ضبيعة = وبَحْزَج ،[٢] وهو إلى بنى ضبيعة = وبجاد بن عثمان ، وهو من بنى ضبيعة = ووديعة بن ثابت ، وهو إلى بنى أمية ، رهط أبى لبابة بن عبد المنذر .[٣]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : والذين ابتنوا مسجداً ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفرًا بالله لمحادّتهم بذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويفرِّقوا به المؤمنين ، ليصلى فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا = « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ، يقول : وإعداداً له لأبى عامر الكافر ، الذى خالف الله ورسوله ، وكفر بهما ، وقاتل رسول الله = « من قبل » ، يعنى من قبل بنائهم ذلك المسجد . وذلك أن أبا عامر هو الذى كان حزَّب الأحزاب = يعنى : حزّب الأحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم = فلما خذله الله ، لحق بالروم يطلب النَّصْر من ملكهم على نبى الله ، وكتب إلى أهل مسجد الضِّرار[٤] يأمرهم ببناء المسجد الذى كانوا بنوه ، فيما ذكر عنه ، ليصلى فيه ، فيما يزعم ، إذا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « خذام بن خالد بن عبيد » ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة : « وبخدج » ، والصواب ما فى المخطوطة وسيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٧١٨٦ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٤) انظر تفسير « الضرار » فيما سلف ٥ : ٧ ، ٨ ، ٤٦ ، ٦/٥٣ : ٨٥ — ٩١ .

رجع إليهم . ففعلوا ذلك . وهذا معنى قول الله جل ثناؤه : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ».

= « وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى »، يقول جل ثناؤه : وليحلفن بانوه : «إن أردنا إلاّ الحسنى »، ببنائناه ، إلاّ الرفق بالمسلمين ، والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ومن عجز عن المصير إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه ، [1]وتلك هي الفعلة الحسنة = « والله يشهد إنهم لكاذبون »، في حلفهم ذلك ، وقيلهم : « ما بنيناه إلاّ ونحن نريد الحسنى! » ، ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السُّوآى ، ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفراً بالله، وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لأبي عامر الفاسق .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩/١١

١٧١٨٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثني معاوية ، عن ابن عباس قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً»، وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً، فقال لهم أبوا عامر : ابنوا مسجدكم، واستعدُّوا بما استطعتم من قوةٍ ومن سلاح ، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فآتي بجند من الروم ، فأخرج محمداً وأصحابه ! فلما فرغوا من مسجدهم ، أتوا النبي عليه والصلاة السلام فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحبُّ أن تصلي فيه ، وتدعو لنا بالبركة ! فأنزل الله فيه: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

١٧١٨٨ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والذين اتخذوا مسجداً

---

(١) في المطبوعة : « ومن عجز عن المسير » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب .

ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين » ، قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قُباء ، خرج رجالٌ من الأنصار ، منهم : بخزج ، [1] جدُّ عبد الله بن حنيف ، [2] ووديعة بن حزام ، ومجمع بن جارية الأنصارى ، فبنَوا مسجد النفاق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبخزج [3] : ويلك ! ما أردت إلى ما أرى ! فقال : يا رسول الله ، والله ما أردت إلا الحسنى ! وهو كاذب ، فصدَّقه رسول الله ، وأراد أن يعذِره ، فأنزل الله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » ، يعنى رجلاً منهم يقال له « أبو عامر » كان محارباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد انطلق إلى هرقل ، فكانوا يرصدون [إذا قدم] أبو عامر أن يصلى فيه ، [4] وكان قد خرج من المدينة محارباً لله ولرسوله = « وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » .

١٧١٨٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ،

---

(١) فى المطبوعة : « بخدج » ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام ٤ : ١٧٤ ، كما سلف فى رقم : ١٧١٨٦ . ورأيت بعد فى المحبر : ٤٧ : « بخدج » ولم أتمكن من تصحيحه . ثم انظر جمهرة الأنساب لابن حزم : ٣١٦ فى نسب « سهل بن حنيف » ، و « عثمان بن حنيف » ، و « عباد ابن حنيف » . وانظر التعليق التالى .

(٢) ما أدرى قوله : « جد عبد الله بن حنيف » ، ولست أدرى أهو من كلام ابن عباس أو من كلام غيره ، وإن كنت أرجح أنه من كلام غيره ، لأنى لم أجد فى الصحابة ولا التابعين « عبد الله ابن حنيف » ، وجده « بخزج » . والمذكور فى المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار : « عباد بن حنيف » ، أخو « سهل بن حنيف » . فأخشى أن يكون سقط من الخبر شيء ، فاختلط الكلام . وفى نسب « سهل بن حنيف » « عمرو ، وهو بخزج ، بن حنش بن عوف بن عمرو » (انظر ابن سعد ٣/٢/٣٩ ، ثم : ٥ : ٥٩) ، وجمهرة الأنساب لابن حزم : ٣١٦ ، ولكن هذا قديم جداً فى الجاهلية ، وهو بلا شك غير « بخزج » ، الذى كان من أمره ما كان فى مسجد الضرار .

فهذا الذى هنا يحتاج إلى فضل تحقيق ، لم أتمكن من بلوغه .

(٣) فى المطبوعة : « لبخدج » ، وانظر التعليقات السالفة .

(٤) فى المطبوعة ، ساق الكلام سياقاً واحداً هكذا : « وكانوا يرصدون أبا عامر أن يصلى فيه » ، وفى المخطوطة : « وكانوا يرصدون أبو عامر أن يصلى فيه » ، وبين الكلامين بياض ، وفى الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ ، وأثبت ما بين القوسين من الدر المنثور ١ : ٢٧٦ ، وروى الخبر من طريق ابن مردويه ، وابن أبى حاتم . وهذا الذى أثبته يطابق فى معناهما سيأتى فى الآثار التالية .

قال : أبو عامر الراهب ، انطلق إلى قيصر ، فقالوا: « إذا جاء يصلى فيه»، كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه .

١٧١٩٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « والذين اتخذوا مسجداً ضرارًا وكفرًا »، قال : المنافقون = « لمن حارب الله ورسوله »، لأبي عامر الراهب .

١٧١٩١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٩٢ — . . . . قال ، حدثنا أبو إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين » ، قال : نزلت في المنافقين = وقوله : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ، قال : هو أبو عامر الراهب .

١٧١٩٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٩٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير : «والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرًا» ، قال : هم بنو غنم بن عوف .

١٧١٩٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ،حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ،عن سعيد بن جبير : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرًا » ، قال : هم حيّ يقال لهم : « بنو غنم » .

١٧١٩٦ — حدثنا الحسن بن يحيي قال: أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير في قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضرارًا وكفرًا » ، قال : هم حي يقال لهم : « بنو غنم » = قال أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة،عن عائشة قالت : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » ،

أبو عامر الراهب ، انطلق إلى الشأم ، فقال الذين بنوا مسجد الضرار : إنما بنيناه ليصلى فيه أبو عامر .

١٧١٩٧ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً » ، الآية ، عمد ناسٌ من أهل النفاق ، فابتنوا مسجداً بقباء ، ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعثوا إلى رسول الله ليصلِّى فيه . ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم ، حتى أطلعه على ذلك = وأما قوله : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » ، فإنه كان رجلاً يقال له : « أبو عامر » ، فرّ من المسلمين فلحق بالمشركين ، فقتلوه بإسلامه .[1] قال : إذا جاء صلى فيه ، فأنزل الله : « لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى » ، الآية . ١١/ ٢٠

١٧١٩٨ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرًا » ، هم ناس من المنافقين ، بنوا مسجداً بقباء يُضارُّون به نبيّ الله والمسلمين = « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » ، كانوا يقولون: إذا رجع أبو عامر من عند قيصر من الروم صلى فيه! وكانوا يقولون: إذا قدم ظهر على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم.

١٧١٩٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ، قال : مسجد قباء ، كانوا يصلون فيه كلهم . وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له: « أبو عامر » ، أبو : «حنظلة غسيل الملائكة »،

---

(١) قوله : « فقتلوه بإسلامه » ، كلام صحيح ، وإن ظن بعضهم أنه لا يستقيم ، وذلك أن أبا عامر الراهب ، لما خرج إلى الروم مات هناك سنة تسع أو عشر . (الإصابة فى ترجمة ولده : حنظلة غسيل الملائكة بن أبى عامر) فكأنه يقال أيضاً أن الروم قتلته بإسلامه ، كما جاء فى هذا الخبر . وأما قوله بعد : « قال : إذا جاء صلى فيه » ، فهو من كلام قتادة . وانظر الأخبار التالية ، فإنه يقال إنه تنصر .

و« صيفى »، [واحق] .[١] وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين ، فخرج أبوعامر هارباً هو وابن عبدياليل ، من ثقيف ،[٢] وعلقمة بن علاثة ، من قيس ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بصاحب الروم . فأما علقمة وابن عبد ياليل ،[٣] فرجعا فبايعا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلما . وأما أبو عامر ، فتنصر وأقام . قال : وبنى ناسٌ من المنافقين مسجد الضرار لأبى عامر ، قالوا : « حتى يأتى أبو عامر يصلى فيه » ، وتفريقاً بين المؤمنين ، يفرقون به جماعتهم ،[٤] لأنهم كانوا يصلون جميعاً فى مسجد قباء . وجاءوا يخدعون النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، ربما جاء السيلُ ، فقطع بيننا وبين الوادي ،[٥] ويحول بيننا وبين القوم ، ونصلى فى مسجدنا ،[٦] فإذا ذهب السيل صلينا معهم! قال : وبنوه على النفاق . قال : وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فى المطبوعة : « وأخيه » ، والذى فى المخطوطة كما أثبته غير مقروء قراءة ترتضى . ويمكن أن تكون « وأخوه » ، ولكنه عندئذ خطأ ، صوابه أن يكون و « أخيه » ، كما أثبته ناشر المطبوعة . بيد أن السياق يدل على أن ما بين القوسين اسم ثالث ، هو اسم أخى حنظلة ، وصيفى ، ولم أستطع أن أجد خبر ذلك .

وأما « صيفى » ، فقد ذكره ابن حجر فى الإصابة فى ترجمة « صيفى » ، وأنه كان ممن شهد أحداً ، ونسب ذلك إلى ابن سعد والطبرانى ، ولم أجده فى المطبوع من طبقات ابن سعد .

(٢) الذى جاء فى المخطوطة والمطبوعة : « ابن بالين » ، وإن كان فى المخطوطة غير منقوط . وهو خطأ لاشك فيه عندى ، وأن صوابه : « وابن عبد ياليل » كما أثبته . فإن ابن عبد البر فى الاستيعاب : ١٠٥ ، فى ترجمة « حنظلة الغسيل » ، ذكر أن أبا عامر الفاسق لما فتحت مكة ، لحق بهرقل هارباً إلى الروم ، فمات كافراً عند هرقل ، وكان معه هناك « كنانة بن عبد ياليل » و « علقمة بن علاثة » ، فاختصما فى ميراثه إلى هرقل ، فدفعه إلى كنانة بن عبد ياليل ، وقال لعلقمة : هما من أهل المدر ، وأنت من أهل الوبر .

و « كنانة بن عبد ياليل الثقفى » ، ترجم له ابن حجر فى القسم الرابع ، وذكره ابن سلام الجمحى ، فى طبقات فحول الشعراء ص : ٢١٧ ، فى شعراء الطائف ، ولم يورد له خبراً بعد ذكره .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وابن بالين » ، وفى المخطوطة غير منقوطة . انظر التعليق السالف .

(٤) فى المطبوعة : « بين جماعتهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « يقطع » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٦) فى المطبوعة : « فنصلى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

قال: وألق الناس عليه التِّبن والقُمامة، [١] فأنزل الله: « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين»، لئلا يصلى فى مسجد قباء جميعُ المؤمنين= « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل أبي عامر = « وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » .

١٧٢٠٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون ، عن أبي جعفر ، عن ليث: أن شقيقاً لم يدرك الصلاة فى مسجد بنى عامر ، فقيل له: مسجد بنى فلان لم يصلُّوا بعدُ ! فقال: لا أحب أن أصلى فيه ، فإنه بُنِى على ضرار ، وكل مسجد بُنِيَ ضراراً أو رياءً أو سمعة ، فإن أصله ينتهى إلى المسجد الذى بُنِى على ضرار .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تقم ، يا محمد ، فى المسجد الذى بناه هؤلاء المنافقون ، ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله . ثم أقسم جل ثناؤه ، فقال: «لمسجد أسِّس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم » ، أنت = « فيه » .

* * *

يعنى بقوله : « أسس على التقوى » ، ابتدىء أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته = « من أول يوم » ، ابتدىء فى بنائه = « أحق أن تقوم فيه » ، يقول : أولى أن تقوم فيه مصلِّياً .

* * *

(١) فى المطبوعة : « النتن والقامة » والصواب ما فى المخطوطة . و « التبن » عصيفة الزرع ، فهو الذى يلقى . وأما « النتن » فالرائحة الكريهة ، فكأنه ظن أن « النتن » مجاز لمعنى « الأقذار » ، لنتن رائحتها ! وهو باطل .

وقيل معنى قوله : « من أول يوم » ، مبدأ أول يوم كما تقول العرب : « لم أره من يوم كذا » ، بمعنى : مبدؤه = و «من أول يوم» ، يراد به : من أول الأيام ، كقول القائل : « لقيت كلَّ رجل » ، بمعنى كل الرجال .

* * *

واختلف أهل التأويل فى المسجد الذى عناه بقوله : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » .

فقال بعضهم : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه منبره وقبره اليوم .

* ذكر من قال ذلك :

٢١/١١ ١٧٢٠١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن عثمان بن عبيد الله قال : أرسلنى محمد بن أبى هريرة إلى ابن عمر ، أسأله عن المسجد الذى أسس على التقوى ، أىّ مسجد هو ؟ مسجد المدينة ، أو مسجد قباء ؟ قال : لا ، مسجد المدينة .(١)

١٧٢٠٢ — . . . . قال، حدثنا القاسم بن عمرو العنقزى، عن الدراوردى ، عن عثمان بن عبيد الله، عن ابن عمر ، وزيد بن ثابت، وأبى سعيد قالوا: المسجد الذى أسس على التقوى ، مسجد الرسول .(٢)

---

(١) الأثر : ١٧٢٠١ — « إبراهيم بن طهمان الخراسانى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٣٧٢٦ ، ٣٧٢٧ ، ٤٩٣١ .

و « عثمان بن عبيد الله بن أبى رافع » ، مولى سعيد بن العاص . رأى أبا هريرة ، وأبا قتادة ، وابن عمر ، وأبا أسيد ، يصفرون لحاهم . مترجم فى ابن أبى حاتم ١٥٦/١/٣ . وسيأتى فى الأثرين التاليين رقم : ١٧٢٠٢ ، ١٧٢٠٣ .

وأما قوله : « أرسلنى محمد بن أبى هريرة » ، فإنى أرتاب فيه كل الارتياب ، وأرجح أنه : « محرز بن أبى هريرة » ، ولم أجد لأبى هريرة ولد يقال له «محمد»، بل ولده هم « المحرر بن هريرة » ، و « وعبد الرحمن بن أبى هريرة » ، و « بلال بن أبى هريرة » . ومضى « المحرر بن أبى هريرة » برقم : ٢٨٦٣ ، ١٦٣٦٨ — ١٦٣٧٠ .

(٢) الأثر : ١٧٢٠٢ — « القاسم بن عمرو بن محمد العنقزى » ، مولى قريش ، سمع أباه . مترجم فى الكبير ١٧٢/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١١٥/٢/٣ ، ولم يذكرا فيه جرحاً .

١٧٢٠٣ — . . . . . قال، حدثنا أبي، عن ربيعة بن عثمان ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع قال: سألت ابن عمر عن المسجد الذى أسس على التقوى ، قال : هو مسجد الرسول .[1]

١٧٢٠٤ — . . . . . قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة ابن زيد ، عن زيد قال : هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

١٧٢٠٥ — . . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد قال : هو مسجد الرسول .

١٧٢٠٦ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا حميد الخراط المدنى قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال : مر بي عبد الرحمن ابن أبي سعيد فقلت : كيف سمعت أباك يقول فى المسجد الذى أسس على التقوى؟ فقال لى : [قال أبي][2] : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت عليه فى بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ، أيُّ مسجدٍ الذى أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفًّا من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال : هو مسجدكم هذا!= [فقلت] :[3] هكذا سمعت أباك يذكر .[4]

« الدراوردى » ، هو « عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٠٦٧٦ ، ١٥٧١٤ .

و « عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع » ، مضى فى الأثر السالف .

(١) الأثر : ١٧٢٠٣ — « ربيعة بن عثمان بن ربيعة التيمى » ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٢٦٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٤٧٦ .

و « عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع » ، مضى فى الأثرين السالفين .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها ، استظهرتها من لفظ حديث مسلم . ولو قلت : « قال قال أبي » ، لكان مطابقاً لما فى المسند .

(٣) فى المخطوطة : « ثم هكذا سمعت أباك يذكر » ، وفى المطبوعة حذف « ثم » وجعل « يذكر » ، « يذكره » . فزدت ما بين القوسين إتماماً للسياق . ونص روايته مسلم : « قال فقلت : أشهد أنى سمعت أباك هكذا يذكره » .

(٤) الأثر : ١٧٢٠٦ — رواه مسلم فى صحيحه ٩ : ١٦٨ ، ١٦٩ من هذه الطريق نفسها ، مع اختلاف يسير فى بعض لفظه .

ورواه أحمد فى مسنده ٣ : ٢٤ ، من هذه الطريق ، نفسها مع خلاف فى بعض لفظه .

١٧٢٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أسامة بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه قال : المسجد الذى أسس على التقوى ، هو مسجدُ النبيِّ الأعظمُ .

١٧٢٠٨ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود ، عن سعيد بن المسيب قال : إن المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، وهو مسجد المدينة الأكبر .

١٧٢٠٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود قال ، قال سعيد بن المسيب ، فذكر مثله = إلا أنه قال : الأعظم .

١٧٢١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب قال : هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

١٧٢١١ – حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد = قال : أحسبه عن أبيه = قال : مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، الذى أسس على التقوى .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك مسجد قُباء .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٢١٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » ، يعنى مسجد قُباء .

١٧٢١٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثنى أبي قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، نحوه .

١٧٢١٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا فضيل ابن مرزوق، عن عطية : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم »، هو مسجد قباء .

١٧٢١٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن صالح بن حيان ، عن ابن بريدة قال : مسجد قُباء ، الذى أسس على التقوى ، بناه نبي الله صلى الله عليه وسلم .[1]

١٧٢١٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : المسجد الذى أسس على التقوى ، مسجد قباء .

١٧٢١٧ – حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري، عن عروة بن الزبير : الذين بُنِى فيهم المسجدُ الذى أسس على التقوى ، بنو عمرو بن عوف .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندي بالصواب ، قول من قال : هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لصحة الخبَر بذلك عن رسول الله .[2]

* ذكر الرواية بذلك .

١٧٢١٨ – حدثنا أبو كريب وابن وكيع = قال أبو كريب : حدثنا وكيع = وقال ابن وكيع : حدثنا أبي = عن ربيعة بن عثمان التيمى ، عن عمران بن أبى أنس ، رجل من الأنصار ، عن سهل بن سعد قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أسس على التقوى، فقال أحدهما : هو مسجد النبيّ! وقال الآخر : هو مسجد قباء ! فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه، فقال : هو مسجدى هذا = اللفظ لحديث أبى كريب، وحديث سفيان نحوه .[3] ٢٢/١١

---

(١) الأثر : ١٧٢١٥ – « صالح بن حيان القرشي » ، ضعيف الحديث ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٧٦ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٩٨ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٥٥ .

« ابن بريدة » ، هو « عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٥٢٣ .

(٢) يعنى الخبر الذى رواه أحمد ومسلم وأبو جعفر آنفاً برقم : ١٧٢٠٦ ، وما سيأتى من الأخبار .

(٣) الأثر : ١٧٢١٨ – « ربيعة بن عثمان التيمى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٧٢٠٣ .

١٧٢١٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو نعيم ، عن عبد الله بن عامر الأسلمى ، عن عمران بن أبى أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبىّ بن كعب : أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال : مسجدى هذا .(١)

١٧٢٢٠ — حدثنى يونس قال : أخبرنى ابن وهب قال ، حدثنى الليث ، عن عمران بن أبى أنس ، عن ابن أبى سعيد ، عن أبيه ، قال : تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ! وقال آخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله : هو مسجدى هذا .(٢)

١٧٢٢١ — حدثنى بحر بن نصر الخولانى قال ، قرئ على شعيب بن الليث ،

و « عمران بن أبى أنس العامرى المصرى » ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٩٤ . وأما قول أبى جعفر « رجل من الأنصار » ، فظنى أن ذلك لأنه يقال إنه مولى « أبى خراش السلمى ، أو الأسلمى » ، قال ابن سعد : « كانوا يزعمون أنهم من بنى عامر بن لؤى ، والناس يقولون إنهم موالى ، ثم انتموا بعد ذلك إلى اليمن » .

ولم أجدهم ذكروا له سماعاً من سهل بن سعد الأنصارى ، وهو خليق أن يروى عنه ، لأن سهل ابن سعد مات سنة ٨٨ ، وعمران مات سنة ١١٧ .

و « سهل بن سعد بن مالك الساعدى الأنصارى » ، له ولأبيه صحبة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أبى بن كعب ، وعاصم بن عدى ، وعمرو بن عبسة ، ومروان بن الحكم ، وهو دونه .

وهذا الخبر تفرد به أحمد من هذه الطريق نفسها ، فى مسنده ٥ : ٣٣١ ، ثم رواه فى ص : ٣٣٥ ، من طريق عبد الله بن عامر ، عن عمران بن أبى أنس ، عن سهل بن سعد ، وانظر الخبر التالى .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٤ ، وقال : « رواه أحمد والطبرانى باختصار ، ورجالها رجال الصحيح » .

(١) الأثر : ١٧٢١٩ — « عبد الله بن عامر الأسلمى » ، ضعيف ، ذاهب الحديث ، مضى برقم : ١٥٥٨٦ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٥ : ١١٧ ، من طريق أبى نعيم ، عن عبد الله بن عامر الأسلمى : ومن طريق عبد الله بن الحارث الأسلمى ، عن عبد الله بن عامر .

وهذا إسناد ضعيف ، لضعف « عبد الله بن عامر الأسلمى » .

(٢) الأثر : ١٧٢٢٠ — هذا حديث صحيح ، رواه الترمذى فى كتاب التفسير ، ورواه

عن أبيه ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد الخدرى قال : تمارى رجلان ، فذكر مثله .(١)

١٧٢٢٢ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثني سَحْبَل ابن محمد بن أبي يحيي قال، سمعت عمي أنيس بن أبي يحيي يحدث، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسجد الذى أسس على التقوى ، مسجدى هذا ، وفى كلٍّ خيرٌ .(٢)

١٧٢٢٣ — حدثني المثنى قال، حدثني الحمانى قال ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنيس ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه.(٣)

١٧٢٢٤ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا صفوان بن عيسى قال ، أخبرنا أنيس بن أبي يحيي ، عن أبيه ، عن أبي سعيد : أن رجلاً من بنى خُدْرة

أحمد فى مسنده ٣ : ٨ ، ٨٩ ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح . وقد روى هذا عن أبي سعيد من غير هذا الوجه، رواه أنيس بن أبي يحيى ، عن أبيه ، عن أبي سعيد » ، وهو ما سيرويه ، أبو جعفر من رقم : ١٧٢٢٢ — ١٧٢٢٤ .

(٤) الأثر : ١٧٢٢١ — « بحر بن نصر بن سابق الخولانى » ، شيخ أبي جعفر ، مضى برقم : ١٠٥٨٨ ، ١٠٦٤٧ .

وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢٤٣، من مسند أحمد قال : « حدثنا موسى بن داود قال ، حدثنا ليث ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد قال : تمارى رجلان » . ولم أستطع أن أستخرجه من المسند فى ساعتى هذه ، وقال ابن كثير : « تفرد به أحمد » .

(٢) الأثر : ١٧٢٢٢ — « سحبل بن محمد بن أبي يحيى سمعان الأسلمى » ، هو « عبد الله ابن محمد بن أبي يحيى » ، وقد ينسب إلى جده. ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٥٦ . وفى بعض الكتب غير مضبوط « سحيل » بالياء ، وضبطه فى التقريب بفتح السين المهملة ، وسكون الحاء ، بعدها موحدة . وكان فى المطبوعة : « سجل » ، والصواب ما فى المخطوطة .

و « أنيس بن أبي يحيى سمعان الأسلمى » ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٤٣ ، وابن أبي حاتم ١/١/٣٣٤ .

وأبوه « سمعان »، «أبو يحيى ، الأسلمى»، تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٠٥ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣١٦ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٣ : ٢٣ من طريق : يحيى ، عن أنيس بن أبي يحيى ، بنحوه . ثم رواه أيضاً ٣ : ٩١ من طريق صفوان ، عن أنيس ، بنحوه (رواه أبو جعفر برقم : ١٧٢٢٤) . وإسناده صحيح . وسيأتى من طرق أخرى بعده .

(٣) الأثر : ١٧٢٢٣ — مكرر الذى قبله .

ورجلاً من بنى عمرو بن عوف ، امتريا فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال الخدرىّ : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال العوفى : هو مسجد قباء . فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم وسألاه فقال : هو مسجدى هذا ، وفى كلٍّ خيرٌ .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فى حاضرى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، رجال يحبُّون أن ينظفوا مقاعدَهم بالماء إذا أتوا الغائط ، والله يحبّ المتطهّرين بالماء .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٢٢٥ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا همام ابن يحيى ، عن قتادة، عن شهر بن حوشب قال : لما نزل : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الطُّهور الذى أثنى الله عليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، نغسل أثر الغائط .(٢)

---

(١) الأثر : ١٧٢٢٤ — رواه أحمد فى مسنده ، كما أشرت إليه فى التعليق على رقم : ١٧٢٢٢ و « صفوان بن عيسى الزهرى » ، من شيوخ أحمد ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣١٠ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٢٥ .

(٢) الأثر : ١٧٢٢٥ — حديث شهر بن حوشب المرسل ، سيأتى ذكره فى التعليق على رقم : ١٧٢٢٨ ، بعده .

١٧٢٢٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قُباء: إن الله قد أحسن عليكم الثناء فى الطُّهور، فما تصنعون ؟ قالوا : إنا نغسل عنّا أثر الغائط والبوْل .

١٧٢٢٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : لما نزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأنصار ، ما هذا الطُّهور الذى أثنى الله عليكم فيه ؟ قالوا : إنا نَستْطيب بالماء إذا جئنا من الغائط .

١٧٢٢٨ — حدثنى جابر بن الكردى قال، حدثنا محمد بن سابق قال ، حدثنا مالك بن مغول ، عن سيَّارٍ أبى الحكم ، عن شهر بن حوشب، عن محمد ابن عبد الله بن سلام قال: قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألا أخبرونى، فإن الله قد أثنى عليكم بالطُّهور خيرًا ؟ فقالوا: يا رسول الله ، إنا نجد عندنا مكتوباً فى التوراة، الاستنجاءُ بالماء .[1]

---

(١) الأثر : ١٧٢٢٨ — حديث شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، سيأتى من طرق ، هذا ثم : ١٧٢٢٩ — ١٧٢٣١ ، ١٧٢٤٠ .

« جابر بن الكردى بن جابر الواسطى » ، شيخ الطبرى ، ثقة مضى برقم : ٧٢١٦ .

و « محمد بن سابق التميمى » ، ثقة ، قيل إنه ليس ممن يوصف بالضبط فى الحديث . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/١١١ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٨٣ ، ولم يذكرا فيه جرحاً .

و « مالك بن مغول بن عاصم البجلى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٤٣١ ، ١٠٨٧٢ ، ١٤٢٦٨ .

و « سيار ، أبو الحكم العنزى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٣٩ .

و « شهر بن حوشب الأشعرى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٤٨٩ ، ٥٢٤٤ ، ٦٦٥٠ — ٦٦٥٢ ، وبعدها كثير .

و « محمد بن عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجى الإسرائيلى » ، له رؤية ورواية محفوظة . مترجم فى تعجيل المنفعة : ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، والكبير ١/١/١٨ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٩٧ ، والاستيعاب : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وأسد الغابة ٤ : ٣٢٤ ، والإصابة ، فى ترجمته .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٦ : ٦ ، من طريق « يحيى بن آدم ، حدثنا مالك — يعنى ابن مغول — قال سمعت سياراً أبا الحكم غير مرة يحدث عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله ابن سلام قال : لما قدم رسول الله . . . »

١٧٢٢٩ — حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا [يحيى بن رافع] ، عن مالك بن مغول قال، سمعت سيارًا أبا الحكم غير مرة يحدث، عن شهر بن حوشب، عن محمد بن عبد الله بن سلام قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على أهل قُباء قال : إن الله قد أثنى عليكم بالطهور خيراً = يعني قوله : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » = قالوا : إنا نجده مكتوباً عندنا في التوراة، الاستنجاءُ بالماء .(١)

٢٣/١١

١٧٢٣٠ — حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا [يحيى بن رافع]، قال، حدثنا مالك بن مغول ، عن سيار ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله ابن سلام = قال يحيى : ولا أعلمه إلا عن أبيه = قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : إن الله قد أثنى عليكم في الطهور خيرًا ! قالوا : إنا نجده

ورواه البخاري في التاريخ الكبير ١٨/١/١ من طريق محمد بن يوسف ، عن مالك بن مغول ، بنحوه ، ثم قال : « وقال إسحق ، عن جرير ، عن ليث ، عن رجل من الأنصار من أهل قباء : لما نزلت ، بهذا » . فبين الاختلاف فيه على شهر بن حوشب ، وأنه أبهم الرجل من الأنصار .

وأشار إليه الحافظ ابن عبد البر في ترجمته وقال : « حديثه مخرج في التفسير ، ويختلف في إسناد حديثه هذا ، ومنهم من يجعله مرسلا » ، والمرسل هو رواية الطبري السالفة رقم : ١٧٢٢٥ ، وقال ابن حجر في الإصابة : « قال ابن منده : رواه داود بن أبي هند ، عن شهر مرسلا ، لم يذكر محمداً ولا أباه » .

ورواه ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمته .

وسيأتي في رقم : ١٧٢٣٠ ، قول يحيى بن آدم « ولا أعلم إلا عن أبيه » . فانظر التعليق على الأثر هناك .

(١) الأثر : ١٧٢٢٩ — « يحيى بن رافع » ، هكذا جاء في الموضعين في مطبوعة الطبري ومخطوطته ، ولا أدري كيف وقع هذا ، فليس في هذه الطبقة من الرواة من أعرفه يقال له « يحيى ابن رافع » ، وأما « يحيى بن رافع الثقفي » ، فهذا قديم جداً سمع عثمان وأبا هريرة ، ومضى برقم : ٥٧٧٧ ، ولكنه لما وقع هكذا في الموضعين أثبته على حاله .

أما الذي لا أكاد أشك فيه ، فالصواب أنه « يحيى بن آدم » ، كما جاء في مسند أحمد ، وكما ذكره الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة ، والإصابة ، وذكر أيضاً رواية أبي هشام الرفاعي عن يحيى بن آدم ، كما سترى بعد ، من طريق البغوي .

وهذا الخبر ، رواه ابن حجر في الإصابة ، وقال : « أخرجه أحمد ، والبخاري في تاريخه ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وابن قانع ، والبغوي » . وانظر التعليق على رقم : ١٧٢٢٨ ، وعلى رقم : ١٧٢٣٠ .

مكتوباً علينا فى التوراة ، الاستنجاءُ بالماء . وفيه نزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » .[1]

---

(١) الأثر : ١٧٢٣٠ — هكذا « يحيى بن رافع » ، والصواب المرجح « يحيى بن آدم » كما سلف فى التعليق الماضى .

ومن هذا الطريق ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة وتعجيل المنفعة ، وفيه زيادة « ولا أعلمه إلا عن أبيه » ، ونسبه إلى البغوى فى الصحابة ، ثم أعقبه بقوله : « قال قال أبو هشام (يعنى الرفاعى) ، وكتبته من أصل كتاب يحيى بن آدم ، ليس فيه عن أبيه » ثم قال : « وقال البغوى : حدث به الفريابى ، عن مالك بن مغول ، عن سيار ، عن شهر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يذكر أباه » . ثم قال : « روى سلمة بن رجاء ، عن مالك بن مغول ، فزاد فيه : عن أبيه . وقال أبو زرعة الرازى : الصحيح عندنا عن محمد ، ليس فيه : عن أبيه » .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٢١٢ ، ٢١٣ على محمد بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، ثم قال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه شهر بن حوشب ، وقد اختلفوا فيه . ولكنه وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو زرعة ، ويعقوب بن أبى شيبة » ثم خرجه عن محمد بن عبد الله بن سلام ، ثم قال : « رواه أحمد عن محمد بن عبد الله بن سلام ، ولم يقل : عن أبيه ، كما قال الطبرانى . وفيه شهر أيضاً » .

فهذا الذى ذكرته دال ، أولا ، على أن صواب الاسم « يحيى بن آدم » ، لا « يحيى بن رافع » كما وقع فى المخطوطة والمطبوعة . ودال أيضاً على الاختلاف فى هذا الخبر اختلافاً يوجب النظر .

ثم بقى شىء آخر ، لم أجد من ذكره فى الكلام على هذا الخبر ، أرجو أن أكون أصبت فى ذكره وبيانه .

وذلك أن الثناء من الله على رجال يحبون أن يتطهروا ، كانوا يلزمون المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، وهو مسجد قباء بلاشك . وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سأل هؤلاء عن ثناء الله عليهم . وهؤلاء الرجال هم من بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ومنزلهم بقباء . وهم قوم عرب على دينهم فى الجاهلية ، لم يذكر أحد أنهم كانوا يهوداً .

وخبر شهر بن حوشب هذا ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، ذكر فيه ثناء الله على هؤلاء الرجال ، وأن جوابهم كان : « إنا نجد عندنا مكتوباً فى التوراة ، الاستنجاء بالماء » ، فظاهر هذا الخبر يدل على أن دينهم كان اليهودية . وذلك ما لم أجد قائلا قال به .

و « محمد بن عبد الله بن سلام » ، وأبوه « عبد الله بن سلام بن الحارث » ، من بنى قينقاع ، من اليهود ، من ذرية يوسف النبى عليه السلام ، وكان عبد الله بن سلام حليف القواقل من الخزرج ، وهم بنو عمرو بن عوف بن الخزرج ، وليسوا من « بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس » فى شىء ، ومنازل هؤلاء غير منازل هؤلاء . وفى إسلام عبد الله بن سلام (سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٣) ، أنه قال ، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرته : « فلما نزل بقباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، أقبل رجل حتّى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها » ، فعبد الله بن سلام ، وولده لم يكن منهم أحد بقباء .

فقوله فى الخبر رقم : ١٧٢٢٨ « قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألا أخبرونى . . . » ، إلى آخر الخبر ، مشكل جداً ، لأن الخبر خبر محمد بن عبد الله بن سلام ، والضمير فيه راجع

١٧٢٣١ — حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ، حدثنا إسمعيل بن صبيح اليشكرى قال ، حدثنا أبو أويس المدنى ، عن شرحبيل بن سعد ، عن عويم بن ساعدة ، وكان من أهل بدر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : إنى أسمع الله قد أثنى عليكم الثّناء فى الطهور ،[1] فما هذا الطهور ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما نعلم شيئاً ، إلا أن جيراناً لنا من اليهود رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا .[2]

إليه وإلى قومه أو حلفائه بنى عمرو بن عوف بن الخزرج ، وهذا لا يصح البتة ، بدليل قوله فى الذى يليه : أن ذلك كان « لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم على أهل قباء » .

وهذا الذى ذكرت اضطراب شديد فى صلب الخبر ، لا يرفعه شىء . ومهما يكن من أمر إسناده ، واختلاف المختلفين فيه على شهر بن حوشب ، فإن علته فى سياقه ، أشد من علته فى إسناده عندى . والله أعلم من أين أتى هذا الاضطراب؟ والذى لاشك فيه : أنه بعيد جداً أن يكون هذا الجواب من كلام بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وأنه أشبه بأن يكون كلام أحد من حلفائهم اليهود . وأوضح منه ما جاء فى خبر عويم بن ساعدة (رقم : ١٧٢٣١) ، وهو : « ما نعلم شيئاً ، إلا أن جيراناً لنا من اليهود ، رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا » . فهذا أبين ، وأقرب إلى سياق ما سئلوا عنه ، وأدنى إلى رفع الاضطراب . والله تعالى أعلم .

(١) فى المسند : « قد أحسن عليكم الثناء » ، ولو قرىء فى ما فى المخطوطة : « قد أسنى » بمعنى : رفع ، لكان حسناً .

(٢) الأثر : ١٧٢٣١ — « عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى بن هلال الأسدى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١١١٢٥ .

و « إسماعيل بن صبيح اليشكرى » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٩٩٦ ، ٨٦٤٠ ، ١١١٥٨ .

و « أبو أويس المدنى » ، هو « عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحى » ، صدوق ، ليس بحجة ، مضى برقم : ٨٦٤٠ .

و « شرحبيل بن سعد الخطمى » ، قال أخى السيد أحمد فيما سلف رقم : ٨٣٩٦ : « الحق أنه ثقة ، إلا أنه اختلط فى آخر عمره ، إذ جاوز المئة . وقد فصلنا القول فيه فى شرح المسند : ٢١٠٤ . وأخرج له ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما ، والكلام فى تضعيفه شديد ، وذكر الحافظ ابن حجر فى التهذيب ، روايته عن عويم بن ساعدة فقال : « وفى سماعه من عويم بن ساعدة نظر ، لأن عويماً مات فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقال : فى خلافة عمر رضى الله عنه » .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٣ : ٤٢٢ من طريق حسين بن محمد ، عن أبى أويس ، بنحوه .

وذكره ابن كثير فى تفسير ٤ : ٤١ ، ثم قال : « ورواه ابن خزيمة فى صحيحه » . وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٢١٢ ، وقال : « رواه أحمد ، والطبرانى فى الثلاثة . وفيه شرحبيل بن سعد ، ضعفه مالك ، وابن معين ، وأبو زرعة ، ووثقه ابن حبان » .

١٧٢٣٢ — حدثني محمد بن عمارة قال ، حدثنا محمد بن سعيد قال ، حدثنا إبراهيم بن محمد ، عن شرحبيل بن سعد قال : سمعت خزيمة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ، قال : كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط .

١٧٢٣٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عامر قال : كان ناس من أهل قُباء يستنجون بالماء ، فنزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .

١٧٢٣٤ — حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنا شبابة بن سوار ، عن شعبة ، عن مسلم القُرِّيّ قال : قلت لابن عباس : أصبُّ على رأسي ؟ = وهو محرم = قال : ألم تسمع الله يقول : « إن الله يحب التوّابين ويحب المتطهرين » ؟[1]

١٧٢٣٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص ، عن داود ، وابن أبي ليلى ، عن الشعبي ، قال ، لما نزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : ما هذا الذي أثنى الله عليكم ؟ قالوا : ما منّا من أحدٍ إلا وهو يستنجي من الخلاء .

١٧٢٣٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبد الحميد المدني ، عن إبراهيم بن إسمعيل الأنصاري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة : ما هذا الذي أثنى الله عليكم : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ؟ قال : نوشك أن نغسل الأدبار بالماء ![2]

---

(١) الأثر : ١٧٢٣٤ — « مسلم القرى » بضم القاف وتشديد الراء ، نسبة إلى بني قرة ، من عبد القيس وهو مولاهم = هو : « مسلم بن مخراق العبدي القرِّي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٧١ ، وابن أبي حاتم ٤/١/١٩٤ .

(٢) الأثر : ١٧٢٣٦ — « عبد الحميد المدني » ، ظني أنه « عبد الحميد بن سليمان الخزاعي ، أبو عمر المدني الضرير » ، روى عن أبي حازم ، وأبي الزناد ، وروى عنه هشيم ، وهو من أقرانه ، ضعيف الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/١٤ .

و « إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري » ، ظني أيضاً أنه « إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن جارية

١٧٢٣٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن حصين ، عن موسى بن أبى كثير قال : بدء حديث هذه الآية فى رجال من الأنصار من أهل قباء : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ، فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم ، قالوا : نستنجى بالماء .(١)

١٧٢٣٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أصبغ بن الفرج قال، أخبرنى ابن وهب قال ، أخبرنى يونس ، عن أبى الزناد قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، عن عويم بن ساعدة ، من بنى عمرو بن عوف ، ومعن بن عدى ، من بنى العجلان ، وأبى الدحداح = فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن الذين قال الله فيهم: « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الرجال ، منهم عويم بن ساعدة = لم يبلغنا أنه سمّى منهم رجلاً غير عويم .(٢)

الأنصارى المدنى » ، روى عن الزهرى وغيره ، وهو ضعيف أيضاً ، كثير الوهم . مترجم فى التهذيب والكبير ١/١/٢٧١ ، وابن أبى حاتم ١/١/٨٤ .

وفى تفسير ابن كثير ٤ : ٢٤١ « عن إبراهيم بن المعلى الأنصارى » ، ولم أجد له ذكراً فى كتب الرجال .

(١) الأثر : ١٧٢٣٧ — « عبد الرحمن بن سعد » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكى » ، مضى برقم : ١٠٦٦٦ ، ١٠٨٥٥ ، ١٧٠١١ .

و « أبو جعفر » هو « أبو جعفر الرازى » ، مضى مراراً كثيرة .

و « حصين » هو « حصين بن عبد الرحمن السلمى » ، مضى مراراً آخرها : ١٦٦٧١ .

و « موسى بن أبى كثير الأنصارى » ، ثقة ، فى الحديث : مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٩٣ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٧ .

(٢) الأثر : ١٧٢٣٨ — « أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع الأموى » ، الفقيه المصرى ، ثقة كان وراق ابن وهب ، وكان من أجل أصحابه ، وكان من أعلم خلق الله كلهم برأى مالك . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٧ ، وابن أبى حاتم ١/١/٣٢١ .

وهذا الخبر جزء من حديث السقيفة (الفتح ١٢ : ١٣٣) ، وعلق عليه الحافظ ابن حجر هناك ، وذكر طرقه . وذكره فى الإصابة فى ترجمة « عويم بن ساعدة » ، وذكر هذه الزيادة عن الإسماعيلى قال : « وزاد الإسماعيلى فى روايته قال الزهرى ، فأخبرنى عروة بن الزبير أن الرجلين

١٧٢٣٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن هشام بن حسان قال ، حدثنا الحسن قال : لما نزلت هذه الآية : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا الذى ذكركم الله به فى أمر الطهور ، فأثنى به عليكم ؟ قالوا : نغسل أثر الغائط والبول .

١٧٢٤٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن مالك بن مغول قال ، سمعت سياراً أبا الحكم يحدّث ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة = أو قال : قدم علينا رسول الله = فقال : إن الله قد أثنى عليكم فى الطهور خيراً ، أفلا تخبرونى ؟ قالوا : يا رسول الله ، إنا نجد علينا مكتوباً فى التوراة ، الاستنجاءُ بالماء = قال مالك : يعنى قوله : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » .(١) ٢٤/١١

١٧٢٤١ — حدثني أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية قال : لما نزلت هذه الآية : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ، سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما طهوركم هذا الذى ذكرَ الله ؟

اللذين لقياهما ، هما : عويم بن ساعدة ، ومعن بن عدى ، فأما عويم ، فهو الذى بلغنا . . . » ، بنحوه .

وخبر السقيفة ، رواه البخارى (الفتح ١٢ : ١٢٨ — ١٣٩) من طريق عبد العزيز بن عبد الله ، عن إبراهيم بن سعد ، عن صالح ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس .

ورواه أحمد فى مسنده رقم : ٣٩١ ، من طريق مالك بن أنس ، عن ابن شهاب الزهرى . (وفى المسند : « عويمر بن ساعدة » ، وهو خطأ ، صوابه : عويم بن ساعدة) .

ورواه ابن سعد فى الطبقات ٣/٢/٣١ ، مختصراً ، وفيه نحو لفظ خبر أبى جعفر ، من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهرى ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، وفيه « قال ابن شهاب : وأخبرنى عروة بن الزبير أن الرجلين اللذين لقوهما ، عويم بن ساعدة ، ومعن بن عدى . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا . . . » ، بنحوه .

(١) الأثر : ١٧٢٤٠ — هذا مكرر الآثار السالفة من رقم : ١٧٢٢٥ ، ثم رقم : ١٧٢٢٨ — ١٧٢٣٠ ، فانظر التعليق عليها هناك .

قالوا : يا رسول الله، كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام لم ندعْه . قال : فلا تدَعوه .

١٧٧٤٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : كان فى مسجد قُباء رجال من الأنصار يوضِّئون سَفِلَتَهم بالماء، [1] يدخلون النخل والماء يجرى فيتوضئون، فأثنى الله بذلك عليهم فقال : «فيه رجال يحبون أن يتطهروا»، الآية .

١٧٧٤٣ — حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء قال : أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء ، فنزلت فيهم : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .

* * *

وقيل : « والله يحب المطهرين »، وإنما هو : «المتطهِّرين»، ولكن أدغمت التاء فى الطاء، فجعلت طاء مشددة، لقرب مخرج إحداهما من الأخرى . [2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « أفمن أسس بنيانه » .

فقرأ ذلك بعض قرأة أهل المدينة : ﴿ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ

(١) قوله : « يوضئون سفلتهم » يعنى ، يغسلون أدبارهم . و « السفلة » بمعنى المقعدة والدبر ، لم تذكر فى كتب اللغة ، والمذكور بهذا المعنى « السافلة » . وضبطتها « بفتح السين وكسر الفاء » قياساً على قولهم : « سفلة البعير » ، وهى قوائمه ، لأنها أسفل .

(٢) انظر تفسير « المطهر » فيما سلف ٤ : ٣٨٤ .

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ﴾، على وجه ما لم يسمَّ فاعله فى الحرفين كليهما .

* * *

وقرأت ذلك عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ ، على وصف «من» بأنه الفاعل الذى أسس بنيانه .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ . غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى « من » ، إذ كان هو المؤسس ،[2] أعجبُ إلىَّ .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذًا : أىُّ هؤلاء الذين بنوا المساجد خير ، أيها الناس ، عندكم : الذين ابتدأوا بناء مسجدهم على اتقاء الله ، بطاعتهم فى بنائه ، وأداء فرائضه ورضىً من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك ، وفعلهم ما فعلوه= خيرٌ ، أم الذين ابتدأوا بناءَ مسجدهم على شفا جُرُفٍ هارٍ ؟

* * *

يعنى بقوله : « على شفا جرف » ، على حرف جُرُف .[3]

* * *

و « الجرف » ، من الركايا ، ما لم يُبْنَ له جُول .[4]

* * *

(١) فى المطبوعة : « على وصف من بناء الفاعل » ، وهو خلط فى الكلام ، صوابه ما فى المخطوطة ، وهو ما أثبته .

(٢) فى المطبوعة : « إذ كان من المؤسس » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض صواب .

(٣) انظر تفسير « الشفا » فيما سلف ٧ : ٨٥ ، ٨٦ .

(٤) فى المطبوعة : « من الركى » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٩ ، وهذا نص كلامه .

و « الركايا » جمع « ركية » ، وتجمع أيضاً على « ركى » ، بحذف التاء ، وهى البئر .

و « الجول » (بضم الجيم) ، هو جانب البئر والقبر إلى أعلاها من أسفلها .

وهذا التفسير الذى ذكره أبو عبيدة ، لم أجده فى تفسير الكلمة فى كتب اللغة ، ولكنه جائز صحيح المعنى ، إن صحت روايته .

« هار »، يعني متهوِّر. وإنما هو «هائر »، ولكنه قلب ، فأخِّرت ياؤها فقيل : «هارٍ»، كما قيل: « هو شاكى السلاح »، (١) و« شائك »،وأصله من « هار يهور فهو هائر »، وقيل : « هو من هارَ يهار »، إذا انهدم . ومن جعله من هذه اللغة قال: «هِرْت يا جرف» ، ومن جعله « من هار يهور »، قال: «هُرْت يا جرف» .

* * *

قال أبو جعفر : وإنماهذا مثَلٌ. يقول تعالى ذكره : أيّ هذين الفريقين خير ؟ وأيّ هذين البناءين أثبت ؟ أمَن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله ، وعلمٍ منه بأن بناءه لله طاعة ، والله به راضٍ ، أم من ابتدأه بنفاق وضلال ، وعلى غير بصيرة منه بصواب فعله من خطئه ، فهو لا يدرى متى يتبين له خطأ فعله وعظيم ذنبه ، فيهدمه، كما يأتى البناءُ على جرف ركيّةٍ لا حابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه، ثَرِيّةِ التراب متناثرة ، (٢) لا تُلْبِثه السيول أن تهدمه وتنثره ؟

* * *

= يقول الله جل ثناؤه: « فانهار به فى نار جهنم »، يعنى : فانتثر الجرف الهارى ببنائه فى نار جهنم، كما : —

١٧٧٤٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فانهار به » ، يعنى قواعده = « فى نار جهنم » . (٣)

١٧٧٤٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فانهار به » ، يقول : فخرَّ به .

١٧٧٤٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله » إلى قوله : « فانهار به فى نار جهنم »،

---

(١) فى المطبوعة : « شاك السلاح » ، والصواب ما فى المخطوطة ، بالياء فى آخره .

(٢) فى المطبوعة : « ترى به التراب متناثراً » ، غير ما فى المخطوطة ، إذ كانت غير منقوطة ، ويقال : « أرض ثرية » ، إذا كانت ذات ثرى وندى . و « ثريت الأرض فهى ثرية » ، إذا نديت ولانت بعد الجدوبة واليبس .

(٣) فى المطبوعة ، أسقط « يعنى » .

قال : والله ما تناهَى أنْ وقع فى النار . ذكر لنا أنه تحفَّرت بقعة منها،[1] فرُؤى منها الدخان .

١٧٢٤٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : بنو عمرو بن عوف . استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم فى بنيانه ، فأذن لهم ، ففرغوا منه يوم الجمعة ، فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد . قال : وانهار يوم الاثنين . قال : وكان قد استنظرهم ثلاثاً ، السبت والأحد والاثنين =« فانهار به فى نار جهنم »،مسجد المنافقين، انهار فلم يتناهَ دون أن وقع فى النار= قال ابن جريج : ذكر لنا أن رجالاً حفروا فيه، فأبصروا الدخان يخرج منه .

١٧٢٤٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا عبد العزيز ابن المختار، عن عبد الله الداناج ، عن طلق بن حبيب ، عن جابر قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً » ، قال : رأيت المسجد الذى بنى ضراراً يخرج منه الدخان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .[2]

١٧٢٤٩ — حدثنا محمد بن مرزوق البصرى قال، حدثنا أبو سلمة قال ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج قال ، حدثنى طلق العنزى ،

---

(١) فى المطبوعة : « أنه حفرت بقعة منه » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وقوله « تحفرت » أى : صارت فيها حفرة ، وكأنه غيرها لأنها لم تذكر فى كتب اللغة ، ولكنها قياس عربى عريق . وقوله « منها » أى : من أرض مسجد الضرار .

(٢) الأثر : ١٧٢٤٨ — « عبد العزيز بن المختار الأنصارى ، الدباغ » ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى برقم : ١٦٨٥ .

و « عبد الله الداناج » ، هو « عبد الله بن فيروز » و « دانا » بالفارسية ، العالم . ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٣٦ .

و « طلق بن حبيب العنزى » ، ثقة ، سمع جابراً . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٦٠ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٩٠ .

وهذا خبر صحيح الإسناد ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٧٩ ، وقال : « أخرجه مسدد فى مسنده ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والحاكم ، وصححه ، وابن مردويه » . وسيأتى بإسناد آخر فى الذى يليه .

عن جابر بن عبد الله قال : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار .[١]

١٧٢٥٠ — حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ، حدثنا خلف بن ياسين الكوفي قال : حججت مع أبي في ذلك الزمان = يعني : زمان بني أمية = فمررنا بالمدينة ، فرأيت مسجد القبلتين = يعني مسجد الرسول = وفيه قبلة بيت المقدس ، فلما كان زمان أبي جعفر ، قالوا : يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة ! فهذا البناءُ الذي ترون ، جرى على يَدِ عبد الصمد بن علي . ورأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن ، وفيه حجر يخرج منه الدخان ، وهو اليوم مَزْبَلة .[٢]

* * *

قوله : « والله لا يهدى القوم الظالمين » ، يقول : والله لا يوفق للرشاد في أفعاله ، من كان بانياً بناءه في غير حقه وموضعه ، ومن كان منافقاً مخالفاً بفعله أمرَ الله وأمرَ رسوله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً =« ريبة » يقول : لا يزال مسجدهم الذي بنوه =«ريبة في قلوبهم »،

---

(١) الأثر : ١٧٢٤٩ — هو مكرر الأثر السالف .

«محمد بن مرزوق» ، هو «محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي» . شيخ الطبري، مضى برقم : ٢٨ ، ٨٢٢٤ .

و «أبو سلمة» ، هو : «موسى بن إسماعيل المنقري التبوذكي» ، ثقة . مضى برقم : ١٥٢٠٢ .

(٢) الأثر : ١٧٢٥٠ — « سلام بن سالم الخزاعي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٢٥٢ ، ٦٥٢٩ .

و « خلف بن ياسين الكوفي » ، مضى برقم : ٢٥٢ ، ورواية « سلام بن سالم الخزاعي »

يعنى : شكًّا ونفاقاً فى قلوبهم ، يحسبون أنهم كانوا فى بنائه مُحْسِنين [١] = « إلا أن تقطع قلوبهم » ، يعنى : إلا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا = « والله عليم » ، بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار ، من شكهم فى دينهم ، وما قصدوا فى بنائهموه وأرادوه ، وما إليه صائرٌ أمرهم فى الآخرة ، وفى الحياة ما عاشوا ، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم = « حكيم » ، فى تدبيره إياهم ، وتدبير جميع خلقه .[٢]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٢٥١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم » ، يعنى : شكًّا = « إلا أن تقطع قلوبهم » ، يعنى الموت .

١٧٢٥٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ريبة فى قلوبهم » ، قال : شكًّا فى قلوبهم = « إلا أن تقطع قلوبهم » ، إلى أن يموتوا .

١٧٢٥٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم » ، يقول : حتى يموتوا .

عنه . وذكر أخى السيد أحمد هناك أنه قد يكون « خلف بن ياسين بن معاذ الزيات » ، وهو كذاب . والظاهر أنه هو هو ، لأن خلفاً يروى فى هذا الخبر عن أبيه ، وأبوه « ياسين بن معاذ الزيات » ، وهو أيضاً ضعيف متروك الحديث ، وكان من كبار فقهاء الكوفة ، روى عن الزهرى ، ومكحول ، وحماد بن أبى سليمان ، وهو مترجم فى لسان الميزان ٦ : ٢٣٨ ، والكبير ٤/٢/٤٢٩ ، وقال : « يتكلمون فيه ، منكر الحديث » ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٣١٢ ، وذكر أنه قد روى عنه ابنه خلف . ولكنه لم يترجم « خلف بن ياسين بن معاذ » . وهذا الخبر الشاهد بأن « ياسين » أبا خلف ، كان على عهد بنى أمية ، ورواية خلف ابنه عنه ، وشيوخ « ياسين » الذين روى عنهم ، كل ذلك دال على صواب ما ذهب إليه أخى ، من أن « خلف بن ياسين الكوفى » ، هو « خلف بن ياسين بن معاذ الزيات » .

(١) انظر تفسير « الريبة » فيما سلف ص : ٢٧٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .

١٧٢٥٤ — حدثني مطر بن محمد الضبي قال ، حدثنا أبو قتيبة قال، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد في قوله : « إلا أن تقطع قلوبهم » ، قال : إلا أن يموتوا .[1]

١٧٢٥٥ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلا أن تقطع قلوبهم »، قال : يموتوا .

١١/٢٦ ١٧٢٥٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلا أن تقطع قلوبهم » ، قال : يموتوا .

١٧٢٥٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٢٥٨ — . . . . قال ، حدثنا سويد قال، حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة والحسن : « لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم » ، قالا : شكًّا في قلوبهم .

١٧٢٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق الرازي قال، حدثنا أبو سنان عن حبيب : « لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم » ، قال : غيظاً في قلوبهم .

١٧٢٦٠ — . . . . قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلا أن تقطع قلوبهم » ، قال : يموتوا .

١٧٢٦١ — . . . . قال، حدثنا إسحق الرازي، عن أبي سنان، عن حبيب : « إلا أن تقطع قلوبهم » ، إلا أن يموتوا .

١٧٢٦٢ — . . . . قال ، حدثنا قبيصة، عن سفيان ، عن السدي : « ريبة في قلوبهم »، قال : كفر . قلت : أكفر مجمّع بن جارية؟ قال : لا ، ولكنها حزازة.

---

(١) الأثر : ١٧٢٥٤ — « مطر بن محمد الضبي » ، انظر ما سلف رقم : ١٢١٩٨ ، ١٤٦١٠.

١٧٢٦٣ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى : « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم » ، قال : حزازة فى قلوبهم .

١٧٢٦٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم »، لا يزال ريبة فى قلوبهم راضين بما صنعوا، كما حُبِّب العجل فى قلوب أصحاب موسى . وقرأ: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ ،[سورة البقرة : ٩٣]، قال : حبَّه = « إلا أن تقطع قلوبهم »، قال : لا يزال ذلك فى قلوبهم حتى يموتوا = يعنى المنافقين .

١٧٢٦٥ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن السدى ، عن إبراهيم: « ريبة فى قلوبهم » ، قال شكًّا . قال قلت : يا أبا عمران ، تقول هذا وقد قرأت القرآن ؟ قال : إنما هى حَزَازة .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إلا أن تقطع قلوبهم » .

فقرأ ذلك بعض قرأة الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة : ﴿ إِلَّآ أَنْ تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، بضم التاء من «تقطع»، على أنه لم يسمَّ فاعله، وبمعنى : إلا أن يُقَطِّعَ الله قلوبهم.

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة المدينة والكوفة : ﴿ إِلَّآ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، بفتح التاء من « تقطع »، على أن الفعل للقلوب . بمعنى : إلا أن تتقطَّع قلوبهم ، ثم حذفت إحدى التاءين .

* * *

وذكر أن الحسن كان يقرأ : ﴿ إِلَى أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، بمعنى : حتى تتقطع قلوبهم .[١]

* * *

وذكر أنها فى قراءة عبد الله : ﴿ وَلَوْ قُطِّعَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، وعلى الاعتبار بذلك

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٥٢ .

قرأ من قرأ ذلك: ﴿ إلاَّ أَنْ تُقَطَّع﴾ ، بضم التاء .

* * *

قال أبو جعفر : والقول عندى فى ذلك أن الفتح فى التاء والضم متقاربا المعنى ، لأن القلوب لا تتقطع إذا تقطعت ، إلا بتقطيع الله إياها ، ولا يقطعها الله إلاّ وهى متقطعة . وهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحد منهما جماعة من القرأة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ فى قراءته .

وأما قراءة ذلك: ﴿إِلَى أَنْ تَقَطَّعَ﴾ ، فقراءةٌ لمصاحف المسلمين مخالفةٌ، ولا أرى القراءة بخلاف ما فى مصاحفهم جائزةً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله ابتاعَ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة =« وعدًا عليه حقًّا »=يقول : وعدهم الجنة جل ثناؤه، وعداً عليه حقًّا أن يوفّى لهم به، فى كتبه المنزلة: التوراة والإنجيل والقرآن، إذا هم وَفَوا بما عاهدوا الله ، فقاتلوا فى سبيله ونصرة دينه أعداءَه، فقَتَلوا وقُتِلوا=« ومن أوفى بعهده من الله »، يقول جل ثناؤه: ومن أحسن وفاءً بما ضمن وشرط من الله = «فاستبشروا»، يقول ذلك للمؤمنين: فاستبشروا، أيها المؤمنون، الذين صَدَقوا الله فيما عاهدوا، ببيعكم أنفسكم وأموالكم بالذى بعتموها من ربكم به، فإن ذلك هو الفوز العظيم،[1] كما :—

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

١٧٢٦٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية قال : ما من مسلم إلاّ ولله في عنقه بَيْعة ، وَفَى بها أو مات عليها ، في قول الله : « إن الله اشترى من المؤمنين » إلى قوله : « وذلك هو الفوز العظيم » ، ثم حَلاَّهم فقال : « التائبون العابدون » إلى « وبشر المؤمنين » . ٢٧/١١

١٧٢٦٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » ، يعني : بالجنة .

١٧٢٦٨ – . . . . قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد ابن يسار ، عن قتادة : أنه تلا هذه الآية : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، قال : ثامَنَهُم الله ، فأغلى لهم الثمن .(١)

١٧٢٦٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن هرون ، عن أبي إسحق الفزاري ، عن أبي رجاء ، عن الحسن : أنه تلا هذه الآية : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » ، قال : بايعهم فأغلى لهم الثمن .

١٧٢٧٠ – حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اشترط لربِّك ولنفسك ما شئت ! قال : أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم . قالوا : فإذا فعلنا ذلك، فماذا لنا ؟ قال: الجنة! قالوا : ربح البيعُ ، لا نُقيل ولا نستقيل !(٢) فنزلت : « إن الله اشترى من المؤمنين » ، الآية .

---

(١) « ثامنت الرجل في المبيع » ، إذا قاولته في ثمنه وفاوضته ، وساومته على بيعه واشترائه .

(٢) « أقاله البيع يقيله إقالة » ، و « تقايلا البيعان » ، إذا فسخا البيع ، وعاد المبيع إلى مالكه ، والثمن إلى المشتري ، إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما . وتكون « الإقالة » في البيعة والعهد . و « استقاله » . طلب إليه أن يقيله .

١٧٢٧١ — . . . . قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبيد بن طفيل العبسى قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم ، وسأله رجل عن قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم » ، الآية ، قال الرجل : ألا أحمل على المشركين فأقاتل حتى أقتل ؟ قال : ويلك ! أين الشرط ؟ « التائبون العابدون » .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم = ولكنه رفع ، إذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها . والعرب تفعل ذلك ، وقد تقدَّم بياننا ذلك فى قوله : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [سورة البقرة : ١٨] ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[٢]

* * *

ومعنى : «التائبون» ، الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى ما يحبّه ويرضاه ،[٣] كما :—

١٧٢٧٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام بن سلم ، عن ثعلبة بن سهيل قال ، قال الحسن فى قول الله : « التائبون » ، قال : تابوا إلى الله من الذنوب كلها .[٤]

---

(١) الأثر : ١٧٢٧١ — « عبيد بن طفيل العبسى » ، هو « الغطفانى » ، « أبو سيدان » ، و « عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان » ، ولكنه فى كتب الرجال « الغطفانى » . وقد مضى برقم : ٢٥٤٧ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٣) انظر تفسير « تائب » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) .

(٤) الأثر : ١٧٢٧٢ — « ثعلبة بن سهيل الطهوى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٢٧٣ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١٧٥ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٦٤ .

١٧٢٧٣ — حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال، حدثنى أبى ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن : أنه قرأ « التائبون العابدون » ، قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

١٧٢٧٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن أبى الأشهب قال : قرأ الحسن : « التائبون العابدون » ، قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

١٧٢٧٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا منصور بن هرون ، عن أبى إسحق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن قال : التائبون من الشرك .

١٧٢٧٦ — حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية : « التائبون العابدون » ، قال الحسن : تابوا والله من الشرك، وبرئوا من النفاق .

١٧٢٧٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « التائبون » ، قال : تابوا من الشرك ، ثم لم ينافقوا فى الإسلام .

١٧٢٧٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج : « التائبون » ، قال : الذين تابوا من الذنوب ، ثم لم يعودوا فيها .

* * *

وأما قوله : « العابدون » فهم الذين ذلّوا خشيةً لله وتواضعاً له، فجدّوا فى خدمته ، [1] كما : —

١٧٢٧٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « العابدون » ، قوم أخذوا من أبدانهم فى ليلهم ونهارهم .

١٧٢٨٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل

---

(١) انظر تفسير « العابد » فيما سلف من فهارس اللغة (عبد) .

١١/٢٨ قال ، قال الحسن فى قول الله : « العابدون » ، قال : عبدوا الله على أحايينهم كلها ، فى السراء والضراء .

١٧٢٨١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون ، عن أبى إسحق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن : « العابدون » ، قال : العابدون لربهم .

* * *

وأما قوله : « الحامدون » ، فإنهم الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير وشر ، [1] كما : —

١٧٢٨٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « الحامدون » ، قوم حمدوا الله على كل حال .

١٧٢٨٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن ثعلبة قال ، قال الحسن : « الحامدون » ، الذين حمدوا الله على أحايينهم كلها ، فى السرّاء والضرّاء .

١٧٢٨٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون ، عن أبى إسحق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن : « الحامدون » ، قال : الحامدون على الإسلام .

* * *

وأما قوله : « السائحون » ، فإنه الصائمون ، كما : —

١٧٢٨٥ — حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى وابن وكيع قالا ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير =

١٧٢٨٦ — وحدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن « السائحين » فقال : هم الصائمون . [2]

---

(١) انظر تفسير « الحمد » فيما سلف ١ : ١٣٥ — ١١/١٤١ : ٢٤٩ .

(٢) الأثر : ١٧٢٨٦ — قال ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢٤٩ : « هذا مرسل جيد » ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٨١ ، من طريق عبيد بن عمير ، عن أبى هريرة ، ونسبه

١٧٢٨٧ — حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا حكيم بن حزام قال ، حدثنا سليمان ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السائحون » ، هم الصائمون .

١٧٢٨٨ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا إسرائيل ، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال : « السائحون »، الصائمون .[1]

١٧٢٨٩ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : « السائحون » ، الصائمون .[2]

١٧٢٩٠ — . . . . قال، حدثنا يحيى قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثني عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، بمثله .

١٧٢٩١ — حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله قال ، أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبد الرحمن قال : السياحةُ الصيام .

١٧٢٩٢ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عطية قال ، حدثنا إسرائيل، عن أشعث، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : « السائحون » ، الصائمون.

١٧٢٩٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبيه = وإسرائيل، عن أشعث = عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٢٩٤ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحماني قال، حدثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير قال : « السائحون » ، الصائمون .

إلى الفريابي ، ومسدد في مسنده ، وابن جرير ، والبيهقي في شعب الإيمان . بيد أن ابن جرير لم يرفعه من هذه الطريق إلى أبي هريرة كما ترى .

(١) الأثران : ١٧٢٨٧ ، ١٧٢٨٨ — أولها مرفوع ، والآخر موقوف على أبي هريرة ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٨١ ، ونسبه إلى ابن جرير وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، وابن النجار ، مرفوعاً ، وذكره السيوطي في تفسيره ٤ : ٢٤٨ ، وقال : « وهذا الموقوف أصح » .

(٢) الأثر : ١٧٢٨٩ — خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٤ ، ٣٥ ، عن عبد الله ابن مسعود ، ثم قال : «رواه الطبراني، وفيه عاصم بن بهدلة . وثقه جماعة ، وضعفه آخرون، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

١٧٢٩٥ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله.

١٧٢٩٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .

١٧٢٩٧ — . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن أبيه، عن أبي إسحق ، عن عبد الرحمن قال : « السائحون » ، هم الصائمون .

١٧٢٩٨ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « السائحون » ، قال : يعني بالسائحين ، الصائمين .

١٧٢٩٩ — حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « السائحون » ، هم الصائمون .

١٧٣٠٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣٠١ — . . . . قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : كل ما ذكر الله في القرآن ذكر السياحة، هم الصائمون .[١]

١٧٣٠٢ — . . . . قال،حدثنا أبي ، عن المسعودي ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل، عن أبي عمرو العبدي قال: « السائحون »، الذين يُديمون الصيام من المؤمنين .

١٧٣٠٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل قال ، قال الحسن : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣٠٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن

---

(١) في المطبوعة ، حذف « ذكر » من قوله : « ذكر السياحة » . والعبارة مضطربة بعض الاضطراب . وانظر أجود منها في رقم : ١٧٣٠٦ .

هرون، عن أبى إسحق الفزارى، عن أبى رجاء، عن الحسن قال : « السائحون » ، الصائمون شهر رمضان .

١٧٣٠٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « السائحون » ، الصائمون . ٢٩/١١

١٧٣٠٦ — . . . . قال، حدثنا أبو أسامة ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : كل شىء فى القرآن « السائحون » ، فإنه الصائمون .

١٧٣٠٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣٠٨ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « السائحون » ، يعنى الصائمين .

١٧٣٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، ويعلى، وأبو أسامة ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣١٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، مثله .

١٧٣١١ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا عمرو : وأنه سمع وهب بن منبه يقول : كانت السياحة فى بنى إسرائيل ، وكان الرجل إذا ساح أربعين سنةً، رأى ما كان يرى السائحون قبله . فساح وَلَدُ بغىٍّ أربعين سنة ، فلم يرشيئاً ، فقال : أى ربِّ ، أرأيت إن أساء أبواى وأحسنت أنا ؟ قال: فَأُرِى ما رَأى السائحون قبله = قال ابن عيينة : إذا ترك الطعام والشراب والنساء ، فهو السَّائح .

١٧٣١٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « السائحون » ، قوم أخذوا من أبدانهم ، صوماً لله .

١٧٣١٣ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن عائشة قالت : سياحةُ هذه الأمة الصيام .[١]

* * *

وقوله : « الراكعون الساجدون » ، يعني المصلين ، الراكعين فى صلاتهم ، الساجدين فيها ،[٢] كما : —

١٧٣١٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني منصور بن هرون عن أبي إسحق الفزارى ، عن أبي رجاء ، عن الحسن : « الراكعون الساجدون » ، قال : الصلاة المفروضة .

* * *

وأما قوله : « الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » ، فإنه يعني أنهم يأمرون الناس بالحق فى أديانهم ، واتباع الرشد والهدى ، والعمل[٣] = وينهونهم عن المنكر ، وذلك نهيهم الناسَ عن كل فعل وقول نهى الله عبادَه عنه .[٤]

* * *

وقد روى عن الحسن فى ذلك ما : —

١٧٣١٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن هرون، عن أبي إسحق الفزارى، عن أبي رجاء، عن الحسن : « الآمرون بالمعروف»، لا إله إلاّ الله = « والناهون عن المنكر » ، عن الشرك .

١٧٣١٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل

---

(١) الأثر : ١٧٣١٣ — « إبراهيم بن يزيد الخوزى » ، متروك الحديث ، مضى برقم : ٧٤٨٤ ، ١٦٢٥٩ .

و « الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث » ، ثقة ، مضى برقم : ١٦٢٥٩ ، ولم يدرك أن يروى عن عائشة ، فهو مرسل عن عائشة .

فهذا خبر ضعيف الإسناد جداً .

(٢) انظر تفسير « الركوع » ، و « السجود » فيما سلف من فهارس اللغة (ركع) ، (سجد) .

(٣) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ٣٤٧، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ص : ٣٤٧، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

قال ، قال الحسن فى قوله : « الآمرون بالمعروف » ، قال : أمَا إنهم لم يأمروا الناس حتى كانوا من أهلها = « والناهون عن المنكر » ، قال : أمَا إنهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه .

١٧٣١٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنى إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : كل ما ذكر فى القرآن « الأمر بالمعروف » ، و « النهى عن المنكر » ، فالأمر بالمعروف ، دعاءٌ من الشرك إلى الإسلام = والنهى عن المنكر ، نهىٌ عن عبادة الأوثان والشياطين .

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا : من أن « الأمر بالمعروف » هو كل ما أمر الله به عباده أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، و « النهى عن المنكر » ، هو كل ما نهى الله عنه عبادَه أو رسولُه . وإذ كان ذلك كذلك ، ولم يكن فى الآية دلالة على أنها عُنى بها خصوصٌ دون عموم ، ولا خبر عن الرسول ، ولا فى فطرة عقلٍ ، فالعموم بها أولى ، لما قد بينا فى غير موضع من كُتُبنا .

* * *

وأما قوله : « والحافظون لحدود الله » ، فإنه يعنى : المؤدّون فرائض الله ، المنتهون إلى أمره ونهيه ، الذين لا يضيعون شيئاً ألزمهم العملَ به ، ولا يركبون شيئاً نهاهم عن ارتكابه ، [1] كالذى :—

١٧٣١٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « والحافظون لحدود الله » ، يعنى القائمين على طاعة الله . وهو شرطٌ اشترطه على أهل الجهاد ، إذا وَفَوا لله بشرطه ، وفى لهم بشرطهم . [2]

---

(١) انظر تفسير « الحفظ » فيما سلف ٥ : ١٦٧/٨ : ٢٩٥/١٠ : ٥٦٢/١١ : ٥٣٢ .
= وتفسير « الحدود » فيما سلف : ص : ٤٢٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « إذا وفوا الله بشرطه ، وفى لهم شرطهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١١/٣٠ ١٧٣١٩ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: «والحافظون لحدود الله»، قال: القائمون على طاعة الله.

١٧٣٢٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن ثعلبة بن سهيل قال، قال الحسن في قوله: «والحافظون لحدود الله»، قال: القائمون على أمر الله.

١٧٣٢١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني منصور بن هرون، عن أبي إسحق الفزاري، عن أبي رجاء، عن الحسن: «والحافظون لحدود الله»، قال: لفرائض الله.

* * *

وأما قوله: «وبشر المؤمنين»، فإنه يعني: وبشّر المصدّقين بما وعدهم الله إذا هم وفَّوا الله بعهده، أنه مُوفٍّ لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة، [1] كما: —

١٧٣٢٢ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا هوذة بن خليفة قال، حدثنا عوف، عن الحسن: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم»، حتى ختم الآية، قال: الذين وفوا ببيعتهم = «التائبون العابدون الحامدون»، حتى ختم الآية، فقال: هذا عملهم وسيرهم في الرخاء، ثم لقوا العدوّ فصدَقوا ما عاهدوا الله عليه.

* * *

وقال بعضهم: معنى ذلك: وبشر من فعل هذه الأفعال = يعني قوله: «التائبون العابدون»، إلى آخر الآية = وإن لم يغزوا

* ذكر من قال ذلك:

١٧٣٢٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني منصور بن هرون، عن أبي إسحق الفزاري، عن أبي رجاء، عن الحسن: «وبشر المؤمنين»، قال: الذين لم يغزوا.

* * *

(١) انظر تفسير «التبشير» فيما سلف ص: ١٧٤، تعليق: ١، والمراجع هناك.

القول فى تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ماكان ينبغى للنبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، والذين آمنوا به=« أن يستغفروا »، يقول : أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم = « أولى قربى » ، ذوى قرابة لهم = « من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » ، يقول : من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان ، وتبين لهم أنهم من أهل النار ، لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغى لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله . فإن قالوا: فإن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك ؟ فلم يكن استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعدها إياه . فلما تبين له وعلم أنه لله عدوٌّ ، خلاَّه وتركه، وترك الاستغفار له ، وآثر الله وأمرَه عليه ، فتبرأ منه حين تبين له أمره .[1]

* * *

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه .

فقال بعضهم : نزلت فى شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته ، فنهاه الله عن ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٢٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : يا عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمةً

(١) انظر تفسير ألفاظ الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

أحاجُّ لك بها عند الله ! فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك ما لم أنْه عنك ! فنزلت : « ما كان النبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، ونزلت : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ ، [سورة القصص : ٥٦] .

١٧٣٢٥ — حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثنا عمي عبد الله بن وهب قال ، حدثني يونس ، عن الزهري قال ، أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاةُ ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمةً أشهد لك بها عند الله ! قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن مِلّة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيدُ له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلّمهم : « هو على ملة عبد المطلب » ، وأبى أن يقول : « لا إله إلا الله » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لأستغفرنّ لك ما لم أنْه عنك! فأنزل الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، وأنزل الله في أبي طالب ، فقال لرسول الله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية . (١)

١١/٣١

١٧٣٢٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٧٣٢٥ — هذا حديث صحيح . رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ١٧٦ ، ١٧٧) من طريق إسحق ، عن يعقوب بن ابراهيم ، عن أبي صالح ، عن ابن شهاب الزهري ، ورواه أيضاً (الفتح ٨ : ٢٥٨) من طريق إسحق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، ثم رواه أيضاً (الفتح ٨ : ٣٨٩) من طريق أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهري ..

ورواه مسلم في صحيحه ١ : ٢١٣ — ٢١٦ ، من طرق ، أولها هذه الطريق التي رواها منه أبو جعفر .

ورواه أحمد في مسنده ٥ : ٤٣٣ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري .
وكلها أسانيد صحاح .

وسيأتي برقم : ١٧٣٢٨ ، عن سعيد بن المسيب ، لم يرفعه إلى أبيه ، بغير هذا اللفظ .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين »، قال : يقول المؤمنون : ألا نستغفر لآبائنا، وقد استغفر إبراهيم لأبيه كافراً ؟ فأنزل الله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إيّاه »، الآية .

١٧٣٢٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عمرو بن دينار : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربّي ! فقال أصحابه : لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه ! فأنزل الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » إلى قوله : « تبرأ منه » .

١٧٣٢٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب قال : لما حضر أبا طالب الوفاةُ ، أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أىْ عم ، إنك أعظم الناس علىّ حقًّا، وأحسنهم عندى يداً ، ولأنت أعظم علىّ حقًّا من والدى، فقل كلمة تجب لى بها الشفاعة يوم القيامة، قل: لا إله إلا الله = ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت فى سبب أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها ، فمنع من ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٢٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل، عن عطية قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقف على قبر أمّه حتى سخِنت عليه الشمس، رجاءَ أن يؤذن له فيستغفر لها، حتى نزلت :

« ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى » ، إلى قوله : « تبرأ منه » .

١٧٣٣٠ — . . . . قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا قيس، عن علقمة ابن مرثد ، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى رَسْمَ = قال: وأكثر ظني أنه قال : قَبْرٍ[1]= فجلس إليه ،فجعل يخاطبُ ، ثم قام مُسْتَعْبِرًا،[2] فقلت: يا رسول الله، إنّا رأينا ما صنعت ! قال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمّي ، فأذن لي،واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي . فما رؤي باكياً أكثر من يومئذٍ .[3]

١٧٣٣١ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا » ، إلى: « أنهم أصحاب الجحيم » ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمّه ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال : وإن إبراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه ! فأنزل الله: « وما كان استغفار إبراهيم » ، إلى « لأواه حليم » .

* * *

(١) في المطبوعة : « أتى رسما — وأكبر ظني أنه قال : قبراً » ، غير ما في المخطوطة ، والصواب ما فيها لأنه ذكر المضاف « أتى رسم » ثم فصل وقال : « قبر » ، فيما رجح من ظنه ، يعني : « رسم قبر » ، على الإضافة .

(٢) في المخطوطة : « ثم قام مستغفراً » ، والصواب ما في المطبوعة ، وتفسير ابن كثير ٤ : ٢٥٠ ، نقلا عن هذا الموضع من تفسير أبي جعفر .

(٣) الأثر : ١٧٣٣٠ — « علقمة بن مرثد الحضرمي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١١٣٣٠ .

و « سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي » ، ثقة ، روى عن أبيه ، ثقة ، مضى برقم : ١١٣٣٠ .

وأبوه « بريدة بن الحصيب الأسلمي » ، صحابي ، أسلم قبل بدر ، ولم يشهدها. فهذا خبر صحيح الإسناد، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ : ٣٥ ، بهذا اللفظ .

ورواه أحمد في مسنده ٥ : ٣٥٩ ، من طريق حسين بن محمد ، عن خلف عن خليفة ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، بغير هذا اللفظ مطولا .

ورواه من طريق محارب بن دثار ، عن ابن بريدة ، عن أبيه (٥ : ٣٥٥) ، ثم من طريق القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي بريدة ، عن أبيه (٥ : ٣٥٦) .

وقال آخرون : بل نزلت من أجل أن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين ، فنهوا عن ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٢ — حدثني المثنى قال، حدثني عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، الآية ، فكانوا يستغفرون لهم، حتى نزلت هذه الآية . فلما نزلت ، أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ، ثم أنزل الله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » ، الآية .

١٧٣٣٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، الآية ، ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : يا نبي الله ، إن من آبائنا من كان يُحْسِن الجوار ، ويصل الأرحام، ويفك العانى، ويوفى بالذمم، أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلى ! والله لأستغفرنّ لأبى ، كما استغفر إبراهيم لأبيه ! قال : فأنزل الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » حتى بلغ : «الجحيم»، ثم عذر الله إبراهيم فقال: « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إيّاه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » . قال: وذكر لنا أن نبيَّ الله قال: أوحى إلىّ كلمات فدخلن فى أذنى ، ووَقَرْنَ فى قلبى : أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركاً، ومن أعطى فَضْلَ ماله فهو خيرٌ له ، ومن أمسك فهو شرٌّ له ، ولا يلوم اللهُ على كَفافٍ .[1]

٣٢/١١

* * *

(١) « الكفاف » (بفتح الكاف) ، وهو من الرزق على قدر حاجة المرء ، لا يفضل منه شيء . وإذا لم يكن عنه المرء فضل عن قوته ، لم يلمه الله تعالى ذكره ، على أن لا يعطى أحداً . وانظر مثل هذا المعنى فيما سلف رقم : ٤١٧٣ .

واختلف أهل العربية فى معنى قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » .

فقال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : ما كان لهم الاستغفار = وكذلك معنى قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ ﴾، وما كان لنفس الإيمان = ﴿ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾، [سورة يونس : ١٠٠].

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : معناه : ما كان ينبغى لهم أن يستغفروا لهم . قال : وكذلك إذا جاءت «أن» مع «كان»، فكلها بتأويل : ينبغى، ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦١]، ما كان ينبغى له، ليس هذا من أخلاقه . قال : فلذلك دخلت « أن » لتدل على الاستقبال، [1]لأن « ينبغى » تطلب الاستقبال .

* * *

وأما قوله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه »، فإن أهل العلم اختلفوا فى السبب الذى أنزل فيه .

فقال بعضهم : أنزل من أجل أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين، ظناً منهم أن إبراهيم خليل الرحمن قد فعل ذلك، حين أنزل الله قوله خبراً عن إبراهيم : ﴿قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [سورة مريم : ٤٧].

وقد ذكرنا الرواية عن بعض من حضرنا ذكره، وسنذكر عمن لم يذكره .

١٧٣٣٤ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن أبي إسحق، عن أبي الخليل، عن على قال : سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان، فقلت : أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان ؟ فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟ قال : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « تدل » بغير لام ، والسياق يقتضى إثباتها .

فأنزل الله : « وما كان استغفار إبراهيم » إلى « تبرأ منه » .(١)

١٧٣٣٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الخليل ، عن علي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر لأبويه وهما مشركان، حتى نزلت : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه » ، إلى قوله : « تبرأ منه » .(٢)

* * *

وقيل : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة » ، ومعناه : إلا من بعد موعدة، كما يقال: « ما كان هذا الأمر إلا عن سبب كذا» ، بمعنى : من بعد ذلك السبب ، أو من أجله . فكذلك قوله : « إلا عن موعدة » ، من أجل موعدة وبعدها .(٣)

* * *

وقد تأوّل قوم قولَ الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى »، الآية، أنّ النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم ، لقوله : «من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» . وقالوا : ذلك لا يتبينه أحدٌ إلا بأن يموت على كفره ، وأما وهو حيٌّ فلا سبيل إلى علم ذلك ، فللمؤمنين أن يستغفروا لهم .

---

(١) الأثر : ١٧٣٣٤ — « أبو الخليل » ، هو « عبد الله بن أبي الخليل الهمداني » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٤٥ ، وابن سعد في الطبقات ٦ : ١٦٩ ، وقال : « روى عن علي ثلاثة أحاديث ، من حديث أبي إسحق» . وفرق بينه وبين «عبد الله بن الخليل الحضرمي» (الطبقات ٦ : ١٧٠) ، وكذلك فعل ابن أبي حاتم وغيره .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده رقم : ١٠٨٥ من طريق وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، ومن طريق عبد الرحمن ، عن سفيان ، عنه . ورواه قبله رقم: ٧٧١ ، من طريق يحيى بن آدم ، عن سفيان . وانظر الخبر التالي .

(٢) الأثر : ١٧٣٣٥ — رواه أحمد في المسند رقم : ٧٧١ ، من طريق يحيى بن آدم أيضاً ، ولكن بغير هذا اللفظ ، وأن المستغفر رجل من المسلمين ، كالذى سلف . وانظر بيانه في شرح أخي السيد أحمد .

(٣) انظر تفسير « عن » بمعنى « بعد » فيما سلف ١٠ : ٣١٣ .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٦ — حدثنا سليمان بن عمر الرقى ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان الثورى ، عن الشيبانى ، عن سعيد بن جبير قال : مات رجل يهودى وله ابنٌ مسلم ، فلم يخرج معه ، فذكر ذلك لابن عباس فقال : كان ينبغى له أن يمشى معه ويدفنه ، ويدعو له بالصلاح ما دام حياً ، فإذا مات ، وكله إلى شأنه! ثم قال : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، لم يدعُ .[١]

١٧٣٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا فضيل ، عن ضرار بن مرة ، عن سعيد بن جبير قال : مات رجل نصرانى ، فوكله ابنه إلى أهل دينه ، فأتيت ابن عباس فذكرت ذلك له ، فقال : ما كان عليه لو مشى معه وأجنَّه واستغفر له ؟[٢] ثم تلا : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » ، الآية .[٣]

٣٣/١١

* * *

وتأوّل آخرون « الاستغفار » ، فى هذا الموضع ، بمعنى الصلاة .[٤]

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنى إسحق قال ، حدثنا كثير بن

---

(١) الأثر : ١٧٣٣٦ — « الشيبانى » هو « ضرار بن مرة » ، « أبو سنان الشيبانى » الأكبر ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٤٠ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٦٥ . ومضى له ذكر فى رقم : ١٠٢٣٨ ، للتفريق بينه وبين « أبى سنان الشيبانى » الأصغر ، وهو « سعيد بن سنان البرجمى » . وسيأتى فى الخبر التالى ، التصريح باسمه .

(٢) « أجنه » ، واراه فى قبره .

(٣) الأثر : ١٧٣٣٧ — « ضرار بن مرة » ، هو الشيبانى ، سلف فى التعليق قبله . وفى لفظ هذا الخبر اضطراب ظاهر ، فإن الخبر الأول قبله عن الشيبانى ، دال على النهى عن الاستغفار له بعد موته ، وفى هذا الخبر ، إذن بالاستغفار له بعد موته . ولا أدرى من أين جاء هذا الاختلاف على الشيبانى فى لفظه .

(٤) فى المخطوطة : « بمعنى الصلاح » ، والصواب ما فى المطبوعة ، كما دل عليه الأثر التالى .

هشام ، عن جعفر بن برقان قال ، حدثنا حبيب بن أبي مرزوق ، عن عطاء ابن أبي رباح قال: ما كنت أدع الصلاةَ على أحدٍ من أهل هذه القبلة، ولو كانت حبشيةً حُبْلى من الزنا ، لأني لم أسمع الله يَحْجُبُ الصلاة إلاّ عن المشركين ، يقول الله : « ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » .

* * *

وتأوّله آخرون ، بمعنى الاستغفار الذى هو دعاء .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن عصمة بن زامل ، عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم الله رجلاً استغفر لأبي هريرة ولأمّه، قلت : ولأبيه ؟ قال : لا ، إن أبي مات وهو مشرك .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن معنى « الاستغفار » : مسألة العبد ربَّه غفرَ الذنوب . وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت مسألة العبد ربَّه ذلك قد تكون فى الصلاة وفى غير الصلاة ،[2] لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسداً ، لأن الله عمَّ بالنهى عن الاستغفار للمشرك ، بعد ما تبين له أنه من أصحاب الجحيم ، ولم يخصص عن ذلك حالاً أباح فيها الاستغفار له .

* * *

---

(١) الأثر : ١٧٣٣٩ — « عصمة بن زامل الطائى » ، مترجم فى الكبير ٤/١/٦٣ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٢٠ ، ولسان الميزان ٤ : ١٦٨ ، ١٦٩ ، وقال : « روى عن أبيه ، عن أبي هريرة . وعنه وكيع ، وجميل بن حماد الطائى . قال البرقانى : قلت للدارقطنى : جميل بن حماد ، عن عصمة بن زامل ، فذكر هذا الاسناد . فقال : إسناد بدوى ، يخرج اعتباراً » .

وكان فى المطبوعة : « عصمة بن راشد » ، غير ما فى المخطوطة كأنه بحث فلم يجده ، فظنه تحريفاً .

وأبوه : « زامل بن أوس الطائى» ، مترجم فى الكبير ٢/١/٤٠٥ ، وابن حاتم ١/٢/٦١٧ ، ولسان الميزان ٢ : ٤٦٩ ، وقال الدارقطنى : إسناد يروى ، يخرج اعتباراً . وذكره ابن حبان فى الثقات .

(٢) انظر تفسير الاستغفار ، فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

وأما قوله : « من بعد ما تبيَّن لهم أنهم أصحاب الجحيم »، فإن معناه ما قد بيَّنتُ، من أنه : من بعد ما يعلمون بموته كافراً أنه من أهل النار .

* * *

وقيل : « أصحاب الجحيم »، لأنهم سكانها وأهلها الكائنون فيها ، كما يقال لسكان الدار : « هؤلاء أصحاب هذه الدار »، بمعنى : سكانها .[1]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٤٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : «من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» ، قال : تبيَّن للنبى صلى الله عليه وسلم أن أبا طالب حين ماتَ أن التوبة قد انقطعت عنه .

١٧٣٤١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : «تبيَّن له» حين مات ، وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه = يعنى فى قوله : « من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » .

١٧٣٤٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » الآية ، يقول : إذا ماتوا مشركين ، يقول الله : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليهِ الْجَنَّةَ ﴾،[2] الآية، [سورة المائدة : ٧٢].

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله: « فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه» .

قال بعضهم : معناه : فلما تبين له بموته مشركاً بالله ، تبرأ منه ، وترك الاستغفار له .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « أصحاب النار » وغيرها فيما سلف من فهارس اللغة (صحب) .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « ومن يشرك » ، وهو سهو ، والتلاوة ما أثبت .

١٧٣٤٣ ـ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتّى مات = « فلما تبين له أنه عدوٌّ لله تبرّأ منه » .

١٧٣٤٤ ـ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتّى مات = فلما مات ، تبين له أنه عدوّ لله .

١٧٣٤٥ ـ حدثنى الحارث قال،حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ابن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لم يزل إبراهيم يستغفر لأبيه حتّى مات ، فلما مات لم يستغفر له .

١٧٣٤٦ ـ حدثنى المثنى قال،حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، يعنى : استغفر له ما كان حيًّا ، فلما مات أمسك عن الاستغفار له .

١٧٣٤٧ ـ حدثنى مطر بن محمد الضبى قال، حدثنا أبو عاصم ، وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة ، قالا ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد فى قوله : « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، قال : لما مات .

١١/٣٤

١٧٣٤٨ ـ حدثنا محمد بن المثنى قال،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٣٤٩ ـ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « فلما تبين له أنه عدو لله »، قال : موته وهو كافر .

١٧٣٥٠ ـ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنى أبى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٣٥١ — .... قال ، حدثنا ابن أبي غنية ، عن أبيه ، عن الحكم : « فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه » ، قال : حين مات ولم يؤمن .[1]

١٧٣٥٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عمرو بن دينار : « فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه » ، موته وهو كافر .

١٧٣٥٣ — .... قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم ، عن جويبر ،عن الضحاك في قوله: « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، قال : لما مات .

١٧٣٥٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « فلما تبين له أنه عدو لله » ، لما مات على شركه = « تبرأ منه » .

١٧٣٥٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه » ، كان إبراهيم صلوات الله عليه يرجو أن يؤمن أبوه ما دام حياً ، فلما مات على شركه تبرّأ منه

١٧٣٥٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، قال : موته وهو كافر .

١٧٣٥٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :

---

(١) الأثر : ١٧٣٥١ — « ابن أبي غنية » ، هو « يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية الخزاعي » ، مضى مراراً ، آخر رقم : ١١٠٨٥ .

وأبوه : « عبد الملك بن حميد بن أبي غنية » ، يروى عن « الحكم بن عتيبة » ، مضى أيضاً رقم : ١٠٥٩٧ ، ١١٠٨٥ .

وكان في المطبوعة : « حدثنا العراء بن عتبة » ، غير ما في المخطوطة، لأن الناسخ أساء نقطه، وصوابه ما أثبت

ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدوّ لله ، فلم يستغفر له .[1]

١٧٣٥٨ — . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال، أبو إسرائيل ، عن على ابن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فلما تبين له أنه عدو لله » ، قال : فلما مات .

* * *

وقال آخرون : معناه : فلما تبين له فى الآخرة . وذلك أن أباه يتعلّق به إذا أرادَ أن يجوز الصراط ، فيمرّ به عليه ، حتى إذا كاد أن يجاوزه ، حانت من إبراهيم التفاتةٌ ، فإذا هو بأبيه فى صورة قِرْد أو ضَبُع ، فيخلّى عنه ويتبرأ منه حينئذ .[2]

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٥٩ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا حفص بن غياث قال، حدثنا عبد الله بن سليمان قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : إن إبراهيم يقولُ يوم القيامة : « ربِّ والدى ، ربِّ والدى » ! فإذا كانت الثالثة ، أخذ بيده ، فيلتفت إليه وهو ضِبْعانٌ ،[3] فيتبرأ منه .

١٧٣٦٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن عبيد ابن عمير قال : إنكم مجموعون يوم القيامة فى صعيدٍ واحد ، يسمعكم الداعى ، وينفُذُكم البصر. قال : فتزفِرُ جهنم زفرةً لا يبقى مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبىٌّ مرسل إلا وقع

---

(١) الأثر : ١٧٣٥٧ — « أحمد بن إسحق الأهوازى » ، شيخ أبى جعفر ، مضى مراراً كثيرة ، وهو إسناد دائر فى التفسير . وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا : « محمد بن إسحق » وهو خطأ محض .

(٢) فى المطبوعة : « فخلى عنه وتبرأ منه » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) « الضبعان » (بكسر فسكون) ، ذكر الضباع ، لا يكون بالألف والنون إلا للمذكر . والأنثى « الضبع » (بفتح فضم) ، ويقال للذكر أيضاً « ضبع » . وبالتذكير جاء فى كلام الطبرى آنفاً ، وسيأتى فى التى يلى هذا الخبر .

لركبتيه، تُرْعَد فرائصُه! قال: فحسبته يقول: نَفْسى نفسى ! ويضربُ الصِّراط على جهنم كحدِّ السيف، (١) دحْض ٍ مَزِلَّةٍ، (٢) وفى جانبيه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السَّعْدان. قال: فيمضون كالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الركاب، وكأجاويد الرجال، (٣) والملائكة يقولون: «ربِّ سلِّمْ سلِّم»، فناجٍ سالمٌ ومخدوش ناجٍ، ومكدوسٌ فى النار، (٤) فيقول: إبراهيم لأبيه: إنى كنت آمرك فى الدنيا فتعصينى، ولست تاركك اليوم، فخُذْ بحقْوى! (٥) فيأخذ بِضَبْعَيْه، (٦) فيمسخ ضَبُعاً، فإذا رآه قد مُسِخَ تبرَّأ منه. (٧)

* * *

(١) فى المطبوعة: «فيضرب الصراط على جسر جهنم»، زاد «جسر»، وليست فى المخطوطة.

(٢) فى المطبوعة: «وحضر من له»، وهو كلام خلو من كل معنى. وفى المخطوطة «دحصر مزله»، غير منقوطه، وعلى الصاد مثل الألف (١)، ومثلها على هاء «مزله»، وهو شك من الكاتب، ولو قرأها قارئ: «وخطر مزلة» لكان له شبه معنى، ولكن واو العطف فساد فى الكلام. والصواب ما قرأته إن شاء الله، ويؤيده ما جاء فى حديث أبى ذر: «إن خليلى صلى الله عليه وسلم قال: إن دون جسر جهنم طريقاً ذا دحض». و «الدحض» (بفتح الدال وسكون الحاء) الزلق. و «المزلة» (بفتح الزاى أو كسرها) الموضع الذى تزل فيه الأقدام. ويقال: «مزلة مدحاض».

ثم وجدت صواب ما قرأت فى المستدرك للحاكم ٤: ٥٨٣، كما سترى بعد.

(٣) وقوله: «وكأجاويد الركاب، وكأجاويد الرجال»، «الأجاويد» جمع «أجواد»، وهى جمع «جواد»، وهو الفرس السابق الجيد، ثم يقال: «فرس جواد الشد»، إذا كان يجود بحضره وجريه جوداً متتابعاً، لا يكل. و «الركاب»: الإبل التى يسار عليها، واحدتها «راحلة»، ولا واحد لها من لفظها. وأما «الرجال»، فظنى أنه جمع «رجيل»، و «الرجيل» من الخيل، الموطوء الركوب الذى لا يعرق. أو يكون جمع «رجل»، يعنى الرجال العدائين، لأنه أتى فى جمع الزوائد: «كجرى الفرس، ثم كسعى الرجل».

بيد أن رواية اللسان فى مادة (جود) قال: «وفى حديث الصراط: ومنهم من يمر كأجاويد الخيل»، ورواية الحاكم فى المستدرك: «وكأجاويد الخيل والمراكب».

(٤) «مكدوس»، مدفوع فيها، من «الكدس»، وهو الصرع والإلقاء، «كدس به الأرض»، صرعه، وألصقه بها. و «كدسه»: طرده من ورائه وساقه. وهذه التى هنا هى إحدى الروايتين. والرواية الأخرى «مكردس». و «المكردس» الذى جمعت يداه ورجلاه وأوثق، ثم ألقى على الأرض، كما يفعل بالأسير. وهذه رواية الحاكم فى المستدرك.

(٥) «الحقو» (بفتح الحاء وكسرها، وسكون القاف): مشد الإزار من الجنب.

(٦) «الضبع» (بفتح فسكون): من الإنسان وغيره، وسط العضد بلحمه.

(٧) الأثر: ١٧٣٦٠ — حديث الصراط، رواه الحاكم فى المستدرك ٤: ٥٨٢ — ٥٨٤ من

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قولُ الله ، وهو خبره عن إبراهيم أنه لما تبين له أن أباه لله عدوٌّ ، تبرأ منه ، وذلك حال علمه ويقينه أنه لله عدوٌّ ، وهو به مشرك ، وهو حالُ موته على شركه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى « الأوّاه » .

فقال بعضهم : هو الدعَّاء .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٦١ — حدثنا ابن بشار ، قال حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله قال : « الأوّاه » ، الدعّاء .

١٧٣٦٢ — حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : « الأوّاه » ، الدعّاء . ٣٥/١١

١٧٣٦٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني جرير ابن حازم ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيش قال : سألت عبد الله عن « الأواه » ، فقال : هو الدعّاء .

طريق هشام بن سعد ، عن زيد بن المسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى . مطولا ، وقال : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه السياقة » ـ وليس فيه ذكر أبينا إبراهيم عليه السلام .

ومن حديث الصراط ما خرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ : ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، من حديث عائشة ، « رواه أحمد ، وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، وقد وثق . وبقية رجاله رجال الصحيح » . وفى هذا الخبر ذكر ما أشرت إليه فى التعليق ص : ٥٢٢ ، « من قوله : « كأجاويد الخيل والركاب » وخرجه الهيثمى أيضاً (١٠ : ٣٥٩ ، ٣٦٠) ، عن عبد الله بن مسعود ، خبراً فيه « كجرى الفرس ، ثم كسعى الرجل» كما أشرت إليه فى التعليق رقم : ٢ ، ص : ٥٢٢ .

(١) « الدعاء » (بتشديد العين) : الكثير الدعاء .

١٧٣٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن ابن أبي عروبة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .

١٧٣٦٥ – . . . . قال ، حدثنا قبيصة، عن سفيان ، عن عبد الكريم عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال : « الأوّاه » ، الدعّاء .

١٧٣٦٦ – . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .

١٧٣٦٧ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، وإسرائيل، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .(١)

١٧٣٦٨ – حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع قالا، حدثنا ابن علية قال، حدثنا داود بن أبي هند قال، نُبِّئْتُ عن عبيد بن عمير قال : « الأوّاه »، الدعاء .

١٧٣٦٩ – حدثني إسحق بن شاهين قال، حدثنا داود، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ، عن أبيه قال : « الأوّاه » ، الدعّاء

* * *

وقال آخرون : بل هو الرحيم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٧٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن سلمة، عن مسلم البطين ، عن أبي العُبَيْدَيْنِ قال : سئل عبد الله عن «الأوّاه» فقال : الرحيم .(٢)

---

(١) الآثار : ١٧٣٦٣–١٧٣٦٧– حديث زر ، عن عبد الله بن مسعود ، خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٥ ، وقال : « رواه الطبراني ، وفيه عاصم – يعني عاصم بن أبي النجود – وهو ثقة وقد ضعف » .

(٢) الأثر : ١٧٣٧٠ – خبر أبي العبيدين ، عن عبد الله ، رواه الطبري من طرق من رقم : ١٧٣٧٠ – ١٧٣٧٨ ، ١٧٣٨٦ .

١٧٣٧١ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثني محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن الحكم قال : سمعت يحيى بن الجزار يحدث، عن أبي العبيدين، رجلٍ ضرير البصر : أنه سأل عبد الله عن « الأواه » ، فقال : الرحيم.[1]

١٧٣٧٢ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا المحاربي = وحدثنا خلاد بن أسلم قال ، أخبرنا النضر بن شميل = جميعاً ، عن المسعوديّ، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيدين : أنه سأل ابن مسعود فقال : ما « الأواه » ؟ قال : = الرحيم .

١٧٣٧٣ — حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال، حدثنا ابن إدريس ، عن الأعمش، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين : أنه جاء إلى عبد الله = وكان ضرير البصر = فقال : يا أبا عبد الرحمن ، من نسأل إذا لم نسألك ؟ فكأن ابن مسعود رقّ له ، قال : أخبرني عن « الأوّاه » ؟ قال : الرحيم.

١٧٣٧٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = ، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين قال : سألت عبد الله عن « الأواه » ، فقال : هو الرحيم .

١٧٣٧٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار قال جاء أبو العبيدين إلى عبد الله فقال له : ما حاجتك ؟ قال : ما « الأواه » ؟ قال : الرحيم .

١٧٣٧٦ — . . . . قال ، حدثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن الحكم ،

« سلمة » ، هو « سلمة بن كهيل الحضرمي » ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٤٥٠٣

و « مسلم البطين » ، هو « مسلم بن عمران » . ثقة . مضى برقم : ١٤٥٠٣ — ١٤٠٥٦ .

و « أبو العبيدين » ، هو « معاوية بن سبرة بن حصين السوائي العامري الأعمى » ، ثقة ، كان ابن مسعود يدنيه ويقربه ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٣٢٩ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٣٨٧ .

وهذا الخبر ، خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٥ ، مطولا وقال : « رواه كله الطبراني بأسانيد ، ورجال الروايتين الأوليين ، ثقات» .

(١) الأثر : ١٧٣٧١ — « يحيى بن الجزار العرني » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٢٥ ، ١٦٤٠٦ ، ١٦٤٠٥ ، ١٦٤٠٨ .

عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ،رجل من بني سَوَاءَة ، قال : جاء رجل إلى عبد الله فسأله عن « الأوّاه » ، فقال له عبد الله : الرحيم .

١٧٣٧٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، وهانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ، عن عبد الله قال : « الأواه » ، الرحيم .

١٧٣٧٨ — حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار : أن أبا العبيدين ، رجل من بني نمير = قال يعقوب : كان ضريرَ البصر ، وقال ابن وكيع : كان مكفوفَ البصر = سأل ابن مسعود فقال : ما « الأواه » ؟ قال : الرحيم .

١٧٣٧٩ — حدثنا ابن وكيع قال . حدثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحق . عن أبي ميسرة قال : « الأواه » ، الرحيم .

١٧٣٨٠ — . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

١٧٣٨١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحق . عن أبي ميسرة ، مثله .

١٧٣٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قال : هو الرحيم .

١٧٣٨٣ — حدثنا بشر قال ،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كنا نحدَّث أن « الأواه » الرحيم .

١٧٣٨٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ،حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة :« إن إبراهيم لأواه » ، قال : رحيم .

* * *

وقال عبد الكريم الجزرى ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود مثل ذلك .

١٧٣٨٥ ــ حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : « الأواه » ، الرحيم . ٣٦/١١

١٧٣٨٦ ــ حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين : أنه سأل عبد الله عن « الأواه » ، فقال : الرحيم .

١٧٣٨٧ ــ . . . . قال، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن عمرو بن شرحبيل قال : « الأواه » ، الرحيم .

١٧٣٨٨ ــ حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ، عن الحسن قال : « الأواه » ، الرحيم بعباد الله .

١٧٣٨٩ ــ . . . . قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو خيثمة زهير قال ، حدثنا أبو إسحق الهمداني ، عن أبي ميسرة ، عن عمرو بن شرحبيل قال : « الأواه » ، الرحيم ، بلحن الحبشة .

* * *

وقال آخرون : بل هو الموقن .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٩٠ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « الأواه »، الموقن .

١٧٣٩١ ــ حدثنا ابن وكيع قال ،حدثنا يحيي بن آدم ، عن ابن مبارك ، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : « الأواه » ، الموقن، بلسان الحبشة.

١٧٣٩٢ ــ . . . . قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن، عن حسن ، عن

---

(١) في المخطوطة في هذا الموضع ، وفي أكثر المواضع التالية « الموقق » ، وفي بعضها « الموقن » ، والذي في المطبوعة أشبه بالصواب ، فتركته على حاله ، حتى أجد ما يرجحه .

مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس، قال ، « الأواه » ، الموقن ، بلسان الحبشة .

١٧٣٩٣ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، سمعت سفيان يقول : « الأواه » ، الموقن = وقال بعضهم : الفقيه الموقن .

١٧٣٩٤ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن عطاء قال : « الأواه » ، الموقن ، بلسان الحبشة .

١٧٣٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن إدريس، عن أبيه ، عن رجل ، عن عكرمة قال : هو الموقن ، بلسان الحبشة .

١٧٣٩٦ — . . . . قال ، حدثنا ابن نمير ، عن الثورى، عن مجالد ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد قال : « الأواه » ، الموقن .

١٧٣٩٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى ، عن مسلم ، عن مجاهد قال : « الأواه » ، الموقن .

١٧٣٩٨ — . . . . قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قابوس ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : « الأواه » ، الموقن .

١٧٣٩٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أواه » ، موقن .

١٧٤٠٠ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم، قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أواه » ، قال : مؤتمن موقن .

١٧٤٠١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « إن إبراهيم لأواه حليم » ، قال : « الأواه » ، الموقن .

* * *

وقال آخرون : هي كلمة بالحبشة ، معناها المؤمن .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٠٢ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس : « لأواه حليم » ، قال: « الأواه »، هو المؤمن ، بالحبشية .[1]

١٧٤٠٣ — حدثنا علي بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي ، عن ابن عباس قوله : «إن إبراهيم لأواه» ، يعني : المؤمن التواب .

١٧٤٠٤ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا حسن بن صالح ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « الأواه » ، المؤمن .

١٧٤٠٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « الأواه » ، المؤمن ، بالحبشية .[2]

* * *

وقال آخرون : هو المسبِّح ، الكثير الذكر لله .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٠٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد قال : « الأواه » ، المسبِّح .

١٧٤٠٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي ، عن حجاج ، عن الحكم، عن الحسن بن مسلم بن يناق: أن رجلاً كان يكثر ذكر الله ويسبِّح ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنه أوّاه .

١٧٤٠٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن حيان، عن ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر قال : « الأواه » ، الكثير الذكر لله .

* * *

وقال آخرون : هو الذي يكثر تلاوة القرآن .

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة: « بالحبشة »، والصواب ما أثبت، كما سيأتي في المخطوطة في التالية .

(٢) في المطبوعة فقط : « بالحبشة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٠٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا المنهال ابن خليفة ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم دفن ميتاً ، فقال : يرحمك الله ، إن كنت لأواهاً ! = يعني تلاّءً للقرآن .[١]

٣٧/١١

* * *

وقال آخرون : هو من التأوُّه .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٠ — حدثنا ابن المثنى قال ،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي يونس القشيري ،عن قاصٍّ كان بمكة : أن رجلاً كان في الطواف فجعل يقول : أوّه ![٢] قال : فشكاه أبو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : دعه ، إنه أوّاه !

١٧٤١١ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن شعبة ، عن أبي يونس الباهلي قال : سمعت رجلا بمكة كان أصله روميًّا، يحدّث عن أبي ذر قال: كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه: « أوّه ! أوّه »،فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنه أوّاه ! = زاد أبو كريب في حديثه قال : فخرجت ذات ليلة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلاً ومعه المصباح.[٣]

١٧٤١٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان قال، حدثنا أبو عمران، عن عبد الله بن رباح، عن كعب قال: «الأواه»،

---

(١) « تلاء » على وزن « فعال » بتشديد العين ، من « التلاوة » ، يعني كثير التلاوة للقرآن .

(٢) « أوه » بتشديد الواو ، وفيها لغات أخرى .

(٣) الأثران : ١٧٤١٠ ، ١٧٤١١ — « أبو يونس القشيري » ، أو « الباهلي »، هو « حاتم بن أبي صغيرة » ، ثقة ، مضى برقم : ١٥١٨٠ .

إذا ذكر النار قال : أوّه .

١٧٤١٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمّى ، عن أبي عمران الجونى ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب قال : كان إذا ذكر النار قال : أوّهْ .[1]

١٧٤١٤ — حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق، عن جعفر بن سليمان قال ، أخبرنا أبو عمران قال ، سمعت عبد الله بن رباح الأنصارى يقول ، سمعت كعباً يقول : « إن إبراهيم لأواه »، قال: إذا ذكر النار قال : « أوّهْ من النار » .

* * *

وقال آخرون : معناه : إنه فقيهٌ .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « إن إبراهيم لأوّاه » ، قال : فقيه .

* * *

وقال آخرون : هو المتضرع الخاشع

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال ، حدثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ ، قال رجل : يا رسول الله ،

---

(١) الأثر : ١٧١٤١٣ — « عبد العريز بن عبد الصمد العمى » ثقة ، مضى برقم : ٣٣٠٢ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة ، « عبد العزيز ، عن عبد الصمد العمى » ، وهو خطأ محض ، وكان فى المطبوعة وحدها « القمى » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المخطوطة .

و « أبو عمران الجونى » ، هو « عبد الملك بن حبيب الأزدى » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٠، ١٣٠٤٢

و « عبد الله بن رباح الأنصارى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٨ ، ١٣٠٤٢ .

و « كعب » ، هو « كعب الأحبار » المشهور .

ما « الأوّاه » ، قال : المتضرع ، قال : « إن إبراهيم لأوّاه حليم » .

١٧٤١٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن عبد الحميد ، عن شهر ، عن عبد الله بن شداد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأوّاه » ، الخاشعُ المتضرِّع .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب ، القولُ الذي قاله عبد الله بن مسعود ، الذي رواه عنه زرٌّ : أنه الدعَّاء .(٢)

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله ذكر ذلك ، ووصف به إبراهيم خليله صلوات الله عليه ، بعد وصفه إياه بالدعاء والاستغفار لأبيه فقال : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه » ، وترك الدعاء والاستغفار له . ثم قال : إن إبراهيم لدعَّاء لربه ، شاكٍ له ، حليمٌ عمن سبَّه وناله بالمكروه . وذلك أنه صلوات الله عليه وعد أباه بالاستغفار له ، ودعاءَ الله له بالمغفرة ، عند وعيد أبيه إياه ، وتهدُّده له بالشتم ، بعد ما ردَّ عليه نصيحته في الله وقوله : ﴿ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ ، فقال له صلوات الله عليه ، ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ ، [سورة مريم : ٤٦ — ٤٨] . فوفى لأبيه بالاستغفار له ، حتى تبيَّن له أنه عدو لله ، فوصفه الله بأنه دعَّاء لربه ، حليم عمن سفه عليه .

* * *

---

(١) الأثران : ١٧٤١٦ ، ١٧٤١٧ — « عبد الحميد بن بهرام الفزاري » ، ثقة ، متكلم في روايته عن شهر بن حوشب . مضى مراراً . انظر رقم : ١٦٠٥ ، ٤٢٢١ ، ٦٦٥٠ — ٦٦٥٢ .

و « شهر بن حوشب » ، ثقة ، متكلم فيه ، مضى مراراً .

و « عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي » ، تابعي ثقة ، مضى برقم : ٥٠٨٨ . وهذا خبر مرسل .

(٢) انظر ما سلف من رقم ١٧٣٦١ — ١٧٣٦٨ .

وأصله من « التأوّه » ، وهو التضرع والمسألة بالحزن والإشفاق ، كما روى عبد الله بن شداد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم[١] = وكما روى عقبة بن عامر ، الخبَرَ الذى حدّثنيه :—

١٧٤١٨ — يحيى بن عثمان بن صالح السهمى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا ابن لهيعة قال ، حدثنى الحارث بن يزيد ، عن على بن رباح ، عن عقبة بن عامر : أنه قال لرجل يقال له « ذو البجادين » : « إنه أواه » ! وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء ، ويرفَعُ صوته .[٢]

١١/٣٨

* * *

(١) انظر رقم : ١٧٤١٦ ، ١٧١٧ .

(٢) الأثر : ١٧٤١٨ — « يحيى بن عثمان بن صالح القرشي السهمى ، المصرى » شيخ الطبرى طعن عليه ، لأنه كان يحدث من غير كتبه . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٧٥ .

وأبوه : « عثمان بن صالح بن صفوان السهمى المصرى » ، ثقة ، متكلم فيه . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٥٤ قال أبو حاتم : « كان شيخاً صالحاً سليم الناحية ، قيل : كان يلقن ؟ قال : لا » .

و « ابن لهيعة » ، مضى مراراً ، وذكر الكلام فيه .

و « الحارث بن زبيد الحضرمى المصرى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٨٣ . وابن أبى حاتم ١/٢/٩٣ .

و « على بن رباح بن قصير اللخمى المصرى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٧٤٧ ، ١٠٣٤١ .

و « عقبة بن عامر الجهنى » ، صحابى ، ولى إمرة مصر .

و « ذو البجادين » ، هو « عبد الله بن عبد نهم المزنى » ، وهو مترجم فى الإصابة ، فى اسمه هذا ، وفى الاستيعاب : ٣٤٩ ، فى « عبد الله ذو البجادين المزنى » ، وفى مثله فى أسد الغابة ٣ : ١٢٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٤ : ١٥٩ ، من هذه الطريق نفسها ، وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩ : ٣٦٩ ، وقال : « رواه أحمد ، والطبرانى ، وإسنادهما حسن » . وخرجه الحافظ ابن حجر فى الإصابة قال : « وأخرجه أحمد ، وجعفر بن محمد الغريابى فى كتاب الذكر ، من طريق ابن لهيعة . . . » وساق الإسناد والخبر .

وفى أمر « عبد الله ذى البجادين » ، إشكال هذا موضع عرضه مختصراً ، وذلك أن صاحب الإصابة ، ذكر فى ترجمته أنه كان دليل النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته ، وذكر خبراً ، رواه الهجرى فى نوادره (مخطوط) قال :

« قال عبد الله بن ذى البجادين المزنى ، وساق بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ساندًا فى الغائر من الرَّكوبة ، من الأبيض ، جبل العرج فى مُهاجَره :

ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض : «لا تتأوه» ، [١] كما قال المُثَقِّب العَبْدى :

إذَا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ [٢]

ومنه قول الجَعْدىّ :

ضَرُوحٍ مَرُوحٍ تُتْبِعُ الوُرْقَ بَعْدَمَا يُعَرِّسْنَ شَكْوَى ، آهَةً وتَنَمُّرَا [٣]

تَعَرَّضِى مَدَارِجاً وَسُومِى تَعَرُّضَ الجوْزاء لِلنُّجُومِ
هذَا أبُو القاسمِ فاسْتَقِيمِى

وذكر الحافظ هذا الشعر فى خبره ، وذكر صاحب لسان العرب خبر دلالته لنبينا صلى الله عليه وسلم فى مادة (بجد) ، وذكر الشعر فى مادة (درج) ، و (عرض) ، وفيه خبر الهجرى ، و (سوم) . والرجز يقوله لناقته ، يقول لها : « تعرضى » ، أى : خذى يمنة ويسرة ، وتنكبى الثنايا الغلاظ بين الجبال ، وهى « المدارج » — و « سومى » من السوم ، وهو سرعة المر ، مع قصد الصوب فى السير — « تعرض الجوزاء » ، لأن الجوزاء تمر على جنب معارضة ، ليست بمستقيمة فى السماء .

ويقال فى سبب تسميته « ذا البجادين » أنه حين أراد المسير إلى النبى صلى الله عليه وسلم قطعت أمه بجاداً باثنين ، فاتزر بواحد ، وارتدى بالآخر . ويقال انه لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله لأبيه : « دعنى أدله على الطريق » ! فأبى ، ونزع ثيابه عنه وتركه عرياناً . فاتخذ بجاداً من شعر وطرحه على عودته ، ثم لحقهم ، وأخذ بزمام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنشأ يرتجز ، بما ذكرناه من رجزه .

والذى رأيناه فى السير ، أن دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مهاجره هو : « عبد الله بن أريقط الليثى » ، و « عبد الله» هذا لم يكن مسلماً ، ولا وجد من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك ، وكان مستأجراً . (ابن هشام ٢ : ١٣٦ / الروض الأنف ٢ : ٢٨ ، ثم ترجمته فى الإصابة وغيرها) . وهو بلا شك غير ذى البجادين ، لأن ذا البجادين ، مزنى ، ولأنه مات فى تبوك ، ولأنهم ذكروا أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينزل فى قبر أحد ، إلا خمسة ، منهم عبد الله المزنى ، ذو البجادين .

فإذا عرف هذا تباعد الإشكال الموهم أنهما رجل واحد ، واحتاج أمر دلالة ذى البجادين ، إلى إيضاح لم تذكره كتب السير .

(١) فى المطبوعة : « لم تتأوه » ، فعل ذلك لأن كاتب المخطوطة خلط فى كتابه « لا » ، فاجتهد الناشر ، والصواب ما أثبت .

(٢) ديوانه : ٢٩ ، المفضليات : ٥٨٦ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٧٠ طبقات فحول الشعراء : ٢٣١ ، واللسان (أوه) ،ومر ذكره هذا البيت ، فى التعليق على بيت من القصيدة فيما سلف ٢ : ٥٤٨ تعليق : ١ . وعنى بذلك ناقته ، تحن إلى ديارها وأوطانها .

(٣) ديوانه : ٣٣ ، ٥٢ ، وجمهرة أشعار العرب : ١٤٦ ، والمعانى الكبير : ٣١٥ ، من قصيدته النابغة ، التى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبى هو وأمى ، فلما بلغ قوله :

بَلَغْنا السَّماء مَجْدُنا وجُدُودُنا وَإِنا لَنَبْغِى بَعْدَ ذَلكَ مَظْهَرَا

ولا تكاد العرب تنطق منه : بـ« فعل يفعل » ، وإنما تقول فيه : « تَفَعَّل يَتَفَعَّل » ، مثل : « تأوّه يتأوه » ، « وأوّه يؤوّه » ..

كما قال الراجز :

* فَأَوَّهَ الرَّاعِي وَضَوْضَى أَكْلُبُهْ * (١)

وقالوا أيضاً : « أَوْهِ منك ! » ، ذكر الفراء أن أبا الجرّاح أنشده :

فَأَوْهِ مِنَ الذِّكْرَى إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا وَمِنْ بُعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَاءِ (٢)

قال : وربما أنشدنا : ﴿ فَأَوٍّ مِنَ الذِّكْرَى ﴾ ، بغيرها ، ولو جاء « فعل » منه على الأصل لكان : « آه ، يَؤُوهُ ، أَوْهًا » .

* * *

= ولأن معنى ذلك : « توجّع ، وتحزّن ، وتضرع » ، اختلف أهل التأويل فيه الاختلافَ الذى ذكرتُ . فقال من قال : معناه « الرحمة » : أن ذلك كان

فقال له : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال : الجنة ! قال : أجل ، إن شاء الله ثم أنشده ما فيها من الحكمة قال : « لا يفضض الله فاك » ، فبقى عمره أحسن الناس ثغراً ، كلما سقطت من عادت أخرى . وكان النابغة معمراً .

وقوله : « ضروح » ، أى تضرح برجلها ، رمحت بها ، أراد نشاطها وإبعادها فى سيرها . ويروى « خنوف » و « طروح » = و « مروح » شديدة النشاط ، من المرح . وقوله « تتبع الورق » ، هكذا فى المخطوطة ، ورواية ديوانه « تبعث الورق » ، و « تعجل الورق » ، وذلك أن تذعرها ، فتعجلها عن التعريس ، وهما روايتان واضحتا المعنى . وأما رواية التفسير ، فإن صحت ، فقد أراد أنها تتبع الشكوى والتأوه ، فتنزعج فتذعر . و « الورق » عنى بها القطا . و « القطا » ورق الألوان . وكان فى المطبوعة « الودق » وهو خطأ . وقوله : « وتنمرا » ، كان فى المطبوعة : « وتشمرا » ، وهو خطأ لا شك فيه ، والمخطوطة غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . و « التنمر » الغضب . ورواية الديوان وغيره « وتذمرا » ، وهى أوضح وأبين . وقوله : « آهة » ، أى تأوهاً .

ورواية العجز فى الديوان : « يعرس تشكو آهة وتذمرا » ، والذى فى المخطوطة مطابق لما فى المعانى الكبير لابن قتيبة « شكوى » .

(١) لم أعرف قائله . « ضوضى » ، ضجت وصاحت . وفى الحديث حين ذكر رؤيته صلى الله عليه وسلم النار ، أعاذنا الله من عذابها : « أنه رأى فيها قوماً إذا أتاهم لهبها ضوضوا » ، أى أحدثوا ضوضاء من صياحهم وجلبتهم .

(٢) لسان العرب (أوه) ، لم أعرف قائله ، وذكر اختلاف روايته هناك .

من إبراهيم على وجه الرِّقة على أبيه ، والرحمة له ، ولغيره من الناس .

وقال آخرون : إنما كان ذلك منه لصحة يقينه ، وحسن معرفته بعظمة الله ، وتواضعه له .

وقال آخرون : كان لصحة إيمانه بربّه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله الذى أنزله عليه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند ذكر ربِّه .

= وكلُّ ذلك عائد إلى ما قلتُ ، وتَقَارَبَ معنى بعض ذلك من بعض ، لأن الحزين المتضرِّع إلى ربه، الخاشع له بقلبه ، ينوبه ذلك عند مسألته ربَّه ، ودعائه إياه فى حاجاته ، وتعتوره هذه الخلال التى وجَّه المفسرون إليها تأويل قول الله : « إن إبراهيم لأوّاه حليمٌ » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما كان الله ليقضى عليكم ، فى استغفاركم لموتاكم المشركين ، بالضلال ، بعد إذ رزقكم الهداية ، ووفقكم للإيمان به و برسوله ، حتى يتقدَّم إليكم بالنهى عنه، فتتركوا الانتهاء عنه . فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهى عنه ، ثم تتعدوا نهيه إلى ما نهاكم عنه ، فإنه لا يحكم عليكم بالضلال ، لأن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهىّ ، فأما من لم يؤمر ولم ينه، فغير كائنٍ مطيعاً أو عاصياً فيما لم يؤمَرْ به ولم ينه عنه = « إن الله بكل شيء عليم »، يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما خالط أنفسكم عند نهى الله إياكم من الاستغفار لموتاكم المشركين ، من الجزع على ما سلف منكم

من الاستغفار لهم قبل تقدمه إليكم بالنهى عنه ، وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها ، فبيَّن لكم حلمه فى ذلك عليكم ، ليضع عنكم ثِقَل الوَجْد بذلك .[1]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » ، قال : بيانُ الله للمؤمنين فى الاستغفار للمشركين خاصة ، وفى بيانه طاعتَه ومعصيته عامة ، فافعلوا أو ذَرُوا .

١٧٤٢٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون »، قال : بيانُ الله للمؤمنين : أن لا يستغفروا للمشركين خاصة ، وفى بيانه طاعتَه ومعصيته عامة ، فافعلوا أو ذَرُوا . ٣٩/١١

١٧٤٢١ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٤٢٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون »، قال : يبين الله للمؤمنين فى أن لا يستغفروا للمشركين . فى بيانه ، فى طاعته وفى معصيته ، فافعلوا أو ذروا .

* * *

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله، أيها الناس، له سلطان السموات والأرض وملكهما، وكل من دونه من الملوك، فعبيده ومماليكه، بيده حياتهم وموتهم، يحيى من يشاء منهم ، ويميت من يشاء منهم. فلا تجزعوا، أيها المؤمنون ، من قتال من كفر بى من الملوك ، ملوك الروم كانوا أو ملوك فارس والحبشة ، أو غيرهم ، واغزوهم وجاهدوهم فى طاعتى ، فإنى المعزُّ من أشاء منهم ومنكم، والمذلُّ من أشاء .

وهذا حضٌّ من الله جل ثناؤه المؤمنين على قتال كلِّ من كفر به من المماليك، وإغراءٌ منه لهم بحربهم .

وقوله : « وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير » ، يقول : ومالكم من أحد هو لكم حليفٌ من دون الله يظاهركم عليه ، إن أنتم خالفتم أمرَ الله فعاقبكم على خلافكم أمرَه ، يستنقذكم من عقابه = « ولا نصير » ، ينصركم منه إن أراد بكم سوءاً . يقول : فبالله فثقوا، وإياه فارهبوا ، وجاهدوا فى سبيله من كفر به ، فإنه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم بأن لكم الجنة ، تقاتلون فى سبيله فتَقتُلون وتُقتَلون.[1]

* * *

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته، نبيّه محمدًا صلى الله عليه وسلم . والمهاجرين ديارَهم وعشيرتَهم إلى دار الإسلام، وأنصار رسوله فى الله [١]= الذين اتبعوا رَسول الله فى ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء [٢] = « من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم » ، يقول : من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ، ويشك فى دينه ويرتاب ، بالذى ناله من المشقة والشدّة فى سفره وغزوه [٣] = « ثم تاب عليهم » ، يقول : ثم رزقهم جلّ ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه ، وإبصار الحق الذى كان قد كاد يلتبس عليهم = « إنه بهم رؤوف رحيم » ، يقول : إن ربكم بالذين خالط قلوبَهم ذلك لما نالهم فى سفرهم من الشدة والمشقة رؤوف بهم = « رحيم » أن يهلكهم، فينزع منهم الإيمان، بعد ما قد أبلَوْا فى الله ما أبلوا مع رسوله، وصبروا عليه من البأساء والضراء . [٤]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٢٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « المهاجر » فيما سلف ص : ٤٣٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « العسرة » فيما سلف ٦ : ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) انظر تفسير « الزيغ » فيما سلف ٦ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

= وتفسير « فريق » فيما سلف ١٢ : ٣٨٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « رؤوف » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (رأف) ، (رحم) .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « في ساعة العسرة » ، في غزوة تبوك .

١٧٤٢٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل : «في ساعة العسرة» ، قال : خرجوا في غزوةٍ ،[١] الرجلان والثلاثة على بعير . وخرجوا في حرٍّ شديد ، وأصابهم يومئذ عطش شديد ، فجعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها ، ويشربون ماءه ،[٢] وكان ذلك عسرة من الماء ، وعسرة من الظهر ، وعسرة من النفقة .[٣]

١٧٤٢٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ساعة العسرة » ، قال : غزوة تبوك . قال : « العسرة » ، أصابهم جَهْدٌ شديد ، حتى إنّ الرجلين ليشقّان التمرة بينهما ، وإنهم ليمصُّون التمرة الواحدة ، ويشربون عليها الماء .

١٧٤٢٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الذين اتبعوه في ساعة العسرة » ، قال : غزوة تبوك . ١١/٤٠

١٧٤٢٧ — . . . . قال ، حدثنا زكريا بن عدى ، عن ابن مبارك ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر : « الذين اتبعوه في ساعة العسرة » ، قال : عسرة الظهر ، وعسرة الزاد ، وعسرة الماء .[٤]

---

(١) في المطبوعة : « في غزوة تبوك » ، زاد من عنده ، وليست في المخطوطة ، وهي بلا شك غزوة تبوك .

(٢) في المطبوعة : « ماءها » ، والذي في المخطوطة صواب أيضاً .

(٣) الأثر : ١٧٤٢٤ — « عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي » ، منكر الحديث ليس بمتقن ، لا يحتجون بحديثه من جهة حفظه . مضى برقم : ٤٨٧ ، وانظر الخبر رقم : ١٧٤٢٧ .

(٤) الأثر : ١٧٤٢٧ — « زكريا بن عدى بن زريق التيمي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٥٦٦ ، ١٥٤٤٦ ، ١٦٩٤٥ . وكان في المطبوعة : « زكريا بن علي » ، والصواب ما في المخطوطة ، ولكن لم يحسن قراءته .

« عبد الله بن محمد بن عقيل » ، سلف برقم : ١٧٤٢٤ .

١٧٤٢٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة »، الآية، الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قِبَل الشأم فى لهَبَان الحرّ، على ما يعلم الله من الجهد ، أصابهم فيها جهدٌ شديد ، حتى لقد ذُكر لنا أن الرجلين كانا يشقّان التمرة بينهما ، وكان النفر يتناولون التمرة بينهم، يمصُّها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصُّها هذا ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم .

١٧٤٢٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال، عن عتبة بن أبى عتبة ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عباس : أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه فى شأن العسرة ، فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك فى قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمسُ الماء، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ،حتى إن الرجل لينحر بعيره ، فيعصر فَرْثه فيشربه ، [1] ويجعل ما بقى على كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله، إن الله قد عوّدك فى الدعاء خيراً ، فادع لنا ! قال: تحب ذلك ؟ قال : نعم ! فرفع يديه ، فلم يَرْجِعهما حتى قالت السماء، فأظلّت ، ثم سكبت ، [2] فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها ، [3]

---

(١) « الفرث » ، سرجين الكرش ما دام فى الكرش .

(٢) « قالت السماء » ، أى : أقبلت بالسحاب ، وكان فى المطبوعة : « مالت » وأثبت ما فى المخطوطة . وهو مطابق لما فى مجمع الزوائد ، وفى ابن كثير ، وغيره « سالت » وليست بشىء . وهذا تعبير عزيز جيد .

وقوله : « فأظلت » ، أى : جاء السحاب بالظل ، و فى ابن كثير وغيره « فأهطلت » ،وليست بشىء . وفى مجمع الزوائد : « فأطلت » ، وكأنه تصحيف .

(٣) فى المطبوعة : « ثم رجعنا ننظر فلم نجدها ، جاوزت العسكر » ، غير ما كان فى المخطوطة ، وهو صواب مطابق لما فى المراجع . وقوله : « ذهبنا ننظر » ، العرب تضع « ذهب » فى الكلام ظرفاً للفعل ، انظر ما سلف ١١ : ١٢٨ ، تعليق : ١ ، ثم ص : ٢٥٠ ، فى كلام أبى جعفر ، والتعليق : ١ ، ثم رقم : ١٦٢٠٦ .

جازت العسكر .[١]

١٧٤٣٠ — حدثنى إسحق بن زيادة العطار قال، حدثنا يعقوب بن محمد قال ، حدثنا عبد الله بن وهب قال ، حدثنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس قال : قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه : حدِّثنا عن شأن جيش العسرة ! فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

---

(١) الأثر : ١٧٤٢٩ — « عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى المصرى » ، ثقة متقن ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٥٧٠ ، ١٦٧٣٢ .

و « سعيد بن أبى هلال الليثى المصرى » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٥٧٠ .

و « عتبة بن أبى عتبة » ، هو « عتبة بن مسلم التيمى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٧٤ .

و « نافع بن جبير بن مطعم » ، تابعى ثقة ، أحد الأئمة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٨٢ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٥١ .

ورجال إسناد هذا الخبر ثقات .

وهذا الخبر خرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦ : ١٩٤ ، ١٩٥ ، وقال : « رواه البزار ، والطبرانى فى الأوسط ، ورجال البزار ثقات » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٨٦ ، ونسبه إلى ابن جرير ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، وأبى نعيم ، والبيهقى فى الدلائل .

وهو فى دلائل النبوة لأبى نعيم ص : ١٩٠ فى باب « ذكر ما كان فى غزوة تبوك » ، بهذا الإسناد .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، والبغوى بهامشه .

(٢) الأثر : ١٧٤٣٠ — « إسحق بن زيادة العطار » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١٤١٤٦ ، ولم نجد له ذكراً ، وقد مضى هناك : « إسحق بن زياد العطار النصرى » بغير تاء فى « زياد » فى المطبوعة والمخطوطة . وغير ممكن فصل القول فى ذلك ، مالم نجد له ترجمة تهدى إلى الصواب .

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار » = « وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا » ، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل ، هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه : ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٦] ، فتاب عليهم عز ذكره ، وتفضل عليهم .

وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة ، فأرجأهم عمَّن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما : —

١٧٤٣١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عمن سمع عكرمة في قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : خُلِّفوا عن التوبة .

١٧٤٣٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أما قوله : « خلفوا » ، فخلِّفوا عن التوبة .

* * *

= « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » ، يقول : بسعتها ،(٢) غمًّا وندماً على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم = « وضاقت عليهم أنفسهم » ، بما نالهم من الوَجْد والكرْب بذلك = « وظنوا أن لا ملجأ » ، يقول : وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجأون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء ،(٣)

(١) انظر ما سلف ص : ٤٦٤ — ٤٦٧ .

(٢) انظر تفسير « رحب » فيما سلف . ص : ١٧٩ .

(٣) انظر تفسير « الظن » فيما سلف ٢ : ١٧ — ٢٠ ، ٥/٢٦٥ : ٣٥٢ .

= وتفسير « الملجأ » فيما سلف ص : ٢٩٨ .

بتخلفهم خِلافَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينجيهم من كربه ، ولا مما يحذرون من عذاب الله ، إلا الله ، ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته ، والرجوع إلى ما يرضيه عنهم ، لينيبوا إليه ، ويرجعوا إلى طاعته والانتهاء إلى أمره ونهيه = « إن الله هو التواب الرحيم » ، يقول : إن الله هو الوهّاب لعباده الإنابة إلى طاعته ، الموفّقُ من أحبَّ توفيقه منهم لما يرضيه عنه =«الرحيم»، بهم ، أن يعاقبهم بعد التوبة ، أو يخذل من أراد منهم التوبةَ والإنابةَ ولا يتوب عليه .[1] ١١/٤١

* * *

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٣٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر فى قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : كعب ابن مالك ، وهلال بن أمية ، ومُرارة بن ربيعة ، وكلهم من الأنصار .[2]

١٧٤٣٤ — حدثنى عبيد بن محمد الوراق قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، بنحوه = إلا أنه قال : ومرارة بن الربيع ، أو : ابن ربيعة ، شكَّ أبو أسامة .[3]

---

(١) انظر تفسير « التواب » ، و « الرحيم » ، فيما سلف من فهارس اللغة (ثوب) ، (رحم) .

(٢) الأثر : ١٧٤٣٣ — « مرارة بن ربيعة » ، المشهور : « مرارة بن الربيع » ، ولكنه هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة هنا . ثم جاء فى الأخبار التالية « الربيع » . وقد مضى مثل هذا الاختلاف وأشد منه فيما سلف فى التعليق على رقم : ١٧١٧٧ ، ١٧١٧٨ ، ١٧١٨٣ . وذكر ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢٦٤ ، وذكر هذا الخبر فقال : « وكذا فى مسلم : ربيعة ، فى بعض نسخه ، وفى بعضها : مرارة بن الربيع » .

(٣) الأثر : ١٧٤٣٤ — « عبيد بن محمد الوراق » ، هو « عبيد بن محمد بن القاسم بن سليمان بن أبي مريم » ، « أبو محمد الوراق النيسابوري » ، سكن بغداد ، وحدث بها عن موسى بن هلال العبدى وأبي النضر هاشم بن القاسم ، والحسن بن موسى الأشيب ، ويعقوب بن محمد الزهرى ، وبشر بن الحارث . كان ثقة ، مات سنة ٢٥٥ ، ولم أجد له ترجمة فى غير تاريخ بغداد ١١ : ٩٧ ، وروى عنه الطبرى فى موضعين من تاريخه ٢ : ٢٠٢ ، ٢٥٠ ، روى عن روح بن عبادة .

وكان فى المطبوعة : « عبيد بن الوراق » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأن الناسخ كتب « عبيد بن محمد » كلمة واحدة مشتبكة الحروف .

١٧٤٣٥ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعامر : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : أُرْجئوا ، في أوسط « براءة » .

١٧٤٣٦ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : الذين أرجئوا في أوسط « براءة » ، قوله : ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ ﴾ ، [سورة التوبة : ١٠٦] ، هلال بن أمية ، ومرارة بن رِبْعِيّ ، وكعب بن مالك .[1]

١٧٤٣٧ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، الذين أرجئوا في وسط « براءة » .

١٧٤٣٨ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : كلهم من الأنصار ، هلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، وكعب بن مالك .

١٧٤٣٩ ــ . . . . قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : الذين أرجئوا .

١٧٤٤٠ ــ . . . . قال ، حدثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : « الثلاثة الذين خلفوا » ، كعب بن مالك وكان شاعراً ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وكلهم أنصاريّ .[2]

١٧٤٤١ ــ . . . . قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، والمحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كلهم من الأنصار : هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك .

وأما « مرارة بن الربيع » أو « ابن ربيعة » ، فانظر التعليق السالف .

(١) الأثر : ١٧٤٣٦ – « مرارة بن ربعى » ، هكذا في المخطوطة كما أثبته ، وفي المطبوعة « ابن ربيعة » ولكن هكذا ، جاء هنا ، كالذي مضى في رقم : ١٧١٧٧ ، ١٧١٧٨ ، فانظر التعليق هناك .

(٢) في المطبوعة : « أنصار » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض .

١٧٤٤٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال: أخبرنا هاشم، عن جويبر، عن الضحاك قوله: «وعلى الثلاثة الذين خلفوا». قال: هلال ابن أمية، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، كلهم من الأنصار.

١٧٤٤٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وعلى الثلاثة الذين خلفوا»، إلى قوله: «ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم»، كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، تخلفوا في غزوة تبوك. ذكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه إلى سارية، فقال: لا أطلقها = ولا أطلق نفسي [1] = حتى يُطْلِقني رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقال رسول الله: والله لا أطلقه حتى يطلقه ربُّه إن شاء! وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك، [2] فجعله صدقة في سبيل الله، وقال: والله لا أطعمه! وأما الآخر، فركب المفاوز يتبع رسول الله، ترفعه أرض وتَضَعه أخرى، وقدماه تَشَلْشَلان دماً. [3]

١٧٤٤٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن السدى، عن أبي مالك قال: «الثلاثة الذين خلفوا»، هلال بن أمية، وكعب ابن مالك، ومرارة بن ربيعة.

١٧٤٤٥ — .... قال، حدثنا أبو داود الحفرى، عن سلام أبي الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن عكرمة: «وعلى الثلاثة الذين خلفوا»، قال: هلال ابن أمية، ومرارة، وكعب بن مالك.

١٧٤٤٦ — حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا بن عون،

---

(١) في المطبوعة: «لا أطلقها، أو لا أطلق نفسي»، وأثبت ما في المخطوطة.

(٢) «الحائط»، هو البستان من النخيل، إذا كان عليه حائط، وهو الجدار. ويقال لها أيضاً «حديقة»، لإحداق سوره بها. فإذا لم يكن عليها حائط، فهي «ضاحية»، لبروزها للعين. و«أدرك الثمر»، أي بلغ نضجه.

(٣) «تشلشلان»، «تتشلشلان»، على حذف إحدى التاءين. «تشلشل الماء والدم»، إذا تبع قطران بعضه بعضاً في سيلانه متفرقاً.

١١/٤٢ عن عمر بن كثير بن أفلح قال : قال كعب بن مالك : ما كنت فى غَزاة أيسر للظهر والنفقة منى فى تلك الغَزاة ! قال كعب بن مالك : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : «أتجهز غداً ثم ألحقه» ، فأخذت فى جَهازى ، فأمسيت ولم أفرغ . فلما كان اليوم الثالث ، أخذت فى جهازى ، فأمسيت ولم أفرغ ، فقلت : هيهات ! سار الناس ثلاثاً ! فأقمت . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل الناس يعتذرون إليه ، فجئت حتى قمت بين يديه ، فقلت : ما كنت فى غَزاة أيسر للظهر والنفقة منى فى هذه الغزاة ! فأعرض عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الناس أن لا يكلمونا ، وأُمِرَتْ نساؤنا أن يتحوَّلن عنّا . قال : فتسوَّرت حائطاً ذات يوم ، فإذا أنا بجابر بن عبد الله ، فقلت : أىْ جابر ! نشدتك بالله ، هل علمتَنى غششت الله ورسوله يوماً قطُّ ؟ فسكت عنى فجعل لا يكلمنى .[1] فبينا أنا ذات يوم ، إذ سمعت رجلاً على الثنيَّة يقول : كعب ! كعب ! حتى دنا منى ، فقال : بشّروا كعباً .[2]

١٧٤٤٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشأم ، حتى إذا بلغ تبوك ، أقام بها بضع عشرة ليلة ، ولقيه بها وفد أذْرُح ووفد أيلة ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، ثم قَفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها ، وأنزل الله : «لقد تابَ الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة» الآية ،

---

(١) انظر «جعل» ، وأنها من حروف الاستعانة فيما سلف ١١ : ٢٥٠ ، فى كلام الطبرى ، والتعليق هناك رقم : ١ ، والتعليق على الأثر رقم : ١٣٨٦٢ .

(٢) الأثر : ١٧٤٤٦ — «عمر بن كثير بن أفلح المدنى» ، مولى أبى أيوب الأنصارى ، ثقة ذكره ابن حبان فى أتباع التابعين ، وكأنه لم يصح عنده لقيه للصحابة . وذكر غيره أنه روى عن كعب ابن مالك ، وابن عمر ، وسفينة . ومضى برقم : ١٢٢٢٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٤ : ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، من هذه الطريق نفسها بنحوه .

والثلاثة الذين خلفوا ، رَهْطٌ ،منهم : كعب بن مالك ، وهو أحد بنى سَلِمة ، ومرارة بن ربيعة ، وهو أحد بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية ، وهو من بنى واقف ، وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة فى بضعة وثمانين رجلاً. فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، صَدَقه أولئك حديثهم ، واعترفوا بذنوبهم ، وكذب سائرهم ، فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حبسهم إلا العذر ، فقبل منهم رسول الله وبايعهم ، ووكلَهم فى سرائرهم إلى الله ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خُلِّفوا ، وقال لهم حين حدَّثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم : قد صدقتم ، فقوموا حتى يقضى الله فيكم. فلما أنزل الله القرآن ، تابَ على الثلاثة ، وقال للآخرين : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ ، حتى بلغ : ﴿لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة : ٩٥ ، ٩٦].

= قال ابن شهاب : وأخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عبد الله بن كعب بن مالك = وكان قائد كعبٍ من بنيه حين عَمِىَ = قال : سمعت كعب بن مالك يحدِّث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك . قال كعب : لم أتخلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط ، إلا فى غزوة تبوك ، غير أنى قد تخلفت فى غزوة بدر ، ولم يعاتبْ أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عِيرَ قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوِّهم على غير ميعاد . ولقد شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ، حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحبُّ أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكرَ فى الناس منها.[1]

= فكان من خبرى حين تخلفت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ،

---

(١) قوله : « أذكر » ، أى أشهر ذكراً .

أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسرَ منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قطُّ حتى جمعتُهما فى تلك الغزوة . فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرٍّ شديد ، واستقبل سفرًا بعيداً ومفاوزَ ، واستقبل عدوًّا كثيرًا ، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهَّبُوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذى يريد ، والمسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظٌ = يريد بذلك : الديوان = قال كعب : فما رجلٌ يريد أن يتغيّب إلا يظنّ أن ذلك سيخفى ، مالم ينزل فيه وَحْىٌ من الله . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وأنا إليهما أصعَرُ .[1] فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكى أتجهز معهم ، [فأرجع ولم أقض شيئاً ، وأقول فى نفسى : « أنا قادر على ذلك إذا أردت ! » ، فلم يزل ذلك يتمادى بى ، حتى استمرّ بالناس الجدُّ . فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه] ،[2] ولم أقض من جَهازى شيئاً . ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً . فلم يزل ذلك يتمادى [بى] ،[3] حتى أسرعوا وتفارط الغزْوُ ،[4] وهممت أن أرتحل فأدركهم ، فياليتنى فعلت ! فلم يُقْدَر ذلك لى . فطفقت إذا خرجت فى الناس بعد خروج النبى صلى الله عليه وسلم يحزننى أنىّ لا أرى لى أسوةً إلاّ رجلاً مغموصاً عليه فى النفاق ،[5] أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء . ولم يذكرنى رسول الله صلى الله

١١/٤٣

---

(١) « أصعر » ، أى : أميل ، على وزن « أفعل » التفضيل ، وأصله من « الصعر » (بفتحين) ، وهو ميل فى الوجه ، كأنه يلتفت إليه شوقاً .

(٢) الذى بين القوسين ساقط من المخطوطة ، وأثبته من رواية مسلم فى صحيحه . وكان فى المطبوعة : « . . . لكى أتجهز معهم ، فلم أقضى من جهازى شيئاً » ، أما المخطوطة ، فكان فيها مايدل على أن الناسخ قد أسقط من الكلام : « . . . لكى أتجهز معهم والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئاً » .

(٣) الزيادة بين القوسين ، من صحيح مسلم .

(٤) « تفارط الغزو » ، أى فات وقته ، ومثله « تفرط » ، وفى الحديث : « أنه نام عن العشاء حتى تفرطت » ، أى : فات وقتها .

(٥) « أسوة » ، أى : قدوه ومثلا . و « المغموص عليه » ، من قولهم « غمص عليه قولا قاله » ، أى : عابه عليه ، وطعن به عليه . ويعنى : مطعوناً فى دينه ، متهماً بالنفاق .

عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟فقال رجل من بنى سَلِمَة : يا رسول الله ، حبسه بُرْداه ، والنظر فى عِطْفيْه ! [1] [فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ، ماعلمنا عليه إلا خيراً] ! [2] فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا هو على ذلك ، رأى رجلاً مُبَيِّضاً يزول به السرابُ ، [3] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ! فإذا هو أبو خيثمة الأنصارى ، وهو الذى تصدّق بصاع التمر ، فلمزه المنافقون . [4]

= قال كعب : فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجّه قافلاً من تبوك ، حضرنى بَثِّى ، [5] فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول : « بم أخرج من سَخَطه غداً » ؟ وأستعين على ذلك بكل ذى رأى من أهلى . فلما قيل : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظَلّ قادماً ! » ، زاح عنى الباطل ، [6] حتى عرفت أنى لن أنجو منه بشىء أبداً ، فأجمعت صدقه ، [7] وصَبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً ، [8] وكان إذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا

---

(١) « النظر فى عطفيه » ، كناية عن إعجابه بنفسه ، واختياله بحسن لباسه . و « العطفان » ، الجانبان ، فهو يتلفت من شدة خيلائه .

(٢) الزيادة بين القوسين ، من صحيح مسلم . وظاهر أن الناسخ أسقطها فى نسخه .

(٣) « المبيض » (بتشديد الباء وكسرها) ، هو لابس البياض . و « يزول به السراب » ، أى : يرفعه ويخفضه ، وإنما يحرك خياله .

(٤) « لمزه » ، عابه وحقره .

(٥) فى المطبوعة : « حضرنى همى » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، والذى فيها مطابق لرواية مسلم فى صحيحه . و « البث » ، أشد الحزن . وذلك أنه إذا اشتد حزن المرء ، احتاج أن يفضى بغمه وحزنه إلى صاحب له يواسيه ، أو يسليه ، أو يتوجع له .

(٦) « أظل قادماً » ، أى : أقبل ودنا قدومه ، كأنه ألقى على المدينة ظله . وقوله : « زاح عنى الباطل » ، أى : زال وذهب وتباعد .

(٧) « أجمعت صدقه » ، أى : عزمت على ذلك كل العزم ، « أجمع صدقه » و « أجمع على صدقه » ، سواء .

(٨) فى المطبوعة : « وأصبح » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى صحيح مسلم .

بضعةً وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله . حتى جئتُ ، فلما سلمت تبسم تبسُّمَ المغْضَب ثم قال : تعالَ ! فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قال قلت : يا رسول الله، إنى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سَخَطه بعذرٍ ، لقد أعطيتُ جَدَلاً ،[1] ولكنى والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عنى ، ليوشكنّ الله أن يُسْخِطَك علىّ ، ولئن حدثتك حديث صِدْق تَجِدُ علىّ فيه ،[2] إنى لأرجو فيه عفوَ الله ،[3] والله ما كان لى عُذْر ! والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسرَ منى حين تخلفت عنك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا هذا فقد صَدَق ، قم حتى يقضى الله فيك ! فقمت ، وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى وقالوا : والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا ! لقد عجزتَ فى أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون ،[4] فقد كان كافِيَك ذنْبَك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ! قال : فوالله ما زالوا يؤنّبونى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذّبَ نفسى ! قال : ثم قلت لهم : هل لَقِى هذا معى أحدٌ ؟ قالوا : نعم ، لقيه معك رجلان قالا مثلَ ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . قال قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة ابن ربيع العامرى ،[5] وهلال بن أمية الواقفى . فذكروا لى رجلين صالحين قد

---

(١) « الجدل » ، اللدد فى الخصومة ، والقدرة عليها ، وعلى مقابلة الحجة بالحجة .

(٢) « تجد » من « الوجد » ، وهو الغضب والسخط .

(٣) هكذا فى المخطوطة : « عفو الله » ومثله فى مسند أحمد ٣ : ٤٦٠ وفى صحيح مسلم « عقبى الله » ، أى : أن يعقبنى خيراً ، وأن يثبتنى عليه .

(٤) فى المطبوعة حذف « فى » من قوله : « لقد عجزت فى أن لا تكون » ، وهى ثابتة فى المخطوطة ، وهى مطابقة لما فى صحيح مسلم . وأما الذى فى المطبوعة ، فهو مطابق لما فى البخارى من رواية غيره .

(٥) فى المطبوعة : « ابن الربيع » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وانظر روايته فى مسلم « مرارة بن

شهدا بدراً ، فيهما أسوة .[١] قال : فمضيت حين ذكروهما لى .[٢]

= ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة ،[٣] من بين من تخلّف عنه . قال : فاجتنبنا الناسُ وتغيّروا لنا ، حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض ، فما هى بالأرض التى أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً ، فأمّا صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأمّا أنا ، فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج وأشهد الصلاة وأطوف فى الأسواق ، ولا يكلمنى أحدٌ ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى : «هل حرك شفتيه بردّ السلام أم لا؟» ، ثم أصلى معه ، وأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك علىّ من جَفْوة المسلمين ، مشيت حتى تسوَّرت جدار حائط أبى قتادة = وهو ابن عمى ، وأحبُّ الناس إلىّ = فسلمت عليه ، فوالله ما ردّ علىّ السلام ! فقلت : ياأبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . قال : فعُدْت فناشدته ، فسكت ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ! ففاضت عيناى ، وتولَّيت حتى تسوَّرت الجدار .

= فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة ، إذا بنبطىّ من نَبَط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدلُّ على كعب بن مالك؟ قال : فطفق الناس يشيرون

١ / ٤٤

ربيعة » ، وما قالوا فى اختلاف رواه مسلم . وما قالوه أيضاً فى روايته « العامرى » ، وأن صوابها « العمرى » نسبة إلى بنى عمرو بن عوف .

(١) فى المطبوعة : « لى فيهما أسوة » ، زاد من عنده ما ليس فى المخطوطة ، ولا فى صحيح مسلم . وإنما هو من رواية البخارى ، بغير هذا الإسناد .

(٢) « مضيت » ، أى : أنفذت ما رأيت . من قولهم : « مضى فى الأمر مضاء » نفذ ، و « أمضاه » أنفذه .

(٣) قوله : « أيها الثلاثة » ، أى : خصصنا بذلك دون سائر المعتذرين . وهذه اللفظة تقال فى الاختصاص ، وتختص بالمخبر عن نفسه والمخاطب ، تقول : « أما أنا فأفعل هذا ، أيها الرجل » ، يعنى نفسه . انظر ما سلف ٣ : ١٤٧ ، تعليق : ١ ، فى الخبر رقم : ٢١٨٢ .

له ، حتى جاءني فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان ، وكنت كاتباً ، فقرأته ، فإذا فيه : «أما بعدُ ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هَوَانٍ ولا مَضْيَعةٍ ، فالحق بنا نُوَاسِك » .

= قال : فقلت حين قرأته : وهذا أيضاً من البلاء !! فتأمَّمتُ بها التنُّور فسجرته به .[1] حتى إذا مضت أربعون من الخمسين ، واستلبث الوحى ،[2] إذا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك . قال فقلت : أطلِّقها ، أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها فلا تقربها . قال : وأرسل إلى صاحبي بذلك . قال : فقلت لامرأتي : الحقى بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر .[3]

= قال : فجاءت امرأة هلالٍ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادمٌ ، فهل تكره أن أخدُمَه ؟ فقال : لا ، ولكن لا يقرَبَنْكِ ! قالت فقلت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ! والله

---

(١) « فتأممت » ، وهكذا في المخطوطة أيضاً ، وفي رواية البخاري «فيممت». وأما في صحيح مسلم ، « فتيامت » ، وقال النووي : « هكذا هو في جميع النسخ ببلادنا ، وهي لغة في : تيممت ، ومعناها : قصدت » . وأما القاضي عياض ، فقال في مشارق الأنوار (أمم) : « ومثله : فيتممت بها التنور ، كذا رواه البخاري . ولمسلم : فتأممت ، وكلاهما بمعنى ، سهل الهمزة في رواية ، وحققها في أخرى = أي : قصدت » .

ثم انظر تفسير « الأم » و « التأم » في تفسير أبي جعفر فيما سلف ٥ : ٥٥٨ / ٨ : ٤٠٧ / ٩ : ٤٧١ .

وفي المطبوعة : « فتأممت به » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما في مسلم والبخاري ، إلا أن في مسلم « فسجرتها بها » ، وفي البخاري : « فسجرته بها » . وأنث « بها » ، إرادة لمعنى الصحيفة ، وهي الكتاب ، ثم رجع بالضمير إلى « الكتاب » .

و « التنور » ، الكانون الذي يخبز فيه .

و « سجر التنور » ، أوقده وأحماه وأشبع وقوده ، وأراد : أنه زاد التنور التهاباً ، بإلقائه الصحيفة في ناره . وهذا كلام معجب ، أراد به أن يسخر من رسالة ملك غسان إليه .

(٢) « استلبث » ، أي : أبطأ وتأخر .

(٣) في المطبوعة : « تكوني عندهم » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما في صحيح مسلم . وفي البخاري بغير هذا الإسناد : « فتكوني » .

ما زال يبكى مُنْذ كان من أمره ما كان إلىّ يومه هذا ! قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال أن تخدُمه ؟ قال فقلت : لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يدريني ماذا يقول لى إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شابٌّ !

= فلبثت بعد ذلك عشرليال ، فكمل لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا .[1] قال : ثم صليت صلاة الفجر صباحَ خمسين ليلة على ظهر بيتٍ من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله منّا ،[2] قد ضاقت علىّ نفسى وضاقت علىّ الأرض بما رحبت ، سمعتُ صوت صارخٍ أوْفى على جبل سَلْع ،[3] يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ! قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرجٌ . قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ،[4] فذهب الناس يبشروننا ،[5] فذهب قِبَلَ صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلىّ فرساً ، وسعى ساعٍ من أسْلَم قِبَلى ، وأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرعَ من الفرس . فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى ، نزعت له ثوبىّ فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم .[6]

---

(١) فى صحيح مسلم « حين نهى عن كلامنا » ، وضبط « نهى » بالبناء للمجهول ، ورواية أبي جعفر ، تصحح ضبطه بالبناء للمعلوم أيضاً .

(٢) فى المطبوعة : « التى ذكر الله عنا » ، غير ما فى المخطوطة ، هو مطابق لما فى صحيح مسلم ، وهو العربى العريق .

(٣) « أوفى عليه » ، صعده وارتفع عليه ، فأشرف على الوادى منه واطلع .

(٤) : « آذن » أعلم الناس بها . ورواية مسلم : « فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ » ، والذى هنا مطابق لرواية البخارى ، بغير هذا الإسناد .

(٥) « ذهب » ، سلف ما كتبته عن الاستعانة بقولهم : « ذهب » و « جعل » . انظر رقم : ١٧٤٢٩ ، ص : ٥٤١ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .

(٦) انظر ص : ٥٥٣ ، تعليق : ١ .

فتلقّاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة ويقولون : لِتَهْنِكَ توبة الله عليك![1] حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس ، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يُهَرْوِل حتى صافحني ، وهنأني ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره = قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة[2] = قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو يبرُق وجهه من السرور : أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمك ! فقلت : أمن عندك ، يا رسول الله ، أم من عند الله؟ قال : لا ، بل من عند الله ! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه . ١١/٤٥

= قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله .[3] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك بعض مالك ، فهو خيرٌ لك ! قال فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر . وقلت : يا رسول الله ، إن الله إنما أنجاني بالصدق ، وإنّ من توبتي أن لا أحدِّث إلاّ صدقاً ما بقيت ! قال : فوالله ما علمت أحداً من المسلمين أبلاه الله في صِدْق الحديث ، منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام ، أحسن مما ابتلاني ،[4]

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « لتهنك » ، وهي كذلك في رواية البخاري بغير هذا الإسناد ، وفي صحيح مسلم المطبوع : « لتهنئك » ، وذكره القاضي عياض في مشارق الأنوار (هنأ) فقال : « ولتهنك توبة الله ، يهمز ، ويسهل » . وقد ذكر صاحب لسان العرب (هنأ) أن العرب تقول : « ليهنئك الفارس » بجزم الهمزة ، و« ليهنيك الفارس » بياء ساكنة ، ولا يجوز « ليهنك » كما تقول العامة » ، والذي قاله ونسبه للعامة ، صواب لا شك فيه عندي .

(٢) قال الحافظ في الفتح : « قالوا : سبب ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان آخى بينه وبين طلحة ، لما آخى بين المهاجرين والأنصار . والذي ذكره أهل المغازي أنه كان أخا الزبير ، لكن كان الزبير أخا طلحة في أخوة المهاجرين ، فهو أخو أخيه » .

(٣) « انخلع من ماله » ، أي : خرج من جميع ماله ، وتعرى منه كما يتعرى الإنسان إذا خلع ثوبه . وأراد : إخراجه متصدقاً به .

(٤) « أبلاه » أي : أنعم عليه .

والله ماتعمّدت كِذْبَةً منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى أرجو أن يحفظنى الله فيما بقى . قال : فأنزل الله : « لقد تابَ الله على النبى » ، حتى بلغ : « وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا » إلى : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » .

= قال كعب : والله ما أنعم الله علىّ من نعمةٍ قطُّ بعد أن هَدَانى للإسلام أعظمَ فى نفسى من صدقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أكون كذبته ، [١] فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله قال للذين كذبوا ، حين أنزل الوحى ، شرَّ ما قال لأحد : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ إلى قوله : ﴿لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة : ٩٥ ، ٩٦] .

= قال كعب : خُلِّفنا ، أيها الثلاثة ، [٢] عن أمر أولئك الذين قَبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَنا حتى قضى الله فيه . فبذلك قال الله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، وليس الذى ذكر الله مما خُلِّفنا عن الغزو ، [٣] إنما هو تخليفه إيّانا ، [٤] وإرجاؤه أمرَنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه . [٥]

---

(١) « أن لا أكون » ، « لا » زائدة ، كالتى فى قوله تعالى : ﴿ما مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] . انظر ما سلف فى تفسير الآية ١٢ : ٣٢٣ - ٣٢٥ .

(٢) فى المطبوعة : « خلفنا » دون « كنا » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وما أثبته مطابق لرواية مسلم فى صحيحه .

(٣) فى صحيح مسلم : « مما خلفنا ، تخلفنا عن الغزو » ، والذى هنا وفى المخطوطة ، مطابق لما فى رواية البخارى بغير هذا الإسناد .

(٤) فى المطبوعة : « ختم الجملة بقوله : « فقبل منهم » بالجمع ، خالف ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى صحيح مسلم والبخارى .

(٥) الأثر : ١٧٤٤٧ - حديث كعب بن مالك ، سيرويه أبو جعفر من طرق ، سأبينها بعد . أما روايته هذه من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، فهو إسناد مسلم فى صحيحه ١٧ : ٨٧ - ٩٨ ، وانظر التعليق على الأخبار التالية . وانظر الأثرين السالفين رقم : ١٦١٤٧ ، ١٧٠٩١ ، والتعليق عليهما .

١٧٤٤٨ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال، أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن عبد الله بن كعب بن مالك = وكان قائد كعب من بنيه حين عَمِىَ = قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك، فذكر نحوه.(١)

١٧٤٤٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه قال: لم أتخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غَزَاة غزَاها إلا بدراً، ولم يعاتب النبىُّ صلى الله عليه وسلم أحداً تخلف عن بدر، ثم ذكر نحوه.(٢)

١٧٤٥٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن ابن شهاب الزهرى، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى، ثم السلمى، عن أبيه، أن أباه عبد الله بن كعب = وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره = قال: سمعت أبى كعبَ بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك، وحديث صاحبيه، قال: ما تخلفت عن رَسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها، غير أنى كنت تخلفت عنه فى غزوة بدر، ثم ذكر نحوه.(٣)

* * *

(١) الأثر: ١٧٤٤٨ — من هذه الطريق رواه الطريق البخارى فى صحيحه (الفتح ٨: ٨٦ — ٩٣)، وأحمد فى مسنده ٣: ٤٥٩، ٤٦٠، الحديث بطوله.

(٢) الأثر: ١٧٤٤٩ — من هذه الطريق، طريق معمر، رواه أحمد فى مسنده ٦: ٣٨٧ — ٣٩٠. وانظر أيضاً ما رواه أحمد فى مسنده ٣: ٤٥٦، روايته من طريق يعقوب بن إبراهيم، عن ابن أخى الزهرى محمد بن عبد الله، عن عمه محمد بن مسلم الزهرى، الحديث بطوله، وصحيح مسلم ١٧: ٩٨ — ١٠٠.

(٣) الأثر: ١٧٤٥٠ — سيرة ابن هشام ٤: ١٧٥ — ١٨١، الحديث بطوله.

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين ، معرِّفَهم سبيل النجاة من عقابه ، والخلاصِ من أليم عذابه : « يا أيها الذين آمنوا » ، بالله ورسوله = « اتقوا الله » ، وراقبوه ، بأداء فرائضه ، وتجنب حدوده = « وكونوا » ، فى الدنيا ، من أهل ولاية الله وطاعته ، تكونوا فى الآخرة = « مع الصادقين » ، فى الجنة . يعنى : مع من صَدَقَ اللهَ الإيمانَ به ، فحقَّق قوله بفعله ، ولم يكن من أهل النفاق فيه ، الذين يكذِّب قيلَهم فعلُهم .

وإنما معنى الكلام : وكونوا مع الصادقين فى الآخرة باتقاء الله فى الدنيا ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [سورة النساء : ٧٠] . ١١ / ٤٦

* * *

وإنما قلنا : ذلك معنى الكلام ، لأن كون المنافق مع المؤمنين غيرُ نافعه بأىّ وجوه الكون كان معهم ، إن لم يكن عاملاً عملهم . وإذا عمل عملهم فهو منهم ، وإذا كان منهم ، كان وجهُ الكلام أن يقال : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ، (١) ولتوجيه الكلام إلى ما وجَّهنا من تأويله ، فسَّر ذلك من فسَّره من أهل التأويل بأن قال : معناه : وكونوا مع أبى بكر وعمر ، أو : مع النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجِرين ، رحمة الله عليهم .

* * *

* ذكر من قال ذلك أو غيره فى تأويله :

---

(١) فى المطبوعة : « كان لا وجه فى الكلام أن يقال » ، غير ما فى المخطوطة ، والذى فيها ما أثبته ، وهو مستقيم صحيح . والذى جاء به من عنده مفسد للكلام .

١٧٤٥١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن زيد بن أسلم، عن نافع فى قول الله : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »، قال : مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

١٧٤٥٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حبويه أبو يزيد، عن يعقوب القمى، عن زيد بن أسلم، عن نافع قال : قيل للثلاثة الذين خُلِّفوا : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »، محمدٍ وأصحابه .

١٧٤٥٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق بن إسمعيل، عن عبد الرحمن المحاربى، عن جويبر، عن الضحاك فى قوله : « وكونوا مع الصادقين »، قال : مع أبى بكر وعمر وأصحابهما، رحمةُ الله عليهم .

١٧٤٥٤ — .... قال، حدثنا محمد بن يحيى قال، حدثنا إسحق بن بشر الكاهلى قال، حدثنا خلف بن خليفة، عن أبى هاشم الرمّانى، عن سعيد ابن جبير فى قول الله : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »، قال : مع أبى بكر وعمر، رحمة الله عليهما .(١)

١٧٤٥٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قوله : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »، قال : مع المهاجرين الصادقين

* * *

وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه، يقرؤه : ﴿ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾، ويتأوّله : أنّ ذلك نَهْيٌ من الله عن الكذب .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

١٧٤٥٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم العسقلانى قال، حدثنا شعبة،

---

(١) الأثر : ١٧٤٥٤ — « أبو هاشم الرمانى » ثقة، روى له الجماعة. مختلف فى اسمه، مضى برقم : ١٠٨١٨ .

عن عمرو بن مرة قال : سمعت أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول : قال ابن مسعود : إن الكذب لا يحلّ منه جدٌّ ولا هزلٌ ، اقرأوا إن شئتم : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا منَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، قال : وكذلك هى قراءة ابن مسعود : « من الصادقين » ، فهل ترون فى الكذب رُخْصَة ؟

١٧٤٥٧ — .... قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة قال : سمعت أبا عبيدة ، عن عبد الله ، نحوه .

١٧٤٥٨ — .... قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة قال : سمعت أبا عبيدة يحدِّث عن عبد الله قال : الكذب لا يصلح منه جدٌّ ولا هزل ، اقرأوا إن شئتم : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ = وهى كذلك فى قراءة عبد الله = فهل ترون من رخصة فى الكذب ؟

١٧٤٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : لا يصلح الكذب فى هزلٍ ولا جدٍّ . ثم تلا عبد الله : « اتقوا الله وكونوا » ما أدرى أقال : « من الصادقين » أو « مع الصادقين » ، وهو فى كتابى « مع الصادقين » .

١٧٤٦٠ — .... قال ، حدثنا أبى ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله ، مثله .

١٧٤٦١ — .... قال ، حدثنا أبى ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : والصحيح من التأويل فى ذلك ، هو التأويل الذى ذكرناه عن نافع والضحاك . وذلك أنّ رسوم المصاحف كلّها مجمعة على : « وكونوا مع الصادقين » ، وهى القراءة التى لا أستجيز لأحدٍ القراءةَ بخلافها .

* * *

وتأويل عبد الله، رحمة الله عليه، فى ذلك على قراءته ، تأويلٌ صحيح ، غير أن القراءة بخلافها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لم يكن لأهل المدينة ، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم = « ومن حولهم من الأعراب »، سُكّان البوادى ، الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وهم من أهل الإيمان به ، أن يتخلفوا فى أهاليهم ولا دارٍ لهم ،[1] ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه فى صحبته فى سفره والجهاد معه ، ومعاونته على ما يعانيه فى غزوه ذلك .[2] يقول : إنه لم يكن لهم هذا = « بأنهم »، من أجل أنهم، وبسبب أنهم = « لا يصيبهم »، فى سفرهم إذا كانوا معه = «ظمأ »، وهو العطش = « ولا نصب »، يقول : ولا تعب = « ولا مخمصة فى سبيل الله » ، يعنى : ولا مجاعة فى إقامة دين الله ونصرته ، وهدْم منَار الكفر[3] = « ولا يطأون موطئاً » ، يعنى : أرضاً ، يقول : ولا يطأون أرضاً = ١١/٤٧

---

(١) فى المطبوعة : « ولا دارهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٢) انظر تفسير « رغب » فيما سلف ٣ : ٨٩ .
(٣) انظر تفسير « المخمصة » فيما سيأتى ص : ٥٦٤، تعليق : ١ .
= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

« يغيظ الكفار » ، وطؤهم إياها[1]= « ولا ينالون من عدوّ نيلاً » ، يقول : ولا يصيبون من عدوّ الله وَعدُوّهم شيئاً فى أموالهم وأنفسهم وأولادهم = إلا كتب الله لهم بذلك كله ، ثوابَ عمل صالح قد ارتضاه[2]= « إن الله لا يضيع أجر المحسنين » ، يقول : إن الله لا يدع محسناً من خلقه أحسن فى عمله فأطاعه فيما أمره ، وانتهى عما نهاه عنه ، أن يجازيه على إحسانه ، ويثيبه على صالح عمله.[3] فلذلك كتبَ لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ما ذكر فى هذه الآية ، الثوابَ على كلّ ما فعل ، فلم يضيِّع له أجرَ فعله ذلك .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية .

* * *

فقال بعضهم : هى محكمة ، وإنما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً ، لم يكن لأحدٍ أن يتخلف إذا غزا خِلافَه فيقعد عنه ، إلا من كان ذا عُذْرٍ . فأما غيره من الأئمة والولاة ، فإن لمن شاء من المؤمنين أن يتخلّف خلافه ، إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٦٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » ، هذا إذا غزا نبيُّ الله بنفسه ، فليس لأحد أن يتخلف . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا أن أشقّ على أمتى ما تخلّفت خلف سريّة تغزو فى سبيل الله ، لكنى لا أجد سَعةً ، فأنطلق بهم معى ، ويشقّ علىّ = أو : أكره = أن أدعهم بعدى .

١٧٤٦٣ — حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، سمعت

---

(١) انظر تفسير « الغيظ » فيما سلف ٧ : ٢١٥ / ١٤ : ١١٦ .

(٢) انظر تفسير « كتب » فيما سلف من فهارس اللغة (كتب) .

(٣) انظر تفسير « المحسن » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

الأوزاعى ، وعبد الله بن المبارك ، والفزارى ، والسبيعى ، وابن جابر ، وسعيد ابن عبد العزيز يقولون فى هذه الآية : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله » إلى آخر الآية ، إنها لأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين فى سبيل الله .

* * *

وقال آخرون هذه الآية : نزلت وفى أهل الإسلام قلة ، فلما كثروا نسخها الله ، وأباح التخلف لمن شاء فقال : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ١٢٢]

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٦٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله » ، فقرأ حتى بلغ : « ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » ، قال : هذا حين كان الإسلام قليلاً . فلما كثر الإسلام بعدُ قال : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ ، إلى آخر الآية .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أن الله عنى بها الذين وصفهم بقوله : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ الآية [سورة التوبة : ٩٠] . ثم قال جل ثناؤه : « ما كان لأهل المدينة » ، الذين تخلفوا عن رسول الله ، ولا لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه ، أن يتخلفوا خِلافَه ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب فى غزوته تلك كلَّ من أطاق النهوض معه إلى الشخوص ، إلا من أذن له ، أو أمره بالمقام بعده . فلم يكن لمن قدر على الشخوص التخلُّف . فعدَّد جل ثناؤه من تخلف منهم ، فأظهر نفاقَ من كان تخلُّفه منهم نفاقاً ، وعذر من كان تخلفه لعُذْرٍ ، وتاب على من كان تخلُّفه تفريطاً من غير شك ولا ارتياب ١١/٤٨

فى أمر الله ، إذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل . فأما التخلف عنه فى حال استغنائه ، فلم يكن محظوراً ، إذا لم يكن عن كراهةٍ منه صلى الله عليه وسلم ذلك. وكذلك حكم المسلمين اليوم إزاء إمامهم. فليس بفرضٍ على جميعهم النهوضُ معه ، إلا فى حال حاجته إليهم ، لما لا بُدَّ للإسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم واستنهاضه إياهم ، فيلزمهم حينئذ طاعته .

وإذا كان ذلك معنى الآية ، لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخةً للأخرى ، إذ لم تكن إحداهما نافيةً حكم الأخرى من كل وجوهه ، ولا جاء خبر يوجِّه الحجة بأن إحداهما ناسخة للأخرى .

* * *

وقد بينا معنى « المخمصة » ، وأنها المجاعة ، بشواهده ، وذكرنا الرواية عمن قال ذلك فى موضعٍ غير هذا ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا.[1]

* * *

وأما « النيل» ، فهو مصدر من قول القائل : « نالنى ينالنى » ، و« نلت الشىء فهو مَنيل » . وذلك إذا كنت تناله بيدك ، وليس من « التناول» . وذلك أن « التناول » من « النوال » ، يقال منه : «نُلْتُ له ، أنول له » ، من العطيّة .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : « النيل » مصدر من قول القائل : « نالنى بخير ينولنى نوالاً » ، و« أنالنى خيرًا إنالةً » . وقال : كأن « النيل » من الواو أبدلت ياء لخفتها وثقل الواو . وليس ذلك بمعروف فى كلام العرب ، بل من شأن العرب أن تصحِّح الواو من ذوات الواو ، إذا سكنت وانفتح ما قبلها . كقولهم : « القَوْل » و«العَوْل » و« الحول » ولو جاز ما قال ، لجاز « القَيْل ».[2]

* * *

(١) انظر تفسير « المخمصة » فيما سلف ٩ : ٥٣٢ — ٥٣٤ .

(٢) انظر تفسير « النيل » فيما سلف ٣ : ٦/٢٠ : ١٢/٥٨٧ : ٤٠٨ ، ١٣/٤٦٩ : ١٣٣
ولم يفسر « النيل » فيما سلف بمثل هذا البيان فى هذا الموضع . وهذه ملاحظة نافعة فى استخراج المنهج الذى ألف به أبو جعفر تفسيره هذا .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ » ، وسائر ما ذكر = « ولا ينالون من عدو نيلاً » = « ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة »، فى سبيل الله[1] = « ولا يقطعون »، مع رسول الله فى غزوه = « واديًا » إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك، جزاءً لهم عليه ، كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم التى كانوا يعملونها وهم مقيمون فى منازلهم ، كما :-

١٧٤٦٥ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة » ، الآية ، قال : ما ازداد قوم من أهليهم فى سبيل الله بُعْداً إلا ازدادوا من الله قرباً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولم يكن المؤمنون لينفروا جميعاً.[2]

* * *

وقد بينا معنى « الكافة » بشواهده ، وأقوال أهل التأويل فيه ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع.[3]

* * *

(١) لم يكن فى المخطوطة ولا المطبوعة : « ولا كبيرة » ، وردتها لأنها حق الكلام .
(٢) انظر تفسير « النفر » فيما سلف ٨ : ٥٣٦ / ١٤ : ٢٥٤، ٣٩٩
(٣) انظر تفسير « الكافة » فيما سلف ٤ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ / ١٤ : ٢٤٢.

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله بهذه الآية ، وما « النفر » ، الذى كرهه لجميع المؤمنين ؟

فقال بعضهم : وهو نَفْرٌ كان من قوم كانوا بالبادية ، بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس الإسلام ، فلما نزل قوله : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ ، انصرفوا عن البادية إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه ، وممن عُنِى بالآية . فأنزل الله فى ذلك عذرهم بقوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، وكره انصرافَ جميعهم من البادية إلى المدينة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٦٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، قال : ناسٌ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، خرجوا فى البوادى ، فأصابوا من الناس معروفاً ، ومن الخصب ما ينتفعون به ، ودَعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى ، فقال الناس لهم : ما نراكم إلاّ قد تركتم أصحابكم وجئتمونا ! فوجدوا فى أنفسهم من ذلك حرجاً ، وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الله : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، يبتغون الخير = « ليتفقهوا » ، وليسمعوا ما فى الناس ، وما أنزل الله بعدهم = « ولينذروا قومهم » ، الناس كلهم = « إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

١٧٤٦٧ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله = إلا أنه قال فى حديثه : فقال الله : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، خرج بعض ، وقعد بعضٌ يبتغون الخير .

١٧٤٦٨ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحو حديثه عن أبى حذيفة .

١٧٤٦٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث المثنى عن أبي حذيفة = غير أنه قال في حديثه : ما نراكم إلا قد تركتم صاحبكم ! وقال : « ليتفقهوا » ، ليسمعوا ما في الناس .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك: وما كان المؤمنون لينفروا جميعاً إلى عدوّهم ، ويتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده ، كما : —

١٧٤٧٠ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، قال : ليذهبوا كلهم = فلولا نفر من كل حي وقبيلة طائفة ، وتخلف طائفة = « ليتفقهوا في الدين » ، ليتفقه المتخلفون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدين = ولينذر المتخلفون النافرين إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٧١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، يقول : ما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ، ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده = « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، يعني عصبة ، يعني السرايا ، ولا يتسرَّوا إلا بإذنه ، فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن ، تعلمه القاعدون من النبي صلى الله عليه وسلم . قالوا : « إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآناً ، وقد تعلمناه » . فيمكث السرايا يتعلّمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ، [ويبعث سرايا أخر ، فذلك قوله : « ليتفقهوا في الدين » ، يقول يتعلمون ما أنزل الله على نبيه] ،[1] ويعلموا السرايا إذا رجعت

(١) ما بين القوسين ، ليس في المخطوطة ، وزاده ناشر المطبوعة من الدر المنثور ٣ : ٢٩٢ ، فيما أرجح .

إليهم لعلهم يحذرون .(١)

١٧٤٧٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « وما كان المؤمنون لينفروا كافة »، إلى قوله: « لعلهم يحذرون » ، قال : هذا إذا بعث نبيُّ الله الجيوشَ ، أمرهم أن لا يُعَرُّوا نبيه، وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه فى الدين ، وتنطلق طائفة تدعو قومها ، وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم .

١٧٤٧٣ — حدثنا الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة »، الآية ، كان نبي الله إذا غزا بنفسه لم يحلّ لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه ، إلا أهل العذر . وكان إذا أقام فأسرت السرايا ، لم يحلّ لهم أن ينطلقوا إلاّ بإذنه . فكان الرجل إذا أسري فنزل بعده قرآن ، تلاه نبي الله على أصحابه القاعدين معه . فإذا رجعت السرية ، قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآناً » ، فيقرئونهم ويفقهونهم فى الدين ، وهو قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، يقول : إذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم = « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، يعني بذلك : أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعاً ونبيُّ الله قاعد ، ولكن إذا قعد نبيُّ الله ، تسرَّت السرايا ، وقعد معه عُظْمُ الناس .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين ، ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ، ولكنهم منافقون . ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون ، لنفر بعضٌ ليتفقه فى الدين ، ولينذر قومه إذا رجع إليهم .

---

(١) كان فى المطبوعة : « ويعلمونه » ، وفى الدر : « ويعلموه » ، وفى المخطوطة : « ويعلموا » عطفاً على قوله : « ليفقهوا » .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٧٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، فإنها ليست في الجهاد ، ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مُضَر بالسِّنين أجدبت بلادهم ، وكانت القبيلة منهم تُقْبِل بأسرها حتى يحلُّوا بالمدينة من الجهْد ، ويعتلُّوا بالإسلام وهم كاذبون ، فضيَّقوا على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم ، وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين ، فردّهم رسول الله إلى عشائرهم ، وحذّر قومهم أن يفعلوا فعلهم ، فذلك قوله : « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

* * *

وقد روى عن ابن عباس في ذلك قول ثالثٌ ، وهو ما : —

١٧٤٧٥ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة» إلى قوله : « لعلهم يحذرون » ، قال : كان ينطلق من كل حيّ من العرب عصابةٌ ، فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم ، فيسألونه عما يريدونه من دينهم ، ويتفقهون في دينهم ، ويقولون لنبي الله : ما تأمرنا أن نفعله ، وأخبرنا ما نقول لعشائرنا إذا انطلقنا إليهم ؟ قال : فيأمرهم نبيّ الله بطاعة الله وطاعة رسوله ، ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة . وكانوا إذا أتوا قومهم نادوا : « إنّ من أسلم فهو منّا » ، وينذرونهم ، حتى إن الرجل ليعرِّف أباه وأمه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرون قومهم .[1] فإذا رجعوا إليهم ، يدعونهم إلى الإسلام ، وينذرونهم النار ، ويبشرونهم بالجنة .

* * *

(١) هكذا جاءت هذه الجملة في المخطوطة والمطبوعة ، وهي جملة غريبة التركيب ، أخشى أن يكون سقط منها شيء .

وقال آخرون : إنما هذا تكذيب من الله لمنافقين أزرَوْا بأعراب المسلمين وغيرهم ، (١) في تخلُّفهم خِلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ممن قد عذره الله بالتخلف .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٧٦ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ابن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن عكرمة قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ، إلى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ، قال ناس من المنافقين : هلك من تخلف ! فنزلت : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، إلى « لعلهم يحذرون » ، ونزلت : ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ ، الآية [سورة الشورى : ١٦] .

١٧٤٧٧ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا سليمان الأحول ، عن عكرمة ، قال : سمعته يقول : لما نزلت : ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة التوبة : ٣٩] ، ﴿وَمَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ إلى قوله : ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، قال المنافقون : هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه ! وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو ، إلى قومهم يفقهونهم ، فأنزل الله : « وما كان المؤمنين لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، إلى قوله : « لعلهم يحذرون » ، ونزلت : ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ ، الآية .

* * *

واختلف الذين قالوا : « عُنِى بذلك النهيُ عن نَفْر الجميع في السرية ، وترك

---

(١) في المطبوعة : « بأعراب المسلمين وعزروهم » ، والصواب ما في المخطوطة .

النبيّ عليه السلام وحده » ، فى المعنيّين بقوله : « ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » .

فقال بعضهم : عُنى به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقالوا : معنى الكلام : فهلاّ نفر من كل فرقة طائفة للجهاد ، ليتفقه المتخلفون فى الدين ، ولينذروا قومهم الذين نفروا فى السرية إذا رجعوا إليهم من غزوهم ؟ وذلك قول قتادة ، وقد ذكرنا رواية ذلك عنه ، من رواية سعيد بن أبى عروبة ،[1] وقد :— ١١/٥١

١٧٤٧٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين » الآية ، قال : ليتفقه الذين قعدوا مع نبى الله = « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ، يقول : لينذروا الذين خرجوا إذا رجعوا إليهم .

١٧٤٧٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، قالا : كافة ويَدَعوا النبيّ صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك : لتتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة ، وتحذر النافرةُ المتخلفةَ .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٨٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين » ، قال : ليتفقه الذين خرجوا ، بما يُريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة ، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

* * *

(١) انظر ما سلف رقم : ١٧٤٧٢ .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال : تأويلُه : وما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ويتركوا رسول الله وحده ، وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا فى غزو وجهادٍ وغير ذلك من أمورهم ، ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيداً . ولكن عليهم إذا سَرَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية ، أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب = وهى الفرقة[١] = « طائفة » ، وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد ،[٢] كما قال الله جل ثناؤه : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، يقول : فهلا نفر من كل فرقةٍ منهم طائفة ؟[٣] وهذا إلى ها هنا ، على أحد الأقوال التى رويت عن ابن عباس ، وهو قول الضحاك وقتادة .

وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الأعراب ، لغير عذر يُعذرون به ، إذا خرج رسول الله لغزوٍ وجهادِ عدوٍّ قبل هذه الآية بقوله : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ ، ثم عقب ذلك جل ثناؤه بقوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، فكان معلوماً بذلك = إذْ كان قد عرّفهم فى الآية التى قبلها اللازمَ لهم من فرض النَّفْر ، والمباحَ لهم من تركه فى حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشخوصه عن مدينته لجهاد عدوّ ، وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خلافه إلا لعذر ، بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم = أن يكون عَقِيبَ تعريفهم ذلك ، تعريفُهم الواجبَ عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته ،

---

(١) انظر تفسير « الفريق » و « الفرقة » فيما سلف : ص : ٥٣٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « طائفة » فيما سلف : ص : ٤٠٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ١١ : ٣٥٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وإشخاص غيره عنها، كما كان الابتداءُ بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم.

* * *

وأما قوله : « ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم »،[1] فإن أولى الأقوال فى ذلك بالصواب، قولُ من قال : ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهلَ دينه وأصحابَ رسوله، على أهل عداوته والكفر به، فيفقه بذلك من مُعاينته حقيقةَ علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان، من لم يكن فقهه، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك = إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم = « لعلهم يحذرون »،[2] يقول : لعل قومهم، إذا هم حذروهم ماعاينوا من ذلك، يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله، حذراً أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبِروا خبرَهم. ١١/٥٢

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب، وهو قول الحسن البصرى الذى رويناه عنه،[3] لأن «النفر» قد بينا فيما مضى، أنه إذا كان مطلقاً بغير صلة بشىء، أنَّ الأغلب من استعمال العرب إياه فى الجهاد والغزو.[4] فإذا كان ذلك هو الأغلب من المعانى فيه، وكان جل ثناؤه قال : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين »، علم أن قوله : « ليتفقهوا »، إنما هو شرط للنفر لا لغيره، إذْ كان يليه دون غيره من الكلام.

* * *

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون معناه : ليتفقه المتخلِّفون فى الدين ؟

قيل : ننكر ذلك لاستحالته. وذلك أن نَفْر الطائفة النافرة، لوكان سبباً لتفقه المتخلفة، وجب أن يكون مقامها معهم سبباً لجهلهم وترك التفقه، وقد علمنا أن

---

(١) انظر تفسير « التفقه » فيما سلف ص : ٤١٣، تعليق : ٢، والمراجع هناك.

(٢) انظر تفسير « الحذر » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥/١٤ : ٣٣١.

(٣) انظر ما سلف رقم : ١٧٤٨٠.

(٤) انظر ما سلف ص : ٢٥١ – ٢٥٦.

مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سبباً لمنعهم من التفقه .

* * *

وبعدُ ، فإنه قال جل ثناؤه : « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ، عطفاً به على قوله : « ليتفقهوا فى الدين » ، ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلا والإنذار قد تقدّم من الله إليها ، وللإنذار وخوف الوعيد نَفرتْ ، فما وجْهُ إنذار الطائفة المتخلفة الطائفةَ النافرةَ ، وقد تساوتا فى المعرفة بإنذار الله إياهما ؟ ولو كانت إحداهما جائزٌ أن توصف بإنذار الأخرى ، لكان أحقّهما بأن يوصف به ، الطائفة النافرة ، لأنها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ، ما لم تعاين المقيمة . ولكن ذلك إن شاء الله كما قلنا ، من أنها تنذر من حَيِّها وقبيلتها من لم يؤمن بالله إذا رجعت إليه : أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نُظَرائه من أهل الشرك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، قاتلوا من وليكم من الكفار دون من بَعُد منهم . [(١)] يقول لهم : ابدأوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً ، دون الأبعد فالأبعد . وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ ، الروم ، لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ ، والشأم كانت أقرب إلى المدينة من العراق . فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد ، فإن الفرض على

(١) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

أهل كل ناحية ، قتالُ من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ، ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحى بلاد الإسلام . فإن اضطروا إليهم ، لزمهم عونهم ونصرهم ، لأن المسلمين يدٌ على من سواهم .

* * *

ولصحة كون ذلك كذلك ، تأوّل كلُّ من تأوّل هذه الآية ، أنّ معناها إيجاب الفرض على أهل كل ناحية قتالَ من وليهم من الأعداء .

* ذكر الرواية بذلك عنهم :

١٧٤٨١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن شبيب ابن غرقدة البارقى ، عن رجل من بنى تميم قال ، سألت ابن عمر عن قتال الديلم قال : عليك بالروم ! (١)

١٧٤٨٢ — حدثنا ابن بشار ، وأحمد بن إسحق ، وسفيان بن وكيع قالوا ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن يونس ، عن الحسن : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » ، قال : الديلم .

١٧٤٨٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن : أنه كان إذا سئل عن قتال الروم والديلم ، تلا هذه الآية : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » .

١٧٤٨٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب قال ، حدثنا عمران أخى قال : سألت جعفر بن محمد بن على بن الحسين فقلت : ما ترى فى قتال الديلم ؟ فقال :

---

(١) الأثر : ١٧٤٨١ — « شبيب بن غرقدة البارق » ، والمشهور « السلمى » ، مضى برقم : ٣٠٠٨ ، ٣٠٠٩ ، وهو تابعى ثقة . وهكذا جاء فى المخطوطة كما أثبته ، ولكن ناشر المطبوعة كتبه هكذا « عن شبيب بن غرقدة ، عن عروة البارق ، عن رجل من بنى تميم » ، وهو لا يصح أبداً ، لأن « عروة البارق » ، هو : « عروة بن أبى الجعد البارق » ، وهو صحابى معروف ، مضى أيضاً برقم : ٣٠٠٨ . والذى حدث هناك أيضاً أنه زاد فى الإسناد « عروة » ، واستظهر أخى أنه زيادة فى الإسناد ، وهو الصواب ، ويؤيده ما حدث فى هذا الموضع ، من ناسخ أو ناشر . وعذره فيما أظن شهرة « شبيب بن غرقدة » أنه « السلمى » ، وأنه يروى عن « عروة البارق » ، فلما رأى « شبيب بن غرقدة البارق » ، ظن أنه خطأ فى الإسناد فأضاف « عن عروة » بين « غرقدة » ، و « البارق » .

قاتلوهم ورابطوهم ، فإنهم من الذين قال الله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » .[1]

١٧٤٨٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن الربيع ، عن الحسن : أنه سئل عن الشأم والديلم ، فقال : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » ، الديلم .

١٧٤٨٦ — حدثني على بن سهل قال ، حدثنا الوليد قال ، سمعت أبا عمرو ، وسعيد بن عبد العزيز يقولان : يرابط كل قوم ما يليهم من مسالحهم وحصونهم ، ويتأوّلان قول الله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » . ٥٣/١١

١٧٤٨٧ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » ، قال : كان الذين يلونهم من الكفار العربُ ، فقاتلهم حتى فرغ منهم . فلما فرغ قال الله : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ ولاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ ، حتى بلغ ، ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ ، [سورة التوبة : ٢٩] . قال : فلما فرغ من قتال من يليه من العرب ، أمره بجهاد أهل الكتاب . قال : وجهادهم أفضل الجهاد عند الله .

* * *

وأما قوله : « وليجدوا فيكم غلظة » ، فإن معناه : وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم = « فيكم » ، أي : منكم شدةً عليهم[2] = « واعلموا أن الله مع المتقين » ، يقول : وأيقنوا ، عند قتالكم إياهم ، أن الله معكم ، وهو ناصركم عليهم ، فإن اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه .

* * *

---

(١) الأثر : ١٧٤٨٤ — « يعقوب بن عبد الله القمي » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٦٩٦٠ . وهو يروي عن أخويه : « عبد الرحمن ، وعمران » ، ولم أجد لأخيه « عمران » ترجمة .

(٢) انظر تفسير « الغلظة » فيما سلف ٧ : ٣٤١/١٤ : ٣٦٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله فى هذه السورة من يقول : أيها الناس ، أيكم زادته هذه السورة إيماناً؟ يقول : تصديقاً بالله وبآياته . يقول الله : « فأما الذين آمنوا » ، من الذين قيل لهم ذلك = « فزادتهم » ، السورة التى أنزلت = « إيماناً » ، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين .[1]

* * *

فإن قال قائل : أو ليس « الإيمان » ، فى كلام العرب ، التصديق والإقرارُ ؟[2]

قيل : بلى !

فإن قيل : فكيف زادتهم السورة تصديقاً وإقراراً ؟

قيل : زادتهم إيماناً حين نزلت ، لأنهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرضُ الإقرار بها والعمل بها بعينها ، إلاّ فى جملة إيمانهم بأن كل ماجاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله فحقٌّ . فلما أنزل الله السورة ، لزمهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله ، ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه ، فكان ذلك هو الزيادة التى زادتهم نزول السورة حين نزلت من الإيمان والتصديق بها .

* * *

(١) انظر تفسير « استبشر » فيما سلف ٧ : ٣٩٦ .

(٢) انظر تفسير « الإيمان » فيما سلف من فهارس اللغة (أمن) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٨٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً » ، قال : كان إذا نزلت سورة آمنوا بها ، فزادهم الله إيماناً وتصديقاً ، وكانوا يستبشرون .

١٧٤٨٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « فزادتهم إيماناً » ، قال : خشيةً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ (١٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وأما الذين فى قلوبهم مرض » ، نفاق وشك فى دين الله ،[1] فإن السورة التى أنزلت = « زادتهم رجساً إلى رجسهم » ، وذلك أنهم شكوا فى أنها من عند الله ، فلم يؤمنوا بها ولم يصدّقوا ، فكان ذلك زيادة شكٍّ حادثةٍ فى تنزيل الله ، لزمهم الإيمان به عليهم ، بل ارتابوا بذلك ، فكان ذلك زيادة نَتْنٍ من أفعالهم ، إلى ماسلف منهم نظيره من النتن والنفاق . وذلك معنى قوله : «فزادتهم رجساً إلى رجسهم»[2] = « وماتوا » ، يعنى : هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا = « وهم كافرون » ، يعنى : وهم كافرون بالله وآياته .

* * *

(١) انظر تفسير « المرض » فيما سلف ١ : ٢٧٨ — ٢٨١ / ١٠ : ٤٠٤/١٤ : ١٢ .

(٢) انظر تفسير « الرجس » فيما سلف ص : ٤٢٥ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوَ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٢٦)

٥٤/١١

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « أو لا يرون » .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿ أَوَلاَ يَرَوْنَ ﴾ ، بالياء ، بمعنى : أولا يرى هؤلاء الذين فى قلوبهم مرضُ النفاق ؟

* * *

وقرأ ذلك حمزة : ﴿ أَوَ لاَ تَرَوْنَ ﴾ ، بالتاء ، بمعنى : أو لا ترون أنتم ، أيها المؤمنون ، أنهم يفتنون ؟

* * *

قال أبو جعفر : والصواب عندنا من القراءة فى ذلك ، الياءُ ، على وجه التوبيخ من الله لهم ، لإجماع الحجة من قرأة الأمصار عليه ، وصحة معناه .

* * *

فتأويل الكلام إذاً : أو لا يرى هؤلاء المنافقون أنّ الله يختبرهم فى كل عام مرة أو مرتين ، بمعنى أنه يختبرهم فى بعض الأعوام مرة ، وفى بعضها مرتين [(١)] = ثم « لا يتوبون » ، يقول : ثم هم مع البلاء الذى يحلّ بهم من الله ، والاختبار الذى يعرض لهم ، لا ينيبون من نفاقهم ، ولا يتوبون من كفرهم ، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته ، فيتعظوا بها ، ولكنهم مصرّون على نفاقهم ؟

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الفتنة » التى ذكر الله فى هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها .

فقال بعضهم : ذلك اختبارُ الله إياهم بالقحط والشدة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٢٨٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٧٤٩٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين » ، قال : بالسَّنة والجوع .

١٧٤٩١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « يفتنون » ، قال : يبتلون = « فى كل عام مرة أو مرتين » ، قال : بالسنة والجوع .

١٧٤٩٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين » ، قال : يبتلون بالعذاب فى كل عام مرة أو مرتين .

١٧٤٩٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين » ، قال : بالسنة والجوع .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : أنهم يختبرون بالغزو والجهاد .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٩٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « أوَلا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين »، قال : يبتلون بالغزو فى سبيل الله فى كل عام مرة أو مرتين.

١٧٤٩٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ،عن معمر ، عن الحسن ، مثله .

* * *

وقال آخرون : بل معناه أنهم يختبرون بما يُشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيفتتن بذلك الذين فى قلوبهم مرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٩٦ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن حذيفة : « أوَلا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين » ، قال : كنا نسمع فى كل عام كذبة أو كذبتين ، فيضِلُّ بها فئامٌ من الناس كثير .

١٧٤٩٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن حذيفة قال : كان لهم فى كل عام كذبة أو كذبتان .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال : إن الله عجَّب عبادَه المؤمنين من هؤلاء المنافقين ، ووبَّخ المنافقين فى أنفسهم بقلّة تذكرهم ، وسوء تنبههم لمواعظ الله التى يعظهم بها. وجائزٌ أن تكون تلك المواعظُ الشدائدَ التى ينزلها بهم من الجوع والقحط = وجائزٌ أن تكون ما يريهم من نُصرة رسوله على أهل الكفر به ، ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم = وجائزٌ أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم ، بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه = ولا خبر يوجب صحةَ بعض ذلك دون بعض ، من الوجه الذى يجب التسليم له . ولا قول فى ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو : أولا يرون أنهم يختبرون فى كل عام مرة أو مرتين ، بما يكون زاجراً لهم ، ثم لا ينزجرون ولا يتعظون ؟

* * *

١١/٥٥

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (١٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : «وإذا ما أنزلت سورة »، من القرآن ، فيها عيبُ هؤلاء المنافقين الذين وصفَ جل ثناؤه صفتهم فى هذه السورة ، وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم = «نظر بعضهم إلى بعض »، فتناظروا = « هل يراكم من أحد » ، إن تكلمتم أو تناجيتم بمعايب القوم يخبرهم به ، ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يستمعوا قراءة السورة التى فيها معايبهم . ثم ابتدأ جل ثناؤه قوله : « صرف الله قلوبهم » ، فقال : صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوبَ هؤلاء المنافقين [1]= «ذلك بأنهم قوم لا يفقهون»، يقول : فعل الله بهم هذا الخذلان ، وصرف قلوبهم عن الخيرات ، من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه ، استكباراً ، ونفاقاً . [2]

* * *

واختلف أهل العربية فى الجالب حرفَ الاستفهام .

فقال بعض نحويى البصرة ، قال : « نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد »، كأنه قال: « قال بعضهم لبعض»، لأن نظرهم فى هذا المكان كان إيماءً، وشبيهاً به ، [3] والله أعلم .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : إنما هو : وإذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض: هل يراكم من أحد ؟

* * *

(١) انظر تفسير « الصرف » فيما سلف ٣ : ١٩٤ / ١١ : ١٣/٢٨٦ : ١١٢ .
(٢) انظر تفسير « الفقه » فيما سلف ص : ٥٧٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) فى المطبوعة : « وتنبيهاً به » ، وصواب قراءته ما أثبت .

وقال آخر منهم : هذا «النظر» ليس معناه «القول» ، ولكنه النظر الذى يجلب الاستفهام ، كقول العرب : « تناظروا أيهم أعلم » ، و «اجتمعوا أيهم أفقه» ، أى : اجتمعوا لينظروا = فهذا الذى يجلب الاستفهام .

* * *

١٧٤٩٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس قال : لاتقولوا : « انصرفنا من الصلاة » ، فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : « قد قضينا الصلاة » .

١٧٤٩٩ — . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن عمير بن تميم الثعلبى ، عن ابن عباس قال : لا تقولوا : « انصرفنا من الصلاة » ، فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم .[1]

١٧٥٠٠ — . . . . قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس قال : لا تقولوا : « انصرفنا من الصلاة » ، فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : « قد قضينا الصلاة » .

١٧٥٠١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض » ، الآية ، قال : هم المنافقون .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما : —

١٧٥٠٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد » ، ممن

---

(١) الأثر : ١٧٤٩٩ — « عمير بن تميم الثعلبى » ، هكذا فى المخطوطة أيضاً ، لم أجد له ترجمة فى غير الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٣٧٨ فى « عمير بن قميم الثعلبى » بالقاف . وقال المعلق أنه فى إحدى النسخ « عمير بن قثم التغلبى » . وفى الثقات والكنى للدولابى « بن تميم » . وقال ابن أبى حاتم : (قال يحيى بن سعيد ، وأبو نعيم ، هو « أبو هلال الطائى » ، وقال وكيع : هو « أبو تهلل » . روى عن ابن عباس ، روى عنه أبو إسحق الهمدانى ، ويونس بن أبى إسحق ، سمعت أبى يقول ذلك) .

سمع خبرَكم ، رآكم أحدٌ أخبره ؟[1] إذا نزل شيء يخبر عن كلامهم . قال : وهم المنافقون . قال : وقرأ : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ﴾، حتى بلغ : ﴿ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ أخبره بهذا ؟ أكان معكم أحد ؟ سمع كلامكم أحد يخبره بهذا ؟

١٧٥٠٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو إسحق الهمداني ، عمن حدثه ، عن ابن عباس قال : لا تقل : « انصرفنا من الصلاة » ، فإن الله عيَّر قوماً فقال : « انصرفوا صرف الله قلوبهم » ، ولكن قل : « قد صلَّينا » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للعرب : لقد جاءكم، أيها القوم ، رسول الله إليكم = « من أنفسكم » ، تعرفونه ، لا من غيركم فتتهموه على أنفسكم في النصيحة لكم[2] = « عزيز عليه ماعنتم » ، أي : عزيز عليه عنتكم ،وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى[3] = « حريص عليكم » ، يقول : حريص على هُدَى ضُلاَّلكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق[4] = « بالمؤمنين رؤوف » ، أي : رفيق = « رحيم » .[5]

---

(١) في المخطوطة : « من يسمع خبركم ولكم أحد أخبره » ، وما في المطبوعة مطابق لما في الدر المنثور ٣ : ٢٩٣ ، وهو شبيه بالصواب إن شاء الله .

(٢) انظر تفسير « من أنفسهم » فيما سلف ٧ : ٣٦٩ .

(٣) انظر تفسير « عزيز » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) .

= وتفسير « العنت » فيما سلف ٤ : ٣٦٠/٧ : ١٤٠ — ١٤٤/٨ : ٢٠٦ .

(٤) انظر تفسير « الحرص » فيما سلف ٩ : ٢٨٤ .

(٥) انظر تفسير « رؤوف » فيما سلف ٣ : ١٧١/٤ : ٢٥١/١٤ : ٥٣٩ .

= وتفسير « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (رحم) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٠٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه فى قوله: « لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » ، قال : لم يصبه شيء من شركٍ فى ولادته . ١١/٥٦

١٧٥٠٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد فى قوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » ، قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية . قال : وقال النبى صلى الله عليه وسلم: إنى خرجت من نكاحٍ ، ولم أخرج من سفاحٍ .

١٧٥٠٦ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، بنحوه .

١٧٥٠٧ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » ، قال : جعله الله من أنفسهم ، فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة .[1]

* * *

وأما قوله : « عزيز عليه ما عنتم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : ما ضللتم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٠٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا طلق بن غنام قال ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن ابن عباس فى قوله : « عزيز عليه ما عنتم »، قال : ما ضللتم .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولا يحسدونه » بالواو ، والسياق يقتضى ما أثبت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عزيز عليه عَنَت مؤمنكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٠٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « عزيز عليه ما عنتم » ، عزيزٌ عليه عَنَت مؤمنهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قولُ ابن عباس . وذلك أن الله عمّ بالخبر عن نبيّ الله أنه عزيز عليه ما عنتَ قومَه ، ولم يخصص أهل الإيمان به . فكان صلى الله عليه وسلم [كما جاء الخبرُ من] الله به ، عزيزٌ عليه عَنَتُ جمعهم . (١)

* * *

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزاً عليه عنتُ جميعهم ، وهو يقتل كفارَهم ، ويسبى ذراريَّهم ، ويسلبهم أموالهم ؟

قيل : إن إسلامهم ، لو كانوا أسلموا ، كان أحبَّ إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه ، حتى يستحقوا ذلك من الله . وإنما وصفه الله جل ثناؤه بأنه عزيزٌ عليه عنتهم ، لأنه كان عزيزاً عليه أن يأتوا ما يُعنتهم ، وذلك أن يضلُّوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبى .

* * *

وأما « ما » التى فى قوله : « ماعنتم » ، فإنه رفع بقوله : « عزيز عليه » ، لأن معنى الكلام ما ذكرت : عزيز عليه عنتكم .

* * *

وأما قوله : « حريص عليكم » ، فإن معناه ما قد بيَّنت ، وهو قول أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المخطوطة ، بياض بين « كما » ، و « الله به » بقدر كلمتين ، وفى المطبوعة أتم الكلام هكذا : « كما وصفه الله به ، عزيزاً عليه » ، والزيادة بين القوسين استظهار منى ، وسائره كنص المخطوطة .

١٧٥١٠ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « حريص عليكم » ، حريص على ضالهم أن يهديه الله .

١٧٥١٠ م ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله : « حريص عليكم » ، قال : حريص على من لم يسلم أن يسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فإن تولى، يا محمد ، هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك ، فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة فى الله ، وما دعوتهم إليه من النور والهدى[١] = « فقل حسبى الله » ، يكفينى ربى[٢] = « لا إله إلا هو » ، لا معبود سواه = « عليه توكلت » ، وبه وثقت ، وعلى عونه اتكلت ، وإليه وإلى نصره استندت ، فإنه ناصرى ومعينى على من خالفنى وتولى عنى منكم ومن غيركم من الناس[٣] = « وهو رب العرش العظيم » ، الذى يملك كلَّ ما دونه ، والملوك كلهم مماليكه وعبيده .[٤]

وإنما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه «رب العرش العظيم» ، الخبرَ عن جميع ما دونه أنهم عبيده، وفى ملكه وسلطانه ، لأن «العرش العظيم » ، إنما كان يكون للملوك ، فوصف نفسه بأنه « ذو العرش » دون سائر خلقه ، وأنه الملك العظيم دون غيره ، وأن من دونه فى سلطانه وملكه ، جارٍ عليه حكمه وقضاؤه .

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
(٢) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص : ٣٤٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص : ٢٩١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « العرش » فيما سلف ١٢ : ٤٨٢ .

١٧٥١١ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله : « فإن تولوا فقل حسبي الله »، يعني الكفار، تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه في المؤمنين .

١١/٥٧ ١٧٥١٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عبيد بن عمير قال : كان عمر رحمة الله عليه لا يُثْبِتُ آيةً في المصحف حتى يَشْهَدَ رجلان. فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه »، فقال عمر : لا أسألك عليهما بيِّنةً أبداً، كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٧٥١٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أحمد بن عبد الله ابن يونس، عن زهير، عن الأعمش، عن أبي صالح الحنفي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله رحيم يحبّ كل رحيم، يضع رحمته على كل رحيم. قالوا: يا رسول الله، إنا لنرحم أنفسنا وأموالنا = قال: وأراه قال : وأزواجنا =؟ قال : ليس كذلك، ولكن كونوا كما قال الله : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم * فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . أراهُ قرأ هذه الآية كلها.[1]

١٧٥١٤ — حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الصمد قال، حدثنا شعبة، عن علي بن زيد، عن يوسف، عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب قال : آخر آية نزلت من القرآن : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم »، إلى آخر الآية .

---

(١) الأثر : ١٧٥١٣ — « أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي »، ثقة، مضى مراراً، آخرها رقم : ١٦٠٩٥
و « زهير »، هو « زهير بن معاوية بن حديج الجعفي »، ثقة، مضى مراراً، آخرها رقم : ١٢٧٩٤ .
و « أبو صالح الحنفي » تابعي ثقة، مضى برقم : ٣٢٢٦، ١٣٢٩١ — ١٣٢٩٣
وهذا خبر مرسل .

١٧٥١٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا شعبة ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، عن أبيّ قال : آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » ، الآية .[١]

١٧٥١٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا شعبة ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن أبيّ قال : أحدثُ القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم » ، إلى آخر الآيتين .[٢]

١٧٥١٧ — حدثنى أبو كريب قال، حدثنا يونس بن محمد قال ، حدثنا أبان بن يزيد العطار ، عن قتادة ، عن أبيّ بن كعب قال : أحدث القرآن عهداً بالله ، الآيتان : « لقد جاءكم رسول الله من أنفسكم » ، إلى آخر السورة .[٣]

* * *

آخر تفسير سورة التوبة[٤]

---

(١) الأثران : ١٧٥١٤ ، ١٧٥١٥ — « على بن زيد بن جدعان » ، سيء الحفظ ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٣٤٩٣ ، ١٦٧٣٦ .

و « يوسف بن مهران البصرى » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها : ١٣٤٩٥ . وهذا الخبر رواه عبد الله ابن أحمد فى مسند أبيه ، ٥ : ١١٧ ، من طريق محمد بن أبى بكر ، عن بشر بن عمر ، عن شعبة ، بمثله .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٦ ، وقال : « رواه عبد الله بن أحمد ، والطبرانى ، وفيه على ابن زيد بن جدعان ، وهو ثقة سيء الحفظ ، وبقية رجاله ثقات » .

(٢) الأثر : ١٧٥١٦ — مكرر الذى قبله ، ولكنه مرسل عن أبى .

(٣) الأثر : ١٧٥١٧ — مرسل ، قتادة لم يرو عن أبى بن كعب .

(٤) بعد هذا فى المخطوطة ما نصه :

« والحمد لله ربّ العالمين

يتلوه إن شاء الله تعالى

تفسير السورة التى يذكر فيها يونس»

تم الجزء الرابع عشر من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الخامس عشر وأوّله :

تفسير السورة التى يذكر فيها يونس

الفهارس



فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

* * *

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوّله فصلاً .

* * *

* * *

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرس على أرقام الآثار ، لا الصفحات

* * *

* * *

فهرس المصطلحات

مباحث العربية والنحو وغيرها

* « أم » دخولها للاستفهام المعترض فى وسط الكلام ، ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ : ١٦٥

* « أن » دخولها يدلّ على الاستقبال : ٥١٤

* « أن » مع « كان » تأويلها بمعنى «ينبغى » فى نحو قوله «ما كان لنبيّ أن يغلّ » ، أى : ما كان ينبغى له : ٥١٤

* « أنْ » و « أنّ » ، من منصوب « حسب» و « ظنّ » : ٢٨ ، ٣٠

* « إن » بمعنى « إذ » فى نحو قوله : « إن كنت أبى فأكرمنى »، بمعنى : إذ كنت ١٩٣

* « أنّى » بمعنى : أىّ وجهٍ : ٢٠٨

* « الباء » بمعنى « فى » : ١٧٩

* « عن » بمعنى « من بعد » كقولهم : « ما كان الأمر إلا عن سبب كذا » ، أى : بعد ذلك السبب ، أو من أجله : ٥١٥

* « فى » بمعنى « من » نحو : « وليجدوا فيكم غلظة »، بمعنى : منكم : ٥٧٦ .

* « كيف » الاكتفاء بها دليلاً على معنى الكلام ، لتقدم ما يراد من المعنّى بها قبلها ، نحو قوله :

وخَبَّرْتُمانى أَنَّما المَوْتُ بالقُرَى فَكَيْفَ وهَذِى هَضْبَةٌ وكَثِيبُ

ومعناه : كيف يكون الموت فى القرى ، وهذى هضبة وكثيب لا ينجو فيهما منه أحد : ١٤٥

نَصَرُوا نبيَّهُمُ وشَدُّوا أزْرَهُ بحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكُلِ الأبطالِ

يترك إجراء « حنين » : ١٧٨

* « العدد » العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة ، إذا كَنَتْ عنه : « فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ، ولأربعة أيام بقين » .
وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين قالت : « فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ، ولأربع عشرة مضت » : ٢٤٠

* « العدد » إخراج الكناية عن العدد من الثلاثة إلى العشرة ، بالنون ، وما فوق ذلك بالهاء : ٢٤٠ ، ٢٤١

* « العدد » قولهم : « ثانى اثنين » و « ثالث ثلاثة » ، فهو أحد الاثنين ، وأحد الثلاثة ، بخلاف قولهم : « هو أخو ستة ، وغلام سبعة » ، لأن « الأخ » و « الغلام » غير الستة والسبعة : ٢٥٧

* « المفرد » والمراد به « الجمع » ، كقولك : « لقيت كل رجل » ، بمعنى : كل الرجال : ٤٧٦

* « النكرة » بصلتها تكون كالمعرفة : ٩٥

* * *

* كلّ خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثواباً وجزاءً ، وعلى تركه عقاباً وعذاباً ، وإن لم يكن خارجاً ظاهرُه مخرج الأمر ، ففى معنى الأمر : ٥٧

* « النسخ » ، الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كلّ وجه ، فأما ما كان بخلاف ذلك ، فغيرُ كائن ناسخاً : ٤٢

* « النسخ» ، هو نفى حكم قد كان ثبت ، بحكم آخر غيره : ١٤٠

* « الخصوص » و « العموم » : ٢٢٥ ، ٢٢٦

* « الخصوص » و« العموم » ، إذا لم يكن فى الآية دلالة على أنها عنى بها

فهرس التفسير

﴿ تفسير سُورَة التَّوْبةِ ﴾

* * *